

دار الاعتصام

أنور الجندى



منطلق الأصالة و إعادة بناء الأمة على طر ق الله

دار الاعتصام

آفاق البحث

صفحة

آفاق البحث

صفحة

أفاق البحث	صفحة



مدخـــل

نظرة عامة إلى الصحوة الإسلامية

(١)

إن الصحوة الإسلامية تضع كل المطروحات والمذاهب والفلسفات الوافدة موضع النظر والنقد فى ضوء الإسلام نفسه بمفهومه الأصيل الجامع : التوحيد والعدل الاجتماعى والأخاء البشرى وبمضمونه الربانى والإنسانى والعلمى .

بل أنه ليمكن القول أن الصحوة الإسلامية تعنى النظر فى الفكر البشرى فى ضوء الإسلام ، دون متابعة له أو تبعية أو ولاء كما كان فى المرحلة السابقة فالصحوة الإسلامية هى بمثابة إرتقاء إلى مرحلة الأصالة والرشد الفكرى وتطور من خلال حركة اليقظة الإسلامية ، التى بدأت منذ وقت طويل خلال القرن الرابع عشر وما قبله ، وأن هذه علامة أساسية وصحيحة لفهم محرر من الولاء أو التبعية أو الخضوع لفكر يختلف ويتعارض مع قيم الإسلام ، وأنه عودة إلى المنابع والأصالة .

ومن رؤيا كثير من الباحثين المسلمين نجد وضوح النظرة وسلامة الوجهة .

أولا : « الإسلام هو البديل لحضارة بلا قلب » يقول الدكتور رشدى فكار :

لقد انبعث الإسلام كيتار كونى فرض عليه أن يواجه نظريات وضعيه تسود العالم الآن والذى لا شك فيه أن الغلبة ستكون للإسلام بمثله وقيمه ونظرياته ، أننا نعيش فى ظل حضارة مادية بلا قلب ولا عاطفة أو مشاعر أو روح ولا بد من بديل لهذه الحضارة ولا بديل لها يأخذ بطيباتها ويستبعد سيئاتها ويستكمل ما فيها من نقص سوى الإسلام .

وقد جاءت حضارة الغرب بشقيها الليبرالى والماركسى المتسلطه حاليا على الكون كرد فعل انطلق فى البداية كتحفظ للحد من التيار الروحى ليتحول إلى نقد لها وتحول النقد إلى تفنيد وأعراض ورفض لتطرح فى القرن التاسع عشر البدائل فى شكل مدارس (وضعية تطورية وداروية وماركسية) واستمر المسلسل حتى البنوية الوضعية وكلها مدارس جاءت كبدائل متمركزة حول حوار الإنسان بدلا من حوار السماء ، ولا يمكن أن ننكر ما أعطته الحضارة الغربية بشقيها أزاء مظهر الإنسان الغربى ورفاهيته وإذا كان الغرب خلال ألف سنة قد جسد الخطيئة فى شكل واع أو غير واع فى التيار الروحى اللاهوتى وتفجرت فى حضارة الغرب الحديثة من خلال مواجهته فالعكس صحيح بالنسبة لنا فى الإسلام .

ألف عام من الظلمات لديهم يقابلها ألف عام من الإشراق لدينا ، عندما كانت رآية الإسلام خفاقه عبر هذه العصور كان إشراق العلم وتحرك العقل وإبداع الفنون من أجل ذلك يتحرك الإسلام بلا عقد تاريخية ، أو تجسيد لإدانة أو خطيئة — أن نجاح الصحوة الإسلامية مرتبطة ببناء الإنسان القادر على تطبيق مبادئ الإسلام — أن ربط القول بالعمل أساس قوة الإسلام والتخلى عنه هو أساس هزيمة الحضارة الغربية (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) والسؤال الآن : هل يستطيع الإسلام بمبادئه ونظرياته إستيعاب متطلبات المسلم المتطلع، أن ذلك يتوقف على سلوك المسلم تجاه هذه المبادئ السياسية الخالدة ، ذلك أن المبادئ الأساسية التى جاء بها الإسلام لإنقاذ الإنسان وتحقيق التعامل والتوازن له فى داخل ذاته بين هو جسد ونفس وروح والتعامل مع عالمه الخارجى كأسرة وجماعات وطبقات بجتمع وبين ما هو تطبيق بشرى — أن تصور التطبيق هو من

البشر ، أما المبادئ الإسلامية فهى مبادئ وأسس خالدة لا تذهب فقط إلى حد القول بأنه بحسد الصلاحية بل يذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : أنه لا صلاحية بدونه لإنقاذ الكون .

ويؤكد الأستاذ محمود فطام : أن المستقبل للإسلام على الصـــعيد الداخلى والعالمى ويؤكد أن فساد الحضارة الغربية هو العامل الأكبر،أن إفلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التى تضحى بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد والتى قسمت المجتمع إلى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما : البرجوازية والفقيرة . وما ترتب على ذلك من صراع طبقى وحقد إجتماعى ترسب على الأيام نتيجة إحتكارية البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميع أبناء الشعب بما فيهم الفقراء وما يخوض فيها من قيم مادية متعفنة وفلتفات مادية إتخذت الإجرام والإدمان على المخدرات والهوس والشذوذ الجنسى طريقا لها تحت ستار جماعات متعددة الأسماء والمسميات لجماعـــة الهيبية والباكنر وهارى كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبتلز مما أدى بالتالى إلى أزمة قيم وأزمة ضمير حاره لن تنتهى قبل أن تقلع الأخضر واليابس فى المجتمع الغربى .

(ثانيا) الشيوعية والإلحاد تتراجع حتى فى أقوى معاقلها عن العديد من المبادئ والمنطلقات التى إعتبرت أساسية فى فلسفتها كما حصل فى روسيا حين تحول شعار ديكتاتورية البروليتاريا إلى شعار ديكتاتورية الحزب والرجل الواحد منذ عهد ستالين إلى عهد برجنيف ودكتاتورية العشرة والعائلة الواحدة ، أما الثورات المضادة فى كل من تشكو سلوفاكيا والمجر فقد قمعت بالحديد والنار والعنف الدموى .

(ثا) زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التى روج لها الأعداء والاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التى توهم المروجون لها أنها توحد العرب وتجعلهم أمة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد فإذا بها تكرس الاقليمية والتجزئة التى خلقها الاستعمار وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية من خلال التمسك بكراسى الحكم حتى الرمق الاخير فى حياتهم .

(رابعا) صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ونظرته العامة الشاملة لكافة النواحى الحياتية وثباته فى نهاية المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والأيدلوجيات الأخرى من خلال مسيرة التطور الاجتماعى التى ستفرض البقاء للأصلح والأقوى والأنسب والأقدر على التكيف وقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فأخفقوا فى الوصول إلى إستقرار سياسى وسلام إجتماعى ورخاء إقتصادى ، ثم لجأوا إلى الاشتراكية تعويضا عن فشلهم فى تجربة الديمقراطية الغربية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعـــدالة ومساواة وتكافؤ الفرص وقضاء على الفوارق ومحو الطبقات كما كانت فى البلاد الإسلامية تجارب شتى شرقية وغربية ، مدنية وعسكرية متطرفة ومعتدلة يسارية ويمينية ، لم يبلغوا شأواً ولم ينالوا حظا من التفوق ولم يزدادوا إلا إنحرافا وزيغا عن الصراط المستقيم .

(خامسا) عودة الناس إلى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجارب عديدة فى الإلحاد والإباحة والفوضى ولإقناع البشرية الراسخ أن السبيل الوحيد للقضاء الفراغ والعلاج الناجح لأمراض العصر تكون من خلال الإيمان بالله الذى يؤدى إلى السكينة والطمأنينة .

(سادسا) الحتمية التاريخية والجدلية للإسلام ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر .

(٢)

لا بد من تأصيل « الصحوة الإسلامية » وترشيدها

لتمضي على طريق الله تبارك وتعالى

لم تعد ظاهرة « الصحوة الإسلامية » موضع الشك أو الارتياب ، فقد أكدت الأبحاث التي جرت سواء من المنصفين أو غيرهم أنها حقيقة واقعة لها وجودها القائم والثابت ، ولها حركيتها المستمرة للانتقال من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة . وأن تستطيع أن تؤثر فعلا في بنية المجتمع الإسلامي بالتغيير نحو الأصالة والرشد الفكري والخروج من دائرة التنظير ومواجهة الشبهات بعد الكشف عنها وهذه مرحلة استغرقت من عمر المجتمع الإسلامي العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ، والمعتقد أنها وصلت إلى غايتها وأن هناك (رأى إسلامى عام) قد تنور وتفهم مؤامرة التغريب ومخططاتها من الغزو الثقافي إلى الشعوبية عن طريق الاستشراق والتبشير .

(٢) ولقد تبين بما كشفت عنه حركة اليقظة الإسلامية أن هناك خطة مدبرة لتأخير إمتلاك المسلمين لإرادتهم واستئناف حضارتهم واقتعاد مكانهم الحقيقي في العالم المعاصر في وقت هم يمتلكون فيه عوامل القوة القادرة على انبعاث وجودهم وتحررهم الكامل وهى الطاقة والثروة والنفوق البشرى .

ولقد بدأت محاولة حجب المسلمين عن إمتلاك إرادتهم منذ وقت بعيد ، منذ تبين للغرب أن حضارته القائمة الآن هى على طريق الانهيار وأن مصيرها سوف يكون أشبه بمصير الحضارة الرومانية التي دمرها الترف والانحلال والفساد

الأخلاق والانحراف عن طريق الله والاستعلاء المغرور بامتلاك القوة ومن ثم عمد دهاقنة النفوذ الغربى إلى العمل على تأخير تسليم أمانة القيادة العالمية إلى أصحاب الحق فيها ، الذين يمتلكون منهجا ربانيا أصيلا ، قدم للبشرية خلال ألف سنة أشواق الروح ومطالب المادة فى توازن واعتدال وتكامل فى دورة حضارية لا تزال آثارها قائمة وواضحة بالرغم من كل محاولات المغالطة والتزييف التى تحاول أن تنكر دور الإسلام فى بناء مناهج الحضارة الإنسانية والمنهج التجريبى ومنهج المعرفـــة ذى الجناحين والكشف عن نواميس الكون والمجتمعات والحضارات على النحو الذى إنطلق لأول مرة من آيات القرآن الكريم الذى دعا إلى النظر والبرهان .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » .

« قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

(٣) ولقد تبينت اليوم فى شأن الإسلام وحضارته حقيقتان لا يستطيع أن ينكرهما إلا جاهل أو غافل :

الحقيقة الأولى : أن الإسلام هو الذى قدم للبشرية (منهج العلم والمعرفة) على أصوله الأصيلة التى تؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو مالك هذا الكون ومسيره وواضع نواميسه وأنه جل شأنه هو القادر على خرق هذه النواميس متى شاءت إرادته وأن هذا المنهج الربانى جامع بين الروح والجسد والعلم والدين وبين الدين والدولة وبين عالم الغيب وعالم الشهادة وبين الدنيا والآخرة ، وهو الذى أعطى الإنسان إرادته الحرة والمسئولية وإلتزامه الأخلاقى ومنطلقه للسعى فى الأرض وتعميرها لحساب الله تبارك وتعالى وليس لحسابه الخاص وهو الذى وجهه إلى أن هناك بعثا وجزاء أخرويا بعد البعث على هذا العمل الذى تم فى الحياة الدنيا وأن كل إنسان آت يوم القيامة فرداً مسئولا عن عمله وحده وأنه ليس هناك جبرية تضع المسئولية على المجتمع ككل .

الحقيقة الثانية : أن الإسلام هو الذى نقل الغرب من الرهبانية والأساطير

والخرافات إلى التوحيد ونقل الأمم من عبادة القيصر الإله أو الفرعون الإله ، أو عبادة الفرد بصفة عامة إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأن الحضارة الإسلامية إنما هي إرتفاع بالإنسان عن عبادة غير الله أو الخضوع لأى مخلوق كان ، وأن البشرية كلها تدخل فى أخوة حقيقية ، وأن ثروتها ملك لها جميعها ، وأنه ليس لأمة أن تستعلى بالجنس أو الدم أو العرق . فقد محا الإسلام العنصرية والتفاخر بالآباء والمغالاة فى التعصب للقوم أو الدين ، وأن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمما وقبائل ليتعارفوا ، ويجرى هذا كله فى إطار حرية الرأى والعقيدة (لا إكراه فى الدين) ومساواة الناس جميعا أسودهم وأبيضهم وقيام العدل الاجتماعى الذى يشمل المسلم وغير المسلم .

(٤) وبذلك وضع الإسلام تاريخ البشرية كله قبل الإسلام فى خانة التمهيد للدعوة الخاتمة التى أخرجت البشرية من طفولتها وهدتها إلى طريق الرشد ، ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية كافة ، لينقلها إلى الإنسانية وتحررها من كل عوامل الوثنية والمادية والإباحية والعصبية .

ومن ثم فإن هذه الدعوة التى أشرق نورها منذ أربعة عشر قرنا ما تزال تشق طريقها لتحرر البشرية من قيودها وأغلالها وقد إستطاعت أن تحقق خطوات واسعة منذ سطع نور الإسلام فى كل أرض ودخل كل حى ، وعلا اسم الله تبارك وتعالى فى كل أفق .

(٥) وما تزال هذه القوى المتآمرة التى تحمل لواء الأيدلوجيات تحاول أن تثبت وجودها وتؤخر الإسلام ، عن سعية وتقف فى وجه طريقه ، بأن تفقد مفاهيم الإسلام نفسها فى نظر أهليها وذلك بعزلهم عنها واحتوائهم فى نظم ومناهج لا تحقق لهم إلا العبودية ، وتحجب عنهم شريعتهم وتفرض عليهم نظاما إقتصاديا ربويا ومنهجا تعليميا علمانيا وتحول بينهم وبين النظام الذى عرفوه وطبقوه خلال تلك القرون لم ينقطعوا عنه إلا منذ فرض النفوذ الأجنبى نفوذه على العالم الإسلامى منذ مائة وخمسين عاما ، وهم حين يحولون بين المسلمين وبين منهجهم الأصيل إنما يؤخرون المرحلة التالية لإقامة المجتمع الإسلامى ، وهى

مرحلة تبليغ الإسلام للعالمين ، وهم يسدون الطريق أمام وصـول مفهوم الإسلام إلى البشرية بدعوى أن المسلمين شهود اليوم على الإسلام وأن تخلفهم وضعفهم وتمزقهم مما يرجع إلى الإسلام وهى دعوى باطلة فإن الإسلام محجوب فى هذا العصر بالمسلمين ، وأن التجارب التى يعيشها المسلمون على مدى تاريخهم هى شىء يختلف عن منهج الإسلام الربانى الصحيح ، وقد يسعى المسلمون إلى تطبيقه فينجحون فى ذلك أو يفشلون ، ولكن وجودهم المعاصر لا يمثل حقيقة الإسلام ، ومن ثم فهم يخدعون النفوس الغربية المشوقة إلى إلتماس منهج الإسلام بادعاء أن واقع المسلمين الآن هو من الإسلام ، وهم يراوغون فى رد هذه الأشواق المطلقة فى نفوس الغربيين إلى تجربة جديدة بعد فشـل تجربتهم خلال ثلاثة قرون بين ديمقراطية وليبرالية وإشتراكية وماركسية ، دون أن يتحقق لهم ذلك المثل الذى يقدم سعادة المجتمع ، فإنهم يسعون إلى تزييف مفهوم الإسلام على النحو الذى يقوم به دعاة الحوار الذين يحاولون خداع الأمم بالقول بأنه لا توجد بين الإسلام والأديان الأخرى خلافات عميقة ، بينما الحقيقة غير ذلك وأن الإسلام بمفهومه الأصيل من التوحيد والعدل الاجتماعى والآخاء الإنسانى يختلف كثيراً عن مفهوم التعدد والظلم الاجتماعى والاستعلاء بالعنصر واللون فى مجتمع الغرب .

(٦) لقد عرف أساطين الغرب منذ وقت بعيد أن البشرية لن تجد طريقها الصحيح إلا باعتناق الإسلام ، وهذه صيحة برناردشو منذ أكثر من سبعين سنة وهو الذى تنبأ أن أوربا سوف تعتنق الإسلام خلال مائة عام ولو بغير اسمه. وحين ننظر الآن نجد أمثال جارودى وبوكاى وهم من أعـلام الفكر الغربى يسلمون ويتركون دينهم وعالمهم الحيوى السياسى والاجتماعى فى الأيدلوجيتين الغربية والماركسية تعرف بحق كيف أن الإسلام هو المفتاح الذى لا يستطيع غيره حل هذه المعضلات المعقدة المتشابكة والمضطربة فى الحضارة الغربية بوثنيتها وربويتها وعلمانيتها وانحلالها وخروجها عن حكم الله وطريق الله واندفاعها فى طريق الخطأ والانحراف والتمزق الذى أوصلها إلى حافة الهاوية .

ولقد كان إيمان جارودى وبوكاى صفعة شديدة لهؤلاء التغريبيين من المسلمين الذين مازالوا سادرين فى غيهم وباطلهم وخـداعهم بالدفاع عن الفكر الغربى

والحضارة الغربية ، بينما يغادر السفينة الغارقة أولئك الذين أضاء لهم الإيمان طريق التحرر بينما يجب هؤلاء المسلمون اسما ويسقطون فى دائرة الاحتواء ، ويشككون أهليهم المسلمين فى حقيقة عقيدتهم ويغشونهم بالنصح لهم بالقفز إلى السفينة الغارقة .

(٧) أن النقطة الحقيقية التى يجب أن تواجهها الصحوة الإسلامية هى إفلاس الحضارة الغربية وتطلع الغربيين أنفسهم إلى نظام جديد غير النظام الرأسمالى والربوى والماركسي ، وأن هذا النظام الجديد لن يكون فى الحقيقة إذا سلمت النوايا غير الإسلام فهو وحده القادر على إعادة البشرية إلى طريق الله ، ولكن هناك (التلمودية) التى تحاول أن تشكك الغرب فى الإسلام وأهل الإسلام ، بشبهات وشكوك ، هى بعيدة تماما عن تاريخ الإسلام عن جوهر عقيدته فما كان الإسلام يوما دين إنتقام أو هدم أو تدمير أو سيطرة ولكنه هو دين الرحمة والاخاء .ولو تكشفت الحقائق أمام أهل الغرب كما تكشفت لبوكاى وجارودى لأشرق الأفق بالضياء وأشرقت شمس الله على الغرب ، وعرف المصلحون أن هذا هو الطريق . ونحن هنا فى عالم الإسلام فى حاجة لأن نمهد لهذا الآفاق الجديدة بأن نتحرر تماما من التبعية للحضارة الغربية والنفوذ الغربى بشقيه وأن نوجه ثمار ثرواتنا إلى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة ، وبناء قوتنا الذاتية فى مجال التجارة والاقتصاد والصناعات الكبرى وأن نتحرر من حاجتنا إلى إستيراد الطعام من الغرب وأن نملك القدرة على الاكتفاء الذاتى فى هذا المجال . وأن نقيم المجتمع الإسلامى على الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامى غير الربوى وأن تكون نقطة البدأ الحقيقية هى : إقامة نظام التربية الإسلامية بدلا من نظام التعليم العلمانى الوافد وأن يتطهر المجتمع الإسلامى من ويلات الشهوات الطارئة عليه والتى يراد بها تدمير الأجيال حتى لا تكون قادرة على حمل أمانة الحضارة أو حماية الوجود الإسلامى نفسه فى أرض الإسلام ، ولابد من بناء الشخصية الإسلامية على القوة والاستعداد لمواجهة الأخطار والتحرر من النفوذ الصهيونى وتحرير القدس وفلسطين بالتماس منهج الإسلام فى العمل السياسى فهو الطريق الوحيد بعد تعثر التجارب التى تمت حتى الآن والتى أخرجت قضية فلســطين من نظامها

الإسلامى الأصيل وحصرها فى المجال السياسى العربى المحدود .

ولا بد أن ينفتح المسلمون للوحدة الإسلامية جغرافيا كما ينفتحون للمنهج الإسلامى إجتماعيا ، فقد كانت دعاوى القومية والإقليمية هى السكين الذى ذبح به العالم الإسلامى ومزق إلى عنصريات تستشرف تاريخها القديم الجاهلى السابق للإسلام كالفرعونية والفينيقية والبابليه مما قضى عليها الإسلام من بعد ، لقد كانت مؤامرة « القومية » . محاولة إستعمارية صهيونية لإشاعة روح التمزق فى العالم الإسلامى الموحد . وكان إسقاط الخلافة الإسلامية منطلقا لهذا العمل الخطير الذى لم يتبين المسلمون مدى خطورته إلا بعد وقت طويل .

كذلك فقد آن الأوان للعقلية الإسلامية أن تتحرر من إستعباد الثقافات الغربية وتصحيح مادسته الشعوبية فى تاريخ العرب والإسلام من سموم ، وتصحيح مفاهيم الأخلاق والنفس والاجتماع التى طرحتها نظريات دارون وفرويد وماركس ، لقد كشفت أبحاث الغرب نفسه عن سقوط هذه النظريات التى لم تكن حقائق علمية وإنما كانت فروضا معرضة للخطأ والصواب ، وقد اعتورها النقص والفساد والتمزق بعد سنوات قليلة من وضعها موضع التجربة والتطبيق فى الغرب ، فمن الخطأ أن تدرسها مدارسنا على أنها حقائق علمية ، ولابد من أن يعرف جيداً أن للإسلام فى كل هذه المجالات والعلوم نظرة ومنهجا ومفهوما أصيلا لسنا معه فى حاجة إلى أن نستعير أو نقتبس تجربة الغير التى تبين أنها ليست صالحة له فكيف لغيره من المجتمعات .

أن للإسلام مفاهيم أصيلة فى النفس والأخلاق والاجتماع والتربية ، وله مفاهيم فى الفن والأدب وله مفاهيم فى المرأة والأسرة والعادات والملابس .

كذلك فإن علينا أن ننظر فى حذر إلى المصطلحات الغربية ، هذه الكلمات التى لا يمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية التى ترمى إليها ولا يمكن نقلها كما ننقل ألفاظ المخترعات والعلوم ، كذلك فإننا لا نقبل الاتجاه الفكرى الوافد الخطير الذى يريد أن يخضع نصوص القرآن ونصوص السنة إلى النظريات العلمية التى تتكشف أمام المحاولات الإنسانية بين الحين والحين .

كذلك فإننا يجب أن نقاوم تلك الدعوة الموجهة للمسلمين فى هذه المرحلة :

وهى الدعوة إلى بث روح الاستسلام والسلبية والهروب من تكاليف السعى فى الحياة ، لا نقبل الدعوة المسمومة إلى التراخى والتحلل والبحث عن السعادة الكاذبة فى برامج وافــدة كبرامج اليوجا والمسرحيات المنحرفة ، أو الأفلام الجنسية وأفلام الجريمة .

كذلك فنحن ندعو إلى النظر إلى ما وراء النصوص والكتابات ، ندعو إلى التفتح مع الأصالة ، ونطالب بتأصيل كل شىء ، تأصيل الفنون ، الآداب ، العلوم ، الدراسات الاجتماعية والسياســية والاقتصادية وذلك حتى تتحرر الشخصية الإسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها وأشكالها وحتى تعبر إلى الرشد الفكرى والأصالة وتكون قادرة على إمتلاك الإرادة وإقامة المجتمع الربانى مقدمة لتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين ، وهذا فى نظرى هو المدخل إلى دراســة الصحوة الإسلامية .

الباب الأول

الصحوة الإسلامية

أولا : هل الصحوة الاسلامية أصيلة الوجه عميقة الجذور .

ثانياً : عالم الإسلام فى مطلع القرن .

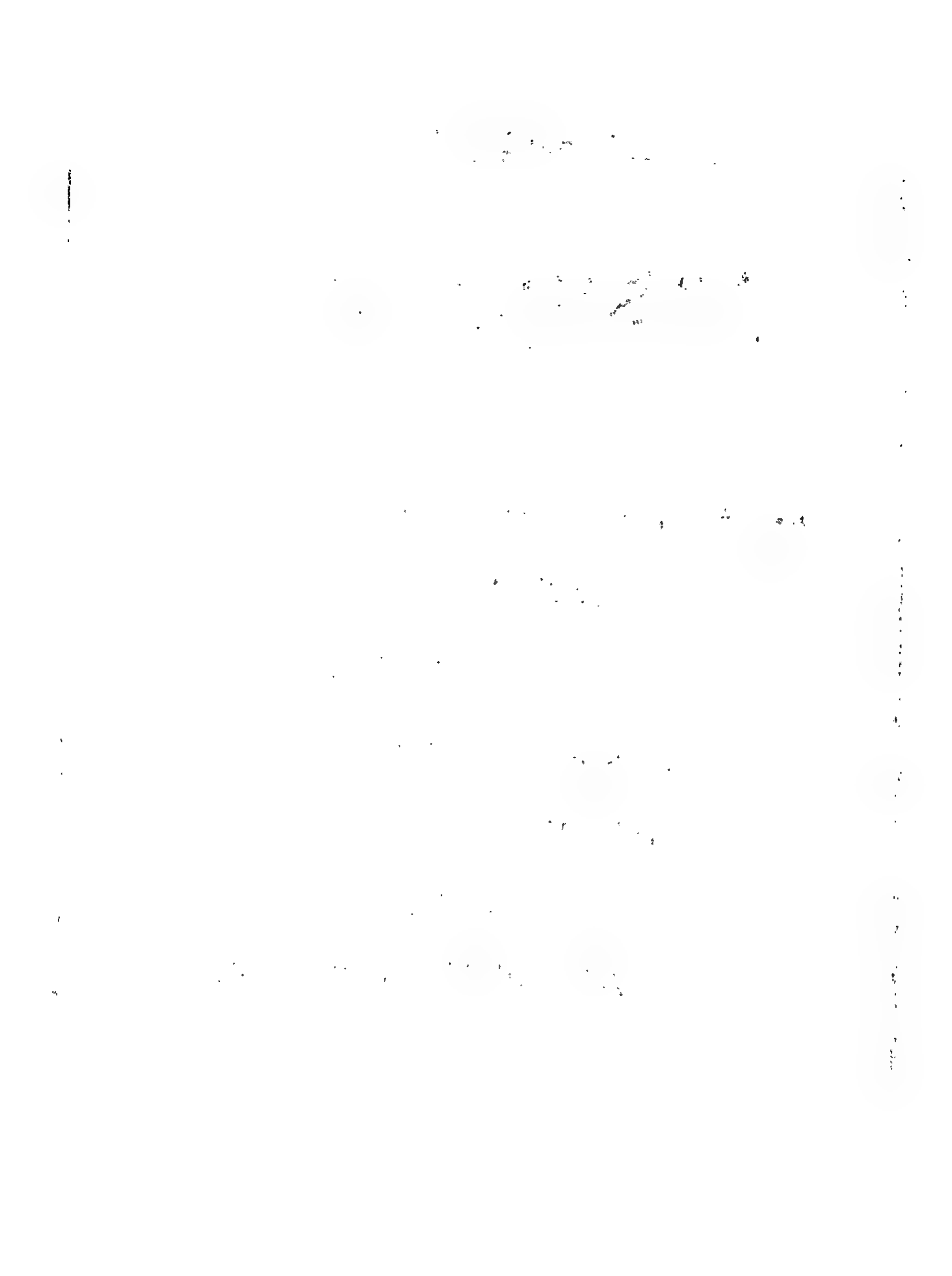
ثالثاً : حوار الإسلام والغرب .

رابعاً : نظرية التسكيف مع حاجات العصر .

خامساً : على طريق الأصالة والرشد الفكرى .

سادساً : إعداد الجيل الرائد .

سابعاً : حقائق ثلاث أمام الشباب المسلم .



أولا

هل الصحوة الإسلامية : أصيلة الوجهة عميقة الجذور

عوامل كثيرة دفعت المفكرين والخبراء السياسيين فى العالم كله إلى إعادة النظر فى حضارة العالم الاسلامى ودراسة جوانبه المختلفة : الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وذلك على اساس البحث عما إذا كانت الصوة الاسلامية التى يمر بها المسلمون الآن هى صحوة حقيقة أصلية الجذور ام انها وهم من الاوهام وترمي هذه المحاولة إلى التعرف على (١) الجوانب التى يستطيع الغرب منها مواجهة هذه الصحوة والنفاذ إليها وتعرف الوسائل التى يتخذها للحيلولة دون أمتلاكها ارادتها وضربها فى الصميم (٢) الوسائل التى يتخذها الغرب كله (ديمقراطيه ومار كسية وصهيونية) لمواجهة هذه الصحوة والقضاء عليها قبل أن تستكمل باجهاضها .

ومنذ قديم تحاول هذه القوى النظر بعين القلق إلى يقظة العالم الاسلامى والعمل على تعويقها ومحاصرتها ، وإشاعة الأكاذيب حول أصالتها والادعاء بأنها بريق خاطف لايثبت امام الأمتحان ، مل لقد بلغ الأمر ببعض المستشرقين فى أواخر القرن التاسع عشر إلى القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يعيش قرنا آخر وأنه مفكك منهار وعلى وشك السقوط ، وأن الحضارة الغربية والتبشير المسيحى قادران على إشاعة روح التحلل فيه وتمزيقه .

ولقد فكر النفوذ الغربى منذ وقت طويل فى وضع البدائل التى تحول دون الأصالة وإقامة العقبات امام الخطوات المتصلة ، وكانت دراسته التحليلية العميقة قد كشفت له أن الاسلام لابد أن يحقق وجوده وإرادته فى مجتمعه بعد أن سقطت التجربة الغربية ، ولذلك فقد تضافرت جهود خصوم الاسلام على وضع الخطط التى تعرقل هذه اليقظة ، وتحـــول بينها وبين استكمال طريقها

ولقد كانت تحركات النفوذ الأجنبي في السنوات الأخيرة بالغة العنف من أجل القضاء على بعض مظاهر اليقظة التي أخذت طريقها إلى تأكيد وجودها .

إن الغرب يحاول أن يفرض مفهوماً للإسلام مختلفاً عن مفهومها الحقيقي ، أن هناك محاولات يصوغها جماعة من الكتاب المتغربين كلها تدور حول تزييف مفهوم الاسلام الأصيل الجامع ، بالاعتماد على نصوص مبتورة من هنا وهناك ، ترمي إلى إعادة الفكرة المسحوقة التي قدمها الشيخ على عبد الرازق في القرن الماضي وكانت من صنع المستشرق اليهودي مرجليوث ، والتي استخدمت في مؤامرة اسقاط الخلافة الاسلامية وذلك بتزييف مفهوم الاسلام الأصيل الجامع بوصفه منهاج حياة ونظام مجتمع، عودة إلى مفهوم الاسلام على أنه دين لاهوتي على النحو الذي عرفه الغرب عن المسيحية . ولقد قام الاستشراق الغربي أساساً على هذه الفكرة المسمومة ، ولا شك أنها من أهداف الاستشراق اليهودي والماركسي أيضا ، ومن هنا تجيء محاولات تعويق الخطوات التي تمكن المسلمين من امتلاك ارادتهم واقامة المجتمع الامثل الذي لا يمكن أن يكون سليما الا إذا قام على ضوابط الاسلام وحدوده وهي الخوف من الله تبارك وتعالى والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه ، فهي الروادع الحقيقيه التي تحول دون تقبل الحرام وهي الحوافز الحقيقية التي تدفع إلى تمحيص الحلال .

ولكن الغرب يعلم أن في إقامة النظام الاسلامي خطر عليه ، كما أن إقامة هذا النظام من شأنه أن يعارض الاتجاه الربوي الاستهلاكي المسرف المندفع نحو الترف والانحلال وفي ذلك بوار للحضارة المادية التي تقوم على الكماليات ، والاباحيات والاتفاق في مجالات الرزيلة والنفوذ الغربي يصر على أن يخضع المسلمون للحضارة الغربية ، وإن يقبلوها على هذا الوضع المنحل الذي تمر به وأن يجعلوا من الفكر الاسلامي مبرراً لها تحت اسم المرونة وتبرير الواقع ، وقبول الرخص ومعنى هذا أن ينصهر المسلمون في حضارة مادية إباحية وثنية ، وأن لا تقوم حضارتهم أبدا ، فهم إذا قبلوا النظام الاقتصادي الغربي من حيث الربا والحضارة الاستهلاكية والاستعلاء بالثروة والعنصر والنفوذ ، فإن

بمفهومهم الأصيل للحضارة القائمة على وحدة البشرية والاخوة الانسانية والعدل والرحمة ستنتهى تماماً .

ولا ريب أن فكرة احتواء الفكر الاسلامى وصهره فى بوتقة الأممية والعالمية انما تهدف الى اسقاط ذلك التميز الخاص للحضارة الاسلامية الذى يقوم على قواعد اساسية تختلف عن القواعد التى يعتمد عليها الغرب فى بناء حضارته ولذلك فان دعاوى الاقتباس من الغرب ودعاوى التحديث والمعاصرة والتجديد انما ترمى فى حقيقتها وفى وأعماقها البعيدة الى ازالة ذلك التميز الواضح للفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وارغام المسلمين وتذليلهم لقبول الواقع الآن والذى لايمثل فى الحقيقة طريقا اسلاميا صحيحا وانما يمثل استمراراً للتبعية التى فرضها النفوذ الغربى منذ سيطرته حين حطم الدعائم الثلاث التى كانت قائمة فى المجتمع الاسلامى قبل الاحتلال والسيطرة الغربية وهو حين حجب الشريعة الاسلامية بفرض القانون الوضعى وحين فرض العلمانية بديلا للعقيدة الاسلامية وحين فرض النظام الربوى بديلا للنظام الاقتصادى الاسلامى ، هذه الروافد الثلاثة التى مازلت مستمرة ولم يتخلص منها المسلمون حتى اليوم ، والتى مازال الغرب يعتبرها اساسا يبنى عليها المواقف المتجددة ، ومعنى قبول المسلمين لهذا الواقع هو اقرار بالتبعية وكل مايتصل بها فى المجتمع وخاصة فى المسائل المتصلة بعلاقات الاسرة والمرأة وقضايا الشباب وعلاقات الزوجية ومايتصل بالفن والثقافة حيث تسيطر مفاهيم الانحلال والفرويدية والماركسية والوجودية وغيرها فتخضع لها جماعات الشباب من الاجيال الجديدة التى يخشى أن تسقط فى أتون التحلل والاستسلام للاباحيات الغربية والغرب يسعى الى احتواء هذه الاجيال حتى تنصهر المجتمعات الاسلامية فى بوتقته وتنهار وبذلك يفقد المسلمون تميزهم الواضح الذى أقامه الاسلام ومن ثم تعجز الاجيال الجديدة عن حمل رسالة الاسلام الى العالمين وتبليغه الى الامم ، وهى الرسالة التى يكون المسلمون آثمون جميعاً اذا لم يقوموا بها .

وان الحقيقة الوحيدة التى يمكن أن نقول بأننا كسبناها نتيجة لما قامت به

حركة اليقظة خلال القرن الرابع عشر هي سقوط الفكرة التي خدعنا بها في الماضي وهي القول بأننا كي نحارب الغرب يجب أن نتسلح بأسلحته ، وأن السبيل الى الوصول الى حضارة الغرب وحريته هي اعتماد اسلوب العيش الغربي ومنهجه السياسي والإجتماعي والاقتصادي. هذه الدعوى التي بثها طه حسين وسلامة موسى وحسين فوزى ، ومحمود عزمي وعلى عبدالرازق وعشرات من السفوريين المضللين ، هذه الدعوى قد سقطت الآن وتبين للمسلمين : عامة ومثقفين أنها كانت غشا شديد الخطورة ، خدع المسلمين حتى وقعوا في أسر الهزيمة والنكبة والنكسة خلال أكثر من خمسين عاما حتى أفاقوا على ضياع القدس ، وعندئذ علت الصيحة التي تقول : نكون أو لانكون ومما يتصل بهذه الحقيقة أن التجربة الغربية التي أجراها المسلمون بتطبيق النظام الليبرالي لم تحقق من النتائج الا قيام اسرائيل ، وأن التجربة الماركسية قد أنتهت بسقوط القدس ومن ثم فقد أعاد المسلمون حساباتهم من جديد ، وعلت صيحة العودة الى الله ، وتبين للمسلمين أن لا ملجأ من الله الا اليه ، وأن المقاييس الإسلامية وحدها هي التي تحقق النصر الإسلامي وان القيم الإسلامية وحدها هي التي تمكن للمسلمين من استعادة مكانتهم في الأرض وأن المبادىء الإسلامية هي وحدها مفتاح نصرهم وأنطلاقهم وتمكينهم ، وأن المبادىء الوافدة لاتستطيع أن تحقق لهم شيئا الا الهزيمة ، وأن الايمان بالله وحده والتسليم لله ببناء المجتمع الإسلامي القرآني هي التي تمكن للمسلمين من امتلاك ارادتهم ، وأن عليهم وقد أتاهم الله تبارك وتعالى الطاقة والقوة المادية والتفوق البشرى أن يقيموا مجتمعاً ربانى المصدر ، يقوم على أحدث وسائل العلم والتكنولوجيا ، وأن تكون وجهته لله ، حتى ترى البشرية ذلك النموذج الأصيل من الحضارة الإنسانية الوحيدة التي تسوى بين الناس وتجعل خيرات الأرض لتكل أهلها .

لقد أصبح الأفق اليوم أكثر وضوحا ، والرؤية أعمق ضوءاً .

فقد كشفت كل الزيوف التي خدعتنا بها أطروحات اليهودية التلمودية في مجال علوم النفس والإجتماع والأخلاق وأطروحات الماركسية

فى مجال الأقتصاد والاجتماع ، وأطروحات الغرب الرسمالية والبيرالية ، وتكشفت سموم العلمانية والأقليمة والقوميات ، وكلها ترمى الى القضاء على الوحدة الإسلامية الفكرية التى بناها القرآن الكريم ، والتى هى مقدمة للوحدة الإسلامية الجامعة .

لقد قدم التغريب سموماً كثيرة لمجتمعتنا وأبنائنا سرت فى صميم الفكر الإسلامى المعروضة الآن تحت أسم الفكر القومى والوطنى والسياسى والاجتماعى واصبحت كالمسلمات من طول ترديدها وخفى على الكثيرين كشف زيفها بل أصبحت هناك مجموعة من التغريبين تحت اسم الإسلام نفسه تدافع عنها وتتصدى لمن يعارضها ونحن الان فى حاجة الى تخليص الجوهر الحر من هذا الركام الأسود وتنفية الأديم الكريم من الظلمات الداجيات وهذه هى مهمة الدعاء إلى الله فى هذا العصر ، ان يعيدوا للإسلام مفهومه الأصيل المستمد من القرآن والسنة : والمفهوم الربانى الذى بناه أولئك الذى حملوا الأمانة على مدى العصور ، لم يتخلفوا ولم يتوقفوا ولم يتراجعوا أولئك صبروا ورابطوا واتقوا الله .

وانها لمهمة صعبة بالغة الصعوبة ولكنها ضرورة ملحة ، حتى يبرز الجوهر النضير صافيا براقا متألقاً ، وحتى تستمر الرسالة الخالدة قائمة وممتدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثانيا

عالم الإسلام فى مطلع القرن

يقسم العالم الآسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر بمظاهر حيويه متعددة تلقى الضوء على الطريق الذى سوف يسلكه فى القرن الجديد وهى فى مجموعها ظواهر تختلف اخلافاً واضحاً عن مثلها فى مطلع القرن الرابع عشر فقد تكشفت سحب كثيرة عن سمائه ، ونمت مجموعات كثيره وخرجت القافلة من تلك الظلمات الكثيفةالتى كانت تلفها، فقدتحررت من كثير من الطوابع التى كانت تدفعها معصوبة العينين وراء بريق الحضارة الغربية وخلف تبعيه حاقدة ظالمه ، لقد تكشفت غشاوات كثيرة وبدا طابع جديد من الرشد والأصالة والتماس المنابع .. فقد كانت تلك أمانه الدعاة الى الله خلال القرن الماضى ، ويطلع هذا القرن والمسلمون هم ألف مليون بمعدل ربع سكان الكوكب وفيهم ثمان وأربعون دولة مستقله تضم نحوا من ٦٠٠ مليون نسمه ، مع اثنتى عشرة دولة أخرى يبلغ عدد المسلمين فيها نحو ٧٧ مليونا الى جانب المسلمين المنتشرين فى قارات العالم الخمس على هيئة أقليات تبلغ زهاء ٣٠٠ مليون منها ٩٣ مليونا يعيشون فى الصين الشيوعية ، ٦٩ مليونا فى الهند ، ٦٧ مليونا فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى .

ويشكل العالم الإسلامى فى معظمه كتلة متصلة البنيان تمثل قارة وسطى بين أفريقيا وآسيا وتمثل أمة وسطى من حيث الجغرافيا والمناخ والثروات وقد جمع الحق تبارك وتعالى للمسلمين ثلاث ميزات واضحه الآن وضوحاً كبيراً وستكون بعيدة الأثر فى حركة النمو والتطور خلال القرن الخامس عشر وهى : الثروة ، والطاقه ، التفوق البشرى .

وهناك اقتحام الإسلام السلمى فى أوربا وأمريكا وتوسع الإسلام فى افريقيا التى ينتظر أن تكون قارة اسلامية فى وقت قريب ، وفى عشرات المواقع فى العالم يتمدد الإسلام وينتشر ، فى الامريكتين واستراليا وفى عديد من الجزر والخلجان .

ولا يزال الإسلام محاصراً بقوتين خطيرتين هى قوة الغرب الرأسمالية المسيحية وقوة السوفيت الماركسيه . وهناك محاصرات أخرى منها محاصرة الهندوكيه والبوذية فى الشرق .

ويجرى العالم الإسلامى عملية تصفية واسعة للتحرر من الايدلوجتين الرأسمالية والماركسيه ، بعد أن حققت تجربة التطبيق خلال القرن الرابع عشر نتيجة ناصعه ، هى عدم موائمة هذه المذاهب الروح الإسلامية التى صنعها الإسلام خلال أربع عشر قرنا ، وان هذه التجربة تدفع المسلمين اليوم نحو وجهه واحده واحدة هى التماس منهج القرآن الذى يستطيع الإستجابة للأشواق النفسية للمسلمين .

كما تتقارب المجموعات الإسلامية وتتحرر حثيثا من خلافاتها السياسة لتلتق على الأصول الإسلامية وتتلاقى فى مواجهة أخطار النفوذ الأجنبى .

وتعد قضية تحرير فلسطين هى القضية الأولى والأساسية المقدمة على كل القضايا ويتجه العالم الإسلامى نحو اسلمة هذه القضية وعدم حصرها فى العرب ، واحياء روح الجهاد فى سبيل الله لاسترداد القدس وبناء المجتمع الإسلامى على أساس النظام الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية واقامة نظاما اقتصاديا اسلاميا ولاتزال خطوات فى سبيل أنفاذ منهج التربية الإسلامية بديلا للنظام العلمانى السائد فى كثير من البلاد الإسلامية .

وهناك قضايا متعددة تتعلق بالمسلمين فى مناطق كثيرة كانجولا والفلبين وتايلاند .

وتتجه الجهود نحو تحقيق الهدف الإسلامى الأكبر وهو التضامن الإسلامى الذى لاشك أنه خطا خطوات واسعة ، وبقى أن تقوم الجامعة الإسلامية التى تلتقى فى بناء الحضارة الإسلامية فى اطار علمى وتكنولوجى جديد يمثل مفهوم الإسلام فى اقامة الحضارة على أساس الرحمة والعدل والإخاء الانسانى .

- وبذلك تقدم العالم الاسلامى نموذجا جديداً للبشرية يمثل مجتمعا ربانيا أصيلا ويتطلب هذا التماس مفهوم الإسلام الأصيل ، وان تكون اللغة العربية هى اللغة

الجامعه بين المسلمين فى أنحاء العالم، وأقامة اقتصاد إسلامى صحيح ، وسوق اسلاميه مشتركة وصناعه عسكريه ثقيله لحماية ثغور الإسلام .

وما يزال الاسلام باقتحامه السلمى مؤملا فى توسيع دائرته فى أجزاء أخرى من الكوكب وفى إعلاء كلمة لا اله الا الله فى مناطق مجهولة بعيدة من الحواضر المعروفه، ويرجع ذلك الى طبيعة الاسلام المتصلة بالفطرة الانسانية والبعيدة عن تعقيدات الفلسفات وشروح اللاهوت ومفاهيم التعدد والتثليث وما تزال كشوف العلم الحديث تقدم للإسلام مدداً جديدا من القوه وتحطيم حواجز جديدة كانت ولاتزال تحول بين كثير من العقول القلوب فى عالم الغرب وبين الاسلام فإن مفهوم العلم قد هاجم بشدة نظرية (اطفأ مصباح عقلك وآمن) أو (إعتقد ثم أبحث) وقد كان المنهج الاسلامى للمعرفة التى صنعه أهل الحديث وطبقة الغربيون ومازالوا هو المنهج الذى يتحكم فى فحص الكتب القديمة والكشف عن مصادرها الحقيقية وعما اذا كانت هى حقيقة منزله من السماء أم مكتوبه بايدى الأحبار والرهبان والعلم الحديث الآن فى عشرات من أبحاث العلماء المتخصصين غير المنحازين اعلن أن الكتب القديمه متعارضة مع نواميس الكون التى أكتشفت وأن ماتجوبه من نصوص يختلف تماما مع مايثبته العلم : بعكس القرآن الكريم الذى يكشف العلم كل يوم حقيقه جديدة لاتتعارض مع القرآن بل يؤيدها الاسلام.

ولاتزال ظاهرة المد الاسلامى المتصاعد : عدديا فى قارات مختلفة متوازيا مع مد آخر معنويا فى البحث عن الاسلام بوصفه منقذ البشريه اليوم من هذه الايدلوجيات التى لم تستطع خلال أكثر من أربعة قرون أن تمنح الانسان أشواقه الروحيه ، وان أمدته بشيء كثير من الترف المادى الذى لم يحقق له التوازن الحقيقى بين الروح والمادة ، والذى دفعه الى التدمير والغربة والتحطم عندما تجد النفس الانسانية قدرتها المادية قد أوفت على الغاية فيما تجد الفقر والظلمه فى مقدراتها الروحية ...

ولقد فشلت الحضارة الغربية خلال تطبيقاتها فى القرون الماضيه وحتى اليوم، حين أسرفت إسرافاً شديدا فى تبديد الثروة البشرية فى سبيل الاستهلاك والترف وحين وجهت انتاجها الصناعى الى القنبلة الذرية والقنبلة الهدروجينية فأثارت

مشاعر الخوف والاضطراب وحين جعلت الثروات العالمية فى يد قلة قليلة حيث أسرفت بعض الأمم فى الحصول على الجانب الأكبر منها بينما عاش أغلب العالم على الفتات :

ومن شأن حضارة على هذا النحو ، أن تغلب الاباحة على الاخلاق ، والشر على الخير ، والظلم على العدل ، أن تنهار وتنطوى وأن طال بها زمن ، ولابد أن يكون بديلها حضارة التوحيد التى تقم موازين العدل والخلق والرحمة والاخاء البشرى .

هذه هى مطالع القرن الخامس عشر التى ستفصل الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وستكشف فيه الحضارة الاسلامية عن أصالتها وربانيتها وأنها ليست عدوانية أو ظالمة أو طاغية ، وأن كل تلك الحملات التى توجه الى المد الاسلامى اليوم هى حملات مغرضه تدفع اليها الصهيونية التى تحرص الغرب على النهضة الاسلامية ، لتحول دون قيام كلمة الاسلام فى أرضه .

ولقد قرأنا أخيرا من كتابات المنصفين فى الغرب من يتطلعون الى آفاق جديده ومن يرون أن الاسلام يستطيع أن يقدم للبشرية هذه الآفاق ، ومن يؤمنون بأن الاسلام ليس عدوانيا ولاطاغيا وأنه رحمة مهداه وأصدق دليل على ذلك ماتراه من أقبال ملايين الأوربيين المثقفين ، — فضلا عن الأفارقه والأسيويين — على اعتناق الاسلام وأنه مهما حاولت حملات الغرب المغرضه تشويه صورة الاسلام فإن الاسلام مايزال صفحة بيضاء ، ومايزال تاريخه ناصعا ، وماتزال مواقفه مع الصليبيين الغزاة الذين غزوا خلال مائتى عام لم يتوقفوا عن الغزو ، ماتزال مواقف الرحمة والكرامه والفضل ، تلك الصور التى عرفها الغرب عن صلاح الدين ماتزال مبثوثه فى كتبه .

وقد أصبح العالم يعرف أن تلك الحملات التى بشنها الفكر الاستشراق سواء اليهودى أو الماركسى أو الغربى المسيحى انما يستمد أخطائه وأغاليطه من الأهواء والتعصب والحقد الميت المدفون ، ومن مطامع الاستعمار والنفوذ الغربى لأدامه السيطرة على المسلمين والحيلوله دون تمكينهم من امتلاك أرادتهم ، وأقامة مجتمعهم الربانى ، وتأخير جولتهم الظافرة لتحقيق الخير للبشرية جمعاء .

أن جميع التحديات التي تواجه العالم الاسلامي إنما تهدف دون تمكينه من إعادة بناء الحضارة الإسلامية قد باتت واضحة الدلالة أمام المسلمين جميعا وقد كشفت حركة اليقظه الاسلامية خلال القرن الرابع عشر فسادها ، حيث تبين فساد العلمانية والقومية والاقليمية ، وفساد الوجودية والفرويديه والدراونية ، وتكشف فساد منهج التفسر المادي التاريخ ، ونظرية الرأسمالية الربوية ، والماركسية الجماعية ، ولم يبق أمام المسلمين الا طريق واحد هو طريق الاسلاميه : وحتميه الحل الاسلامي الاسلامي الذي يأخذ فعلا اليوم طريقه حثيثا من ثلاث شعب من خطوات التضامن الاسلامي التي يتسع نطاقها ويعمق مجراها ، ومن خطوات المصرف الاسلامي وبناء الاقتصاد الاسلامي ، ومن تقنين الشريعه الاسلاميه وتقدمها نحو التطبيق خطوة أخرى مازلنا نتطلع الى أن تبدأ هي التربيه الاسلاميه التي تكشف زيف العلمانيه والماديه الوثنيه في مجالات الفكر والثقافه والتعليم والصحافه ووسائل التسلية .

وستظل « القدس » هي محور الدائرة ونقطه الالتقاء الحقيقه لبناء المجتمع الاسلامي الجديد .

ثالثا

حوار الإسلام والغرب

عشرات الكتب ظهرت في الأعوام الأخيرة في ختام القرن الرابع عشر ومفتتح القرن الخامس عشر، وعديد من المؤتمرات في عواصم عالميه مختلفة، عقدت وقدم هذه الكتب وتلك الأبحاث عديد من الباحثين على اختلاف جنسياتهم وأديانهم وعقائدهم السياسيه والاجتماعيه فهل يمكن أن يقال أن هناك حصيلة أو عصارة أو مردود يمكن أن تستفيد به الدعوة الاسلاميه بما يعنيها في أندفاعتها بما يصحح مسارها أو يزكي خطوها أو يرشد طريقها.

نحن نعرف أن الفكر العالمي ليس فكراً انسانيا خالصا ولكنه فكر ذاتي يتحرك في اتجاه واضح هو حمايه الواقع السياسي والاقتصادي القائم في العالم بحيث لاينتقص من قدرات القوى المسيطرة، على ثروات العالم وعلى مناطق النفوذ فيه، وان كان قد ظهر عنصر جديد أصبح موضع التقدير فهو حق العالم الاسلامي في امتلاك ارادته وقيام منهجه الاسلامي الأصيل على مجتمعه.

وقد أصبح واضحا للقوى العالميه المسيطرة بروز هذه الظاهرة الواضحه الآن في كل أجـــزاء العالم الاسلامي الذي يمتلك الطاقه والثروة والتفوق البشري، والذي يتعامل مع الحضارة الغربيه في حكمة ومرونة فهو يمدها بما يحقق لها استمرار نموها وان يحافظ على حقه في أن يأخذ منها مايصلح له ومايتفق مع عقائده وقيمه، من الجوانب البناءه والايجابيه والعلميه. دون الجوانب الأخرى الأخرى السلبيه والمنحرفه التي هي من شأن الغرب نفسه ومجتمعه وحضارته، فقد أصبح العالم الاسلامي اليوم قادراً على أن يؤكد شخصيته الخاصة وذاتيته التي لاتنصهر ولاتحتوى ولاتذوب في المجتمع العالمي، وقد مضت المرحله التي كان فيها تابعا أو منبهرا على نحو كبير، ويرى كبير من الباحثين أن من حق العالم الاسلامي اليوم أن يعيد النظر في تبعيته للغرب خلال أكثر من قرن من الزمان

بعد أن رأى فشل التجربة التي كانت ترمى إلى التحرر من الغرب نفوذاً باعتناق مفاهيمه وقد وجد العالم الإسلامى أن الفكرة قد طوحت به بعيداً وكادت أن تقضى على وجوده السياسى ، بعد أن دمرت كيانه النفسى ، ولذلك فقد كانت ضربات الهزيمة والنكبة والنكسة من العوامل التي دفعته إلى إعادة النظر في طريقه كله . وبالرغم من أن العالم الإسلامى كان يتطلع أبان الاحتلال الفرنسى والإنجليزى والهولندى لاغلب مقاطعه ، إلى أن حركة الوطنية قادره على أن تحرره من النفوذ العسكرى والسياسى للغرب إلا أنه وجد بعد الحرب العالمية الثانية أن هذا النفوذ قد تضخم فأصبح نفوذاً رأسماليا وماركسيا وصهيونيا ، بالإضافة إلى قيام إسرائيل على رأس جسر في قلب الوطن الإسلامى ، وكحاجز يحول بين وحدة آسيا وأفريقيا تحت لواء الأخوة الإسلامية ، غير أنه مع هذا الجزر الشديد في الناحية السياسية والاقتصادية فإن الإسلام نفسه بذاتيته السمحة المنطلقة قد كسب أرضا جديدة في أجزاء كبيرة من العالم ودخل أقطاراً عديدة في قلب العالم المتمدن ، ونما في قلب أوربا وأمريكا ، وثبت في المناطق الإسلامية المحتلة من الاتحاد السوفيتى .

وقد وجد هذا النفوذ الغربى (بأطرافه الثلاثة) مقاومة حقيقية غير أن آثار الفكر المادى والفكر الوثنى والتماس أسلوب العيش الغربى لاتزال لها آثار كبيرة فقد فقد المسلمون عامل القلق والتحدى والمرابطة بالرغم من وجود الخطر في قلب عالمهم الإسلامى ، فهناك روح واضحة من الأمن والاستسلام للترف وعدم متابعة مصادر الخطر وغلبة طابع من التخدير والاستغراق في ملذات الحياة والاستسلام للواقع الذى لم يتحرر بعد من التبعية الوافدة .

وهى روح دخيلة خطرة فإن الغربى الذى تحرر من جميع أوضاع السيطرة مازال حذراً لايستسلم حتى للعالم الاسلامى نفسه في امتلاك إرادته .

ولا ريب أن هناك إحساس عام في الغرب بأن الاسلام هو البديل القادم في العالم العربى (كما يقول خالد الحسن في ندوة البديل الاسلامى التي عقدت في معهد الدراسات العربية في بوسطن) لأنه « الفكر الذاتى للحضارة العربية والفهم الحضارى للإنتماء العربى ، ولأن الحضارة العربية هى الاسلام والانتماء العربى هو الاسلام ، وكيف أن محاولات التحديث والعصرنة لم تلق تجاوباً شعبيا على امتداد

الوطن العربي وكيف استمر الاسلام في وجدان الشعب حيا ، ومحاولات العودة إلى تطبيقه لم تنقطع ، كما أن تحول الغالبية الجماهيرية عنه ، لم يتحقق ، كذلك فإن الاسلام لم ينهزم في أي بلد دخله أمام أي فكر ، وخروجه من الأندلس مثلا كان من خلال مذابح محاكم التفتيش . ويقول : أن الصحوة الاسلامية في بدايتها لكنها تأخذ شكل التحدى الجغرافي على مستوى العالم الاسلامي كله رغم محاولات القمع والاستيعاب المستمرة في البيت والشارع والمدرسة والجامعة والمكتبة هي الدليل على أن الاسلام لا يزال يحمل في طياته عوامل الاستمرار ليكون البديل القادم » .

* * *

ومن ناحيه أخرى نرى أن بعض الباحثين الغربيين يحاول أن يدرس علاقة الغرب مع الاسلام ، ففي بحث نشرته جامعه جورج تاون في واشنطون أعده البروفسور ويلارد أوكستوبي أستاذ الدين المعاصر قال: إن مشكلة الغرب مع الاسلام هي الجهل ، وإن أوربا في نظرتها إلى الاسلام تلك النظرة المتعصبة ، كانت تعيش القرون الوسطى وأن الأوروبيين خلطوا بين الاسلام وبين نزاعاتهم مع الدولة العثمانية واعتبروا الاسلام عدواً يحارب ويقاوم ، ورغم أن أوربا استفادت من الانجازات الاسلامية في مجال العلوم والآداب التي انتقلت في معظمها عن طريق العهد الاسلامي في أسبانيا إلا أن عداءها للإسلام كان عنيفا .

وقد انتقد الأوربيون في ذلك الوقت الاسلام بالقول أنه يدعو إلى الحروب ويسيء إلى المرأة ويضطهد الأقليات الدينيه ، فعلوا هذا في نفس الوقت الذى كانت فيه أوربا تعاني من الحروب والاضطهاد على أيدى الحكام المسيحيين .

أما في مرحلة الاستعمار الأوربي لدول آسيا وأفريقيا فقد كان الغرب ينظر الى المسلمين على أنهم شعوب بدائية ذات حضارة بدائية وهكذا بدأ الغرب يعترف بأن نظرته لم تكن منصفه ولا علميه ولكنها كانت من وراء أهواء التعصب والسيطرة الاستعمارية .

أما اليوم فهم يتحدثون عن صحوة اسلامية دفعتهم لاعادة النظر في الاسلام

من جديد، لقد حاول الغربيون دراسة الاسلام لمعرفة مصادر قوته وكيفية الإنتصار على أهله وفى اطار هذه المحاولات كانت الدراسات الاستشراقيه وظهر المستشرقون الذين انحرفوا مع أيدلوجياتهم يهودية وماركسيه ورأسماليه وأن كانت كلها تكره الاسلام قال جود فرى جانس فى كتابه (الاسلام والعالم الغربى) هناك تهديد ومواجهه بين الاسلام والعالم المعاصر ، ليس هناك دين غير الاسلام يشكل هذا التحدى للغرب . أن المسيحيه عدا أنها جزء من العالم الغربى فقد تآكلت من الداخل بفعل التحديث والبوذية والهندوسيه فى نظر الغرب أقرب الى الخرافه واليهودية ديانة مغلقه ، واتباعها قلة ، ولا يمكن مقارنة الأثر الذى يحدثه لقب (رابى ولاما) فى الغرب بالأثر الذى يحدثه لقب (خليفه) الذى يرتبط فى ذهن الغربيين بالجهاد ولعل السبب فى ذلك أن الإسلام واجه الغرب عسكريا على مدى ألف وأربعمائة سنه ولا تزال المواجهة قائمة وهى تتضمن أيضا مواجهة اقتصاديه وسياسية .

« لماذا يرفض الاسلام الغرب ، هناك الكثير فى الحضارة الغربيه مما يرفضه الاسلام ، هناك ضعف العقيدة الدينية وانتشار الافكار العدمية والالحادية ، وهناك التطالب الغربى على السلع والاستهلاك ، حتى أن بعض المسلمين يرون فى انتشار الروح الاستهلاكيه خطر أكبر من خطر الشيوعية التى هى فى النهاية وجه آخر للحضارة الغربيه المادية (والكلام مازال الباحث الغربى) وهناك اختلاف بين الاسلام والعالم الغربى يتعلق فى نظرة كل منهما الى الانسان . لقد أصل الغربيون فى العصر الحديث فكرة استعلاء الانسان حتى وضعوه موضع الندية للذات الآلهية ، أما الاسلام فزعم أن الانسان له قيمة كبيرة الا أنه يبقى خاضعا لله ، والاسلام نفسه من الناحيه اللغويه يعنى الاسلام لله . لذلك كثيرا مايعيب الغربيون على المسلمين هذ الخضوع وكثيرا ماتنشر الصحافه الغربيه صور المسلمين الساجدين بشكل يوحى بأنهم أذلاء ، هناك أمر آخر يفصل بين الاسلام والغرب أن الاسلام تركيزه على الأمه والجماعه يستنكر الفرديه والأنانيه فى الغرب والتي قادت فى النهايه الى تحطيم الأسرة وربما تعود لتحطيم الأمه وكان من نتائج هذا : ذلك التساهل فى القضايا الجنسية » .

وبعد ماذا ينكر الغرب على الاسلام مقابل تلك التى ينكرها الاسلام على الغرب (أ) نظرة الاسلام للمرأة (٢) العقوبات : القطع والرجم (٣) الربا «

رابعاً

نظرية التكيف مع حاجات العصر الحديث

فى حوار بين الاسلام والغرب ينكر الغرب على الاسلام نظرته إلى المرأة وعقوبات القطع ، والرجم ، والربا ، ويرى أن الاسلام إذا استطاع التكيف مع الغرب فى هذه الأمور فان ذلك يؤذن إلى طلوع عصر جديد من الألفة بعد ذلك الخصام الذى امتد أربع عشر قرنا ، هكذا يقول (جودفرى جانس) فى كتابة (الإسلام والعالم الغربى) ويقول : هل هناك أية امكانية لتفاهم بين الطرفين - فى نظر الغربين هناك امكانيات فى حالة واحدة هى (عصرنة الاسلام) حتى يستطيع التكيف مع حاجات العصر الحديث ومعنى ذلك إن على المسلمين أن يسيروا على المنهج الأوربى - وعنده إن بعض المسلمين وقفوا هذا الموقف عند مابدأ الاحتكاك الحديث بين أوربا والعالم الاسلامى وقد رأى المسلمون فى قوة أوربا السياسية والعسكرية والاقتصادية امتداداً ونتيجة لقوتهاالروحيةوالثقافية - ومن ثم رأى هؤلاء المتعلمون فى مجتمعاتهم التى هزمها الغرب رجعة وتخلفا عن الركب الحضارى -

وهذا الذى يعرضة الكاتب الغربى يكشف بوضوح عن خلاصة المعركة التى دارت بين التغريب والاسلام خلال هذه الفترة الممتدة منذ جاء شباب المسلمين من أوربا مخدوعين بهذه النظرية المسمومة، وقد سقطت هذه النظرية تماماوسقط معها هذا الجيل من أمثال طه حسن وسلامة موسى وعلى عبدالرازق ومن تابعة من بعد من التغريبيين والسفوريين الذين مازالوا ينفثون سمومهم حتى اليوم تحت أسماء التحديث والعصرنة والحضارة والاشتراكية ، والعلمانية والتحليل والاجتماعى من اتباع المدرسة الاجتماعيه الفرنسية والماركسية وغيرها وغيرها من مدارس ودعوات ومن يحاولون تبرير الواقع الاجتماعى وتأويل المفاهيم الواضحة والدعوة إلى قبول الرخص ، من أجل اقرار الواقع الاجتماعى الحضارى الغربى بكل مفاسدة وسوءاته وليس شك أن اسلام بقيمه الأساسية

ومفاهيمه الثابتة التى تحرم الربا والزنا وتدعو إلى اقامة الحدود داخل مجتمع مسلم يقوم على منهج الاسلام الكامل لا يمكن أن يقبل هذه العروض التى تتمثل فى الأمور التى حرمها الدين الحق وحرمتها كل الأديان المنزلة على البشر ، وماهذه الدعاوى فى التحرر من الحدود والعقوبات وما دعوة أطلاق المرأة من وظيفتها زوجة وأما وربة منزل الا دعاوى أصحاب امبراطوريه الربا والقوامين عليها ، والذين استطاعوا السيطرة على المجتمعات الغربية وتهديم قيمها الاخلاقية وإفساد منهجها التربوى ودفعها إلى الاباحيات والتحلل . ولن يقبل المسلمون التنازل عن ثوابتهم الأصيلة واذن فسينصهروا فى حضارة الغرب وتصنيع ذاتيتهم وتسقط رسالتهم ويكونوا شيئا باهتا ضائعا فى كيان مهلهل أوشك على الانهيار وهل سيرضى الغرب على المسلمين إذا سلموا فى هذه الأمور ، ماأظن ، وإنما سيطلب منهم تنازلات أخرى وصدق الله العظيم حيث يقول : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وكيف يقبل المسلمون التنازل عن عقيدتهم وتقاليدهم واخلاقهم وقيمهم واسلوب عيشهم راضين فى سبيل كسب رضا الغرب السادر فى كبريائه وغفلته وطغيانه ، وقد كان أولى بالغرب أن يصحح مسار حضارته على نحو اخلاقى صاغته المسيحية وكل الاديان ولماذا لا يتخلص الغرب من جشعه وحقده وتعصبه ، ولماذا لا يتخفف من محاذير الإنهيار والفناء فى اعلاء الفرديه والانانيه التى حطمت الاسرة وقادت الى تحطيم الامة كما أثار هذا الكاتب نفسه ، اننا نعلم ان الغرب قد انطلق فى طريق السقوط والانهيار منذ وقت بعيد وقد اشار إلى ذلك فيلسوفهم شبنجلر منذ الثلاثينات ولكن لماذا يخدعون المسلمين بدعاوى التحديث والتكييف ، من أجل جرهم إلى تلك النهايه الحتميه القريبه .

إن الغرب يعرف ان الإسلام هو وريث هذه الحضارة لان تعاليمه هى تعاليم الفطرة التى لا يقوم أى مجتمع صحيح إلا على قاعدتها ، ومن أجل ذلك هم يريدون إما أن يغرقوا العالم الاسلامى معهم حتى لا يكون قادراً على حمل أمانه الحضارة الانسانيه من بعد ، أو ان يعوقون مجتمعه على امتلاك ارادته حتى يمتد هذا العصر من الانهيار قبل الدمار الشامل .

ان التحديث المادى والتقنى أمر ممكن للعالم الإسلامى دون أن يفنى المسلمون فى الحضارة المادية أو الفلسفات المادية الاباحية التى يريدون فرضها عليه والتى يدعون أن التحديث لايتم الابها ومن قبل أخذ الغربيون الحضارة الاسلامية والعلم التجريبي دون أن يأخذوا عقائد المسلمين ولامثلهم الاعلى ولااسلوب عيشهم ، والحضارات كلها تلتقى فى مجال العلوم والمعارف والتكنولوجيا ولكنها تختلف وتتمايز بأسلوب عيشها وعقائدها ووجهتها ولقد أثبتت تجربة أربعة قرون كاملة للحضارة الغربية أنها لم تستطع أن تقدم للنفس الانسانية اشواقها ولا للروح ولا للقلب ولا للوجدان ولا للمعنويات أى عطاء بل حرقت ودمرت كيان الإنسان الروحى وفتح العطاء المادى الطريق إلى الإنتحار والتمزق والفساد الاباحى الجامح ، فضلا عن التهديد الخطير بانفجارات حروب الذرة التى تهدد بالتهام العالم كله .

إن فرض المنهج الغربى على المسلمين يجرى تحت أى نظرية، سواء بخداعهم لاسقاط منهجهم أو بدعوى أن التحديث لايتحقق إلا عن طريق ذلك ، وقد تعالت هذه الصيحات منذ خمسين عاما ثم تبين ضلالها وكذبها ، فان متابعة المنهج الغربى قد فتحت على المسلمين باب الانهيار والتدهور ، وتبين أن المنهج الغربى لايطابق الروح الاسلامية ولايستطيع إعطاءها أشواقها ومطامعها . لقد مر المسلمون بمراحل عدة أولها : الانبهار بالحضارة ، وثانيها : الخداع لأسلوب العيش الغربى وثالثها : محاولة الالتقاء بين مفاهيم الغرب ومفاهيم الاسلام ، وكل هذه المراحل قد انتهت بالفشل ولم تحقق شيئا لأنها كانت بعيدة عن الأصالة وخالية من الترشيد، هذه الأصالة وهذا الترشيد الذى استطاعت حركة اليقظة الاسلامية ان تبثه فى الوجدان المسلم فنشأ عنه ذلك الاحساس القوى بالمدافعة عن الذاتية الاسلامية وحمايتها من الانهيار أو التحلل أو الاحتواء أو الاستقطاب تحت لواء التبعية الذى قدمته لمناهج الوافدة ، وقد اجتمعت الأمة الاسلامية اليوم تحت لواء الأصالة وحماية الذات الاسلامية ودخلت مرحلة الترشيد حين اعتنقت المفهوم القرآنى للاسلام بديلا عن مفاهيم الفلسفات والكلام والمنطق ذات مداخل التأويل والتعطيل والرخص ، ولقد تبين بوضوح أن العالم الاسلامى لايواجه الحضارة

الغربية ولايحاربها ولا يمتنع عن تقديم خاماته ومعطياته لاستمرارها ولكنه يحتفظ لنفسه بأسلوب عيش اسلامى خالص وفق منهجه وعقيدته ومن ثم يمكن أن تقوم حضارة اسلامية متجددة ، إلى جوار حضارة الغرب ولكن ليس هناك من سبيل أن يفرض الغرب على المسلمين الاستسلام لمناهجه وثقافاته وأسلوبه عيشة وعقائدة لانها تختلف اختلافا واضحا مع مفاهيم الاسلام فى الاسس وفى تفاصيل ، وقد تستطيع الحضارة الاسلامية ان تقبل من الغرب تنظيمات ولكنها لاتقبل نظما ، وقد تستفيد بالأساليب ولكنها لاتخضع للايدلوجيات .

وسوف يجد الغرب أن تحريم الربا وعقوبات الإسلام ووضع المرأة الإسلامى هو من الركائن الحقيقية لتكريم الإنسانية ورفع مستوى البشرية ونقلها من طور المادية والوثنية والاباحة إلى طور المفهوم الجامع بين الروح والمادة، والمستعلى خلقيا والمؤمن بالبعث والجزاء. ولاريب أن الإسلام يستطيع بعد ذلك أن يرضى النفس الغربية إذا هى تحررت من تعصبها وإذا ما التمست الطريق الحق للفطرة: يقول الدكتور كيلول (جامعة لندن) فى كتابه (المستقبل للإسلام) : « بالرغم من أننا نعيش عصر الآلحاد واللادينية فإن الشىء الذى حير العالم هو أن الإسلام لايزال ينال قبولا عاما إلى حد مدهش بدون أن يبذل محاولات ضخة فى سبيل نشر الإسلام فى هذا العصر اللادينى ، نظراً إلى هذا القبول العام المنقطع النظير . مما يوحى بأن تأثير الديانات المختلفة سيمحى رويدا وسيبقى الإسلام كدين من الديانات العالمية وذلك لأن للإسلام من الجاذبية قدر أن الإنسان الذى هو فى حاجة إلى دين ينجذب إليه .

ويقول : إن المسيحين لم يتقدموا فى مضمار الحياة إلا بعد رفض المسيحية فقد كان دينهم يدعو إلى العزلة . وثانيا لأن المسيحيين لم يرفضوا دينهم الا لأن المسيحية ما كان فى وسعها أن تساير الزمان وثالثاً : أن الدين الذى يستطيع أن يساير مقتضيات العصر لا يمكن له أن يكون وسيلة النجاة للإنسان لذلك فإن هذا النوع من الناس قد يضطر إلى رفض تعاليم الدين ، وعلى عكس ذلك نرى الإسلام ؛ إنه لايقر حياة الانعزال وترك الدنيا بل يعارضه ، وقد عد الدنيا مزرعة للآخرة ولقن معتنقيه أن يساهموا فى المجالات الدينوية مع الأعمال الدينية

أن من أسباب أزدهار الإسلام ونموه مسايرته لمقتضيات كل عصر ومصر ، وأن تعاليمه تأخذ بمجامع القلوب وتوافق الفطرة البشرية ومن ميزاته أنه لايمنع الإنسان من التقدم والرفاهية المادية بل يشجع الإنسان على ذلك والمسلمون يقيمون وزنا للأديان كلها مع تبجيل علمائها وزعمائها ويحذرون من الخلافات المذهبية وغاية القول أن الإسلام يقود الإنسانية إلى الرقى الدينوى مع الطمأنينية الروحية وأن الازدهار الراهن هو آكد دليل على أن هذا الدين سيسود العالم كله » أه .

وليس لنا بعد هذا أى تعليق

خامساً

على طريق الأصالة والرشد الفكرى

كشفت الدراسات التى أجراها الباحثون عن الصحوة الإسلامية مجموعة من الحقائق تحتاج إلى المراجعة والتأمل، وذلك حتى يمكن ترشيد هذه الصحوة وتحريرها من الزيف ومن العوامل الطارئة التى قد يدخلها بعض المغرضين فى محاولة لاجهاضها أو إفساد مسيرتها ، وأهم ذلك البعد عن التطرف أو الانحراف أو التعصب فإن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو الطريق الوحيد الذى يحقق السلامة شريطة أن يتمسك المسلمون بالمنهج الإسلامى ويقيمون فريضة الجهاد وأن تكون المعطيات التى حققها القرن الرابع عشر نبراسا للخطوات القادمة وأهمها :

أولا : تقدير الأثر الواضح الذى توصلت إليه تجربة المسلمين خلال القرن الرابع عشر بالكشف عن« فشل الفلسفات والمذاهب الغربية والشرقية فى حل مشاكل الإنسان المعاصر لتركيزها على الناحية المادية دون الجانب الروحى مما يسبب اختلالا فى وجدان الإنسان ، وقد ظهرت آثار ذلك فى البلدان المتقدمة ماديا (جرائم وحشية وانحلال خلق وانتحارات ومذابح) وكذلك فشل الايدلوجيات الوضعية فى التطبيق وعجزها بالتالى عن إسعاد الإنسان المعاصر ، » وأنه قد ثبت لدى كثير من المفكرين العالميين بأن الإسلام هو الوحيد القادر على الأخذ بيد الإنسانية عبر هذه الأمواج المتلاطمة إلى شاطىء السلام لما يشتمل عليه من قيم نبيلة وأفكار سامية » هذا على حد تعبير الأستاذ فوزى سوريا كارا .

ثانيا : الاعلان عن مجموعة الحقائق التى تبينت للعالم كله من صلاحية الإسلام للتطبيق فى كل زمان ومكان بوصفه منهجا ربانيا يحقق حاجات الإنسانية ويوازن بين المادى والمعنوى منها ويملك اسعاده فى كل بيئة وعصر ، وأننا لابد من أن نقدمه للبشرية الحائرة اليوم التى تبحث عن نور يضىء لها ظلام المادية التى طغت

فطغت على كل القيم الإنسانية وعلينا أن نقدم الإسلام لهؤلاء الحيارى ، فيجدون فيه الإجابة عن كل تساؤلاتهم، كما يجدون فيه الحلول الواضحة لكل مشاكلهم .

ثالثا : الإشارة إلى جهود رواد حركة اليقظة الإسلامية فى تعميق المفاهيم الإسلامية وبث الوعى الحاضر الذى ينتقل به المسلمون من الإسلام إلى الإيمان فى نفوس الأجيال، وغرس بذور الأمل فى قلوب الشبية بأن المستقبل لهذا الدين مهما دجى الليل واحلولكت الأيام .

وأن يكون مطلوبا من الأجيال الجديدة أن تعتصم بالثبات فى وجه الأعاصير فإن نصر الله قريب .

رابعاً : التأكد بأن المسلمين لن ينتصروا فى حاضرهم إلا ببعض العوامل التى انتصروا بها خلال تاريخهم المجيد كله ، وهى المفاهيم الإسلامية والمقاييس الإسلامية وأسلوب العيش الإسلامى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإحياء فريضة الجهاد وتقبل أسلوب العيش البعيد عن الترف والتحلل ، وتربية الأجيال على الصمود والاخشيشان وحماية الثروة الطبيعية فى العالم الإسلامى .

خامساً : التأكد من أن الصحوة الإسلامية ليست انفعالا طارئا ولا حدثا عابراً وإنما هى نتيجة حقيقيه لجهاد الصفوة المختارة من رجال الدعوة الإسلامية على مدى العصور ، وأنها ثمرة حقيقة لحركة اليقظة الإسلامية، بدليل أنها لم تقتصر على قطر واحد ، بل عمت جميع الأقطار واستعلنت فى صدق وصمت ومضت فى خطوات ثابتة عميقة، واستلهمت أسلوب الدعوة الأولى وأخذت قدوتها وأسوتها من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى تقوم على صفاء عقيدة التوحيد واستلهام مفهوم السنة الجامعة ، ودعم الترابط بين الفرق المختلفة واعتبار خلافها فى الفرعيات مما لا يحول دون وحدتها وتماسكها فى مواجهة العدو المشترك .

سادساً : الانتفاع بالدراسات الحديثة التى قدمها بعض الكتاب الغربيين المنصفين فى الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وقدرتها على العطاء وفى التقييم الصحيح المسلم للاقتصاد الإسلامى وقدرته على تحقيق مجتمع أفضل ، وفى تقدير أسلوب التربية الإسلامى الجامع بين الروح والنفس والجسم .

سابعاً : تقدير مسكانة الأمة الإسلامية اليوم من حيث موقعها الجغرافي العالمي ومن حيث امتلاكها للثروة والطاقة والتفوق البشري وأن معطيات العالم الإسلامي المادية والاقتصادية تستطيع أن تمكنه من الاكتفاء الذاتي ومن بناء اقتصاده العالمي الخاص . وأن على المسلمين اليوم العمل على أسلمة العلوم ، وتعريب المنهج العلمي بعد تنقيته من الشوائب الالحادية ، ومن التبعية للرأسمالية أو للماركسية على السواء ، وإقامة المنهج العلمي الإسلامي بمفاهيمه وفلسفته ولغته العربية في إطار روح التوحيد الخالص .

ثامناً : على المسلمين الصمود أمام التحدي الذي يسمونه « تحدي العصر » على حد تعبير الأستاذ جعفر ادريس الذي يقول : إنه في مواجهة تحديات العصر يجب أن نقف قويين بإسلامنا الشامل الذي نقدمه بديلا عن التصور المادي والالحادي السائد الآن في العالم ونربي النشىء تربية صحيحة ، ونعد به الشباب الاعداد الصحيح الذي يجعلهم أهلا لحمل راية الدعوة الإسلامية فالصيحة الحقيقية هي الثبات لتحديات العصر ، هذه التحديات التي تحتاج إلى الصبر اليقين ذلك أن أشد المخاطر هو التصور الإلحادي للوجود الذي كاد أن يصبح سمة العصر والذي لا يكاد يخلو منه جانب من جوانب الحياة المعاصرة العلمية والفنية ، وهو أكبر تحد يواجه الدعوة الإسلامية والمفكرين الإسلاميين ، فإذا نجحنا في التصدي له بالنقد الفعلي العلمي المستنير وأمكن أن نقدم تصورنا الإسلامي اطاراً بديلا لهذا الاطار الإلحادي ، وأقمنا الحجج العلمية والشواهد الواقعية على أنه الاطار المناسب نكون قد أسدينا خدمة كبيرة ليس لأمتنا فحسب بل للمجتمع الإنساني كله ولابد من اليقين بأن تصورنا هو الحق الذي لا ريب فيه .

وضرورة التصدي للتصور المغلوط وعدم مسالمته أو مداهنته بحجة المعاصرة أو الحضارة أو التجديد مهما طال الزمن وضجت الدعايات وسقط المهزومون : « الصبر واليقين » هما الشرطان اللازمان لكل من يريد أن ينال شرف القيادة الفكرية المقتدية بهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

تاسعاً : علينا دراسة تاريخ الغرب وواقعه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديني من وجهة نظر إسلامية والكشف عن فساد التصور المادي ومحاذيره

وأخطاره التى حطمت المجتمع الغربى ودراسة ومناقشة أسباب السيطرة وانحطاط العالم الإسلامى .

عاشراً : علينا أن نقضى على الفجوة بين المفهوم الإسلامى وبين التطبيق ، وأن يكون القرن الخامس عشر هو علامة الانتقال من الفكرة إلى العمل والممارسة وإقامة الحياة الإسلامية وبناء الإرادة القادرة على هذا الانتقال بعد أن تم أعداد التشريعات والقوانين والتنظيمات وبذلك يمكن الانتقال بالمسلمين من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام والتركيز على التربية الأخلاقية الإسلامية وإعطائها القدر الكافى من الأهمية فى المناهج هذه المعانى وغيرها مما تناولته ندوة اليونسكو فى باريس والمؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية فى السودان ومؤتمر علماء المسلمين فى اسلام أباد .

وقد تكهن برناردشو منذ الثلاثينات للميلاد أن المد الديناميكى للإسلام سوف يصل حتما فى وقت من الأوقات إلى أوربا وذلك فى قوله : « إذا كان هناك دين يمتلك السيطرة على انجلترا بل على قارة أوربا خلال المائة سنة القادمة فذلك الدين هو الدين الإسلامى فقط ، أن لدى تقييما عالميا لدين محمد ، بسبب ما يملك من فعالية غير عادية وفى رأيى أن لهذا الدين قدره فريدة على التكيف مع متغيرات الحياة ومستوياتها المختلفة ، وفى تبليغ دعوته فى كل عصر ، وأننى واثق لو وجد شخص مثل محمد وأعطى سلطة عامة فى مثل هذا العصر الحديث فإن باستطاعة أن يسوى كافة مشاكل العالم بأسلوب يمكن العالم من التمتع بالسلامة والرخاء الذى هو فى أشد الحاجة إليهما .

ومن الحق أن يقال أن الإسلام قد بدأ يشعشع فى أوربا اليوم وقبل أن يكتمل القرن الذى تنبأ به برناردشو ، وأنه يزحف بقوة فى عالم الغرب كله ويكفى مايقوله الدكتور عبد الرحمن أرنور جوستان الذى اسلم حديثا : لا أعتقد أن للمسيحية جذوراً فى المجتمع الاوربى ، ولو بذل المسلمون جهوداً مكثفة ، فإن الإسلام سيلاقى رواجا فى المجتمعات الأوبية ومن المحتمل أن تشهد المسيحية نهضة جديدة كما هو الحال بالنسبة الإسلام أن معظم الاوربيين ، أى حوالى ٩٠ فى المائة يعيرون الدين اهتماما ولكن المنتقد لو أنهم فهموا ماهو الإسلام لما ترددوا فى

اعتناقه وهذا هو ما أحاوله : « إيصال للإسلام إلى الغرب ، ولا سيما بنى جلدتى من الألمان » .

ويسير الدكتور كيلول فى كتابه المستقبل للإسلام إلى تقصير المسلمين فى نشر الإسلام فى الغرب على عكس ماتفعل المسيحية فيما يقوم به من وسائل وإرساليات فى كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة فى تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإسلام فإنه ينتشر انتشاراً عظيما بدون أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الاصقاع التى لم يكن لسكانها أى عهد بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسايرته للطبيعة الإنسانية ولمقتضيات العصر وموافقته الفطرة والحقيقة أن الإسلام فى حاجة إلى جهود أبنائه جميعا فى هذه المرحلة للانتقال إلى مكانة الاصالة والرشد الحقيقى .

سادساً

إعداد الجيل الرائد

إن مطالع القرن الخامس عشر الهجرى تبعث فى نفس المسلم عدة مشاعر متباينة لعل أبرزها أن تستقبل البشرية قرنا جديدا فى ظل دعوة الحق تزيد مساحة الإيمان والرحمة والعدل والاخاء البشرى ويتغلغل فيها اسم الله تبارك وتعالى إلى أقطار جديدة وبلاد وقارات وتجد كلمةالله من يستمع إليها ويذعن لها وبها يزداد عدد المسلمين وينادى باسم الله على المنائر وتضاء المآذن وتزداد الأيدي المتوضئة ويرضى الله تبارك وتعالى على العائدين إليه المستمسكين بكتابه وشريعته المطبقين لأحكامه البائعين أنفسهم فى سبيله والمقرضين له قرضا حسنا وإذا نظرنا إلى وقائع القرن الرابع عشر لوجدنا مكاسب كثيرة وخسائر كثيرة ولكننا نجد أن الإسلام قد جاوز مرحلة التبعية ودخل مرحلة الرشد والإصالة وأنه قدعرف مداخـــل عدوه وخطط تآمره ، وأنه قد استطاع أن يكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية وعظمتها وذخائرها وأن يضعها فى مفرق الطريق وأن يدعو إليهاأولا ويجد أنه قد خرج من التجربتين : تجربة الاحتواء الغربى الليبرالى والاحتواء الماركسى سالما عارفا أن كلا الوجهتين لم تستطع أن تحقق له سكينة النفس أو سعادة الدارين وأنه قد تبين له أن هناك طريق واحد لا خيار فيه هو طريق الله .

وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

ولست تستطيع حين تريد أن توجه المسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر الا كلمةواحدة :

أيها المسلمون: عودوا إلىالقرآن واستمسكوا به وطبقوه على أنفسكم وأقيموا المجتمع الربانى فى بلادكم وبيوتكم وأنفسكم قبل أن تمسكم نار امتحان شديد وإبتلاء خطير .

لقد أعطا كم الله تبارك وتعالى إمتحاناً خطيراً وأعطا كم التغلب عليه عطاء كبيراً. أن الامتحان هو استشراء خطر الصهيونية والماركسية والنفوذ الأجنبي، وذلك بعد أن أقامت اليهودية العالمية رأس جسر فى فلسطين وبيت المقدس وأمدكم لمقاومة ذلك، ذلك العطاء الوافر. أعطا كم الطاقة والثروة والتفوق البشرى فليس لكم حجة أمام الله فى أن تنكصوا على الأعقاب ولا تواجهوا عدوكم من أجل حماية العرض والأرض والعقيدة.

والطريق هو إعداد ذلك الجيل الذى يحمل لواء الجهاد فى سبيل الله والمرابطة فى الثغور والمقاومة الكاسحة فلقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يجعل هذه الأمة الوسطى. مستقر المقدسات وفى نفس الوقت مدخر الثروات الهائلة، سواء بالجغرافيا فى الموانى والمواقع، أم فيما تخرج الأرض من كوبلت ومنجنيز وبترول وغيره، أم فى ثمارها وزرعها ومائها وخيرها، ومن ثم فهى مطمع الغزاة فى كل عصر، ترنوا إليها عيون الامبراطوريات وخاصة امبراطورية الربا ممن أشربوا العجل ثم هى اليوم وهى تفيض بالثراء والطاقة يزداد نسلها ونتاجها ليكون ذلك الجيش القوى الذى يجب أن يكون مرابطا فى الثغور تحت اسم « وأعدوا ».

وستحقق فى مطالع القرن الرابع عشر وقبل نهاية العقد الأول منه كلمتان للرسول صلى الله عليه وسلم تدل على الطريق الأولى: أن الله يرسل لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها وتوحى الثانية أن جند الإسلام الكثيف هم فى رباط إلى يوم القيامة.

أن المسلمين اليوم على أبواب القرن الخامس عشر هم ألف مليون مسلم على أدق الإحصاءات فلماذا يبخسونهم. وهم بتقدير كل الدوائر العالمية للإحصاء ربع سكان الأرض اليوم البالغ أربع مليارات وأنهم فى نمو وتزايد مضطرد حيث غاضت الأرحام فى الغرب وحق لأصحاب لا إله إلا الله وأهل التوحيد أن يوجهوا جهودهم فى سبيل بناء حضارة الإسلام الجديد:

وطريقهم إلى ذلك يتركز على ثلاثة أمور:

أولا. تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى وأقامه منهج الله.

ثانيا : إحياء فريضة الجهاد والمرابطة فى الثغور .

ثالثا : بناء جيل جديد من الشباب المسلم على مفهوم القرآن وفى مواجهة التحدى الخطير الذى جعلهم فى رباط إلى يوم القيامة .

يقول المؤرخ العالمى هـ . ج . ولز فى حديث إلى أمين الريحانى :

أن القرآن هو عروه الإسلام الوثقى ، أو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها فى تحقيق الوحدة الإسلامية ، وأن وحدة أى أمة من الأمم مفيدة لها ولغيرها ، فالوحدة تعيد إليها كرامتها وتوجب عليها القيام بعهودها أما الإسلام فمشتت الشمل مبدد القوى ولم يكن لدى المسلمين واسطة إلى الاتحاد لوجب عليهم إختراعها ولكن كتابهم خير واسطة ، وإذا كانت انجلترا فى خطر من الاحتلال الأجنبى العزبى فرضا ، وكان أبناؤها مشتتى الشمل مبددين فى أربع زوايا الأرض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض فلا أتردد فى دعوتهم إلى الإنجيل بل أتخذ من الكتاب المقدس شارة جنسية وعلما وطنيا وعروة شاملة فى الوحدة القومية .

وهكذا فى مطالع القرن الخامس عشر نجد أنفسنا مطالبيين بالالتفاف حول القرآن علما ومناراً وعروة شاملة وشاره جنسية .

ونحن مقبلون خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر على امتحان عظيم يجب أن نثبت له ، وأن نواجهه فى قوة ، ولن تستطيع أى قوة من القوى أن تمكننا من النصر إلا بالإلتفاف حول القرآن منهج حياة ونظام مجتمع يقول بأول شميتز فى كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » .

سيعيد التاريخ نفسة مبتدئا من الشرق عوداً على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة الإسلامية العالمية فى الصور الأول الإسلام وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الإفادة منها وستنقلب موازين القوى لأن قوة الإسلام قادمة على أسس لا تتوفر فى غيرها من تيارات القوى العالمية » .

ولا ريب أن بعد نظر هذا الكاتب الغربى يلتقى مع كثير من إرهاصات قدمها أعلام وإبرار من رجال الإسلام يقول محمد إقبال : أن المسلم لا تعرف أرضه

الحدود ولا يعرف أفقه الثغور وليست دجلة والنيل والدانوب إلا أمواجاصغيرة في بحره المتلاطم، عصوره عجيبة وأخباره غريبة، نسخ العهد العتيق وغير مجرى التاريخ هو في كل عصر ساقي أهل الذوق، وفي كل مكان فارس ميدان الشوق، شرابه رحيق دائما وسيفه ماض في كل معركة .

أننا اليوم نعود إلى الأصالة :

وجدنا طريق التعليم الغربي العلماني باطلا وضالا .

وجدنا القانون الوضعي فاسداً .

وجدنا التجربة المصرفية الربوية عفنة .

وجدنا أسلوب التغريب في الحرب يحطم القوى .

أين التربية الإسلامية والشريعة الإسلامية، والمصرف الإسلامي والجهاد في سبيل الله، لقد توهم القوم أن التقدمية إنكار لله . وأن أسلوب الغرب يحقق النصر للسلمين وأن التمسك بالدين رجعية وكذبوا .

أن الزمن قد استدار مرة أخرى ليكشف للسلمين كل الحقائق ويؤكد لهم أن الطريق الوحيد هو طريق الله الحق .

وأن عليهم أن يطبقوا الشريعة الإسلامية وأن يقيموا المجتمع الإسلامي وعند ذلك يكونوا مؤهلين لتقديم الإسلام للبشرية العطشى الضالة التي هزمت ودخلت مرحلة التدمير النفسي والحضاري وهي تتطلع أي منقذ وليس هناك من منقذ غير شريعة الإسلام .

وأنتم مسئولون بين يدي الله إذا لم تحققوا هذا الأمل وتحملوا هذه المسئولية وتؤدوا هذه الأمانة .

سابعاً

حقائق ثلاث

أمام الشباب المسلم المثقف

الحقيقة الأولى :

إن أولى الحقائق على طريق الإسلام هى أن نقول لشبابنا إنه طريق الله الحق وهو دين الله الخالد ، الذى أرسل به تبارك وتعالى رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم ليظهره على الدين كله ، وجعل كتابه (االقرآن الكريم) حجة على العالمين وتحديا قائما إلى يوم القيامة للبشرية كلها أن تأتى بسورة من مثله أو آية من مثله ولن تستطيع ، وهو الذى شاء الله تبارك وتعالى أن يكون كتاب الإنسانية بعد أن دخلت مرحلة نضجها واستعدادها لحمل الرسالة العالمية ولذلك فقد جاء خاتما للكتب السماوية ومهيمنا عليها .

والإسلام : هو دين الله الحق الذى أرسل به جميع الرسل والأنبياء ، يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته ، وتطبيق شريعته ، وبناء مجتمعه فى الأرض ، ومنذ جاء آدم أبو البشر فقد جاءت معه دعوة التوحيد الخالص ، التى عاشت البشرية فى معركة دائمة متصلة بين قبولها ومعارضتها ماتلبث بعد أن تبعد عنها رسالات الأنبياء ، أن تنحرف إلى الوثنية والمادية ثم تعيدها رسالات السماء مرة أخرى إلى التوحيد ، ولقد جاءت رسالة الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم مجددة لدعوة إبراهيم عليه السلام : « الحنيفية السمحة » التى حرفتها من بعد كتابات الأحبار والرهبان فى تفسيرات ضالة خرجت برسالة موسى ، ورسالة عيسى عليهما السلام عن الطريق الذى سارا فيه مبشرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم : تلك « الرسالة الخاتمة » ، فقد غلا بنو إسرائيل فى دينهم ، وحرفوا رسالاتهم ، بدعوى أنهم شعب الله المختار ، ثم جاء النصارى ، فحولوا رسالتهم التى هى آخر رسالات بنى إسرائيل ، إلى دين عالمى يقوم على غير مفاهيمه الأصلية

وكان من فساد عقيدتهم ، الصلب ، والتثليث ، والخطيئة ، ودعواهم الباطلة بأن المسيح هو الله وهو ابن الله ، ومن هنا جاء الإسلام ليعيد البشر به مرة أخرى إلى الطريق الصحيح : طريق دين الحق المنزل .

« ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » النحل : ١٢٣ .

هذا الدين الحق : هو دين الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذى مازال كتابه القرآن الكريم بين أيدينا غضا طرياً ، هو عصمة أمرنا كمسلمين ، ونحن حملة لوائه ، ومن حقه علينا أن نطبقه على أنفسنا بوصفه دينا ، ومنهج حياة ، ونظام مجتمع ، فنقيم شريعته ونحل حلاله ونحرم حرامه ، ونبنى مجتمعه الربانى على شريعة العدل والرحمة والأخاء البشرية إيمانا منا بأن الإنسان هو المستخلف بأمر ربه فى الأرض وعليه مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاق وهو الذى سيجزى بما عمل يوم القيامة ، وعليه أن يؤمن بهذه المسئولية وبالبعث والجزاء حتى يكون قادراً على أداء رسالته على الأرض بالحق . هذه الحقيقة الأولى : التى يجب على شبابنا أن يعرفها ، كمدخل إلى مواجهة تلك التحديات التى تطرحها المجتمعات الحديثة والثقافات الوافدة فى مختلف المجالات .

الحقيقة الثانية :

إن هذه الأمة التى أنزل فيها الحق تبارك وتعالى رسالته الخاتمة والتى وصفها بأنها « أمة وسط » قد اختار الله لها هذه المنطقة بين القارات الثلاث وجعلها أخطر المواقع من ناحية الجغرافية والاستراتيجية ، بين البحار والمحيطات وأعطاها أصفى المواقع من ناحية الطقس والجو ، وأمدها بأعظم المعطيات من خيرات الأرض زراعة وماء وثروة ، كما منحها فى باطن الأرض مقادير وافرة من المنجنيز والكوبلت والبترول وسائر الذخائر وبذلك جعلها مطمع كل الأمم والقوى العالمية كما جعلها موضع الامتحان أمام الغزو الأجنبي ، الذى لم ينقطع عنها ، فدعاها إلى المقاومة والمواجهة والمرابطة فى الثغور ، وإعداد الجنود والعتاد لإرهاب عدو الله وعدوها وحتى تكون دائما على تعبئة حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها واحتلال أرضها .

ولقد عاشت فى مواجهة مع الروم والفرنجة والصليبيين والإستعمار الغربى، ثم مع الصهيونية والشيوعية فى العصر الحديث، ولذلك فهى لابد أن تعى التجربة وتعلم أنها لابد أن تظل على استعداد للجهاد الدائم والمقاومة وإلا تستنيم أبداً إلى الترف ورخاء العيش، وما يتبعه من انحلال وفساد، وإن تقيم نظام الله تبارك وتعالى بالحق فهو الذى يعصمها من الهزيمة والانحلال، فإذا استنامت إلى الضعف هزمها عدوها وأمكن منها وعندئذ لاتستطيع أن تعود إلى امتلاك إرادتها إلا بالتماس منهج الله تبارك وتعالى مرة أخرى فهو عاصمها الحقيقى.

وإنها مهما اصطنعت من مذاهب الأمم وأيدلوجياتها فإن ذلك لن يجديها إلا مزيداً من الهزيمة والإنهيار. ولذلك فإن الشباب المسلم فى العالم الإسلامى اليوم مدعو إلى الأخذ بأسباب العزائم والقوة، واستئناف فريضة الجهاد والمرابطة فى الثغور حتى يستطيع أن يستعيد أرضه ونفوذه وإقامة مجتمعه لأن عليه من بعد ذلك تبليغ رسالة الله إلى العالمين، ودعوة الشعوب التى انهارت حضارتها، وفسدت مجتمعاتها إلى هذا الهدى الربانى الصحيح.

الحقيقة الثالثة.

إن هذا العدو المتربص لنهب الأمة قد استطاع خلال فترة سيطرته أن يسيطر فى ثلاثة ميادين:

ميدان السياسة، وميدان الاقتصاد، وميدان الاجتماع:

ففرض نظامه الليبرالى الديمقراطى أو الماركسى، وفرض نفوذه الرأسمالى وأساليب الربا، وفرض قانونه الوضعى، بديلا للشريعة الإسلامية كما ربى أجيالا على مفاهيمه التربوية الغربية، وفرض مفهوم العلمانية فاصلا بين الدين والدولة والمجتمع والأخلاق.

واستطاع أن يزلزل بذلك قوائم القيم الإسلامية فى المجتمعات، وأن ينشىء أجيالا مهزوزة مضطربة، تسيطر عليها الأهواء والشهوات، كما طرح مفاهيم فى النفس والاجتماع والأخلاق من خلال «الفرويدية»، «والوجودية» وغيرها

حطمت تلك الحواجز الأخلاقية ، القوية التي كانت تحمي شبابنا من الانحدار إلى أتون الشهوات أو الإنحراف إلى الفساد الأخلاقي .

هذه الحقائق الثلاث يجب أن تكون موضع نظر شبابنا المسلم المثقف وهو يرى تلك المطروحات المستفيضة من كتابات الفكر البشري والشعوبية والغزو الثقافي لتكون ضوءاً كاشفاً أمام عينيه ليعرف الحق من الباطل والصحيح من الزيف والله من وراء القصد .

* * *

الباب الثانى

آفاق مضيئة للدعوة الإسلامية

الفصل الأول : ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر

الفصل الثانى : الدعوة الإسلامية : آفاقها وتبعاتها

الفصل الثالث : فجر جديد للدعوة الإسلامية

الفصل الرابع : مواجهة التحديات ومقاومة الشبهات

الفصل الخامس : على طريق الإصالة والرشد الفكرى

الفصل السادس : رحلة الإسلام فى قلب أفريقيا

الفصل السابع : المسلمون فى فجر القرن الوليد

الفصل الثامن : ايدلوجية جديدة وليس غير الإسلام



الفصل الأول

الف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر

بعد معارك العاشر من رمضان بدأت اهتمامات فى عالم الغرب لدراسة المجتمع الإسلامى والتفتح على العرب والمسلمين وتصحيح كثير من الأوضاع القائمة فى عالم الغـــرب والتى كان السيطرة اليهودية عاملا هاماً فى حجب الصورة الصحيحة للمسلمين والعرب والمعروف أن اليهود الصهيونيين المتطرفين فى عداواتهم للعالم العربى والإسلامى يتولون كبريات المناصب الخاصة بدراسات الإسلام واللغة العربية فى مختلف جامعات الولايات المتحدة وأوربا وقد كان لهذه السيطرة أبعد الأثر فى تطور دراسات الاستشراق على النحو مكن الصهيونية فترة طويلة من موالاة خداع العالم بمفترياتها وأكاذيبها .

لقد كان ضروريا والمسلمون على أبواب القرن الخامس الهجرى وهم يتقدمون الآن فى سرعة إلى رقم يمثل ثلثا سكان العالم حسب تقدير خبراء هيئة الأمم المتحدة وقد وصل فى أوائل القرن عام ١٤٠١ هجرية إلى ألف مليون مسلم ، وقد وضعت فى يد هذه الأمة ثلاث قوى كبرى : هى التفوق البشرى والثروة المالية والطاقة وصولا إلى التكنولوجيا الإسلامية ، وأن المسلمين مطالبون اليوم بالعمل على تحقيق بناء المجتمع الإسلامى الربانى بتطبيق منهج الله ليكونوا قادرين على تقديم هذا النموذج إلى البشرية كلها وهم فى طريقهم إلى تبليغ نظام الإسلام : دينا ودولة ومنهجا ونظام حياة ، ورسالة السماء إلى العالمين وهى المسئولية الموضوعية فى أعناقهم بحكم الميثاق الذى واثقهم به ربهم وسجل ذلك القرآن الكريم وأشهد الله عليه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم :

* * *

— ١ —

وقد أبرزت الصحف العالمية أخيرا اهتمامات كبيرة لجامعات كولومبيا وهارفارد ونيويورك وبركلي ولوس انجلوس بدراسة اللغة العربية، وأن أكثر من عشرة آلاف طالب أمريكي الآن يدرسون اللغة العربية واللغات الشرقية وأن ٩٩ طالبا حصلوا في العام الماضي على درجة الدكتوراه في اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية . وجاء في تقرير خاص أن عدد اللهجات واللغات التي تدرسها الجامعات الأمريكية، التي تستخدمها شعوب الشرق الأوسط هي ١٣ لغة ولهجة منها اللغة العربية الفصحى واللهجات المصرية والعراقية والسودانية والمغربية بالإضافة إلى اللغات، التركية والفارسية والكردية كما أشار التقرير أن في جامعة برنستون ١٢ ألف مجلد ومخطوط عربي وفارسي وتركي وفي لوس انجلوس ٨٥٠٠ مرجع من هذا النوع -

أما في مكتبة الكونجرس فيوجد ١٢٠ ألف مرجع ، وليس كل هذا إلا محاولة لاستكشاف الذات الإسلامية والعربية بعد حرب رمضان ونجد هذه المحاولة ممتدة في الصحافة الغربية تحت اسم (دعوة لفهم العرب) .

وقد تردد هذا المعنى في عدد من الصحف الغربية ، تقول جريدة بوسته كريسانت : (من صحف ولاية وسكنسون الأمريكية) مشيرة وراء الأخطار الكامنة وراء التحيز لإسرائيل وتجاهل ما أسمته (المد المتصاعد لقوة العرب) ولا يزال على الكثيرين أن يعرفوا الحقائق وأن يقدروا إلى أي درجة نحن بعيدين عن معرفة حقيقة ما يمتاز به العرب من قوة وحنكة ودراية وإلى أي مدى ازدادت ضخامة صورة إسرائيل في نظرنا عن واقعها ، ولعلك بمجرد أن تذكر أن العرب تثير في الأذهان صورة عن (الجمال) بكسر الجيم المغبرة ، والصحراء الجرداء. وبمجرد أن تذكر إسرائيل تثير في أذهانهم صورة أخرى شعب مقلوب الأفكار، والاراء ذي نمط ثابت وأن هذا الشعور محاط من كل جانب بعواء البدو الرحل -

أن هذه الصورة زائفة ومضللة وغير صحيحة في الأبحاث الجديدة التي قامت بها جمعية دراسات الشرق الغربي في جامعة كولورادو برئاسة أستاذ التاريخ بها

البروفسور وليام جويسولد أثبتت أن القسم الأكبر من المشكلة هو على الأكثر فى الكتب المدرسية البسيطة والقديمة والذى أستخدم فى الأبحاث الخاصة بالشرق العربى فى أكثر مدارس الولايات المتحدة « فقد اكتشفت جمعية الدراسات الشرق الأوسط .أن أكثر هذه الكتب ملىء بالأخطاء وأنها ماضية فى صياغة قوالب قديمة عن الأحوال السياسية والاجتماعية فى العالم العربى كما أنها تبالغ فى تبسيط كثير من المواضيع المعقدة وتقفز إلى النتائج متخطية الأسباب التى تجهلها بل هى تصل إلى حد إصدار أحكام أخلاقية على تصرفات الشعوب تحت ستار من واقع التاريخ » .

وهكذا تكشف الدراسات الجادة أن مايقدم فى هذه الكتب الدراسية عن العرب والإسلام مزيف وكاذب وأن السيطرة الصهيونية على مناهج التعليم فى الغرب (أمريكا وأوربا) إنما يستخدم هذه الأكاذيب والسموم لاحتواء الفكر الغربى كله ولتزييف صورة المسلمين والعرب ولكن أحداث العاشر من رمضان قد مزقت هذا الستر وكذبت هذا الزيف على النحو الذى يبدو واضحا الآن من محاولة التعرف على الحقيقة وفهم العرب والمسلمين فهما جديداً وقد دعا البروفسور جويز ولد إلى التحرر من المسلمات القديمة التى عفى عليها الزمن فى هذا المجال ودعا إلى الفهم الصحيح لواقع منطقة الشرق العربى الآن وقال أن هناك نصيب وافر من التمويه فى مسألة أهل فلسطين الأصليين ممن يطلق عليهم اسم اللاجئين وقال : أن فى وسع الغربيين أن يفهموا بصورة أفضل أسباب غضب اللاجئين الفلسطينيين ونقمتهم عما يقال الآن للطلاب فى المدارس الأجنبية أن العرب أقاموا ثلاثة عشر قرنا فى الأراضى التى تحتلها إسرائيل فى الوقت الحاضر -

وأشار الدكتور جويزولد إلى ما أسماه بمؤامرة كبرى تجاه الرأى العام الأمريكى إبتداء من التليفزيون وحتى مدرسة أيام الأحد حيث أحيط بعوامل كثيرة من للظلم والاجحاف والأفكار الخاطئة التى تمنعه من أن يفهم حقيقة النزاع القائم فى الشرق العربى ودعا الدكتور جويزولد ناشرى الكتب المدرسية وجماعة الميديا الأمريكية أن يقدموا أحدث المعلومات عن العرب وأبعدها عن التحيز والمحاباة وأن عليهم أن يقضوا على ما أسماه الفـــراغ الكبير الذى يدعو إلى القلق والانزعاج -

— ٢ —

من عوامل الاهتمام بالعالم الإسلامى المعاصر تلك الاحصائية التى أذاعتها منظمة الأمم المتحدة والتى تكشف عن أن المسلمين اليوم يشكلون ثلث سكان للعالم وأن الدول التى مازالت تقاوم الإستعمار : هى كشمير وفلسطين وأرتيريا والصومال ، وأن عدد الدول التى تسكنها أغلبية مسلمة هى أربعون دولة ، أما الدول التى يتراوح فيها عدد المسلمين من ٣٠ إلى ٤٠ فى المائة من السكان فهى ١٥ دولة ماعدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من أربعين مليونا والهند ٧٠ مليونا وفى كل من يوغوسلافيا (٣ مليون) وتايلاند (٣مليونا) وبورما (٣مليونا) والفيليبين (٤مليونا) ومن دراسة قام بها مجموعة من خبراء هيئة الأمم المتحدة نشرت تحت عنوان الأرقام المتوقعة لسكان العالم ٣٠٠٠ م أمكن استخلاص هذه المعلومات التى تفيد المشتغلين بدراسات العالم الإسلامى فى العصر الحديث :

أولا : يبقى الدور الذى تقوم به الدول النامية فى الزيادة الحالية لسكان العالم على وضعه حتى نهاية القرن الحالى إذ أنها ستساهم بـ ٨٥ فى المائة من مجموع الزيادة السكانية للفترة بين ١٩٦٠ — ٢٠٠٠ على أية حال من الأحوال -

ثانيا : الزيادة السكانية الحاصلة فى البلدان النامية هى أكثر من الزيادة الحاصلة فى بقية العالم المتطور .

ثالثا : الحجم الكلى لسكان البلاد النامية (الشرق الإسلامى) سوف ينمو إلى ٥ ر٧٢ فى المائة وبهذا يمكن القول أن البلدان النامية فى خلال القرن الحالى وحتى نهايته سيتراوح عدد السكان فيها من ثلاثة أرباع إلى أربعة أخماس مجموع سكان العالم ، أى أن البلدان النامية (وهى لاتدخل ضمن النظام الرأسمالى أو الشيوعى) ستضم حوالى ثلثى سكان المعمورة -

رابعاً : أن سرعة أو اطراد زيادة السكان فى البلدان النامية ولا سيما فى السنوات العشر الأخيرة كانت أكبر مما هى عليه فى البلدان المتطورة وستصل الزيادة إلى مرتين ونصف (٢ — ٢ و ٢١) مرة على الرغم من التطور الاقتصادى لبلدان العالم الثالث بمجموعها أكثر بقليل مما هى عليه فى الدول الرأسمالية المتطورة

اقتصاديا وسيتجاوز الدخل السنوى بالنسبة للفرد الواحد فى البلدان النامية ليس فقط بـ ٨ مرات كما كان عشية الحرب العالمية الثانية بـ ١٢ مرة كما هو فى الوقت الحاضر وإنما سوف يصل إلى ١٨ مرة -

خامساً : سوف تزداد حصة البلدان النامية من مجموع سكان العالم على حساب البلدان المتطورة وهذه الزيادة هى التى سوف تجدد درجة الاختلاف الموجودة فى مستويات معيشة السكان -

تعكس هذه التغيرات الدور المتعاظم لبلدان آسيا وأفريقيا فى العلاقات الدولية من حيث تأثيرها فى السياسة العالمية إذ أصبحت على قدم المساواة مع الدول الأخرى اه -

* * *

المرابطة فى الثغور

ثلاثة أخطار تواجه العالم الإسلامى فى هذه المرحلة من حياة الإسلام :

أولا : التبشير الغربى الذى تقوم به الدول الغربية فى أفريقيا وجنوب شرقى آسيا (اندونيسيا والملايو والفيليبين) وبقاياه فى البلاد العربية -

ثانياً : الشيوعية الماركسية التى تحاول السيطرة على أجزاء من العالم الإسلامى بالاحتواء والحكم -

ثالثاً : الصهيونية التلمودية التى تتمثل فى الإستعمار الإسرائيلى لفلسطين كما تتمثل فى السيطرة على بعض المناهج الفكرية والسياسية والاجتماعية المعروفة فى العالم -

ولقد كان التبشير الغربى : هو المقدمة التى أهلت العالم الإسلامى للوقوع فى براثن الفكر الماركسى والصهيونى ، فقد كانت اليهودية من وراء الشيوعية من ناحية ومن ناحية أخرى كانت وراء الرأسمالية والتنظيمات الربوية والاجتماعية المنحلة والإباحية التى غزا بها النفوذ الإستعمارى بلاد عالم الإسلام وجعلها أداة أساسية

فى سيطرته على المجتمعات فضلا عن تجميده لشريعة الإسلامية وإحلال القانون الوضعى بدلا منها وفرض نظم التعليم الغربية العلمانية التى تفصل مادة الدين عن الثقافة وفق مفهوم غربى لاهوتى لايتطابق مع مفهوم الإسلام الجامع : دينا ودولة ، ومنهج حياة ونظام مجتمع وعقيدة وشريعة .

ولقد قطع المسلمون مراحل كثيرة فى سبيل مواجهة هذه التحديات الثلاث ولكنهم مازالوا فى حاجة إلى جهود أضخم وأكبر يتحتم معه تهيئة المجتمعات الإسلامية لحياة أصيلة قوامها زاد الفطرة وأعلاه شأن التكامل الجامع بين الروح والمادة .

وإذا كان محمد اقبال شاعر الإسلام قد أعلن منذ الثلاثينات بأن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الالحاد وثانيهما الإستعمار وأن مستقبل الاسلام رهن بمستقبل العرب وأن مستقبل العرب رهن بوحدة العرب فإذا تمت الوحدة علا شأن المسلمين فى أنحاء الأرض : هذه الصورة التى عاشها إقبال قد تغيرت كثيراً اليوم فى الثمانينات فقد دخل عاملان جديدان هما عامل الشيوعية الخطير وعامل الصهيونية الأشد خطورة وهو عامل ذو شقين : شقه الأول فى سيطرته على القدس ووجوده فى فلسطين ، واحتلاله لأجـــزاء من الجـــولان والضفة الغربية ، وشقه الثانى فى ذلك النفوذ الفكرى . المتمثل فى مناهج العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية وكثير من نظريات الأدب والاقتصاد والسياسة المتداولة اليوم على أنها علوم اجتماعية بينما هى لاتزيد عن أن تكون مفاهيم تلموديه مغلفة بأغلفة من بريق العلم وخداعه الذى أجاده اليهود . والمعروف أن الشيوعية وليدة الصهيونية وربيبتها وخادمتها فى مختلف المجالات .

ولا ريب أن الروابط الوطنية والقومية والاسلامية قد أخذت منذ وقت بالبحث عن أسلوب إسلامى أصيل بعد أن ذهبت وراء مفاهيم القوميات الغربية التى حاولت أن تحطم العلاقة الطبيعية بين العرب والمسلمين من ناحية وبين المسلمين والعرب جميعا وبين ماضيهم وتاريخهم وتراثهم الذى بناهم كالطود الشامخ خمسة عشر قرنا وحماهم من التمزق والاحتواء :

فلا ريب أن هناك روابط ثلاث : هى الأرض بالوطنية والعرق بالقومية

دون أن يكون لاحدها إستعلاء عنصرى : وذلك كله فى ذلك الرابطةالكبرى: رابطة الفكر الذى صنع لهذه الأمة أسلوب عيشها ونظامها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى منذ نزل القرآن الكريم فأقام هـذه الرابطة الجامعة التى قامت على (لاإله إلا الله)ولقد استطاع الفكر الإسلامى أن يصهر خير مافى الثقافات القديمة فى أطار (التوحيد) وأن يجعل منها « روحا » يعتنقه أهل المنطقة جميعاً مهما اختلفت أديانهم،ذلك بأن أصل هذه الأديان كلها واحد وأن الحنيفية الابراهيمية السمحةهى التى أنشأت منذ ثلاثة آلاف عام ويزيد هذه الوحدة التى نشأت فيها الأديان كلها بقيمها وأخلاقها ومفاهيمها ، ثم جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذلك المنهج الربانى الخالد الذى هو الصبغة النهائية التى أختارها الحق تبارك وتعالى للبشرية والتى هى عصارة كل الآديان السماويه السابقة :

ومن هنا فإن الأمم فى هذا الإطار تلتقى على الرابطة الكبرى فلا تزول عنها إلا فى ظل الآحداث والتحديات التى تمزق الأمم إلى وحدات إقليمية أو قومية ثم لاتلبث هذه الأمم أن تعود إلى الوحدة الكبرى كلما خفت عنها عوامل الاضطهاد والسيطرة والنفوذ الأجنبى .

ولا ريب أن المسلمين اليوم وعلى أبواب القرن الخامس عشر قد عرفوا أهواء القوى التى تريد أن تحتويهم أو تأ كلهم وأن رابطة الإنتماء إلى فكر واحد أو ثقافة واحدة أو معتقد واحد كان هو أصل هذه الروابط وأوسعها وأعمقها وآخرها ظهوراً بعد أن استحصدت العائلة البشريه وارتفعت فوق القبليات والاقليميات وتعصبها .

ولقد شكلت وحدة الفكر رابطة كبرى بين الأمم التى تلاقت على ثقافات تربطها أصول واحدة من العقائد والأديان أو القضايا المشتركة ، وكانت رابطة الإسلام هى أقوى هذه الروابط وأوسعها نطاقا وهى الراية التى استظلت بها الأمم والنحل والأديان جميعاً ووجدت فيها السماحة والرحمة والاخاء الإنسانى، وماتزال كذلك لأنها تقوم على (عقد إجتماعى)مكتوب هو (القرآن) الذى لايزال هو اللغة الجامعة الموحدة (قبل اللغة العربية واللهجات الإقليمية)فالقرآن لغة وتاريخا وفكراً جامعا ، ووحدة الفكر هذه ليست ملكا للمسلمين وحدهم ولكنها ملك

لأهل هذه العالم الواسع الجامع بمن فيه من أهم وأديان وعقائد ولغات لأنها كلها قد صهرت فكرها وثقافتها منذ ألف عام فى هذه الوحدة الجامعة .

أن المسلمين والعرب يدخلون فى أوائل القرن الخامس عشر : مرحلة الرشد والاصالة بعد أن مرت حياتهم خلال قرن كامل تقريبا بتلك التحديات الخطيرة عسكريةوسياسية وثقافية واقتصادية التىواجهتهم بالاستعمار الفرنسىوالبريطانى والايطالى ثم بالغزوة الصهيونية .

وأمام المسلمين فى هذه المطالع الجديدة الحاسمة تلك النظرات الواضحة التى قدمها الباحثون الغربيون المنصفون : (وإن كانت أساساً مما نؤمن به ولا نشك فيه) .

أولا : أولئك الذين أعترفوا بعظمة الشريعة الإسلامية وجلالها وقدرتها الفائقة على بناء مجتمع إنسانى رفيع القدر .

ثانياً : تلك الكتابات التى قررت دور المسلمين فى بناء الحضارة الإنسانية الحديثة وتقديمهم المنهج العلمى التجريبى الذى هو الأساس الوحيد للعلم والتكنولوجيا الحديثة .

ثالثاً : الاعتراف بأن جميع حركات التحرر الوطنية فى العالم الإسلامى إنما استمدت قدرتها ووجودها من مفهوم الإسلام نفسه :

رابعاً : مقدار ماقدم الإسلام فى مجال العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق والتربية من مفاهيم تستهدف بناء الاخاء الإنسانى وتعارض العنصرية وتحمل لواء تحرير الإنسان من العبوديتين : عبودية الروح والعقل وعبوديةالجسم التى عرفتها حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهنود .

خامساً : مكانة اللغة العربية ودورها الخطير فى بناء الوحدة الإسلامية العربية والفضل فى رسوخها إلى القرآن الكريم الذى نزل بهافأعطاها هذه المكانة .

سادساً : نصاعة تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وسلامة النص القرآنى الموثق وثبات تلك التواريخ والعلاقات الآصلية مما لايوجد له مثيل فى الأمم والعقائد الأخرى .

سابعاً : قدرة الإسلام الفائقة على العطاء وحيويته الكامنة والتقائه بالفطر وبالعلم وبواقع الحياة وقدرته على أحداث التغيير إلى أعلى وإلى أحسن بأساليب مرنة سمحة كريمة .

كل هذا وغيرة مما يجعل الاسلام هو الأمل الذى يملأ نفوس المصلحين فى أرجاء العالم وهم يتطلعون إليه باعتباره الوسيلة الأخيرة لتحقيق المجتمع الأمثل بعد أن فشلت كل الايدلوجيات خلال أكثر من ثلاثة قرون فى تقديم منهج أصيل لبناء المجتمع الانسانى ، وهو فى هذا إنما يدعو إلى السلام والرحمة والخير ولا يتطلع إلى إستعلاء أو سيطرة : على النحو الذى رسمه القرآن الكريم : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً » .

وليس أدل على صدق الاسلام وأنه دين الله الحق ، أنه لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجرة حتى فى إشد أيام الصراع بين عالم الاسلام وبين الاستعمار ، وقد انتشر الاسلام بقوته الذاتية وبفضل سماحة مبادئه لربانية المصدر ، وهى تحمل التوحيد والحرية والاخاء البشرى وتحمل إلى الملونين والمستعبدين روح المساواة والرحمة .

ولا ريب فى هذا الأثر فقد جاء الاسلام حاملا ميراث النبوة والوحى الربانى وقد استوعب أعظم مافى الفكر البشرى مما هو أصلا من ميراث الأديان فصهره فى بوتقة التوحيد :

وليس أمام المسلمين اليوم إلا أن يتسلحوا بروح المرابطة على ثغررهم وان يستقيموا على طريق الله بالجهاد والقدرة على حماية بلادهم واستعادة أرضهم وأن يكون طابع الجهاد واضحاً فى مختلف مجالات الثقافة والاجتماع والحياة جميعاً وأن يكون ذلك منطلقا إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وبناء أسلوب إسلامى التربية والتعليم بما يحقق « تميز » المسلمين تميزا واضحا لامة تحمل خاتم الرسالات إلى العالمين . وعلى المسلمين أن يأخذو التكنولوجيا واسرار العلم فيضعوها من جديد فى إطار فكرهم الاسلامى القائم على العدالة والاخاء والرحمة ولن يصيغوها فى لغتهم العربية فلا يكونوا عالة على اللغات والامم ، اما فيما يتعلق بأسلوب العيش فان للمسلمين أسلوب عيشهم الاصيل : خلقا وعقيدة وإيمانا لله وانهم ليسوا فى حاجة إلى أسلوب مغاير يقوم على مفاهيم وقيم تتعارض أو تختلف مع عقيدتهم .

٢ — عطاء المنهج الربانى

لم يتوقف الاسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشد ايام غزوه من القوى المعاديه : التتار ، الصليبين فى المشرق ، الفرنجة فى المغرب ، وقد بلغ عدد الذين اعتنقوه عن غير العرب حتى اليوم ٩٠٠ مليون مسلم (العرب مائه مليون) وقد انتشر بعد ايام الفتح الاولى بقوته الذاتية ، وبفضل مبادئه التى حمات التوحيد الخاص والحرية والاخاء والرحمة إلى الماوثين والمستعبدين :

وللاسلام اليوم لونه المميز على الخريطة ، هذه المنطقة الوسطى بموقعه الجغرافى الفريد يملك أربع منافذ مائية هلمة ودولية تعد الشريان الرئيسى للتجارة العالمية . قناة السويس ومضيق جبل طارق ومضيق باب المندب ومضيق البسفور.

ويضم العالم الاسلامى اليوم ٤٤ دولة مستقلة وله من الموارد الضخمة والامكانيات سيما البترول والطاقة والكوبات والمنجنيز والفحم والفوسفات فضلا عن ثرواته الزراعية والمعدنية بالاضافة إلى التفوق البشرى والموارد الضخمة وهو فى هذة المنطقة الوسطى يحمل رسالة التوحيد بين مادية الغرب ووثنية الشرق ، وله منهجه الربانى الزاحف الممتد ، الذى تتطلع إليه البشرية اليوم بوصفه ترياقها الوحيد .

العالم الاسلامى قارة بين القارات متصلة ، عالم بكامله بارضه ومحيطاته وناسه ومقوماته بمضائقة ومنافذه ، البحر الابيض المتوسط فى شطآنه الشرقية والجنوبية وجزء كبير من شاطئه الشمالى ، وهناك البحر الاحمر ، والمحيط الهندى ويطل على قسم كبير من المحيط الهادى .

وهناك فى الغرب له نفوذه وزحفه (فى مايو ١٩٧٦) أعلن الدكتور خورشيد أحمد مدير عام المؤسسة الاسلامية فى أوربا فى مؤتمر لندن الاسلامى

أن عدد المسلمين فى أوربا يبلغ حاليا ٢٥ مليونا و ٢٠٧ آلاف نسمة تقريبا ويقدر عدد المسلمين بالدول الاوربية غير الشيوعية بنحو ثلاثة ملايين و ٩٢٠ ألف نسمة أى بنسبة ١ر٨٥ فى المائه من عدد السكان، أما عدد المسلمين بالدول الاوربية الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليونا و٢٧٧ ألف نسمة أى بنسبة ١٨ فى المائةمن مجموع السكان، ولايدخل فى هذا العدد مسلمو الجمهوريات الاسيوية التابعة للاتحاد السوفيتى) وتوجد إعلى نسبة من السكان فى فرنسا حيث يقدر عددهم بنحو مليون و ٩٧٢ر٨٣٠ نسمة أى بنسبة (٣ من عشرة فى المائة) من عدد السكان وفى إلمانيا يوجد مليون ونصف المليون وفى بريطانيا حوالى مليون . وهناك فى امريكا وكندا والبرازيل والارجنتين وكولومبيا وفنزويلا وبلاد المكسيك وغانا البريطانية حوالى المليون .

قد اشار مسئول اجنبى إلى هذا المعنى حين قال : أن المسلمين يمثلون عالما مستقلا كل الاستقلال عن عالمنا الغربى فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى (الاستغراب) أى دون حاجة إلى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصفة خاصة فى الشخصية الحضارية الغربية .

ومن هذا فنحن نعرف تلك الحملة الضخمة التى توجه إلى المسلمين من خلال المؤسسات التعريب والغزو الثقافى بهدف اضعاف ثقتهم فى أنفسهم واحتوائهم ومحاصرة فكرهم وتدمير قوتهم حتى لايصبحوا يوما وهم قادرون على امتلاك ارادتهم مع انهم أن يكونوا إذ ذاك الا عامل اسعاد للبشرية كلها وعامل عطاء ورحمة وعدل واخاء ، ولكن القوى التى تثير حولهم الشبهات هم الصهيونيون التلموديون ، اصحاب بروتوكولات صهيون والعاملون على انشاء امبراطورية الربا ، هؤلاء هم المذعورون الذين يخافون دخول المسلمين مرحلة النهضة مع خلال القرن الخامس عشر بعد أن مروا بمرحلة اليقظة خلال القرن الرابع عشر الذى كان قرن المقاومة والصمود فى مواجهة الغزو العسكرى

والسياسى والاقتصادي والثقافى ، وفى وجه النفوذ الاستعمارى والنفوذ الصهيونى والنفوذ الشيوعى جميعا متكاتفين متساندين ، ومع ذلك فقد عجزت هذه المؤامرات الضخمة التى بداها القرن الرابع عشر باحتلال اهم مواقع العالم الاسلامى مصر وبعدها السودان وسوريا والعراق وتونس ومراكش، وكانت الجزائر والهند والملايو قد سقطت من قبل .

ولكن حركة اليقظة الاسلامية استطاعت أن تواجه هذه المعركة فى قوة وكان للازهر والقرويين وقلاع الاسلام فى كل ارض ، بالاضافة إلى حركات الاصلاح والتجديد بعد حركات المقاومة العسكرية (عرابى وعبد الكريم ومن قبله عبد القادر الجزائرى وشامل) كل هذا إعطى الغرب ايمانا إكيدا بأنه لن يستطيع ان يقتلع الوجود الاسلامى ولن يستطيع احتوائه ولقد امتد نفوذ الاسلام السلمى فى هذا القرن الذى نشهد اليوم خاتمته إلى مركزين خطيرين إلى جنوب شرق آسيا وإلى قلب أفريقيا شرقيها وغربيها بالرغم من كل محاولات التبشير فى ايقافه والقضاء عليه وما تزال المعركة محتدمة فى الفيلبين وارتيريا والصومال وسوف يكون النصر لكلمة الحق وسوف يصمد المسلمون فى معركتهم الكبرى حتى يدخلوا القرن الخامس عشر وهم أشد قوة يمتلكون التكنولوجيا الحديثة والقوة العسكرية التى تحمى ثغورهم وتدفع عنهم عدوهم .

واليوم والمسلمون يستشرفون القرن الخامس عشر الهجرى على طريق القوة والنهضة فان اهم الامور التى تحتاج منهم إلى اهتمام عميق هو أن لا تحول المقدرات المادية بينهم وبين لاستمساك بوجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الاسلامى ، ولان كونوا قادرين على نقل أحدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية لتكون موادا خاصا يصيغونها فى داخل أطار فكرهم وقيمهم ، وبذلك يصنعون الحضارة القادمة : حضارة القرن الخامس عشر الهجرى الذى أهــل الله هــلاله والذى يتطلع إليه المسلمون كعلامة

على عصر جديد تعود الكرة فيه مرة أخرى إلى أيدى العرب والمسلمين .

أن اخطر ما واجه الحضارة الغربية الحديثة وأسلمها فى وقت قريب إلى الازمة الخانقة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من أسباب التقدم المادى هو أنها كسرت الاطار الدينى وحطمت اضابط اخلاقى الذى هو الحاجز الحامى لكل نهضة من التعثر والتصدع ومضت تواجه الحياة بغير سناد من الايمان بالله يحمى ظهرها ، أو نور من هدى الله يضيء طريقها وبذلك صرعتها المادية الغالبة وانحرفت بها الطريق إلى تأكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات فانتهت بها إلى تلك الازمة الحادة التى تضعها الان على طريق الافول ، هذه التى يبحثون لها عن علاج ، وهى أزمة الانسان الحديث وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه ، كل هذا الذى قاساه ويقاسيه من . أهوال غربة المعنويات وتجاهل أشواق الروح وتصدع النفس وتمزق الكيان الانسانى وفقدان الهوية والهدف والعجز عن فهم رسالة الانسان وأمانته واستخلافه فى الارض والغاية والمصير فليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق إلى امتلاك أدوات الحضارة الحديثة وتكنولوجيا العصر ، أن تستوعبهم هذه الحضارة أو تحتويهم ، هذا الفهم المدمر القاصر ، وعليهم أن يبداو من نقطة التوحيد فى الفكرة والرحمة فى الانسانية والاخاء فى البشرية ومن اللغة العربية كمدخل إلى العلم كله فينقلوا إليها كل معطيات العلم ، ومن الايمان بوحدة البشرية والاخاء الانسانى والعدل والرحمة باعتبارها هى معطيات الاسلام للانسانية ، ليجعلوا من هذا كله اطارا يتحركون فيه ومنطلقا يبدأون منه ويعودون إليه ، فيخضعون العلم لرب العلم ويخضعون الحضارة للاخلاق ويخضعون المجتمعات للتقوى ويجعلون مقدرات البشرية للناس جميعا وليس لفئة مستعلية أو مسيطرة أو مستغلة ، وبذلك يحققوا أرادة الله فى بناء المجتمع الانسانى الحق الذى تتطلع إليه الدنيا جميعا بعد أن عاشت فى الظلم والظلمات طويلا وبعد أن فقدت ثقتها فى الايدلوجيات جميعا شرقيها وغربيها وليطالع المسلمون الناس على أنهم يملكون منهاجا ربانيا قادراً على اسعاد البشرية كلها ودفعها إلى طريق الحق والعدل وتحريرها من الجوع والخوف وتأمين النفس الانسانية أساسا من القلق والتصدع والانهيار .

« صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا إلى الله تصير الامور » .

— ٤ —

أمانة الانسان فى الارض

أن مهمة الدعاة إلى الله تبارك وتعالى فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الامة الاسلامية أن يحرروا الشخصية الاسلامية من التبعية بكل صورها والوانها ، والتوصل إلى تأسيس مدارس وتأصيل اتجاهات اسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرعها فى « أطار اسلامى » وعلينا تأصيل الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

لقد أصبح المسلمون اليوم يملكون الطاقة والثروة والتفوق البشرى وهم على أبواب إستيعاب تكنولوجيا العلم بحيث يستطيعون استغلال مساحات واسعة من الاراضى وقدرات هائلة لم تستغل بعد، لقد جاء دور عالم الاسلام بعد أن نضبت آبار الغرب ثرواته ومصانعه التى عملت بخامات المسلمين أربعة قرون أو يزيد وسوف تكون حضارة الاسلام متميزة بطابع العدل والرحمة والاخاء الانسانى ، أن المسلمين اليوم ينتقلون من عصر اليقظة إلى عصر النهضة مرورا بمرحلة الرشد والاصالة والحفاظ على الشخصية والتماس المنابع .

أن المسلمون يقفون اليوم موقف الحيطة والحذر فهم لا يتقبلون حضارة الغرب المتهالكة فى شقيها المتصارعين ، ولكنهم يقبلون من الغرب العلوم التجريبية وحدها ، أما أسلوب العيش فهم يرفضونه لانه يتعارض مع قيمهم وعقيدتهم ومفاهيمهم القرآنية الاسلامية .

أن الغرب الآن يتطلع إلى عالم الاسلام ليرى فيه صورة الاسلام مطبقة ، بعد أن تحررت الامة الاسلامية من التبعية للنفوذ الاجنبى والصهيونية والشيوعية ، أن الصورة الآن فى الغرب تكشف عن أنه يتقدم تقدما شديدا وحاسما نحو الاسلام .

يقول الدكتور محمد يحى الهاشمى : يكاد يكون اليوم فى كل قطر أوربى من رعايا المسلمين : للاسلام قوة روحية لا تنكر لقد أخذ يتجه نحو الغرب

إلى أوربا وامريكا وأصبحت شعوب أوربا وأمريكا تقبل على دين جديد بالنسبة لهم، جدير باعطاء نفوسهم الراحة والسلام، لانه دين لايتعارض مع الفطرة والعلم والمعرفة وجدير بالتقدم البشرى والاقبال شديد فى أمريكا على إعتناق الاسلام من قبل الزنوج والامريكيين وتوجد جاليات اسلامية فى انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والدنمرك والسويد وفنلندا ولينوانيا واسبانيا واليونان وسويسرا ورومانيا وبلغاريا وبولونيا والبانيا ويوغسلافيا وايطاليا والنمسا والمجر، لهم مراكز ومساجد يدرس فيها القرآن والحديث، وتوجـــد كثيرا من الجمعيات الإســلامية فى نيويورك وواشنطـــون وسان فرانسيسكوا وكاليفورنيا وفى أمريكا الجنوبية جالية اسلامية كبرى فى بيونس أيرس عاصمة الارجنتين وصحيفة إسلامية.

أن معجزة الاسلام الكبرى فى العصر الحاضر تتمثل فى نموه بخطا وئيدة إلى الامام . . فإذا اضفنا إلى ذلك أن جورج برناردشو الكاتب الايرلندى الشهير صرح منذ سنوات أن الاسلام القابل للتجدد سيكون دين أوربا أن قريبا وأن بعيدا.

كل هذا يعطى الداعية المسلم ابعاد المسئولية الملقاة على عاتقة اليوم لحمل أمانة الاسلام إلى تلك الاصقاع، متجردا لله تبارك وتعالى غير حريص على مغنم دنيوى.

وفى عالم الاسلام اليوم قد تبين بجلاء ووضوح أن التماس المنابع والعودة إلى الاصالة هى الحد الحافظ من الوقوع فى براثن ازمة الإنسان المعاصر بعد أن تبين أن منهج الله تبارك وتعالى الذى هدى إليه الامة الاسلامية يحمل عدة عوامل مميزة عن المنهج البشرى: تكاملة ونظرته الجامعة فى مواجهة الانشطارية الغربية، رحمته وسماحته فى مواجهة الدعوة الغربية إلى قتل الضعفاء والتخلص من المرضى والفقراء، التماس وجه الله تبارك وتعالى فى مواجهة الاستعلاء العنصرى واللونى والجنسى ومحاولة جعل القوة المادية لقوم دون قوم.

لقد تبين للمسلمين أن لكل حضارة خصائصها المميزة المستمدة من مواريثها

وثقافتها وعقيدتها وأن الميراث الاسلامى منصف بالتوجيه والرحمة والعدل ، ولقد جرب المسلمون أساليب الايدلوجيات ومناهجها وتكشف لهم أنها لم تستطع أن تقدم لهم مطامحهم النفسية والروحية ، ولذلك فانهم حين يعودون إلى المناهل الاصيلة فانما يتلمسون الطريق الصحيح .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وكذلك فقد تبين للنفوذ الاجنبي ان كل محاولات التى قام بها من عمليات التبشير والتغريب والغزو الثقافى كوسيلة لاذلال المسلمين إلى جانب السيطرة الاقتصادية والمالية لم تحقق نتيجة تذكر ، وأن الاسلوب الاصلح هو اعطاء هذه الامة حقها الكامل فى تطبيق أسلوب العيش الذى تشكلت عليه وألفته منذ أربعة عشر قرنا وأن المسلمين بعد ذلك هم أهل رحمة واخاء وعطاء مادامت القوى الكبرى لاتطمع فى غمط حقهم ، لقد كانوا عونا للتقدم العالمى فى كل المراحل .

يقول المؤرخ الانجليزى هونشو : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند اقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة . وقال جيمس برستد أن العصر الاسلامى فى أسبانيا كان أكبر عامل من عوامل المدنية فى أوربا وأن انخذال المسلمين فى اسبانيا كان بمثابة انخذال المدنية أمام الهمجية ولكن بدأ الغرب فى صورة غير المعترف بالجميل وغير المنصف للحقيقة العلمية أو التاريخية وكان فى مفهوم ثقافته لا يرغب الا فى السيطرة ولا يرى العدل والحرية إلا للجنس الابيض » .

والعالم كله يعرف الآن أن المنهج التجريبي كان من عمل المسلمين وأنه هو أساس الحضارة الحديثة — فى مجال العلوم التجريبية والتكنولوجيا — فمن حق المسلمين أن يحصلوا على هذه العلوم ليديروها فى دائرة فكرهم الاسلامى لا أن يخضعوا لمفاهيم الغرب التى إحتوت هذه الحضارة من بعد وخاصة فى تجربتها الاجتماعية التى هدمت الاسرة واحدثت اضطرابا شديدا فى علاقات

المراة والرجل وفى كل ما يتصل بالفنون والمسرح والربا والقمـــار وغرف الليل .

أن التجربة الغربية لاسلوب العيش الذى طبقتها بعض الدول الاسلامية جريا وراء أسلوب الغرب قد جمدت قدرتها على التقدم الحقيقى ، ولم تكسب منها شيئا ذا بال ، ولقد عادت تركيا الاسلامية مرة أخرى إلى أصالتها بعد أن غرقت فى التجربة الغربية ، وكذلك أخذت ايران وباكستان فى التماس المنهج الإسلامى الأصيل ، أما العرب فقد كانوا أقـــدر على التحرر من نفـــوذ الايدلوجيات الغربية بعد أن مروا بتجربة النظام الليبرالى والنظام الماركسى ولم تجد من أحدهما قدرة على العطاء ، ولقد تعالت صيحات الاصالة فى العودة إلى تطبيق تطبق الشريعه الاالامية والحفاظ على اللغه العربيه وتحرير الاقتصاد من النفوذ الربوق المدمر .

ولاريب أن ظاهرة « العودة إلى الله » التى تمضى اليوم فى طريقها الأصيل تكشف عن جوهر هذه الأمه القادرة فى أوقات الازمات والمحن أن تلتمس أصالتها من مصادرها الأصيله ومنابعها الثريه ، متحررة من كل نفوذ اجنبى وقادرة على الاخذ والعطاء مع الحضارات والامم دون أن تفقد ذاتيتها الخاصة ولا طابعها الاصيل .

وقد ترددت صيحات كريمه تدعو العرب والمسلمين اليوم إلى أن لاتحولهم المقدرات الماديه عن وجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الاسلامى وأن يكونوا قادرون على نقل أحدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة الماديه لتكون موادا خاما يصنعونها داخل أطار فكرهم وقيمهم وبذلك يصنعون الحضارة القادمه :

حضارة القرن الخامس عشر الذى يتطلع إليه المسلمون كعلامه على عصر جديد تعود الكرة منه مرة أخرى إلى أيدى العرب والمسلمين ، ولكن على يقظه من مقتل الحضارة الغربيه الذى أسلمها إلى الازمه الخانقه والصراع بين القوى مع ما أمتلكته من أسباب التقـــدم المادى وهو انها كسرت الاطار الدينى

والاخـــلاق الذى هـــو الحاجز الحامى لكل نهضه من التعثر والتصـــدع وقد مضت تواجة الحيـــاة بغير ســـناد حقيق يحمى ظهرها أو نور صادق يضيء طريقها وبذلك صرعتها المـاديه الغاليـــه وانحرفت بهـــا الطريق إلى تأكيـــد أهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات وهـــذه أزمه الانسان الحـــدث وصراعه وتمزقه وغربته وضيـــاعه ، نتيجه تجاهله أشواق الروح ونداء الوجدان وصيحه الضمير ، وتمزق الكيان الانسانى وتجاهل مسئوليه الانسان والتزامه الاخلاق وإمانته التى حمانه أياها أديا السماء ، فليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق إلى أمتلاك أدوات الحضارة الحديثه أن تستوعبهم الحضارة أو تحتويهم وعليهم أن يصنعوا حضارتهم فى أطار التوحيد والرحمة والاخلاق.

الفصل الثانى

الدعوة الاسلامية: افاقها وتبعاتها

تعمل الدعوة الإسلامية فى ميادين ثلاثه :

أولا: دعوة الخلق إلى الحق وذلك بتقديم جوهر التوحيد ومسئوليه الإنسان والتزامه الاخلاق وجزاءه الأخروى إلى كل إنسان .

ثانياً : تصحيح المفاهيم ودحض الزيوف والسموم المطروحة فى أفق الفكر الإسلامى لتقديم مفهوم غير كامل وغير جامع إلى المسلمين أنفسهم وذلك بالكشف عن حقيقه الإسلام بوصفه دنيا ونظام مجتمع.

ثالثا : العمل على تحرير الاقليات الاسلاميه وحماية الجماعات الاسلاميه المتناثرة فى مختلف الأقطار والقارات .

وبالرغم من نقص المقدرات اللازمه لنشر الدعوة الاسلاميه وتقصير المسلمين فى البذل من أجل إعلاء كلمه الله فى سائر الآفاق فإن الاسلام قد شق طريقه بقوته الذاتيه خلال القرن الرابع عشر حتى وصل إلى مختلف الأجزاء البعيدة فى القارات الخمس وشكل جماعات فى بلاد عديدة من استراليا وآسيا وأفريقيا والأمريكتين ولقد حققت الدعوة الاسلاميه ذلك بالجهد الخاص وبقوة الاسلام الذاتيه فأثبت ذلك حاجه الانسانيه وتطلعها إلى ذلك الضوء الكاشف بعد أن فشلت الأيدلوجيات فى أن تحقق للبشريه شيئاً ذا بال .

ولما كانت العبرة ليست بانتشار الاسلام كما وعددا وإنما كيفاً وإيماناً برسالته الحقه فإن أهل القرن الخامس عشر مطالبون بالعمل المتصل لنقل هذه

الجماعات التى أسلمت وتركت نحلها أو وثنيتها إلى مفهوم الأصالة حتى يفهم الاسلام حق الفهم ويطبق تطبيقاً صحيحاً لبناء الفرد والجماعة وأن يبذل المسلمون من مالهم ويقدموا من دعاتهم الخلص الذين لا يطمعون فى متاع الحياة الدنيا لتعليم هذه الجماعات وتثقيفها وتفقيهها فى دينها لتؤمن بأن الاسلام : دين ونظام مجتمع ويجب التركيز على البلاد التى دخلها الإسلام وما تزال عقيدته متلبسة بالوثنيات القديمة أو بالانحراف التى تقول بها القاديانية وغيرها ، ولذلك فأنه على أهل القرن الخامس عشر ودعاته العمل بجد وقوة على تنقية العقيدة الإسلامية فى هذه الأطراف (جنوب شرق آسيا و شرق أفريقيا وغربها) من هذه الدخائل وتحريرها وتنقيتها بحيث تصبح العقيدة المنزله هى معتقد هذه الأقوام ولا ريب أن المسلمين جميعاً مكلفون بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة . والقرآن الكريم هو إمام هذه الدعوة ومنهجها ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته هى الأسلوب والقدوة وقد ميز الله تبارك وتعالى (أمة الاسلام) عن سائر الأسلوب والقدوة وقد ميز الله تبارك وتعالى (أمة الاسلام) عن سائر الأمم لأنها أمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فليحمل المسلمون القرآن نبراساً إلى الأمم الوثنية الضاله ، وإلى الأمم المتحضرة الضالة التى لم تحقق لها الأيديولوجيات المختلفة أمناً ولا سلاماً . وعليهم قبل أن يقدموا الإسلام إلى الأمم أن يطبقوه على أنفسهم ويحققوا قيام المجتمع الإسلامى ولا ريب يحمل المسئولية عن الدعوة الإسلامية كل مسلم ، شريطة أن يتفقه فى أمر دينه وأن يعرف متغيرات الأمم والحضارات والتيارات المختلفة التى تعاصرها ، ولاريب أننا اليوم على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى نجد الجو مهيئاً لدعوة الناس إلى الإسلام ، بعد أن فشلت المناهج الغربية والماركسية فى بلادها قبل أن تفشل فى محاولة تطبيقها فى بلاد الإسلام ، ونجد الآن طائفة كبيرة من مثقفى الغرب يتطلعون إلى أفق جديد من آفاق الضوء الكاشف وقد خدعهم التلموديون عن الدين الحق بعد أن عجزت المسيحية الغربية وعجزت البوذية والبهائية وغيرها أن تقدم لهم ضوءاً يسد النقص أو يحقق لها الآمن أو يكشف لها عن جوهرها

ورسالتها ومنهجها فى الحياة وقد تنبىء كثيرون بأن الغرب سوف لا يجد أمامه بعد هذه المرحلة من الدمار والأزمة والتمزق بديلا من أن يجرب الإسلام — والمسلمون لا ريب هم أمة الدعوة وحمل الأمانة فى إذاعة كلمة الله إلى العالمين ويجب عليهم أن يقدموا النماذج الصادقة فى هذا المجال: أولئك الأبرار الذين يتحرون العمل الخالص، ليس لهم مطمع من مغنم مادى أو دنيوى. إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى ولا ريب أن حركة الدعوة الإسلامية قد قطعت طريقا طويلا ومهدت السبيل لعمل كثير فعلينا ملاحظة إتجاهاتها وتقويم نتائجها وآثارها والعمل المشترك على تعزيزها وتعميق مسارها وتحقيق أهدافها ومواجهة الدعاوى والاتجاهات المضادة للإسلام ومقاومتها وكشف زيفها، ولقد كانت المعاهد الإسلامية قلعة حصينة فى وجه هذه التيارات خلال القرن الرابع عشر، ولذلك فقد حاول النفوذ الأجنبى الحد من نشاطها وتغيير وجهتها ولكنها صمدت وثابرت وقاومت فرض السيطرة عليها والتحكم بمصيرها ومسيرتها. فى هذا المجال يتحتم العمل على جعل المسجد مركز الإشعاع الدينى والعلمى والثقافى والاجتماعى فى البيئة فيقوم بالإضافة إلى دوره الأساسى فى العبادة بدوره فى المجتمع حيث يتم فيه، ومن خلال المسئولية الملقاة الملقاة عليه تعليم الناس ومحو أمية الكبار وتحفيظ القرآن الكريم وأداء الخدمات الاجتماعية والإرشاد الصحى وقراءة الكتب التى تحتاج إلى تفسير.

وعلى الداعية المسلم أن يعبر عن روح الإسلام السمح فى معاملته لأعدائه وخصومه من خلال نظرة متسامحة تخاطب فى معاملته لأعدائه وخصومه من خلال نظرة متسامحة تخاطب بمودة المخالفين والمؤمنين معاً كأنهم أسرة واحدة، وعلى أجهزة الإعلام أن تحمل لواء الحوار الهادىء والبرهان المبين بالكلمة الطيبة، فإنها أفعل فى رد المنحرفين، كما أنها أداة تقبل الراغبين فى الدخول فى الإسلام وعلى الداعية المسلم أن يستوعب كل ما يقوله خصوم الإسلام نكل جولات الغزو الفكرى ليرد عليها ويواجه تحدياتها ويفندها بالعلم والمنطق وأسلوب العصر. ولا بد أن يواكب صوت الدعوة الإسلاميه هذا التغيير الذى يمر بالعالم الاسلامى، الذى يدخل فى مرحلة جديدة من التفوق البشرى والعطاء المادى وأرصدة الطاقة والمال

ليصبح أغنى مناطق العالم ، ومن شأن هذا أن يحدث تغيرات هائلة فى موازين القوى ولا بد أن يكشف صوت الإسلام فى هذا الجو معجزة التشريع القرآنى وصلاحيته لكل مصر وقدرة الإسلام كدين ونظام مجتمع على التفاعـل والعطاء والتأثير .

وقد قدمت الدعوة الإسلاميه حصيلة ضخمة من التجربة والجهد والعمل خلال القرن الرابع عشر الهجرى ستكون بمثابة ضوء كاشف للدعوة الإسلامية فى القرن الخامس عشر حيث دخلت ساحه الإسلام مجموعات مختلفة من أنحاء العالم وحيث بدا تيار جديد فى الغرب يحمل لوائه كتاب ومفكرون يرون أن الاسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من وهدتها الحالية ، وهو ما يسمى غزوة جديدة للدعوة الاسلامية عن طريق الاقناع والسلم وهناك ظواهر جديدة فى أفق العالم الاسلامى نفسه كظاهرة عودة تركيا الى إطار العالم الاسلامى وبروز الذاتية الاسلامية قوية متحدية بعد أن مضى أكثر من خمسين عاماً على محاولات تغريبها ، كما تكشفت حقائق كثيرة إزاء زيف الدعاوى الموجهة إلى السلطان عبد الحميد كما تكشفت حقيقة بروتوكولات صهيون وظهور كتاب أحجار الشطرنج وغيره بما كشف من حقائق الماسونيه والروتارى وغيره من المحاولات التى قامت بها الصهيونية العالمية لخداع المسلمين ولاحتوائهم ، وفى باكستان استعان تطبيق الشريعة الاسلامية ، كما أخذت إيران طريقاً إسلامياً رائعاً ، وأصبحت كلمة التضامن الاسلامى طريقاً إلى الوحدة الاسلامية أمراً قائماً حقيقياً منذ بدأت اجتماعات رؤساء الدول الاسلاميه منذ عام ١٩٦٩ على أثر اشتعال النار فى المسجد الأقصى وقد بلغ تعداد الدول الاسلاميه المتضامنة ٤١ دولة إسلامية من آسيا وافريقيا وتعالت صيحة الوحدة الاسلامية الكبرى على لسان رئيس باكستان حيث يقول (إننا نسعى دائماً للوحدة الاسلامية الكبرى لأننا نخشى على بعض الدول الاسلامية من مطامع وأهداف القوى الغازيه) ، إن جمهورية باكستان التى أسست على الاسلام ستبقى بإذن الله حاضراً

ومستقبلا باسم الإسلام وقد أصبحت هناك اليوم منجزات حقيقية تؤكد على أن الإسلام هو الهدف الأسمى والأصيل لكل ما تقوم به من أعمال وما نسعى إلى تحقيقه من أهداف ، وأن يترك الإسلام أثره فى كافة نواحى العمل الإنسانى وأن نثبت أن الإسلام ليس دين الأمراء وحدهم وإنما هو لكل الطبقات والفئات وما على الإنسان المسلم إلا أن يناضل من أجل حياة أفضل وأسمى .

لقد دخل فى الإسلام خلال القرن الرابع عشر عشرات من الأسماء اللامعة من الغربيين وكتب عنه كثير من المنصفين . وأعلن الذين لم يدخلوا فيه بصدق عن مدى حاجة البشرية إليه ، أمثال برناردشو ، وجوستاف لوبون ، ودرابر ، وسجريد هونكه وعشرات . أما الذين دخلوا فى الإسلام أمثال ناصر الدين دينيه وعبد الكريم جرمانوس ومحمد أسد (ليوبولد فايس) فقد كشفوا فى مؤلفاتهم ، أشعة خاصة بنور الاسلام والله أكبر ، والطريق إلى الإسلام : حاجة البشرية إليه ، يقول ناصر الدين دينية : عندما رفع الله إليه مؤسس الإسلام العبقرى ، كان هذا الدين القويم قد تم تنظيمه نهائياً وبكل دقة حتى فى أقل تفاصيله شأناً . وكانت جنود الله قد أخضعت بلاد العرب كلها وبدأت فى مهاجمة امبراطورية القياصرة الضخمة بالشام ، ولقد أثار القلق الطبيعى المؤقت عقب موت القائد العظيم بعض الفتن العارضة ، إلا أن الإسلام كان قد بلغ من تماسك بنائه . ومن حرارة إيمان أهله ما جعله يبهر العالم بوثبته الهائلة التى لا نظن أن لها فى سجلات التاريخ مثيلا ، فنى أقل من مائة عام وبالرغم من قلة عددهم استطاع العرب الأمجاد وقد اندفعوا لأول مرة فى تاريخهم خارج حدود جزيرتهم أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضرة .

هذه روح الاسلام فى كتابات من دخلوا فيه ، كذلك فقد كشفت كتابات كثيرة عن مهمة الاسلام أمام إفلاس الحضارة الغربية منها الدكتورة سجريد هونكه فى كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) وما كتبته الكاتبة الفرنسية (سانت بوابت) حيث تقول : إن الغرب فى حاجة إلى الشرق ليكون له إيماناً جديداً . حاجة الشرق والغرب إلى حالة وسطى ، هى الاسلام الذى وسد الدهر

إليه هذه المهمة العظمى بين الشرق والغرب فقد أجمل أهله بين العلوم الكونية والفضائل الروحية ، إن مهمة الوساطة بين الشرق والغرب قد ألقيت من جديد على عاتق الاسلام فعلى زعماء الاسلام أن يفهموا المهمة الساميه النبيلة التى يجب عليهم القيام بها ، وعلى أوربا أن تولى وجهها ناحية الشرق ، لتخفف عن كواهل أبنائها عبودية المادة » . وقال أحد المفكرين الانجليز فى هذا الشأن :

لن تعاليم الاسلام نموذج حى لاصلاح المجتمعات والقضاء على الظلم والجريمة ولو تمسك المسلمون بعقيدتهم وطبقوا تعاليم دينهم وتمثلوا بها فى أنفسهم خلقاً ومنهجاً لسعدوا ولأسعدوا البشرية التى تشكو من ويلات متعددة ففى تعاليم الاسلام العلاج الكامل لها ولسوف يدخل معهم الجميع فى هذا الدين والذى تتسم تعاليمه بالسمو الخلق والمثالية الاجتماعية والروحانية المطلقة : تلك الخصال التى تتوق إليها النفوس وتتطلع إليها البشرية وينتظر وجودها سكان الأرض .

ولا ريب أن الغرب الآن قد اقترب من الاسلام كثيراً بعد أن تشكلت تلك الجماعات الاسلامية الضخمة فى كل مكان فيه وخاصه فى انجلترا وفرنسا وألمانيا (أوربا) وكان السيد خورشيد أحمد مدير عام المؤسسة الاسلامية فى أوربا فى تقرير أعده المجلس ونشره مؤتمر لندن الاسلامى أن عدد المسلمين فى أوربا يبلغ حالياً ٢٥ مليون و ٢٠٧ ألف نسمة تقريباً . ويقدر عدد المسلمين بالدول الأوربية غير الشيوعية بنحو ثلاثة ملايين و ٩٢٠ ألف نسمة أى بنسبة ١ر٧٥ ٪ من عدد السكان أما عدد المسلمين بالدول الأوربية الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليونا و ٧٧ ألف نسمة أى بنسبة ١٨ ٪ من مجموع السكان ولا يدخل فى هذا العـــدد مسلمو الجمهوريات الآسيوية التابعة للاتحاد السوفيتى .

وتوجد أعلى نسبة من السكان المسلمين فى غرب فرنسا حيث يقدر عددهم

بنحو ١٫٩٧٢٫٨٣٠ أى بنسبة ٣٫٠ ٪ من عدد السكان رتأتى بعدها ألمانيا الغربية حيث يوجد مليون ونصف مليون أى بنسبة ٢٫٤ ٪ من عدد السكان ويوجد فى بريطانيا نحو مليون نسمة أى بنسبة ١٫٧ بالمائة من مجموع السكان والمسلمون فى الولايات المتحدة أصبح عددهم يتجاوز ثلاثة ملايين ونصف المليون قد أخذت نسطع شمس الاسلام على هذه القارة وحيث أصبحت الظاهرة المميزة للمجتمع الأمريكى بأنه لا يمر يوم إلا يزداد المسلمون فيه عدداً ولا يطلع فجر جديد إلا وتزداد شمس الاسلام سطوعاً . ويعمل هناك إتحاد منظمة الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا . وقد دل الاحصاء على أن المسلمين ١٩٧١ حوالى مليون مسلم ، نصف هؤلاء من أصل عربى ويتزايد المسلمون فى أمريكا بسرعة كبيرة لأسباب ثلاثة : الزيارة الطبيعية والهجرة من البلاد الاسلامية ، واعتناق الاسلام من الأمريكيين بمعدل حوالى ٢٠ ألف فى السنة .

ويمكن القول أنه نبتت رغبة لدى المثقفين الغربيين فى أمريكا للتعرف على الاسلام وتصححت رحلة المسلمين السود وتحرروا من المفاهيم الخاطئة والاسلام هناك فى طريقه إلى مفهوم التوحيد الخالص ما يزال المسلمون فى هذه المناطق كلها فى حاجة إلى معلم اللغة العربية للاطفال والتفقه فى الشريعة والعقيدة لكبار الذين يدخلون فى الاسلام وبناء المساجد ولابد أن تعمل المؤسسات الاسلامية فى هذه المناطق على إعداد المجتمعات الاسلامية بأن يؤهل الأفراد لدراسة الاسلام وتفهم معانيه وحفظ قرآنه وأحاديث الرسول وأداء الصلوات والتحلى بمكارم الأخلاق ، وأن تعرف كل عائلة الاسلام لمن حولها من غير المسلمين ، والتوسع فى بناء المؤسسات الجديدة وأداء ما يستحق عليهم من الزكاة إلى الفقراء أو إلى هذه المؤسسات لمنفعة جميع المسلمين .

وتؤكد التقارير بأن الاسلام هو أكثر الأديان إشراقاً فى الاتحاد السوفيتى وأن العقيدة الاسلامية هناك أكثر رسوخاً من أية أديان أخرى برغم الحرب التى يشنها الاتحاد السوفيتى على الأديان ، وأن النمو السكانى فى جمهوريات

وسط آسيا السوفيتية مثل أوزبكستان وتاجيكستان وقريميزنا وتركانيا وكاراخستان يفوق كثيراً النمو السكانى فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأوربى وأن هذا الأمر سيجعل الاسلام يسود الاتحاد السوفيتى فى أواسط القرن الخامس عشر الهجرى ويبلغ عدد المسلمين فى جمهوريات وسط آسيا السوفيتيه حوالى ٣٠ مليون . وأن المسلمين متمسكون بدينهم وتراثهم الاسلامى وأن هذه الظاهرة تتجلى واضحة فى المساجد التى تظل دائماً عامرة بالمؤمنين وفى تمسك الشباب بالصلاة والصوم .

وقد تبين أن الاسلام فى نجاح مضطرد فى استراليا وقد زاد عددهم من بضعة أشخاص كانوا فى عام ١٨٦٠ قابعين فى تلك المنطقة إلى أن صاروا هذه الأيام مائة ألف نسمة بازدياد تعداد المسلمين إزداد عدد المساجد التى انتشرت أنحاء البلاد وتولت بناءها جاليات إسلامية من جنسيات مختلفة وبيئات متباينة تحمل هذا الدين إلى هذه الأراضى فى إيمان المسلم المهاجر للبحث عن قوت حياته .

وفى اليابان حركة إسلاميه تتسع فى مختلف أقطار اليابان وذلك بعد أن اعتنق ثلاثة آلاف فى طوكيو الاسلامية ودخل ألف آخرون فى مناطق أخرى ، ولا نستطيع أن ننسى ونحن فى الحديث عن إيجابيات الدعوة الاسلامية من أن نشير إلى الأخطار التى تكتنف الدعوة فى أماكن كثيرة ، وخاصة ما يقوده مجلس الكنائس العالمية من حملة تنصيرية فى أندونيسيا ، حيث يجرى استغلال فقر بعض المناطق لاغرائها بإنفاق مئات الملايين من الدولارات باسم التعليم والعلاج وقد تمكنوا فى السنوات العشرة الأخيرة من تضليل عشرة ملايين مسلم من أحرار الحاجيات ولقد ظهرت مخططات يعمل أصحابها على القضاء على الاسلام خلال خمسين عاماً ، بعد أن أنزلوا بهذه المناطق أكثر من ثلاثين ألف مبشر وهناك أيضاً محاولة إبادة المسلمين في بورما ، وما يتعرض له المسلمون فى كمبوديا فى ظل الحكم الشيوعى من مذابح عظيمة .

وهناك مأساة مسلمى الهند : وما يلاقونه من مذابح ونهب واعتقالات للأقلية المسلمة فى الهند وهى من أضخم الأقليات فى الهند حيث يتراوح عددهم ما بين سبعين إلى مائة مليون ويبلغون نحو عشر من سكان عموم الهند وقد كتبت بدماء المسلمين فى الهند وكشمير فصول دامية على مدى نحو ثلاثين سنة من استقلال الهند والانفصال بين الهند وباكستان ، فقد اضطهد الهندوس المسلمون فى المناطق التى يشكلون فيها أقليات فضلا عن مؤامرات تعقيمهم والقضاء على أنسالهم كما حدث فى أبان حكم أنديرا غاندى الاول وهناك قضايا الأقليات الإسلامية فى بورما وفطانى وجنوب الفلبين (خمسة ملايين) وروول جامو وكشمير وهناك الأقليات الإسلامية المضطهدة فى الفلبين وبورما وتايلند واليونان .

وهناك أخطار القاديانية والبهائيه على الدعوة الإسلامية فى أفريقيا وأمريكا وهناك أخطار الماسونية ولها صلة بالصهيونية التى تحركها وتنشر تحت شعارات خداعة ، هناك مخططات التبشير والتنصير ، والزحف الشيوعى الأحمر فى العالم الإسلامى .

ثانياً : تصحيح المفاهيم

على الدعاة إلى الله أن يعملوا فى الميادين الثلاث مااستطاعوا وأخطر هذه الميادين ميدان الدعوة فى بلاد الإسلام فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى والعمل على كشف هذه التيارات الفكرية الهدامة وسمومها أولا بأول ومتابعة التحديات المتجددة ، بهدف تحرير العالم الإسلامى من متاعب الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية والأخطار التى تحدثها هذه الأخطار المبثوثة عن طريق التعليم والثقافة والمسرح والكتاب والمرناه والتى هى من آثار الغزو الاستعمارى السياسى والعسكرى ثم الغزو الاقتصادى والثقافى ، ولابد من التصدى لهذا الواقع مهما كان مرا ، والأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى مستقبل مشرق بنور التوحيد والشريعة الإسلامية ويتطلب هذا أن يكشف الدعاة إلى الله جوهر التراث الإسلامى الأصيل والكنوز المذخوره مما عز نظيره ومما أخذته أوربا وطعمت به قوانينها ومناهجها ، لابد

من إحياء هذا الميراث القرآن الأصيل — لا التراث الزائف : تراث الباطنية ووحدة الوجود والاشراق والحلول — وتقديم النماذج الأصلية من البطولات وفى مقدمتها بطولات الأنبياء الذين مهدوا الأرض للتوحيد والرسالة الخاتمة ويجب أن تكون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم معروضة فى أحسن سمت على أنها أعلى صورة للمثل الأعلى الإسلامى وأن مدرسته وصحابته هم النماذج البشرية العليا بعد النبوة ولا بد أن تكشف عن عظمة الشريعة الإسلامية وذلك بإقامة المقارنات الواسعة بينها وبين القوانين الوضيعة وأن يصدر ذلك عن إيمان أكيد بأن المستقبل للإسلام ، فهو المنهج الأوحد الملائم للفطرة البشرية ، وهو الرحمة المهداة ولابد من حماية الأجيال الناشئة عن التمزق والغربة التى تفرضها عليهم المناهج والنظريات الوافدة أو متابعة بعض المضلين الذين يجرون وراء الركام الفلسفى القديم فهم لن يجدوا أنفسهم إلا فى إطار القرآن والسنة ومفاهيم الأصالة والفطرة .

ويجب التنبه إلى أساليب التبشير والغزو الثقافى والوقوف فى وجهها وذلك بالتماس أسلوب التربية الإسلامى الأصيل وتفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً أسلامياً والتحرر من مناهج فرويد وماركس ودوركايم وسارتر وغيرها فإنها لن تستطيع أن تقدم للنفس المسلمة والنفس العربية إلا الضلال ولابد أن تكون لنا مدارس على مستوى عال حتى نقطع حجة بعض الآباء فى إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية من أجل أنها تعلم لغة أجنبية ، ولننبه إلى أن العمل التبشيرى بعد أن كان يقوم على الدعوة المجردة أصبح الآن يعمل على إتاحة بعض الفرص المادية لفرائسه فهذه يجب أن تكون موضع تقدير الغيورين ، ولابد من أن تكون المؤسسات الإسلامية فى درجة توازى المؤسسات الأخرى من ناحية المظهر والأدوات .

(تحديات اللغة العربية)

واللغة التى قطعت خلال القرن الرابع عشر مرحلة واسعة فى سبيل التحرر من أساليب الهدم ، بتغليب العاميات عليها والدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية ، يجب أن تدخل مرحلة جديدة من العمل الإيجابى فى القرن الخامس عشر حتى تصبح لغة العلم والتكنولوجيا ، وقد تيسر لها عن طريق المجامع اللغوية فى مصر والشام والعراق والأردن وغيرها فى السنوات الأخيرة رصيد ضخم من المصطلحات الحديثة ولكن المهمة الكبرى ماتزال مسئولية أهل القرن الخامس عشر ،فيجب أن يتقدم كثيراً فى مجال البحث عن بدائل الألفاظ وإدخال الفلسفة الحديثة فى إطار اللغة العربية أساساً ، حتى لا نكون مستعبدين لفكر اللغات الأخرى . وماتزال تجربة تعليم العلوم باللغة العربية واضحة ، ويجب أن تعمم ، ولابد من استنفاذ اللغة العربية فى بلاد أفريقيا وآسيا حيث تحاول القوى الاستعمارية أن تنقلها إلى الحروف اللاتينية كما حدث فى أندونيسيا وتركيا ويتطلب إدخال التكنولوجيا الحديثة إلى عالم الإسلام وأن يتم ذلك فى إطار اللغة العربية حتى تكون فى إطار المفهوم الإسلامى للعلم .

ولذلك لابد من دعوة الدول الإسلامية إلى العناية بلغة القرآن والإعتزاز بالفصحى والاتجاه إلى الأسلوب القرآنى وأسلوب الحديث واستلهام التراث الإسلامى والحفاظ على الخط العربى والحرف العربى ، والعمل على إعادة الدول التى استبدلت الحرف العربى بالحرف اللاتينى ، وأن تكون لغة القرآن لغة رسمية فى المؤتمرات الدولية وتعريب التعليم فى الطب والهندسة والعلوم وإنشاء مراكز لتعليم لغة القرآن فى البلاد الإسلامية غير العربية ، ووضع معاجم ودوائر معارف إسلامية .

وعلى المسلمين العرب مساعدة إخوانهم على تعلم اللغة وتنمية ذلك الميل الشديد إلى الفصحى باعتبارها لغة القرآن وتوثيق العلاقات الثقافية العربية الإسلامية الجامعة .

تحديات التــــاريخ

وعلينا أن نعمل على تحرير « التاريخ الإسلامى » من الروح الإقليمية والقومية والعلمانية والكشف عن فساد المخططات الوافدة التى ترمى إلى بعث الحضارات القديمة : وقد واجه المسلمون فى القرن الرابع عشر الهجرى دعوات الفرعونية والفينيقية والأشوريه والبابلية وغيرها من دعوات لم تستطع أن تثبت أمام الطابع الإسلامى الذى صهر هذه المنطقة كلها وأقام « الانقطاع الحضارى » أزاء هذه الدعوات السابقة للإسلام ، والتى لم يبق منها أى عامل من عوامل الحياة ، كذلك فعلينا أن نواجه مفهوم القومية الوافد الذى يريد أن يفرغ العروبة من إنتمائها الإسلامى ويمزق الوحدة الجامعة بين الإسلام من ناحية ، وبين العرب والترك والفرس والبربر والماليزيين من ناحية أخرى ، وأن يعلموا أن رابطة الوحدة الإسلامية التى أقامها القرآن والإسلام هى أكبر الروابط، وأن المجموعات القومية كلها متلاقية مترابطة تحت « لا إله إلا الله » .

المرأة والمجتمع

وفى إطار المفهوم الإجتماعى الإسلامى علينا مواصلة العمل لحماية المرأة والمجتمع من عوامل إغراء وانحراف التيارات الوافدة ، وكذلك حمايه الشباب من عوامل الإنحراف التى تدفع أبناء المجتمع دفعاً إلى الفساد والرذيلة وارتكاب الجرائم ، ومنع النساء من العمل فى بعض الوظائف التى لا تليق بأنوثتها ، (كسكرتيرة لأحد الشخصيات أو مضيفة فى طائرة) . ولابد من تأكيد وظيفة المرأة الأصيلة : زوجة وأماً مصدر المودة والرحمة الرجل وللطفل الملتصق بأمه رضاعة وسكناً ، والعمل على تفريغ المرأة لتربية أبنائها فهو أجدى على المجتمع من عملها مع ضياع الجيل .

والكشف عن فساد المفاهيم الوافدة عن حرية المرأة والمساواة التامة بينها وبين الرجل ، أو أن دخل المرأة المادى له الأهمية الأولى فى الحياة الزوجية ، ولا ريب أن المرأة المسلمة قد استهدت مفهوماً أصيلا ودخلت مرحلة التحرر

من مفاهيم الغرب واكتشفت أن هناك محاولة لتدمير الأسرة بدعوتها إلى إحتقار الأمومة وأن المساواة بين الرجل والمرأة خدعة مضللة على المجتمعات الإسلامية أن تقيم حدود الله الشرعية الستة : حد الحرابة ، وحد السرقة ، وحد الخمر ، وحد الزنا ، وحد القذف وحد الردة . وكذلك جباية الزكاة ومعاقبة المجاهرين بالفطر فى رمضان ومنع الربا وتطوع وسائل الإعلام لتوجيهات الإسلام والعمل على حماية المجتمع الإسلامى من الماركسية ومن أخطار التبعية وتحريره من العلمانية والدعوات الهدامة والفرق الضالة (البهائية والقاديانية) ومن المحتم دفع الجامعات على طريق الدعوة الاسلامية وتحريرها من الانفصام القائم بينها وبين الدين وضرورة إدخال الثقافة الاسلامية إليها وأن تستعلن فيها وجهة نظر الاسلام فى فى الاقتصاد والاجتماع والنفس والاخلاص والكشف عن الفوارق العميقة فيها وبين العلوم الاجتماعية ومفاهيم فرويد ودوركايم وسارتو وماركس ، ويجب أن يكون التعليم الاسلامى أساساً لكل أنواع التعليم ، ثم تتوزع بعده الدرجات فى الثانوى والعالى والتخصصات فى الدراسات العليا . ولابد من العودة إلى تعليم القرآن وإنشاء مكاتب تحفيظه فى كل مكان وطبع القرآن طباعة تيسر على الطلاب قراءته وحفظه وفهمه وتفسير كلماته فإن تعلم القرآن وحفظه هو حجر الأساس فى بناء شخصية الأبناء : دنيا وثقافة ولغة وفكراً .

وعلى الجامعات فى العالم الاسلامى أن تدرس الاقتصاد الاسلامى وتوفر الأدوات العلمية اللازمة لخدمته من خلال المكتبات ، والتنبيه إلى أن التأمين التجارى الذى تمارسه شركات التأمين التجارية فى هذا العصر لا يحقق الصيغة الشرعية للتعاون والتضامن ولابد لترسيخ مفاهيم الاسلام الاقتصارية من الارتكاز على أمور :

الاعتقاد بأن الكون لله وأن المال مال الله وأن الانسان مستخلف على ما تحت يده من نعم الله وأن الملكية الخاصة التى أقرها الاسلام مقيدة بوسائل الكتسب المشروع والانفاق المشروع وأداء حق المال وأن النظام الاقتصادى فى الاسلام من شأنه أن يحقق التوازن المالى والتكافل الاجتماعى ، ولن يتحقق

فلابد إلا بدعم فكرة المصارف الإسلامية والسعى لتعميمها على أساس بنوك بلا فوائد.
وعلينا لذلك تشجيع انشاء المصارف الإسلامية التى تعمل بدون ربا، ومازال أمامنا تجربة بنك (دبى) الاسلامي تؤكد نجاح تعاليم الاسلام فى عالم المال والاقتصاد. حيث يقوم البنك الاسلامى بدور تغطية الجوانب التى لا تستطيع البنوك القائمة أن تشملها بنظامها الربوى المعقد القائم على أسلوب الفائدة التقليدى وذلك دون أن يكون هناك قصور فى ايجاد الوسائل المتلائمة مع احتياجات التجارة والصناعة وغيرها، ولما كان الربا حسب المفهوم الاسلامى يوجد فى حالتين هما : الديون والبيوع، فإن المصرف الإسلامى يستطيع تفادى هذا الخطر مع توفير عامل الأمن والطمأنينة النفسية وراحة الضمير، وتحقيق الأرباح الجائزة فى مجالات المشاركة والتوسط المالى.

ولا شك أن المصرف الإسلامى بأسلوبه المتميز ييسر على رجال الأعمال الإفادة من التسهيلات المصرفية بمراعاة أن يكون المنتج — سلعة أو خدمة — فى دائرة الحلال وأن تكون كل مراحل العملية الإنتاجية (تمويل وتصنيع وشراء) وكذلك سبلها (نظام عمل وتحديد أجور العاملين) ضمن دائرة الحلال أيضاً فالأسلوب المميز للمصرف الإسلامى نحو قيام الأعمال الاستثمارية على أساس مشاركة تجنى جميع الأطراف ثمرتها كما تحقق فى ذلك الوقت صالح المجتمع الإسلامى.
وعلى المسلمين أن ينشئوا سوقاً إسلامية مشتركة حتى يستطيعوا السيطرة على إقتصادهم وتطبيق منهج الإسلام فيه بدلاً من خضوعهم للاقتصاد الرأسمالى أو الماركسى أو اليهود.

ومن الضرورى مواجهة مخطط الهدم الذى تنفذه الفنون العامة : المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون، وأسلمه هذه المؤسسات والأجهزة لتعمل فى الطريق الصحيح لبناء المواطن الصحيح وهذا هو مفهوم التصدى للواقع غير الإسلامى والمنحرف الذى تعيشه المجتمعات العربية الإسلامية والذى يتبين من خلال تجربة القرن الرابع عشر ضرورة تحقيقه لإمكان إعطاء الدعوة الإسلامية الفرصة للانطلاق إلى الآفاق الجديدة. ولابد من اصطناع أسلوب (التربية الإسلامية) فى بناء

الفرد والجماعة والمدرسة كوسيلة لدخول المسلمين مرحلة النهضة وعصر الرشد الفكرى : هذه التربية الجامعة (روحاً وعقلا وجسما) على الإيمان بالله والالتزام الأخلاق . ولابد أن يكف المسلمون عن تطبيق أسلوب التعليم والتربية الغربيين بعد أن كشف هذا الأسلوب عن تلك الاخطار والتحديات التى لحقت بشباب المسلمين وأجيالهم المتعددة فأبعدتهم عن روح الإسلام وطابع الاخلاقية ، ولابد من قيام ركنى الايمان والاخلاق ، ولابد من بناء النفس الإسلامية والعقل الإسلامى بالإيمان والاخلاق فى إطار مفهوم الإسلام نفسه كمنهج حياة ونظام مجتمع يوجه الحياة كلها فى كل الاوقات وجهة إسلامية ليكون بناء المجتمع خالصاً لله تبارك وتعالى قائماً على الرحمة والعدل والرخاء الإنسانى ولابد من أسلمة العلوم كلها لتقودنا إلى الله تبارك وتعالى فالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والنفس والجغرافيا والتاريخ والاجتماع والفنون الجميلة كلها يجب أن تقودنا إلى طريق الله الحق ، أن تسير فى إطار منهج الله تبارك وتعالى تعطى ما أحل وتمنع ما حرم .

وهناك قضية خطيرة جديرة بالنظر فى هذا المجال : هى قضية التقدم ذلك أن فى التقدمية الغربية إزدواجاً يشكل خطراً على وحدة الامة ونظام حياتها ، فإن هذه التقدمية تدعو الى العلمانية وإلى فصل الدين عن الدولة وفصل العلم عن الاخلاق، ومن شأن هذه التقدمية أن تقلع الفرد من جذوره الحضارية وتقذف به فى دوامة من القلق والانشطار الذاتى ، لقد اقتبسنا العديد من العلل والامراض الاجتماعية والاخلاق باسم التقدمية كاستعمال الكحول والتراخى فى أمور العفة والشرف جاءت الينا مع التقدمية وباسم التقدمية ، ولا ريب أن المدينة الغربية فيها سم ودسم ، ولا يصح أن نلتهم السم مخلوطاً بالدسم والداعون الى أخذ السم وحده انما يخدمون التبعية الغربية ، ان التقدمية العربية هى مزيج من عناصر قوة وعناصر ضعف انها تجمع بين الصحة والمرض وأن ما نخشاه ونحذر منه هو أن نسارع الى اقتباس عناصر الضعف وجراثيم المرض ونشى عناصر القوة والصحة فالعلوم والتقنيات واحترام الحريات الاساسية وحقوق الإنسان هى من عناصر الصحة فى المدينة الغربية وهى ما يدعو اليها الإسلام ولكن الخطر كل الخطر هو فى اهمال هذه النواحى الإيجابية والتأكيد على اقتباس عناصر الضعف والمرض

منها باسم التقدمية من عناصر الضعف والتراخي فى المعتقدات واللغة والازدراء بتقاليد البلاد .

هذا وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر فساد الأنظمة الوافدة : غربية وماركسية وفساد مناهج التعليم الغربي الوافدة وعقدت مؤتمرات عديدة فى العواصم الإسلامية والعربية للعودة إلى الأصالة وتصححت الدعوة إلى فهم الإسلام ديناً ودولة واستطاعت أن تصبح نصوصاً فى دساتير كثير من بلاد العالم الإسلامى ، الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغته والشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للقوانين ولا ريب أن تجربة تطبيق الشريعة الإسلامية فى بعض الاقطار الإسلامية ستحقق لهذه الشعوب الأمن والاستقرار وستدفع الشعوب الأخرى إلى إنفاذ هذه التجربة. ومن المهم فهم الخلافات العميقة بين مفهوم الإسلام ومفهوم الغرب فى مجال النظريات النفسية المعاصرة التى قامت على خلفية معادية للكنيسة ، ذلك أن علم النفس الحديث قد ركز على الجانب الشرير من الإنسان وفسر ببعض الغرائز كل سلوك الإنسان حتى أنه ارجع فكرة الألوهية نفسها إلى عقدة جنسية تجعل الإنسان يحول خوفه من أبيه الذى ينافسه فى حب أمه إلى خوف وهمى بقوة عليا فالجانب الخير فى الإنسان عند كثير من المدارس النفسية الحديثة ، ماهو إلا مخاوف طفولية تقف فى وجه الغرائز من الأب ومن التقاليد الإجتماعية ، هذه المفاهيم الزائفة تختلف عن مفهوم الإسلام فى أن النفس الإنسانية روح تميل إلى الحق وغريزة تنزل إلى الأرض وبينهما عقل يفكر وإرادة تختار . وليس الإنسان عبداً لغريزة الجنس أو غريزة الطعام ولكنه قادر على التحرر من الأهواء حين يفهم رسالته ومهمته فى الحياة (وهديناه النجدين) وهو القادر بتوجيه الدين الحق أن يسمو فوقه أهوائه وشهواته وأن يعمل لتحقيق قيام المجتمع الربانى فى الأرض ، وعليه أن يؤمن بمسئوليته الفردية والتزامه الأخلاق .

وعلى الدعاة إلى الله أن يولوا إهتمامهم الخالص إلى الشباب المسلم ، ومواصلة العمل لدعم ثقافته الاسلامية وإعداده بالعلم والمعرفة والايمان وتوجيهه توجيهاً صحيحاً ليكون عضواً مؤثراً فى المجتمع ولبنة إيجابية فى البناء .

والله من وراء القصد

الفصل الثالث

فجر جديد الدعوة الاسلامية

إن العالم كله يتطلع الآن إلى نور جديد يبدد الظلمات التى تحجب عنه ضوء الحقيقة الأولى الكبرى. وهذا سر شقوته وقلقه وتمزقه وغربته، هذا النور موجود وقادر على العطاء، موجود فى تضاعيف كتاب الله الخاتم المهيمن على كل الكتاب وفى رساله الله الخالق التى سيظهرها على الدين كله : رسالة التوحيد الخالص وإسلام الوجه لله، إن كل الدلائل توحى بأن فجراً جديداً سيشرق وأن هذا النور سوف يهدى الإنسانية الحائرة بعد أن طال بحثها من خلال الايدلوجيات والمناهج البشرية التى لم تزدها إلا تمزقا واضطراباً.

إن علامات هذا العصر الجديد واضحة فى الأفق وضوحا لا ريب فيه تتمثل فى هذه الصحوة الإسلامية القائمة على تطبيق شريعة الله وإقامة المجتمع الربانى فى هذه القارة الوسطى التى تنزلت فيها أديان السماء وتهيئت لتحمل لواء (لا اله إلا الله) وقد جاءت الارهاصات واضحة فقد أعطيت الطاقة والثروة والتفوق البشرى وبقى لها أن يتجمع حول الوحدة الاسلامية : وحدة الفكر والعقيدة والثقافة على طريق الله الحق لتكون مؤهلة لحمل رسالتها إلى العالمين.

واذا كان القرن الرابع عشر الهجرى قد حقق نتائج واسعة وعميقة فى تحطيم الأغلال ودحض الشبهات والكشف عن المؤامرات والمخططات التى ترمى الى تعويق هذه الامة المؤمنة عن امتلاك ارادتها وأداء سالتها فإن أبواب القرن الخامس عشر توحى بانتقال واضح من البشرية الى الربانية، ومن التبعية الى الاصالة، ومن اليقظة الى النهضة، وان الوعى بهذه المخططات قد أصبح واضحاً لم تعد له قدرة على خداع المسلمين واغوائهم بمثل القول بأن أسلوب العيش الغربى هو الطريق إلى التقدم، فقد تبين ضم بعد التجربة التى خاضها العالم الاسلامى مع الديموقراطية الليبرالية مرة ومع الاشتراكية الماركسة مرة أخرى، انه لا طريق الا طريق واحد هو طريق الاسلام، وأن العالم الاسلامى لم يتقبل كلتا التجربتين

وقد عجزت المحاولات فى غرس الجسم الغريب فى هذا الكيان القادر على حماية ذاته والتمسك بأصالته وذاتيته الخاصة من أن تذوب أو تتلاشى أو تحتوى فى الاممية والعالمية .

ولقد تهاوت مخططات الاستشراق والتبشير فى سبيل تغريب المسلمين ولكنها لم تيأس ، فهى تفكر اليوم فى أساليب جديدة وتحاول أن تدخل على المسلمين من مسارب خفية ، عن طريق الثقافة والفن ، حيث تجرى شوطاً مع التيار الجديد ولكنها تحاول أن تخدعه وتحتويه ، حتى تحول بينه وبين تحقيق الغاية ، وحتى تعوق وصوله الى الهدف . انها تبدأ من حيث تتحرك حركة اليقظة ولكنها ما تلبث أن تبث اليأس والمثبطات على الطريق ، هؤلاء المثبطون المنافقون الذين يبثون روح الهزيمة « ولتعرفنهم فى لحن القول » هم العدو فاحذرهم وان الغرب يعرف أزمته ويعرف جرحه ويعرف مأساته ، وعلى المسلمين الذين ابتعثهم الله ليرودوا هذه البلاد أن يكشفوا له عن وجه الحق وكلمة النصح وصدق الوجهة ما استطاعوا ، وكأنما قد أرسل الله هذه الجاليات الجديدة الى هذه الآفاق لتقدم النموذج الاسلامى الصحيح ممثلا فى هذه الصورة التى تقوم عليها المجتمعات المسلمة فى قلب الغرب « بعد أن عاش الغرب ردحا من الزمن يقرأ عن الاسلام ويحاول أن يتعرف على القرآن وتحول قوى التغريب والتبشير دون ذلك على النحو الذى حاولته هذه القوى من قبل ولذلك فنحن نتطلع الى أن يكون اخواننا مثلا عاليا للخلق والصدق والنبل وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فذلك هو الذى سيبهر الغرب ويكشف له حقيقة الاسلام بعد أن تعالت صيحات المصلحين هنالك تدعو الى نظام اقتصادى جديد بديلا عن النظام الربوى سواء الرأسمالى أم الماركسى ، ولن يكون هناك بديل حقيقى غير الاسلام الذى حمى المجتمعات من طغيان الأقوياء وذلل لهم من الموارد ما يعين المحتاجين ورفع عنهم الربا والزنا والخمر والفساد والاباحية .

وسوف يكون المجتمع الاسلامى الصغير نموذجا طيبا تهفو اليه نفوس الذين أزعجهم الواقع المنهار ومازالوا يتطلعون نحو ضوء جديد .

وسيطلع هذا الفجر: فجر الإسلام من جديد ولكن دونه نضال طويل وجهاد مرير، فأن أعداء هذا الفجر يحاولون بكل الوسائل سد الطريق أمام الضوء الكاشف «يريدون ليطفئوا نور الدين بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرين»، أما أمتنا المسلمة فما زالت أمامها مهمة شاقة هي التحول من النظر إلى العمل، إلى بناء الإرادة الحقة بتكوين الأسرة المسلمة المعتمدة على ذلك، القادرة على الحفاظ على نفسها وإقرارها فى مواجهة مختلف التيارات التى تهب عليها حاملة رياح السموم، بتيارات المسرح والفن والرقص والغناء المكشوفة المعراه المبثوثة فى كل مرناة ومذياع، هذه هى مهمة الدفاع عن شخصية الأمة الإسلامية ومقوماتها واستقلالها الفكرى والايدلوجى من أن تنصهر أو تنماع، فى الأيدلوجية مطروحة، فالإسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره الذاتية، فى الخير والشر والحق والباطل، وهو الذى يعلى قيم الأخلاق عن كل القيم ويصنع بها الفن والحياة والمعنوى وهو لا يضحى المعنوى من أجل المادى.

أن الصحوة الإسلامية التى يتحدثون عنها اليوم ليست فورة وقتية، ولكنها تطور طبيعى لحركة اليقظة الإسلامية التى بدأت منذ وقت بعيد وحملت لوائها دعوات التوحيد الخالصة فى قلب الجزيرة العربية وكتابات جمال الدين ومحمد عبده ثم جاءت مرحلة التكوين الاجتماعى التى قادها المودودى وحسن البنا والندوى وعشرات وهى تسعى إلى وحده الفكر الإسلامية الجامعة تحت لواء التوحيد، مغضية عن كل الخلافات المذهبية، متطلعة إلى إقامة المنهج الربانى الصحيح وسوف تواجه عشرات المصاعب ولكنها ستصمد لأنها تستمد قوتها من نور الله، ومن إيمان صادق بالحق الذى قامت عليه السموات والأرض.

حقيقتان كبيرتان يعلمهما المسلمون اليوم: إن الذين قادوه إلى طريق الأسلوب الغربى العيش كانوا غاشين له ومضللين ولذلك فهو يلفظهم اليوم ويكشف زيفهم ويكشف قرنائهم وتابعيهم وقد تبين له بعد النكبة والنكسة والهزيمة أن التمدن الغربى الذى فرض عليه وأيدلوجياته لن تحقق نصرا وإنها ستنتهى به إلى أن يفقد ذاتيته وكيانه المتميز.

ثانياً: إن العالم الإسلامى لا يرى الآن بعد فشل التجربتين الرأسمالية والماركسية

إمامه من خيار ألا أن يبنى نفسه وإطار الشريعة الإسلامية وهو يجد الآن قوى تعوقه ويحاول أن تحول بينه وبين تحقيق ارادته ، والتغريب يخطط الآن لذلك بعدأن سقطت تجربتيه الكبيرتين فى تركيا وايران ، وهناك محاولات للتسوية بين القانون الوضعى والشريعة بقبول تنظمات ربوية فى مجال الاقتصاد ، وهناك تمويه واسع فى مجال التربية الاسلامية والتعليم العلمانى الغربى ولابد من أن يتبين المسلمون ماوراء هذه المحاولات من أسماء مشوبة بالهوى ، عرفت بتبعيتها من قبل للماركسية وللماسونية ولمذاهب الإلحاد والآباحة .

ولعلنا فى حاجة دائمة الى نذكر أنفسنا بكلمات يجب أن نرددها كل يوم حتى لا تغيب عنا :

أولا : أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع :

ثانياً : أن عدد المسلمين فى العالم اليوم ألف مليون مسلم وليس أقل من ذلك :

ثالثاً : أن الحضارة الغربية تتساقط وتتهاوى تحت ضربات المادية الإباحية وأن الإسلام يستطيع أن يقدم للإنسانية بديلا ايجابياً جيداً .

رابعاً : ان المجتمع الإسلامى مطالب بأن يقيم المنهج الربانى الأصيل فى بلاده حتى يستطيع أن يقدم النموذج الإسلامى للبشرية الحائرة .

خامساً : ان المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر ان يكشفوا شبهات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى التى تحاول تغريب المجتمع الإسلامى وتزييف الفكر الإسلامى واخراجه من أصالته ومنهجه الربانى .

سادساً : لقد تبين للمسلمين بعد التجربة المريرة أن كلا الايدلوجيتين : الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية لا تستطيع أن تعطى المجتمع الإسلامى ولا النفس المسلمة مطامحها وأشواقها وأن التجربة فيهما جميعاً قد سقطت .

سابعاً : تكشف للمسلمين مدى الخطر الذى أصاب المسلمين نتيجة توقيف تطبيق الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعى ومدى الآثار الخطيرة التى ترتبت على ذلك :

ثامناً: تعرف المسلمون على مدى الأخطار التى نجمت عن اهمال منهج التربية الإسلامية فى المجتمع الإسلامى واستبداله بالمناهج الغربية العلمانية الوافدة ومدى أثر ذلك على بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة .

تاسعاً : تكشف للمسلمين مدى خطر الدعوات التى اندفعت من داخل المجتمع الإسلامى لعدم تكامل الإسلام ومفهوم فريضة الجهاد على النحو الذى كشفت عنه أهداف البهائية والقاديانية ومدى الخطر الذى لحق المسلمين من جراء مجاراة هذا التهم الخاطئة .

عاشراً : أن المسلم المكلف مطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل شأن من أمور الحياة والمجتمع فى بيئته وأسرته حتى يقوم المجتمع الإسلامى من خلال الوحدة الأولى له ثم يمتد .

هـــذا وبالله التوفيق .

الفصل الرابع

مواجهة التحديات ومقاومة الشبهات

إن أبرز معالم التحدى الذى يواجه الدعوة الإسلامية فى مطالع القرن الخامس عشر كما تكشف خلال هذه الفترة القصيرة من القرن الوليد - ونحن الآن على أبواب العام الثانى من القرن - هو العمل الدائم المتصل من جانب أعداء الدعوة الإسلامية لتعويق انتقال المسلمين من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة بينما توجد فى أيديهم كل مسوغات النجاح والقدرة على اقتحام هذه العقبة وعلى الانتقال من مرحلة المراجعة والنظر والاستعداد وكشف الأخطار إلى مرحلة العمل لتحقيق الإرادة الصادقة التى تمكن الحضارة الإسلامية المتوقفة على العطاء من العمل من جديد وتقديم مفهومها الصحيح وعقيدتها الصادقة إلى العالم كله فى وقت يتطلع فيه العالم إلى منهج جديد فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويرجى أن يكون الإسلام هو ذلك المنهج الذى تجد فيه البشرية مبتغاها بعد أن جربت خلال قرنين أو ثلاثه « منهجا » لم يستطع أن يحقق مطامحها ، ولئن كان قد استطاع أن يقدم فتحا كبيراً فى عالم المادة ووسائل الحياة وأساليب العيش على نحو دفع المجتمعات إلى مرحلة خطيرة من الترف والتحليل والانهيار ، وذلك باعلاء الطابع الاستهلاكى وحده ، واستنزاف الموارد الطبيعية التى أعطاها الحق تبارك وتعالى للبشرية ، فى جانب المتعة والشهوات والاهواء شأن الإنسان القاصر الذى لم يبلغ الرشد والذى مازال يتبع أهواء طفولة البشرية ، وكأن هذه البشرية لم تتجاوز بعد مرحلة « المراهقة » بعد إلى مرحلة « الأصالة » القادرة على حماية المعطيات من التبديد والانهيار والضياع تحت أقدام المسرفين المنحلين المخمورين.

ويرجع هذا إلى أن حضارة العصر قد عجزت عن أمرين :

أولا : عن أن ترد العطاء الذى اعطيته لله تبارك وتعالى وهو الذى أرشد البشر إلى مفاتيح البحث والكشف واستخراج الثروات من باطن الأرض واكتفت بكلمات العقوق ككلمة الطبيعة والقوانين الجبرية :

ثانياً : أن تلتمس الأسلوب الأخلاقي الرباني في التعامل مع هذه المعطيات على النحو الذي يجعلها قادرة على حماية الثروات من التبدد في سبيل الترف والاهواء وأسباب الانحلال.

ومن ثم فإن تجربة الحضارة الغربية الآن تواجه نفس المصير الذي واجهته الحضارات التي انحلت من قبل وانهارت وفي مقدمتها حضارة الرومان الذي كشف عن أسباب سقوطها العلامة المؤرخ « جيبون » وكان يهدف بذلك أن يقدم لأهل الحضارة الحديثة العبرة حتى يقاوموا الانحلال والانهيار.

ولكن هذه هي سنة الله تبارك وتعالى التي سجلها القرآن الكريم ولا مفر من وقوعها، وحديث حضارة سبأ واضح جلي لمن يريد أن يعتبر.

لقد اعرضت الحضارة الغربية الحديثة (بشقيها) عن أمر الله وخرجت عن حكمته وحكمه ، واستطالت استطالة قارون (إنما أوتيته على علـــم عندى) وخرجت عن الإيمان بالمصدر الحقيق ، وخرجت عن الامتثال للتطبيق الربانى الصحيح لحق عليها أن تنهار وأن تسقط.

ومن ثم فإن المسلمين الذين يحملون اليوم أمانه الإسلام مطالبون بأن يقدموا « منهج الله الحق » للناس جميعاً وأن يخرجوا هم أولا من التبعية للحضارة الغربية، وأن ينقذوا انفسهم من أن تنهار عليهم حوائطها فى المرحلة الأخيرة ، وأن يلتمسوا (منهج الله تبارك وتعالى) فى أنفسهم وأمتهم ومن ثم يكونوا مؤهلين لتقديم هذا المنهج إلى البشرية التى تتطلع اليوم إلى « صوء منقذ » لن يكون غير الإسلام ولكن هناك محاذير خطيرة أمام التحرر من هذا النفوذ التلمودي المادى الاباحي الذي يحتوى العالم اليوم والذي لا منقذ منها ولا منقذ لها الا « القرآن ».

ذلك أن تعاليم الماسونية ومخططات البروتوكولات قد تحولت الى مناهج وايدلوجيات ونظريات مطروحة فى كل آفاق الفكر العالمى ، فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلوم النفس والاخلاق والتربية ، وفى مفاهيم القومية والوطنية ، والانفجار السكانى ، والعلمانية وكلها مفاهيم يراد بها توهين قيم الاسلام.

ولا مبالغة إذا قيل أن العالم كله اليوم يفكر تفكيراً يهوديا سامريا يدور حول عبادة العجل وعبادة الذهب : ولقد كانت النزعة الوطنية والقومية محاولة لتحطيم الوحدة الإسلامية والقضاء على الخلافة الجامعة وحجب القيادات التى لم تنبت من خلال التبعية وعدم تمكينها من العمل ، وكان الاستعمار الغربى مقدمة للنفوذ الصهيونى ثم النفوذ الماركسى وقد عملت مؤسسات التبشير الغربى والاستشراق والتغريب فى مجال التربية والصحافة والثقافة ، وقد تقاربت مفاهيم الاستعمار الغربى والصهيونى والماركسى التى طرحت فى أرض المسلمين تحت اسم البهائية والقاديانية ، وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية .

وعلى المسلمين اليوم ، فى مطالع القرن الخامس عشر أن ينتقلوا من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة وذلك بالارادة القوية المؤمنة الواثقة بنصر الله ، وذلك بكسر القيود التى يضعها أعداء الاسلام لتأخير نهضته ، ولتعويق مسيرته ، ولتخذيل طريقه ، ولتخويف الامم من مسيرته السمحة الكريمة التى تقوم على الرحمة والاخاء البشرى وعلى « لا اكراه فى الدين » وعلى الحسنى فى الجدل ، وعلى تامين كل العناصر التى تعيش تحت جناحهم ، من غير عدوان ولا تعصب ولا حقد.

وفى ثلاث ميادين على المسلمين أن يعملوا لتحقيق الغاية :

١ ـ إعادة النظر فى أساليب التعليم والتربية وبنائها على منهج الاسلام .

٢ ـ إعطاء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسة : (الاخلاقية القائمة على التقوى) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ ـ التماس منهج الاسلام فى الاقتصاد وإلغاء الربا وتطبيق الشريعة والحدود ، وعلى المسلمين أن يرفعوا كلمات التبرير والرخص والتأويل فى بناء هذة النهضة ، وأن لا يقبل واقع المجتمع المنحرف ويعمل على تصحيحه وإعادته إلى الأصل الأصيل المستمد من روح الاسلام الحقة ، وخاصة فى بناء الشباب وعمل المرأة والفنون المسلية .

وأن توضع قواعد لضبط لمفهوم الانفتاح والنقل والاقتباس من الحضارات وأن يكون ذلك فى حدود الأساليب والوسائل لا فى المناهج والأصول .

وأن يكون معلوما أن المعركة اليوم بين المسلمين وأعدائهم تنحصر فى قضية كبرى هى استرداد (تأكيد الذات) والمحافظة على طوابعها ومعالمها وحمايتها من كل محاولات استقطابها أو احتوائها أو صهرها فى بوتقة الأممية ، هذه الذات الإسلامية التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا وجعلها مثابة لتبليغ كلمة الله فى العالمين على مدى الزمن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، علينا أن نحفظها من الانهيار والتدهور والجمود والمداخلة والانصهار فى الفكر البشرى العالمى .

وهذا يقتضينا تطهير جيوب الأمة الإسلامية من الدخيل ، بالجهاد وإعداد القوة والمرابطة فى الثغور ، ولا ريب أن المحافظة على الذات الإسلامية وتحريرها وحمايتها هى فريضة من فرائض العقيدة والأمة فى نفس الوقت ، ذلك أنه قد تبين أن الهدف الحقيقى من وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية منذ قرون ، والتى تتكشف اليوم ، هى : « تذويب المسلمين » فى الكيان الأممى والعالمى عن طريق كلمات براقة هى الانفتاح والتلقيح وإثراء الفكر .

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القوى الكبرى الحريصة على التهام العالم الإسلامى: هما (مرحلة الإحتلال العسكرى والسياسى) و (مرحلة الغزو الفكرى الليبرالى الماركسى الصهيونى) وقد استطاع عالم الإسلام أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الجديدة المبسوطة الآن من وراء مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم إنما يستهدف إزالة الهوية الاسلامية العربية كاملة وصهر هذه الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية .

وعلى أمتنا وشبابنا أن يوقن بأن « الأمة الاسلامية » : بفكرها وعقيدتها هى « أم المستقبل » ، وهى اليوم المالكة للثروة والطاقة والتفوق البشرى إلى جوار منهجها الأصيل الجامع الذى هى ملزمة بتبليغه للعالمين ، وهى وارثة الحضارات والمدنيات الهرمة المنهارة ، وأن الهدف هو القضاء على هذا الضوء الكاشف الذى يحمله أهل الاسلام ، والقاء اليأس والانحلال فى هذه النفس المؤمنة بالله تبارك وتعالى المؤمنة بأنها على الحق ، لتسقط فى براثن الشيوعية والمادية والوثنية.

وعلى أمتنا أن تفرق دائماً بين « الأيدلوجيات » ومعطيات العلوم العصرية . هـــذه الأيدلوجيات نحن لسنا فى حاجة إليها ، فالدينا « منهج حياتنا ، الذى شكل وجودنا منذ أربعة عشر قرناً وأقام الحضارة الاسلامية الباذخة من أسوار فينا إلى حدود الصين إلى حدود فرنسا ألف عام كاملة كان العالم خلالها فى القرون الوسطى المظلمة وكان الاسلام منارة البشرية ولا عيب أن تقصر الخطوة وأن يتوقف العطاء استعداداً لمرحلة جديدة دون أن تخطفنا بريق الحضارة والمدنية . وأن تؤمن إيماناً جازماً لا يصيبه ذرة من شك بأن منهجنا : هو المنهج الذى سيحقق للبشرية مطمحها الروحى والنفسى والمادى .

١ ـ ان أخطر ما أدخله الاستعمار : « القانون الوضعى » بأنظمته وقضائه هذه القوانين التى كانت أبعد ما تكون عن مزاجنا وتاريخنا وديننا بل لقد وضعها لتكون عاملاً على محو مقوماتنا الأصيلة بالتدريج ، لقد كانت «اللائكية» منطلقاً لالغاء الشريعة الاسلامية ، ولكن سرعان ما استطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن ترفع عقيدتها بالدعوة للعودة إلى الشريعة الاسلامية ، واستجابت لهذه الدعوة كل القوى وبقى أن يتم ذلك وقد قننت القوانين الاسلامية فى عديد من البـــلاد الاسلامية فى الامارات والأردن ومصر وباكستان كمقدمة لخطوة حاسمة .

٢ ـ وبقى أن يطبق المسلمون مناهج التربية الاسلامية وقد عقدت عشرات المؤتمرات التى قدمت التوصيات الحاسمة لهذا الأمل الكبير ، عندئذ يقدم الاسلام الأجيال الجديدة التى ينبعث فكرها ومفهومها ومنهجها من القرآن الكريم خالصاً ومن السنه النبوية صادقاً ، والتى تؤمن بالجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله وتحرير الفكر الاسلامى من التبعية التى تطرحها قوى التغريب فى أفق الاسلام .

٣ ـ ولقد تحققت نتائج ضخمة على طريق تجربة الاقتصاد الاسلامى عن طريق البنوك الاسلامية ولابد من تعمق هذه الخطوة .

٤ ـ ان أبرز منجزات حركة اليقظة الاسلامية دخولا إلى مرحلة النهضة وعصر الرشد الفكرى هو تلك المراجعات الجادة والعميقة والواسعة وصولا إلى تصحيح

الكثير من المفاهيم فى التاريخ والأدب والثقافة والتراث ومفاهيم الحضارة على نحو يمكن من تجلية صورة الاسلام نقية ناصعة وصورة الفكر الاسلامى خصبة واضحة وفى عشرات من الموضوعات المطروقة والشبهات المثارة والقضايا المطروحة نكشف ضوءاً قوياً نافذا يكشف كل الظلمات لأنه من صنع الله الحق ، إستمداداً من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وميراث الصحابة والتابعين .

والحقيقة التى لا شك فيها أن هناك عقبات كثيرة قد اجتيزت وبقيت عقبات ولكن الهمة الصادقة الخالصة لاقامة المجتمع الربانى لاتزال مسئولية المؤمنين ومسئولية المفكرين وأهل النخبة والصدارة لاجتياز كل المعوقات وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وأن مفهوم الاسلام الأصيل لا يكتمل إلا بتحقيق فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفريضة الجهاد الماضى إلى يوم القيامة .

وعلى المسلمين ان يتعلموا من عبرة التاريخ البشرى وهى أن المجتمعات التى عارضت إرادة الله والإيمان به أصابتها سنة الازالة والإبادة ومن ثم تحطمت الحضارات القديمة واحدة واحدة لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الله الحق إلى الترف والفساد والزنا والربا والاباحية والبغاء ، هنالك كان هلاكها ، هذه هى عبرة التاريخ البشرى كله ولا عبرة غيرها من التـــاريخ يمكن أن تؤخذ ، ولا ريب أن الطريق الذى يسير فيه المسلمون الآن وهم محاصرون بالتيارات اليهوديه التلمودية من حيث تجاهلهم إرادة الله تبارك وتعالى وقدرته وعطائه ، واستسلامهم للنظريات المادية التى تتحدث عن الطبيعة والمادة هو طريق مسدود ولقد دخلت على المسلمين منذ أن اتصلوا بالفكر الغربى أخطاء كثيرة ومفاهيم زائفه تسيطر على بعض مناهج الأمة الدراسية والتعليمية والثقافة وتحاول أن تحجب مفاهيمهم الأصيلة القرآنية ، وهذه هى القضية الكبرى التى يجب أن يحتشد لها مفكروا الاسلام اليوم لاخراج أمتهم من التبعية والتغريب والعلمانية وحماية ثرواتهم من مصارف الفساد واللذات .

ومن الحقائق التى يجب أن تكون دائماً بين أيدينا أن الإسلام منهج حياة ونظام ومجتمع ، وأن عدد المسلمين فى العـــالم اليوم الف مليون مسلم يزيدون لا ينقصون ، وأن الحضارة الغربية تتساقط وتتهاوى تحت ضربات الماديه والاباحية ،

وأن الاسلام يستطيع أن يقدم للإنسانية بديلا إيجابياً ، وأن إسرائيل كيان غريب فى جسم الأمة ، فاسد فى تركيبه لا يمكن أن يبقى ، ولابد من تحرير الأمة الإسلامية منه ، وأن المجتمع الإسلامى مطالب بأن يقيم المنهج الربانى الأصيل على أرضه حتى يستطيع أن يقدم النموذج الاسلامى للبشرية الحائرة ، وأن المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر الهجرى أن يكشفوا شبهات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى التى تحاول تغريب المجتمع الاسلامى وتزييف الفكر الاسلامى وإخراجه من أصالته ومنهجه الربانى ، وقد تبين للمسلمين بعد التجربة المريرة أن الخطر ليس من الشيوعية وحدها أو الصهيونية وحدها ولكن أيضاً من الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية (والصهيونية التلمودية) مصدرهما. وأن هذه الأطماع الوافدة لا تستطيع أن تعطى المجتمع الإسلامى ولا النفس الاسلامية مطامحها وأشواقها وأن التجربة فيهما جميعا قد سقطت بعد أن فشلت ، كما تكشف للمسلمين مدى الخطر الذى أصاب المسلمين نتيجة توقيف تطبيق شريعتهم الاسلامية واستبدالها بالقانون الوضعى ومدى الاثار الخطيرة التى ترتبت على ذلك ، كما تعرف المسلمون على الاخطار التى نجمت عن اهمال منهج التربية الاسلامى فى المجتمع الاسلامى واستبداله بالمناهج الغربية العلمانية الوافدة ومدى أثر ذلك على بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة ، وتكشف للمسلمين مدى خطر الدعوات التى انبعثت من داخل المجتمع الإسلامى لهدم تكافل الإسلام ومفهوم فريضة الجهاد على النحو الذى كشفت عنه أهداف البهائية والقاديانية ومدى الخطر الذى لحق بالمسلمين من جراء مجاراة هذا الفهم الخاطىء ، هذه هى علامات طريق الدعوة الاسلامية التى تدعو إلى متابعة التحديات والاخطار والشبهات التى لا تتوقف عن التدافع ويواجهها الباحثون المسلمون بدحضها وكشف زيفها .

الفصل الخامس

رحله الإسلام فى قلب أفريقيا

ما يزال الإسلام فى أفريقيا يشغل الباحثين الغربيين ، كما تشغلهم الصحوة الإسلامية ، وهم فيما يتناولون هذه الأمور لا يتجردون للبحث الصحيح أو لا يصطنعون المنهج العلمى ، بقدر ما يمثلون وجهة نظرهم من حيث هم رجال استعمار وأصحاب مصالح ومتطلعون إلى إدامة سيطرتهم على هذه البلاد رغم أنف أهلها والحيلولة دون تحقيق الوطنيين لوجودهم وإرادتهم وإقامة مجتمعهم الأصيل.. ولعل أخطر ما يزعجهم نمو الإسلام وانتشاره الذاتى بالرغم من كل محاولاتهم لمقاومته ، وبالرغم من الميزانيات الضخمة التى تعتمدها الدول الغربية كل عام لتمكن منظمات التبشير من السيطرة على هذه المناطق وإغراء أهلها وإقامة تلك الكاتدرائيات الضخمة على شواطىء الأنهار لخداع الوثنيين بالمظاهر البراقة الخادعة لدخول دينهم الذى ارتبط فى نظر الأهالى بالنفوذ الأجنبى والذى لا يستطيع أن يحقق لهم مطامح النفس والروح على النحو الذى يحققه لهم الإسلام فان النتائج دائما هى الفشل الذريع .

ومن هنا فانت تجد هذه الدراسات والأبحاث لا تمثل الواقع ولا تصور الحقيقة ، وأبرز المغالطات تتمثل فى تقليل عدد السكان ، على النحو الذى تراه فى كتاب المستشرق الفرنسى فنسان فوتى عن مرحلة الإسلام فى قلب أفريقيا فان تقديراته لعدد المسلمين أقل كثيراً من الواقع المعروف هى محاوله لوصف المسلمين بأنهم ليسوا أصحاب الأغلبية والنفوذ فى هذه المناطق وهو غير الواقع فى الحقيقة... فالمعروف إن الاسلام يزداد عدد معتنقيه فى أفريقيا يوماً بعد يوم ، بالرغم من كل محاولات الغرب فى التضييق والتبشير والحيلوله دون انتقال أصحاب العمائم البيضاء بين الاقطار فضلا عن ذلك الحزام الذى حاولوا به إيقاف نمو الاسلام وقفزه إلى الجنوب ولكن ذلك لن يستمر طويلا ..

ويقول تقرير منصف عن نمو القوة الاسلامية فى أفريقيا أن الملفت للانتباه أن الإسلام بدأ ينتشر بسرعة فى كل مكان فى أفريقيا بغض النظر عن الحجم الأصلى للجالية الإسلامية الموجودة هناك سواء كانت كبيرة أم صغيرة ، وتدل الاحصاءات عن أن الإسلام ينتشر حالياً وبسرعة بالغة فى سبع دول أفريقية رئيسية هى : السنغال وسيراليون وساحل العاج وفولتا العليا وبنين وتوجو والكاميرون . .

وفى السنغال وسيراليون حيث تتراوح نسبة المسلمين بين ٧٠ و ٨٠ فى المائة من مجموع السكان ثم ممارسة شعائر الاسلام باعتباره دين أفريقيا كبديل للتراث الغربى ، وفى ساحل العاج وفولتا العليا حيث يشكل . . المسلمون نسبة تتراوح من ٢٠ فى المائة و ٦٠ فى المائة من العدد الاجمالى للسكان تتنافس الديانتان المسيحية والاسلامية من أجل الفوز بتأييد الغالبية العظمى من المواطنين ويكتسب منهج التوحيد (الوهابية) فى فولتا العليا تأييداً متزايداً نظراً إلى تشديده فى الطهارة الدينية . .

ويتركز الاسلام فى ساحل العاج وفولتا العليا بشكل عام بين رجال الأعمال الميسورين . . وينتشر الاسلام بسرعة كبيرة فى دول ثلاث أخرى ليس فيها سوى عدد ضئيل من المسلمين . . الكاميرون ، التى تتمتع الجماعة الاسلامية فيها بمركز رسمى مرموق رغم صغر حجمها ، وغانا ، التى تستعد فى المستقبل من أجل أداء دور سياسى هام , وهناك دولتان أفريقيتان تمثلان حالة خاصة مثيرة الاهتمام هما تنزانيا وجنوب أفريقيا ، والطائفة الاسلامية فى جنوب أفريقيا ناشطة للغاية وإن كانت لا تمثل نسبة كبيرة من السكان ، ويعود السبب فى ذلك إلى إحساسها بالانتماء . . إلى حركة عالمية وقد بدأت السلطات المحلية تعترف بالدور المتزايد الذى يلعبه الإسلام ، ويشير التقرير إلى أن أكثر من ثلثى المسلمين يعيش فى أكبر الدول الافريقية من حيث الكثافة السكانية ، أعنى (نيجيريا) ٣٨ مليون وكذلك فى أفريقيا الشرقية إلى السودان فى الشمال والموزمبيق فى الجنوب (٣٢ مليوناً) ويتجمع العـــدد الباقى فى أفريقيا الغربية : السنغال والنيجر (٢٠ مليوناً) وأفريقيا الوسطى تشاد والكاميرون (٤ ملايين) .

ويقول التقرير إن الاسلام أخذ يلعب دوراً حيوياً ومتزايداً على المستوى السياسى داخل القارة السوداء مما ادى إلى قيام الباحثين بوضع دراسات مفصلة حول الخلفية التاريخية والابعاد المستقبلية لهذا الدين .

ويبدو ان الإسلام حالياً فى مواجهة عنيفة مع بعض الأنظمة العسكرية التى تدعى (الماركسية ـ الينينية) ـ وكذلك مع النفوذ الصهيونى الذى يحاول الاستفادة من بعض الظروف لترسيخ جذوره فى التربة السوداء .. وتتوقع الأبحاث أن الإسلام الذى يتحرك وينمو فى أفريقيا وأن لم يتخذ بعد شكلا سياسياً ملموساً فأنه مؤهل لأداء دور سياسى بارز فى المستقبل ..

ولما كان هذا التقرير أجنبياً وعلى قدر غير قليل من الانصاف بالنسبة للكتابات الاستعمارية الأخرى فقد أوردنا بعض مضامينه وأن كنا نتحفظ كثيراً أزاء هذه التصريحات التى ربما أن يرمى كتابها الأجانب إلى تخدير المسلمين بالخداع عن المؤامرات التى تبذل للقضاء على الإسلام، ولا ريب أن للإسلام جذوره العميقة وله حضارته الباذخه فى قلب أفريقيا قبل وصول حملات الاستعمار ، هذه الحضارة التى عمل النفوذ الأجنبى على القضاء عليها وتقل تراثها العلمى الى الغرب ليحول بين الافارقة وبين كتابة تاريخهم الحقيقى ، أو التعرف على دورهم القديم ومحاوله خداعهم بان النفوذ الاستعمارى هو الذى مدنهم وهو غير صحيح أطلاقاً فان الأفارقة كانت لهم حضارة إسلامية عربية باذخة قبل وصول الجائحة الاستعمارية عندما نصارعت دول الغرب على تقسيم القارة وربطها بها رباطاً اقتصادياً مازال مستمراً إلى اليوم ، حيث تنقل فرنسا وبريطانيا وغيرهما ثروات ضخمة من الكوبلت والنحاس والمعادن المختلفة يومياً بالطائرات ، فضلا عن تلك المؤامرة الضخمة التى نقل فيها الأفارقة أنفسهم بالملايين إلى الولايات المتحدة فمات أغلبهم فى المراكب أو فى أرض المهجر ، وتلك مأساة طويلة وقصة بالغة الأثر ، ثم كان ذلك التسلط الذى قامت به الارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية على البلاد ، والحيلولة دون انتسار الإسلام أو دون تمكن اللغة العربية وتغلبت لغة المستعمر واللهجات القبلية وإدخال الأفارقة فى المسيحية تحت تأثير عديد من المغريات وفى مقدمتها التعليم العالى والحصول على الوظائف وتصاريح التصدير والاستيراد التى لا تعطى إلا لذوى الولاء الاستعمارى ممن تركوا دينهم إلى دين الغاصب ..

ومع ذلك فان الإسلام لأنه الحق ، ولأنه الفطرة ولأنه دين التوحيد وبالرغم من هذه الملايين التى تنفقها البعثات التبشيرية فانه غالب على الأموال التى ينفقونها فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ..

الفصل السادس

على طريق الأصالة والرشد الفكرى

كشف الدراسات التى أجراها الباحثون عن الصحوة الاسلامية مجموعة من الحقائق تحتاج إلى المراجعة والتأمل وذلك حتى يمكن ترشيد هذه الصحوة وتحريرها من الزيف ومن العوامل الطارئة التى قد يدخلها عليها بعض المغرضين فى محاولة لاجهاضها أو إفساد مسيرتها ، وأهم ذلك البعد عن التطرف أو الانحراف أو التعصب فان طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو الطريق الوحيد الذى يحقق السلامة شريطة أن يتمسك المسلمون بالمنهج الاسلامى ويقيموا فريضة الجهـــاد ، وأن تـكون المعطيات التى حققها القرن الرابع عشر نبراسا للخطة القادمة وأهمها :

أولا : تقدير الأثر الواضح الذى توصلت إليه تجربة المسلمين خلال القرن الرابع عشر بالكشف عن « فشل الفلسفات والمذاهب الغربية والشرقية فى حل مشاكل الانسان المعاصر لتركيزها على الناحية المادية دون الجانب الروحى مما يسبب إختلالا فى وجدان الانسان وقد ظهرت أثار ذلك فى البلدان المتقدمة ماديا (جرائم وحشية وانحلال خلقى وانتحارات ومذابح) وكذلك فشل الأيدلوجيات الوضعية فى التطبيق وعجزها بالتالى عن إسعاد الانسان المعاصر .

« وأنه قد ثبت لدى كثير من المفكرين العالميين بأن الاسلام هو الوحيد القادر على الأخذ بيد الانسانية عبر هذه الأمواج المتلاطمة إلى شاطىء السلام لما يشتمل عليه من قيم نبيلة وأفكار سامية » . هذا على حد تعبير الأستاذ فوزى سوريا كارا .

ثانيا : الاعلان عن مجموعة الحقائق التى تبينت للعالم كله من صلاحية الاسلام للتطبيق فى كل زمان ومكان بوصفه منهاجا ربانيا يحقق حاجات الانسانية ويوازن بين والمعنوى فيها ويملك إسعاده فى كل بيئة وعصر ، وإننا لابد من أن نقدمه ية الحائرة اليوم التى تبحث عن نور يضىء لها ظلام المادية التى طغت فطغت

على كل القيم الانسانية وعلينا أن نقدم الاسلام لهؤلاء الحيارى فيجدوا فيه الاجابة على كل تساؤلاتهم كما يجدوا فيه الحلول الواضحة لكل مشاكلهم .

ثالثا : الاشارة إلى جهود رواد حركة اليقظة الاسلامية فى تعميق المفاهيم الاسلامية وبث الوعى الخاص الذى ينتقل به المسلمون من الاسلام إلى الايمان فى نفوس الاجيال ، وغرس بذور الأمل فى قلوب الشبيبة بأن المستقبل لهذا الدين مهما دجى الليل وإحلولكت الأيام وأن يكون مطلوباً من الأجيال الجديدة أن تعتصم بالثبات فى وجهة الأعاصير فإن نصر الله قريب .

رابعا . التأكد بأن المسلمين لن ينتصروا فى حاضرهم إلا بنفس العوامل التى انتصروا بها خلال تاريخهم المجيد كله ، وهى المفاهيم الاسلامية والمقاييس الاسلامية وأسلوب العيش الاسلامى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأحياء فريضة الجهاد وتقبل أسلوب العيش البعيد عن الترف والتحلل . وتعويد الأجيال على الصمود والاخشيشان وحماية الثروة الطبيعية فى العالم الاسلامى .

خامسا : التأكد من أن الصحوة الاسلامية ليست انفعالا طارئا ولا حادثا عابرا وإنما هى نتيجة حقيقية لجهاد الصفوة المختارة من رجال الدعوة الاسلامية على مدى العصور ، وإنها ثمرة حقيقية لحركة اليقظة الاسلامية ، بدليل أنها لم تقتصر على قطر واحد ، بل عمت جميع الأقطار واستعلنت فى صدق وصمت ومضت فى خطوات ثابتة عميقة ، واستلهمت أسلوب الدعوة الأولى ، وأخذت قدوتها وإسوتها من النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى تقوم على صفاء عقيدة التوحيد ، واستلهام مفهوم السنة الجامعة ، ودعم الترابط بين الفرق المختلفة واعتبار خلافها فى الفرعيات مما لا يحول دون وحدتها وتماسكها فى مواجهة العدو المشترك .

سادسا : الانتفاع بالدراسات الحديثة التى قدمها بعض الكتاب الغربيين المنصفين فى الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وقدرتها على العطاء وفى التقييم الصحيح المسلم للاقتصاد الاسلامى وقدرته على تحقيق مجتمع أفضل ، وفى تقدير أسلوب التربية الإسلامية الجامع بين الروح والنفس والجسم .

سابعا : نقدر مكانة الأمة الإسلامية اليوم من حيث موقعها الجغرافى العالمى ، ومن حيث امتلاكها للثروة والطاقة والتفوق البشرى وان معطيات العالم الإسلامى المادية والاقتصاديه تستطيع أن تمكنه من الاكتفاء الذاتى ، ومن بناء اقتصاده العالمى الخاص ، وأن على المسلمين اليوم العمل على أسلمة العلوم ، وتعريب المنهج العلمى بعد تنقيته من الشوائب الالحادية ومن التبعية للرأسمالية أو للماركسية على السواء ، وإقامة المنهج العلمى الإسلامى بمفاهيمه وفلسفته ولغته العربية فى إطار روح التوحيد الخالص .

ثامنا : على المسلمين الصمود أمام التحدى الذى يسمونه « تحدى العصر » على حد تعبير الأستاذ جعفر إدريس الذى يقول: انه فى مواجهة تحديات العصر يجب أن نقف أقوياء بإسلامنا الشامل الذى نقدمه بديلا عن التصور المادى والإلحادى السائد الآن فى العالم ونربى به النشء تربية صحيحة ونعد به الشباب الاعداد الصحيح الذى يجعلهم أهلا لحمل راية الدعوة الإسلامية فالصيحة الحقيقة هى الثبات لتحديات العصر ، هذه التحديات التى تحتاج إلى الصبر واليقين ؛ ذلك أن أشد المخاطر هو التصور الإلحادى للوجود الذى كاد أن يصبح سمة العصر والذى لا يكاد يخلو منه جانب من جوانب الحياة المعاصرة العلمية والفنية وهو أكبر تحد يواجه الدعوة الاسلامية والمفكرين الاسلاميين ، فاذا نجحنا فى التصدى له بالنقد الفعلى العلمى المستنير وأمكن أن نقدم تصورنا الاسلامى إطاراً بديلا لهذا الاطار الالحادى ، وأقمنا الحجج العلمية والشواهد الواقعية على أنه الاطار المناسب نكون قد أسدينا خدمة كبيرة ليس لأمتنا فحسب بل للمجتمع الانسانى كله ولابد من اليقين بأن تصورنا هو الحق الذى لا ريب فيه وضرورة التصدى للتصور المغلوط وعدم مسالمته أو مداهنته بحجة المعاصرة أو الحضارة أو التمدين مهما طال الزمن وضجت الدعايات وسقط المهزومون : « الصبر واليقين » هما الشرطان اللازمان لكل من يريد أن ينال شرف القيادة الفكرية المقتدية بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

تاسعا : علينا دراسة تاريخ الغرب وواقعه الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والدينى من وجهة نظر إسلامية والكشف عن فساد التصور المادى ومحاذيره وأخطاره

التى حطمت المجتمع الغربى ودراسة ومناقشة أسباب السيطرة الأجنبية وانحطاط العالم الاسلامى .

عاشراً : علينا أن نقضى على الفجوة بين المفهوم الإسلامى وبين التطبيق ، وأن يكون القرن الخامس عشر هو عصر الانتقال من الفكرة إلى العمل والممارسة وإقامة الحياة الإسلامية وبناء الإرادة القادرة على هذا الانتقال بعد أن تم إعداد التشريعات والقوانين والتنظيمات وبذلك يمكن الانتقال بالمسلمين من صورة الإســلام إلى حقيقة الإسلام والتركيز على التربية الأخلاقية الإسلامية وأعطائها القدر الكافى من الأهمية فى المناهج التربوية .هذه المعانى وغيرها مما تناولته ندوة اليونسكو فى باريس والمؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية فى السودان ، ومؤتمر علماء المسلمين فى إسلام أباد . وقد تكهن برناردشو منذ الثلاثينات للميلاد أن المد الديناميكى للإسلام سوف يصل حتما فى وقت من الأوقات إلى اوروبا ذلك فى قوله : « إذا كان هناك دين يمتلك السلطرة على انجلترا بل على قارة اوروبا خلال المائة سنة القادمة فذلك الدين هو الدين الإسلامى فقط ، أن لدى تقييما عالمياً لدين محمد ، بسبب ما يملك من فعالية غير عادية ، وفى رأيى أن لهذا الدين قدرة فريدة على التكيف مع متغيرات الحياة ومستوياتها المختلفة ، وفى تبليغ دعوته فى كل عصر ، وإنى واثق أنه لو وجد شخص مثل محمد وأعطى سلطة عامة فى مثل هذا العصر الحديث فان فاستطاعته أن يسوى كافة مشاكل العالم بأسلوب يمكن العالم من التمتع بالسلامة والرخاء الذى هو فى أشد الحاجة إليهما » ،

ومن الحق أن يقال إن الإسلام قد بدأ يعشعش فى أوروبا اليوم وقبل أن يكتمل القرن الذى تنبأ به برناردشو ، وأنه يزحف بقوة فى عالم الغرب كله ويكفى ما يقوله الدكتور عبد الرحمن ارنور جوستان الذى اسلم حديثاً : لا أعتقد أن للمسيحية جذور عميقة فى المجتمع الاوروبى ، ولو بذل المسلمون جهوداً مكثفة فان الإسلام سيلاقى رواجاً فى المجتمعات الأوروبية ومن المحتمل أن تشهد المسيحية نهضة جديدة كما هو الحال بالنسبة للاسلام . أن معظم الأوروبيين ، أى حوالى ٩٠ فى المائة لا يعيرون الدين اهتماماً ولكنى أعتقد لو أنهم فهموا ما هو الإسلام لما ترددوا فى اعتناقه وهذا هو ما أحاوله : «إيصال الإسلام إلى الغرب، ولا سيما بنى جلدتى من الألمان » .

ويشير الدكتور كيلول فى كتابه المستقبل للإسلام إلى تقصير المسلمين فى نشر الإسلام فى الغرب على عكس ما تفعل المسيحية فيما تقوم به من وسائل وارساليات فى كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة فى تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإســـلام فانه ينتشر انتشاراً بدون أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الأصقاع التى لمن يكن لسكانها أى عهد بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسايرته للطبيعة الإنسانية ولمقتضيات العصر وموافقة الفطرة .

والحقيقة أن الإسلام فى حاجة إلى جهود أبنائه جميعاً فى هذه المرحلة للانتقال إلى مرحلة الآصالة والرشد الحقيق .

الفصل السابع

المسلمون فى فجر القرن الوليد

أولا ـــ الحفاظ على الذاتية الإسلامية :

مع مطالع القرن الخامس عشر الهوى نجد المراقبون إن المسلمين يتقاربون اليوم فى عدة مفاهيم أساسية يكادون يلتقون عقدها ويكونون بها « منطقاً » جديداً فيه طابع الأصالة وعلامة التحول من عصر التبعية إلى عصر الرشد الفكرى. ولقد كانت للتجارب التى مرت بهم خلال القرن الرابع عشر أثرها الواضح فى هذا الفهم الجديد الذى يقرب بهم من الحقيقة بعد أن دفعوا ثمنها غالياً من الزمن والأنفس والأموال ، وقدكانت بينة فى كتاب ربهم وبين أيديهم من قبل ولكنهم كانوا عنها غافلين ، لم يستطيعوا استيعابها إلا بعد أن حزت فى نفوسهم وتركت موضعها وعليه أثر كدمات السم .

أولا : لقد تبين للمسلمين أن جرىهم وراة أسلوب العيش الغربى واندفاعهم وراء بريق الحضارة المنطلقة وراء شهوة الفم والبدن هو غواية الأمم الغربية لهم بهدف تبديد ثرواتهم وتحطيم معنوياتهم والقضاء على القوة النفسية والجسمية التى أعطاها لهم الإسلام بالاستقامة والصلاة ليكونوا قادرين على مواجهة الأحداث ، مرابطين فى الثغور حتى لا يفاجئهم غزو العدو ومن هنا فقد أخذوا يتحولون إلى بناء مستقبل بلادهم بهذه الثروات لتكون لهم قوة قائمة على الزمن.

ثانياً اكتشفوا أن مناهج السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية التى قدمها لهم الغرب (بشقية) خلال القرن الماضى لم تكن إلا تراكات مجتمع آخر مختلف ونتيجة تحولات فى عقائد وثقافات تختلف اختلافاً واضحاً عن المجتمع الإسلامى ، وهى ثمرة تكوين نفسى واجتماعى وعقلى تنازعته وثنية اليونان الرومان ، وتفسيرات المسيحية ، واستعلاء العقل والعلم بعد كشوف الطبيعة ، وقد تشكلت

فى مجتمع لم يكن من دينه « منهج حياه » أو « نظام مجتمع » فان المسيحية حين عبرت من الشرق إلى الغرب عبرت على هيئة وصايا وعبادات وتراتيل فكان أهلها فى حاجة إلى أسلوب عيش أمند سريعاً بين الرأسمالية والليبرالية والماركسية والوجودية والقومية والاقليميه دون أن يجد منها بعد تجزبة السنوات الطوال إلا مزيداً من الصرع والاضطراب .

ومن هنا قد كانت مؤامرة نقل هده الأيدلوجيات إلى بلاد الإسلام التى تملك أعظم منهج ربانى جامع خالد أضحوكة التاريخ والأجيال ، إذ كيف يقترض من علك هذا المجد الأمثل فتات الأمم ومحاولات العقول البشرية القائمة على الهوى والظن التى لم تثبت فى مجال التجربة بل لقد كشفت أبحاث العلماء عن فساد هذه الأيدلوجيات فى بيئاتها التى نبتت فيها ولم تحقق مطامح النفس البشرية وخلقت ما يسمونه أزمة الإنسان المعاصر فكيف تصلح هذه لبيئات أخرى تختلف أشد الاختلاف .

ثالثاً : آمن المسلمون بعد تجربتهم الطويلة مع الغرب أن خضارة الغرب ليست هى الأسلوب الاصلح لامتلاك الإردة ، ولتحقيق افتقاد المسلمين مكانتهم فى الارض ، وإنما الاسلوب الاصلح هو التماس منهج القرآن وتطبيق شريعة الإسلام ، فهذه هى « العروة الوثقى » التى كلما التمسها المسلمون على طول تاريخهم نجوا بها من أزمة التبعية والنفوذ الاجنبى وسلطان الاقوياء عليهم ، وأن الحضارة المادية مهما بلغت من زخرفها لن تبهرهم إلى الحد الذى يجعلهم يضحون وجودهم وكيانهم وذاتيتهم فى سبيل الحصول على هذا البريق ، وخاصة أن الحضارة المادية مهما بلغت من زخرفها لن تبهرهم إلى الحد الذى يجعلهم يضحون وجودهم وكيانهم وذاتيتهم فى سبيل الحصول على هذا البريق ، وخاصة أن الحضارة الغربية اليوم لا تقدم — فيما غير العلم — إلا ذلك الانحراف الخطير فى الترف والشهوت ولذائذ الماديات والاسراف فى تبديد الكيان الانسانى وهو ما يتعارض مع كرامة المسئولية والالتزام الاخلاقى للإنسان الذى شرفه الحق تبارك وتعالى بالاستخلاف فى الارض وتعميرها وإقامة المجتمع الربانى بها .

هذه الحقائق التى تبدو واضحة الآن فى العقل الإسلامى والنفس الإسلامية

تعطى هدفاً أساسياً هو أن القوى الأجنبية التى تتجمع اليوم لتواجه عالم الإسلام وهو يتحفز لامتلاك إرادته إنما تهدف إلى القضاء على هذه الذاتية الخاصة التى شكلها الإسلام فى النفس المسلمة فأصبحت الأمة الاسلامية كالشـــامة فى الجمع الغفير .

هذه الغاية قائمة اليوم من وراء كل محاولات الغزو الفكرى والتغريب وتحريك قوى الشعوبية والاستشراق والتبشير الغربى وضرب الاسلام من الداخل بالفرق الضالة كالبهائية والقاديانية ، أو ظهور جماعات من يدعون « العودة الى الاسلام » لـكسب ثقة المثقفين عن كتاباتهم وضرب الاسلام من الداخل على النحو الذى دعا اليه عتاة التغريبيين من الشيوعية كمحاولة ما كره وقد تـكشف فعلا فى السنوات الآخيرة أن كثيراً ممن أعلنوا عودتهم الى حظيرة الاسلام خدعة قد وقفوا فى وجه تطبيق الشريعة الاسلامية ، أو التمسوا مفاهيم الباطنية وأصحاب مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وذلك بعد أن رتبت لهم محاولات وكسب الثقة فيهم ، والواقع أن بيننا وبين هؤلاء : مفهوم الاسلام الجامع الصحيح كمنهج حياة ونظام حياة مجتمع فكل نـكوص أو نصول أو محاولة للتشكيك فى هذه الوجة إنما هى اقرار بالتبعية ، ذلك لان مفهوم المسلم الصحيح هو الايمان بالمنهج الربانى وسلامة تطبيقه لا يعتوره فى ذلك ذرة من الشك أو التردد فى التماس الأعذار لبقاء الأنظمة القائمة على القانون الوضعى وأخطر مافى هذا هو أن يتحدث هؤلاء عن الإسلام بمفهوم المسيحية أى بالفصل بين الدين والسياسة أو بين الدين والمجتمع .

والحق أن القوى الأجنبية مازالت قادرة على أن تقدم مموهين لهم بألفاظ براقة وكلمات خداعة ، يحاولون الصد عن إحدى عقائد المســـلمين اليوم وهى تطبيق الشريعة الإسلامية كمحاولة وحيدة وأخيرة لتحرير المجتمع الاسلامى من أسباب ضعفه واضطرابه ، وكمنطق لامتلاك الارادة الاساسيه للأمة الاسلامية على أرضها وتأكيد وجودها ولتستطيع بعد ذلك أداء رسالتها المنوطه بها وهى « تبليغ » الاسلام للعالم المضطرب الممزق المتطلع إلى منهج جديد يخرجه من أزماته وانحلاله .

إن أخطر ما يواجه المسلمين اليوم هو حماية هذه « الذاتية الإسلامية » بكل

شاراتها وعلاماتها ومقدراتها ربانيه قرآنية كما رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيرته وسنته وخلقه وتصرفه اليومى فى كل الأمور ، ذلك أن هذه الذاتية الإسلاميه هى هدف القوى الثلاث : الصهيونية والماركسية والغربية ، من كل محاولات التغريب والغزو الثقافى ، لأنها هى القوة الحامية لهذه الأمة من أن تذوب فى العالمية والأممية الدولية وهى فى مرحلة الضعف الذى تمر به وحيث أن الأمميه ضالة مسرفه فى الوثنيه والمادية والاباحية .

ولذلك فإن أبرز مطامح القرن الخامس عشر هو تأكيد تمايز هذه الأمة عن الأمم ، وهذا التمايز كما يقول الدكتور محمد محمد حسين مقصود لذاته لأن الأصل هو تباين الأمم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى ، وإذا كانت النظريات الرياضية والتجريبية واحدة لا تختلف باختلاف الأمم فإن النظريات السلوكيه التى تقنن سلوك الفرد وسلوك الجماعة مختلفة متباينه بتباين أممهم .

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) .

(ولو شاء الله لجعل الناس أمه واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .

ويتميز المسلمون بالمقدار الذى يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، هذا الالتقاء على نظام يجعلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ومن طريق المخالفة لغيرهم الذى يصونهم عن الذوبان والفناء فى غيرهم وهذا واضح فى قوله تعالى :

(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله).

فالآية تدعو المسلمين إلى الإجتماع على طريق الاسلام من ناحية وتنهاهم من ناحيه أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لأنها تؤدى إلى تفرق جماعتهم ، ان الخطر هو تطويع الإسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطوير المجتمع ليكون فى نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية .

هذا التمايز ، وهذه الذاتية الاسلامية ، الواضحة العميقة ، لا تقتصر على مجال واحد ولا ميدان واحد ، ولكنها تشمل كل الميادين والمجالات ، من الاقتصاد

الى السياسة الى الادب الى اللغة الى التاريخ الى أدق الدقائق فى القضايا الاجتماعية والفكرية والثقافية . وهذا التمايز هو الحصانة الوحيدة دون الذوبان والانصهار فى بوتقة هـذه الحضارة المضطربة التى تمر بأقسى مراحل أزماتها ونهايتها .

(٢)

الدعوة الإسلامية تشق طريقها الى آفاق آفاق الارض

مع عديد من التحديات والانتصارات

مازال الإسلام يفتح آفاقا جديدة أمام الدعوة الى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف أجزاء الكوكب الارضى على نحو هو الآن موضوع دهشة المراقبين وعجبهم نظراً لقلة الموارد الماليةالتى تنفق فى هذا السبيل وبالرغم من كل أعمال المقاومة والحشد المبذول للحيلولة بين الناس وبين الاسلام .

وفى العالم الغربى (أوروبا والامريكتين) بالرغم من ضخامة النفوذ الذى تفرضه الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية والانفاق الضخم والمحاولات الجديدة فى كسب الشباب بفتح أبواب الاغراء بحلبات الرقص وتقبل قوانين الاجهاض واقرار الشذوذ الجنسى والعياذ بالله ورفع الحظر عن معتنقى الماسونية فإن ذلك كله يوحى بالكساد الشديد والانصراف الشديد حتى فى مجال تربية أجيال جديدة من قادة الفكر الدينى فان النسبة المطروحة توحى بالانصراف الشديد عن هذا المجال ، هذا بينما يكسب الاسلام مزيداً من معتنقيه تحت تأثير قراءة النصوص الإسلامية أو الالتقاء بالدعاة المسلمين على ندرتهم فى المراكز الإسلامية فى بعض العواصم ، بالاضافة الى تلك الروح البارزة لانصاف الاسلام ورسوله التى تكشف عنها الكتابات التلقائية التى لا يدرج أصحابها تحت قوائم الاستشراق والتبشير .

وفى مناطق مختلفة من الامريكتين واستراليا بالإضافة الى أوروبا نفسها نجد تجمعات جديدة تمثل أقليات صغيرة مسلمة تحاول أن تقيم مجتمعا اسلاميا

خالصا وسط هذا الركام الضخم من فساد الحضارة الغربية واضطراب المجتمعات الاوروبية .

وتجرى المحاولات لاستخلاص تصريحات من قادة المسلمين ترمى الى القول بأنه لا فوارق حقيقية بين الاسلام والمسيحية أو الاديان الاخرى بهدف تثبيط همم الذين يزمعون الدخول فى الاسلام بوصفه يمثل عقيدة التوحيد الصحيحة اليوم المحررة من الوثنية والتثنية والتعدد .

وفى الولايات المتحدة جاليات من الملونين الذين هم من الافارقة فى الاصل يمثلون تجمعاً اسلامياً، ولكن هناك اعداد كثيرة من الامريكيين أنفسهم أخذت تدخل فى الاسلام حتى يقول مدير احدى المؤسسات الاسلامية فى واشنطون : (انه لا تطلع الشمس يوماً الا على مسلم جديد) وان هذا يحدث فى كثير من بقاع القارة الامريكية وتتزايد هذه الظاهرة حتى تمثل علامة جديدة يصفها الدكتور محمد عبد الرؤوف بقوله :

انى أرى ان هناك قوة خفيه تعمل على نشر الاسلام فى هذه البلاد وهى قوة الله تبارك وتعالى وليس عملنا الا من وراء ارادة الله وتقديره، حيث لا ينتشر الاسلام بين الامريكيين السود فحسب بل بين العنصر المسيحى (انجلو ساكسون)، وقد وجد طريقه الى ذوى النفوذ فى البلاد .

وعندما تقرأ ما يكتبه أمثال الدكتور موريس بوكاى من مقارنات بين العهد القديم وبين القرآن من حيث (المصدر) حيث يكتشف (ربانية) القرآن و (بشرية العهد القديم) فإلى أى مدى تحدث هذه الآثار دويا ، فإذا أضيف الى هذا ما تقدمه منظمات عدة فى دراسات الكتب المقدسة، وبالاضافة الى ما كشفته مخطوطات كهف قمران وما تزال تكشفه الحفريات الأثرية مما يؤكد صدق نصوص القرآن الكريم وتزييف كثير من تلك المسميات الكاذبة التى تقوم عليها دراسات التاريخ القديم من حيث تتجاهل (الحنفية الابراهيمية) ودورها فى بناء ذلك التكوين الروحى الذى عرفته هذه المنطقة ممتداً من ابراهيم عليه السلام فى أبنائه وفى اسماعيل الى محمد صلى الله عليه وسلم .

(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) وما يتصل بهذه الرسالة من حقائق تتمثل فى جماع الايجابيات التى تراها فى الجاهلية وفى فساد التفسيرات التى صرفتها اليهودية والمسيحية مما كشف القرآن زيفها مما غيره أهل الكتاب من وجهة الدين ومن انكار الارتباط بالنبوة الخاتمة وما تزال هذه الحقائق تنكشف وما تزال قوى التزييف تحول بين النـــاس وبينها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) .

وفى الوقت الذى تتعدد فيه الجاليات الإسلامية فى كل مكان فى العالم وفى أوربا وفى آسيا لم يترك النفوذ الأجنبى هـــذا النشاط يزدهر وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الأحمدية (القاديانية) فى الهند وغذوها بالأموال لإيجاد بلبلة فى صفوف الامة الاسلامية ، وبنى فى إنجلترا مسجداً للأحمدية (أو القاديانية) ليكون مركز انطلاق لهم فى انجلترا أو أوربا ، كما ساعدت انجلترا على طبع كتب الاحمدية المضللة وخصوصا باللغة الانجليزية ، وقد توسعت الاحمدية فى قلب أفريقيا ولكنها ما تزال مرفوضة لما تخالف من مفهوم السنة الجامعة ، وقد فضح أهدافها وعمالتها للاستعمار العلامة المودودى والسيد الندوى ورابطة العالم الاسلامى وغيرها من الهيئات الإسلامية ، وقد توسعت بعد الحرب العالمية الثانية حركات الطلبة المسلمين فى عديد من البلدان الاوربية الاوروبية ، وتزاحم الغربيون فى كل مكان أمام مظاهر الاعياد الإسلامية ليحضروا ويشاهدوا اشعائر الصلاة الاسلامية من قيام وركوع وسجود وتقاطروا على سماع خطبة العيد مما لفت أنظارهم فسعوا إلى الاتصال بالمراكز الاسلامية ، ولا شك أنهـا ملأت نفوس هذه الجماعات وخاصة شباب المدارس والجامعات وشدتهم إلى الاسلام لبساطة عقيدته وسلامة مبادئه وسماحته واقترابه من الفطرة وعطائه وتكامله مع أشواق النفس الانسانية وحيث يدعو إلى الرحمة والعدل والاخاء والتوحيد ، فقد شد إليه الزنوج الامريكيين الذين عانوا من العسف والظلم والاسترقاق على أيدى الامريكيين البيض كثيراً .

ويعانى المسلمون معاناة شديدة فى مناطق كثيرة من العالم .

وأقسى ما يواجهون ما يلقونه فى المناطق الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية ، وهناك ما يلقاه المسلمون فى مناطق كثيرة من أفريقيا ازاء

الحملات التبشيرية النصرانية حيث تتركز البعثات التبشيرية فى نيجيريا والكاميرون وجنوب السنغال وكينيا وحيث تندفع القبائل الوثنية الى الاسلام وتدخل القبائل الزنجية فى دين الله أفواجا وحيث تقف الدعوة الاسلامية بقوتها الذاتية فى مواجهة الامكانيات الضخمة المتاحة لرجال الارساليات ، وحيث الكنائس والاديرة والمعابد مقامة فى أنحاء كثيرة من البلاد فى المدن والقرى .

وقد شهد الذين قاموا بنشر الدعوة الاسلامية بين الوثنيين بما يلقونه من ترحيب كبير وخاصة فى المديريات الجنوبية الثلاثة : أعالى النيل والاستوائية وبحر الغزال حيث الاتصال بالمواطنين البدائيين والضاربين فى منابت الأحراش والغابات مواطن الحشائش والمستنقعات ، يقول أحدهم : « اقتنعنا بأن العمل فى هذا الميدان عمل ميسور وأن ما يذله المبشرون المسيحيون من جهود ، لو بذل المسلمون عشر معشاره لاثمرت جهودهم أضعاف ما تثمر جهود المبشرين » بل أن الإسلام قد اقتحم مناطق جنوب أفريقيا : (جوهانسبرج ، ديربين ، أيست لندن ، كيب تاون) حيث قامت مجتمعات صغيرة من المسلمين ولكنها متماسكة ، فهم يجمعون الزكاة ويوزعونها على مستحقيها وينشئون المدارس الإسلامية والمساجد ويطبعون الصحف والمجلات الإسلامية ، والمساجد هى مركز نشاط المسلمين الاجتماعى ، وكلما أستولت الحكومة على منطقتهم ، رحلوا إلى أرض أخرى وأقاموا مساجدهم ومساكنهم . ويتساءل بعض الذين زاروا تلك المناطق : « لماذا تتجه جميع بيوت المسلمين فى جنوب أفريقيا نحو القبلة » رغم الصراع الحقيقى الذى يخوضونه مع جهاز البلدية عند تخطيط البناء . فالمسلم هنا لا ينام إلا فى إتجاه القبلة ويقيم فى داره ثلاث حنفيات للوضوء : وغرفة للمصاحف ، ومكان للصلاة ، والنساء المسلمات يخرجن محجبات ويعمل الجميع فى تكامل رائع ، الأطفال يحفظون القرآن ويحسنون تلاوته وتجويده ، ويقبل الوثنيون فى جنوب أفريقيا على إعتناق الإسلام اقتناعاً بأنه الدين الذى أوجب المساواة وذوب الفوارق بين الناس ولم يعترف بأى امتياز أو فضل أو تفوق مصدره اللون أو العرق أو المال .

ومازال مناطق إسلامية كثيرة تقاوم ، أمثال : أرتيريا فى مواجهة الحبشة الماركسية ، ومسلمى الفيليبين (وشعب بانجامور) المسلم ٨ ملايين نسمة فى

الجزر الجنوبية الخمسة الكبرى وهناك اضطهاد المسلمين المتجدد فى الهند وهناك مشاكل مسلمى بورما الذين شردتهم حكومة بورما ومسلمى كمبوديا وفتنام ولاوس وهى مثل لما يقاسية المسلمون الذين يعيشون فى الدول الشيوعيةوهناك مشكلة خمسة ملايين مسلم فى تايلاند .

ومازال مسلمو قبرص يقاومون سبيل تثبيت وجودهم فى الجزيرة وحقهم فى البقاء حيث لم تكن قبرص فى يوم من الأيام أرضاً يونانية وحيث عمد الاستعمار البريطانى إلى تفريغ الجزيرة من المسلمين وجعلهم أقلية فيها ، وقد تعرض المسلمون لصنوف بشعة من التعذيب والحرمان .

ومن الآفاق الجديدة التى فتحها الإسلام فى سنوات ماقبل بزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجرى : غزوته السلمية لليابان حيث ديانته الشنتو (عبادة الطبيعة) والبوذية القادمة من كوريا والصين فى القرن السادس الميلادى حيث أصبح نصف الشعب اليابانى يعتنقها ، والمعروف أنه بعد اندحار اليابان فى الحرب العالمية الثانية ودخول قوات الاحتلال أعلن الامبراطور للملأ أنه لم يعد إلهاً وإنما هو بشر ، وقد انتهزت الهيئات التبشيرية العالمية الفرصة وركزت جهودها على اليابان متطلعة إلى أن تكون « المسيحية » هى عقيدة الشعب اليابانى ، وفى ظل هذا الفراغ العقائدى وجد اليابانيون فى الإسلام استجابة لمطامح نفوسهم وتطلعاتها بين ثلاث حركات تتصارع هى التبشير المسيحى (حيث توحد خمس جامعات تبشيرية ومدارس ثانوية وابتدائية تضم ٣٠٠ ألف) ودعوة ماركسية شيوعية واشتراكية ، وحركة بوذية . وقد دخل الإسلام إلى اليابان من عدة جهات : من قازان عاصمة جمهورية التتار الإسلامية ، ومن الصين ومقاطعة منشوريا ، ومن أندونيسيا والملايو حيث اتصل أفراد جيش الاحتلال اليابانى لأندونيسيا بالشعوب المسلمة هناك .

وما تزال الدعوة الإسلامية فى اليابان تشق طريقها مع آمال عريضة . وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية فى نهاية القرن الرابع عشر ومطالع القرن الخامس عشر تواجه عديداً من التحديات .

وسيبلغ الإسلام مابلغ الليل والنهار مع امتداد الزمان وجهاد العاملين . والحمد لله رب العالمين .

(٣)

المسلمون فى فجر القرن الوليد

(رد الشبهات ومواجهة التحديات)

لعل العالم الإسلامى اليوم يعى فى وضوح تلك المحاولة الماكرة اللئيمة التى تقوم بها قوى النفوذ الأجنبى لتحول بينه وبين انبعاث النهج الإسلامى للحياة والحضارة الذى تتطلع البشريه كلها اليه وتجد فيه أملها .

إن موجات التحامل والتشكيك فى جوهر الإسلام وقدرته على العطاء، وسلامة منطلقه ، وأصالة هدفه ، تنطلق اليوم فى عنف من الصيهيونية لتثير فى النفس الغربية الخوف من ضياء الإسلام البازغ من خلال السحب والغيوم ، وتحاول هذه الكتابات المغرضة أن تصف الإسلام بأنه دين رجعى متأخر جاء معاد للحضارة والتقدم والتطور، أو تصوير يقظة المسلمين على أنها حركة معاديه للغرب الصناعى المتحضر ، أو التحذير من نزعة الجهاد الإسلامية ، ومن هنا تنزغ دعوة خصوم الإسلام إلى إشعال الفتن المذهبية ، أو العمل على خلق صراعات طائفية فى الشرق بين البلاد الإسلامية حتى تحول المسلمين وبين التضامن الإسلامى والوحدة الجامعة، وهم فى ذلك يخدعون الغرب الذى يعرف أن اليقظة الإسلامية بناءة وسمحة وكريمة ، وأنها تقوم على العطاء والإيجابية والسماحة والبعد عن التعصب ، ويخطىء مكسيم رودنسون حين يقول أن الإسلام لم يكف يوماً عن كونه رافضاً كل تطور لمجاراة الحياة العصرية بسبب تمسكه المتزمت بحرفية الدين .

فالواقع أن الاسلام متفسح فى مواجهة الحضارات والأمم وهو لا يعارض النظم المختلفة ولكنه يؤمن بالحفاظ على ذاتيته ومنهجه العقائدى والفكرى الذى ينطلق منه إلى التعامل السمح الكريم مع الأمم والشعوب ،أما أن يفرض على المسلمين أسلوب عيش غير أسلوبهم فى محاولة لمسخ شخصيتهم وإذابة كيانهم الخاص فى أتون الأممية العالمية أو أن يكون الإسلام مبرراً للحضارة الغربية المضطربة فى مرحلة أفولها وانهيارها فإن ذلك لن يكون .

ويكفى الاسلام أنه يحافظ على كياته ويقيم حضارته ومجتمعه ليكون نبراسا للبشرية لتهتدى به إلى طريق الله ، ولـكنه لن يكون عدوانيا أو مدمراً لحضارات الأمم أو وجودها .

وحين نتلفت اليوم ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى نجـــد المسلمين وهم يبنون كيانهم الحضارى الاجتماعى وسط المحاولات التى تحاول ان تحول بينهم وبين اكتمال إرادتهم ، وفى أفغانستان يقاوم المسلمون نفوذا غريبا يحاول السيطرة عليهم ، وفى باكستان نجد العمل الجاد فى سبيل إقامة المجتمع الاسلامى الأصيل ، وفى تركيا نجد الاتجاه الصحيح نحو تحرير المسلمين من نفوذ الأيدلوجيات والأنظمة ماضيا فى طريقه .

يكشف هذا نجم الدين أربكان حين يقول : أن الصهيونية والماسونية حاولا عزل تركيا عن العالم الاسلامى ، ومؤامراتهم مستمرة ، ذلك أن المعركة بين الاسلام فى تركيا والصهيونية قد اتخذت أشكالا عدة وهى حرب طويلة المدى ، وهى مستمرة منذ خمسة قرون منذ فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وعمل على فتح رومية ولـكن هذا الصراع فى المائة سنة الأخيرة أخذ شـكل مخطط أعد له سلفا فاستطاعت بعض القوى عام ١٨٣٩ أن تؤثر فى جسم الدولة الفكرى وتدخل القوانين الوضعية البعيدة عن الاسلام بواسطة المنظمات اليهودية الماسونيه ، وقسم العمل اليهودى فى تركيا إلى ثلاث مراحل مدتها ثلاثون سنة وهى عبارة عن تنفيذ فـكرة تيودور هرتزل بإسقاط الدولة الاسلامية فى تركيا ، أما المرحلة الثانية فقد استمرت عشرين سنة وهى تقسيم الدولة العثمانية إلى دويلات صغيرة ، أما المرحلة الثالثة فقد استمرت خمسين سنة وكانت لابعاد تركيا عن الاسلام .

ثم نشأ حزب الاتحاد والترقى وكانت له علاقته باليهود والماسونية ، ومن ثم استطاع إسقاط السلطان عبد الحميد وبدأ فى أبعاد تركيا عن الخط الاسلامى وتغريبها بطرق عديدة أهمهـــا العلمانية التى كانت تعنى فى تركيا بالتحديد إضطهاد المسلمين .

ثم بدأت تركيا الاسلامية تكشف عن وجودها ، وبدأت تتحرر من أساليب التغريب ، وهى اليوم على مفرق طريق اليقظة الذى يعم العالم الاسلامى كله تطلعاً إلى تحقيق أهداف كبرى ، منها انشاء الأمم المتحدة الاسلامية واقامة السوق الاسلامية المشتركة ، وايجاد الدينار الاسلامى الموحد ، والمعاهد الثقافية الموحدة والوحدة الاسلامية للدفاع عن العالم الاسلامى ، وهناك فى العالم الاسلامى كله ايمان أكيد بأنه لا تقوم للإسلام دولة الا بتكوين الفرد المسلم الذى تربى على أساس من القرآن والسنة وهدى من السيرة ، ولابد من انبثاق نظم البلاد الاسلامية وقوانينها ومعارفها واقتصادها وسياستها الخارجية من النظام الاسلامى ، وحيثما ننظر من حولنا نجد أضواء الاصالة تزحف مع مطالع فجر القرن الخامس عشر ، ففى اليابان يقول الدكتور شوقى فتاكى : أن هناك ٣٠ ألف مسلم يابانى يشكلون مجتمعهم الجديد ويدعون الى الوحدة الاسلامية والجهاد من أجل تحرير المسجد الأقصى والحرم الابراهيمى ، بالاضافة الى جميع المقدسات الاسلامية وقد وحدنا القوى الاسلامية اليابانية فى دعوة للتضامن مع المسلمين ، ونحن ندعو اليوم الى تجديد وصقل الوحدة والتضامن القوى الاسلامية فى العالم أجمع من أجل تحقيق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا العالم الحديث .

ومن أفريقيا نجد المجلس الاسلامى لجنوب أفريقيا يكشف عن الاخطار التى تواجه المسلمين وخاصة فى شأن تربية الاطفال تربية اسلامية ، وما تسىء به الثقافة الغربية الى حياة الاسرة المسلمة ، وما يتطلع اليه الشباب المسلم ليكون قادراً على مواجهة التيارات المعادية للإسلام وخاصة هجمات الماركسيين والمستشرقين ودعاة المذاهب الشرقية ، ويتطلعون الى اقرار برنامج شامل للتربية الاسلامية يقوم على أساس تثبيت قواعد العقيدة الاسلامية .

ويعلق المجلس الاسلامى أهمية كبرى على نشر الاسلام فى جنوب أفريقيا وهذا دور المنظمات الاسلامية ، ويرى أن جنوب أفريقيا مهيأ لانتشار الاسلام لأن هناك من المسلمين المقيمين بجنوب أفريقيا منذ ثلاثمائة سنة ، وأن أول مسجد فى مدينة الكاب يعود الى عام ١٧٩٠ كما يوجد بجنوب أفريقيا ١٥٠ مسجداً .

وهكذا أينما يولى المسلم وجهه يجد اليقظة الإسلامية وهى تتدافع فى قوة لتحقيق هدف واضح فى هذا القرن الخامس عشر هو الخروج من التبعية الغربية سواء جاءت من الاستعمار أو الصهيونية أو الشيوعية، ووصولا إلى الرشد الفكرى وتحقيق غاية أساسية هى بناء الشخصية الإسلامية والحفاظ عليها والتضحية بكل عزيز وغال فى سبيل هذا التميز الذى عرف به المسلمون بين الناس والملل .

وعندما نراجع خريطة المتغيرات تجد أن الدعوة الإسلامية تمضى فى كل طريق وتقتحم كل مجال وتستعمل كل أسلوب على هذا النحو :

أولا : تجدد انتشار الإسلام بالدعوة الإسلامية فى مختلف بقاع العالم حيث يتحقق ما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول الاسلام إلى كل دار فى كل زاوية من زوايا الأرض .

ثانياً : انتشار دعوة التصحيح فى تحرير المفاهيم والعودة إلى منهج الله فى كثير من بلاد المسلمين حيث تتنامى قوة المطالبة بالعودة إلى الشريعة الإسلامية واكتشاف هذه الأقوام مدى النتائج الخطيرة التى تحققت نتيجة التبعية للمنهج الوافد سواء فى مجال الفكر أو الاجتماع أو الحكم .

ثالثاً : بروز الذاتية الإسلامية فى بلاد قاست طويلا من مظالم العلمانية وسيطرة الدكتاتورية الفردية الحاكمة ونماء أجيال جديدة تكشف لها زيف هذه التيارات التى جرت فيها الأمم طويلا .

رابعاً : بروز فريضة الجهاد كعامل حاسم فى حل المشاكل ووضوح هذا العمل وقيامه بدور ضخم فى تحرير كثير من الأوطان الإسلامية .

خامساً : نماء القوة العسكرية الإسلامية فى مختلف أجزاء العالم بحيث تصبح قوة واحدة عندما تلتقى القلوب على وحدة إسلامية صحيحة .

الفصل الثامن

ايدلوجية جديدة وليس غير الإسلام

أن دخول العالم الإسلامي فى مطلع القرن الخامس عشر مرحلة ما يسمى الصحوة الإسلامية أو المد الإسلامى لدليل واضح على طبيعه المرحلة التى يواجهها المسلمون اليوم وهى مرحلة تختلف فيها الآراء بين منصف وحاقد، ومتفائل ومتشائم ومستوعب للتيارات العالمية وجاهل بها، ولا ريب أن « الدهشة التى تسود دوائر الغرب ترجع إلى عدم توقع تنبه المسلمين بهذه السرعة إلى المؤامرة الخفية التى حيكت بدقة منذ سنوات طويلة والتى اعتقد الغرب أن المسلمين قد استوعبوها وانصهروا فيها، وأنهم قد انفصلوا عن مفهومهم الأصيل للاسلام ولم يعودوا يتقبلون الأمور ويفسرونها إلا من خلال المنهج الذى رشحته قوى التبشير والاستشراق والتغريب من خلال التعليم والثقافة منذ أكثر من مائة عام وقد تخرجت على هذه المفاهيم أجيال كثيرة، حتى لم يعد هناك من سبيل الى أن يفهم المسلمون أمور فكرهم وحياتهم وثقافتهم إلا من خلال هذه « المسلمات » التى وضعت من أجل تفريغ (الإسلام من حقيقته الأصيلة) من مفهوم التوحيد الخالص ومن مفهوم فريضة الجهاد الماضية إلى يوم القيامة،

ومن ثم فان المناهج الوافدة تحاول أن تصور الإسلام بأنه دين من الأديان التى لا تفترق إلا فى أمور يسيرة غافلين عن تلك الفوارق العميقة. (الصلب والتثليث والخطيئة) وكذلك ظهرت تلك الدعوات المضللة (البهائية والقاديانية ومحتوياتها) ومن أجل تزييف مفهوم الجهاد كما جاء به القرآن حاولت المفاهيم الوافدة أن تحول المسلمين عن اعرافهم وأدابهم ومفاهيمهم ومقاييسهم التى رسمها الإسلام إلى مفاهيم الفكر البشرى وأن تخدعهم بأن السبيل الوحيد للنهوض وامتلاك الارادة هو « الأخذ » بأسلوب العيش الغربى ومقاييس الغرب فى القتال مهملين الجوانب الروحية والمعنوية اكتفاء بالتفسير المادى والمقياس المادى فكانت النتيجة أن خدعنا الغرب فلم يقدم لنا إلا فتات موائده من الجوانب الاستهلاكية والمثيرة للشهوات من مسرح ومرقص وأدوات تجميل وأوجه الفساد والترف

المستهاسكة لقوى الامم وعافيتها ، أما العلوم والتكنولوجيا وأدوات القوة فقد حجبها الغرب عنا بينما سلح بها أعداء الإسلام واقام إسرائيل فى قلب العالم العربى وبذلك دفع المسلمون نتيجة متابعتهم لمناهج الغرب الرأسمالية والماركسية إلى السقوط فى محنة الهزيمة والنكبة والنكسة ،

ولكن مفاهيم الإسلام الأصيلة التى قدمتها حركة اليقظه ، لم تلبث أن هزت هذا الغافل وردته إلى الفهم فعرف من أين هزم، وبدأ يستيقظ مؤمنا بأن المناهج الوافدة لن تستطيع أن تحقق له أمله ، ولابد من العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى الذى أضاء الكون منها أربعة عشر قرنا ومن هنا كانت الصحوة الاسلامية الإسلامى والمد الاسلامى انتقالا من اليقظه إلى النهضة فى مطلع القرن الخامس عشر ،

إن الهزة التى تنتاب الغرب اليوم هى هزيمة حساباتهم بأن العالم الإسلامى قد خضع وانطوى وانصهر فى بوتقة الحضارة العالمية والوحدة الأممية ولم يكونوا ظانين بأن الإسلام قادر فى وقت المحنة أن يستعيد قدرته بأن يرجع إلى منابعه الأولى التى لاتتوقف عن العطاء. يقول أحد الباحثين أن الهدف السياسى الراهن من الكتابة عن الإسلام فى الغرب هو سد الأبواب الفكرية أولا على الإنسان الغربى نفسه حتى لا يرى فى ظهور الإسلام على حقيقته ملجأ له من واقع التمزق الفكرى والخلقى والاجتماعى والعقيدى بل والمادى ، إنهم يطمعون فى عرض صورة مشوهة عن الإسلام للانسان الغربى لكى يخدعوا الغربيين المتطلعين إلى أن الإسلام يستطيع أن ينقذ البشرية ، ومن هنا كانت محاولاتهم للحصول على كتابات من المسلمين عن أن الاسلام لا يختلف عن المسيحية إلا فى مسائل فرعية أو اعتمادهم فى تقديم الاسلام للغرب عن طريق الكتابات الزائفة التى كتبها المستشرقون اليهود والنصارى التابعين للكنيسة من ناحية والموالون للاستعمار من ناحية أخرى وهى نفس المحاولة التى قام بها الغرب بعد عودة المحاربين إلى الغرب من الحروب الصليبية عندما حاولوا أن يقدموا لقومهم سماحة الاسلام ،

أما ظاهرة المد الاسلامى فهى صحيحة بكل المقاييس. فقد كان لابد أن تنكشف حقيقة الاسلام التى أخفاها التغريب والاستشراق سنوات طويلة ، وأن يتبين أن النفوذ الغربى هو الذى حجب عظمة هذه الحضارة وأخفى ذلك

الدور الذى قام به المسلمون فى مجال العلم والتجريب ، وما قدمتـــه الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى فى مجال القانون الغربى ، وكيف أن علوما كثيرة منها الاقتصاد والاجتماع والنفس والتربية والأخلاق قد قدم الإسلام أصول أصيلة منها ماتزال هى ركائز العلوم الحديثة، أن هذه الحضارة التى أضاءت العالم ألف سنة لم تفقد سحرها ولا سحرها وأن توقفت عن العطاء بعامل خارج عن إرادتها، حيث ترك للحضارة الغربية الفرصة أن تقدم نتاجها فاذا العالم بعد ثلاثة قرون غارق فى أزمة من أشد أزماته ومحنة من أقسى محنه ، ذلك لأنه تغافل عن الصانع والخالق وعن أصول العلاقه بين الانسان والمجتمع والحضارة، وعن مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى .

فاليوم يتبين مدى جناية الحضارة الغربية على البشرية ، ويتبين أن الحضارة الإسلامية قادرة مرة أخرى على العطاء ، بالرحمة والاخاء البشرى والعدل حيث يتطلع العالم إلى إيديولوجية جديدة .

أن المسلمين اليوم هم ألف مليون من البشر يمثلون ثلث سكان العالم بينما تمثل القارة الإسلامية نصف مساحة اليابسة ومنذ أن ظهر الاسلام وما من حادث يحدث شرقا أو غربا إلا وله صلة بالاسلام وعالم الاســلام يتمدد الآن فى القارات الخمس وترتفع مآذنه فى كل مكان حتى تكتب جريدة التايمز تحت عنوان :

« اللينينية ايديولوجية خاسرة والاسلام هو الذى سينتصر » : إن أعنف الثورات ضد الهيمنة العربية كانت تقوم باسم الاسلام ، هـــذا الأمر لاحظه الشيوعيون ولم يغب عن بالهم ، ووجد الشيوعيون أنفسهم يواجهون فى آسيا الوسطى حركه إسلامية عدائية ظلت مستمرة خلال العشرينات فمن عام ١٩٢١ سرا ومن مطلع ١٩٢٨ علنا ، حاولوا اضعاف الدين الاسلامى واعتبروه حركة رجعية ، ذلك أن الدين افيون الشعوب كما يقول الشيوعيون . وكانت النتيجه غير المباشرة لهذه السياسه أن انبعثت حركة سرية فى القوقاز خاصة فى جماعات الأخوة الاسلامية لعبت دوراً هاماً جداً فى مقاومة القيصريه الروسية ثم الفاشية الشيوعية ، ومن البلاهة الافتراض أن ردود المسلمين ضد الروس

فى أفغانستان وغيرها يمكن أن تجعل الإسلام يقف إلى جانب أحد ، ذلك أن الإسلام دين وليس كتلة سياسية وهو يقف خصما للمادية وهو فى نزاع دائم معها ومع ذلك فيمكن أن يعتمد العالم على قوة الإسلام دينا وحضارة وإذا قام التحدى بين اللينينية والإسلام فان الايديولوجية هى الخاسرة والأكثر ضعفا وأن الإسلام هو الذى سينتصر ،

إن « مستقبلية الاسلام » واضحة وليست فى حاجة إلى بيان :

أولا : اضطراب النظريات المعاصرة وبحث الإنسان المعاصر عن وسيلة للتحلل من القيود المادية التى كبلته · وصيحات متعالية منذ أكثر من نصف قرن بفساد الحضارة المعاصرة (روكسن وأزمة الإنسان المعاصر) وصراع الايديولوجيين الرأسمالية والماركسية وأزمة القنابل الذرية والهيدروجنية ، وفساد المجتمع الغربى وانحلال الأسرة وأزمة المخدرات والانتحار فى أرق البلاد تمدنا وأعلاها ثروة .

ثانيا : تطلع البشرية إلى نظام جديد وقدرة الاسلام عن العطاء فى هذا المجال نتيجة سلامة الأصول التى قام عليها من ثبات القيم وارتباطها بالفطرة الإنسانية وتميز نظامه بخصوصيات تجعله دائم الصمود فى وجه الأحداث صالح لمواجهة التغيرات فى مختلف العصور والبيئات .

ثالثا : ظاهرة التفوق البشرى فى عالم الإسلام واتساع الطاقات الاسلامية الطبيعية (الثروات المادية والبشرية وامتلاك الطاقة فى نفس الوقت الذى تغيض فيه الأرحام فى الغرب) ،

وانكشاف فساد الصيحات الباطلة التى تقول بالانفجار السكانى والتى هى فى الحقيقة فساد التوزيع والتسلط على الثروة أما الإخطار التى تواجه مستقبلية الاسلام فهى :

أولا : التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين ،

ثانيا : تمزق صفوف المسلمين وفى الطليعة قادتهم .

ثالثا : الغزو الواقع عليهم عسكريا واقتصادياً وفكرياً وحضارياً .

رابعا ، تخليهم عن المنهج الاسلامى وانحرافهم عن حقيقة الاسلام .

والصلاح يكمن فى العودة إلى أصول الاسلام وينابيعه الصافية ، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، العمل بالكتاب والسنة . وتغيير منهج التربية والتعليم هو حجر الأساس فى بناء النهضة .

وعلى المسلمين : ١ ـ أن يعرفوا أنفسهم .

٢ ـ أن يعرفوا الآخرين بعيدا عن عقيدة التعالى أو التجاهل أو الزهد .

٣ ـ أن يعرفوا الآخرين بأنفسهم على صورة الأصالة والرشد الفكرى على أنهم نموذج مختلف له طابعه وذاتيته وأنه لا يمكن أن ينصهر وأنه يضحى بكل شيء فى سبيل الحفاظ على طابعه الخاص . وفى عشرات من التقارير الاسرائيلية والغربية نجد الحديث عن (صحوة الإسلام) يأخذ طابعا بعيداً عن الموضوعية والانصاف ، أنه يصدر عن وجهة نظر كارهه لنهضة الاسلام . والواقع أن (صحوة الاسلام) لا تقاس بمقياس النصر المادى للتاريخ ولا بالمفاهيم العلمانية التى حاولت خداع تركيا وإيران بأسلوب التحديث الذى يرمى إلى التغريب والخروج من دائرة الأصالة الاسلامية ، والحقيقة ما يقوله البعض متجرداً .

(أرى الموجة الاسلامية الحالية لها أصالة وعمق وإنها تستطيع أن تغير الشرق الاسلامى ولفترة زمنية طويلة) .

أن الوحدة الاسلامية ، والأخوة الاسلامية ، والتضامن الاسلامى ، وتحقيق قيام المجتمعات الاسلامية الأصيلة على مبادىء الكتاب والسنة . وتطبيق منهج الاسلام فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية يجب أن لا نزعج

أحداً فان الحضارة الاسلاميه لا تتطلع إلى أكثر من امتلاك ارادتها وهى بعد ذلك معطية سمحاء مع الحضارات البشرية والانسانية تقيم مبدأ الاخاء الانسانى والعدل والرحمة .

أما الأقطار الاسلامية فان أغلبها قد نص على أن الشريعة الاسلامية مصدراً للقانون وليس هناك إلا مرحلة عزلة وتنقية وتطبيق وتكون الأقطار الاسلامية فى هذا مستجيبة لمطامح شعوبها من ناحية ومقدمة هذا النموذج الاسلامى للعالم كله ليعرف مقدار عطاء الاسلام الحقيق .

لن العقبات التى تقوم فى مواجهة هذا الهدف هى من صنع انفوذ الأجنبى (شيوعياً وصهيونياً وغربياً) فهو الذى يحاول اليوم عن طريق ما يسمى (بالحوار) أو الاستشراق أو التبشير عن طريق الثقافة والتعليم والصحافة وعن طريق مؤسسات الماسونيه الجديدة (الروتاري والليونز) وغيرهما من الدعوة إلى تمييع الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الأديان فى محاولة لتصوير (الاسلام) وكأنه لا يختلف عن تفسيرات الأديان القائمة وذلك بهدف القضاء على ما سوى اليهودية التى يدعون أنها أول الأديان بينما رسالة الله (الاسلام) بدأت منذ دعوة نوح عليه السلام وامتدت إلى محمد صلى الله عليه وسلم)

والاسلام فى الحقيقة هو دين الله الخاتم ، الذى حمل مفهوم التوحيد الخالص ومسئولية الانسان فى عمارة الأرض بالتزامه الأخلاق ومسئوليته وجزائه الأخروى .

ولنعلم أن الاسلام دين ونظام مجتمع لا يفترقان : وهو ليس دينا لاهوتيا عباديا ولكنه دين يجمع العلاقتين بين الله تبارك وتعالى والإنسان وبين الإنسان والمجتمع . وقد قدم للبشرية منهجا كاملا فى مختلف مجالات السياسة .

والاقتصاد والاجتماع والتربية طبقته أجيال من المسلمين خلال أربع عشر

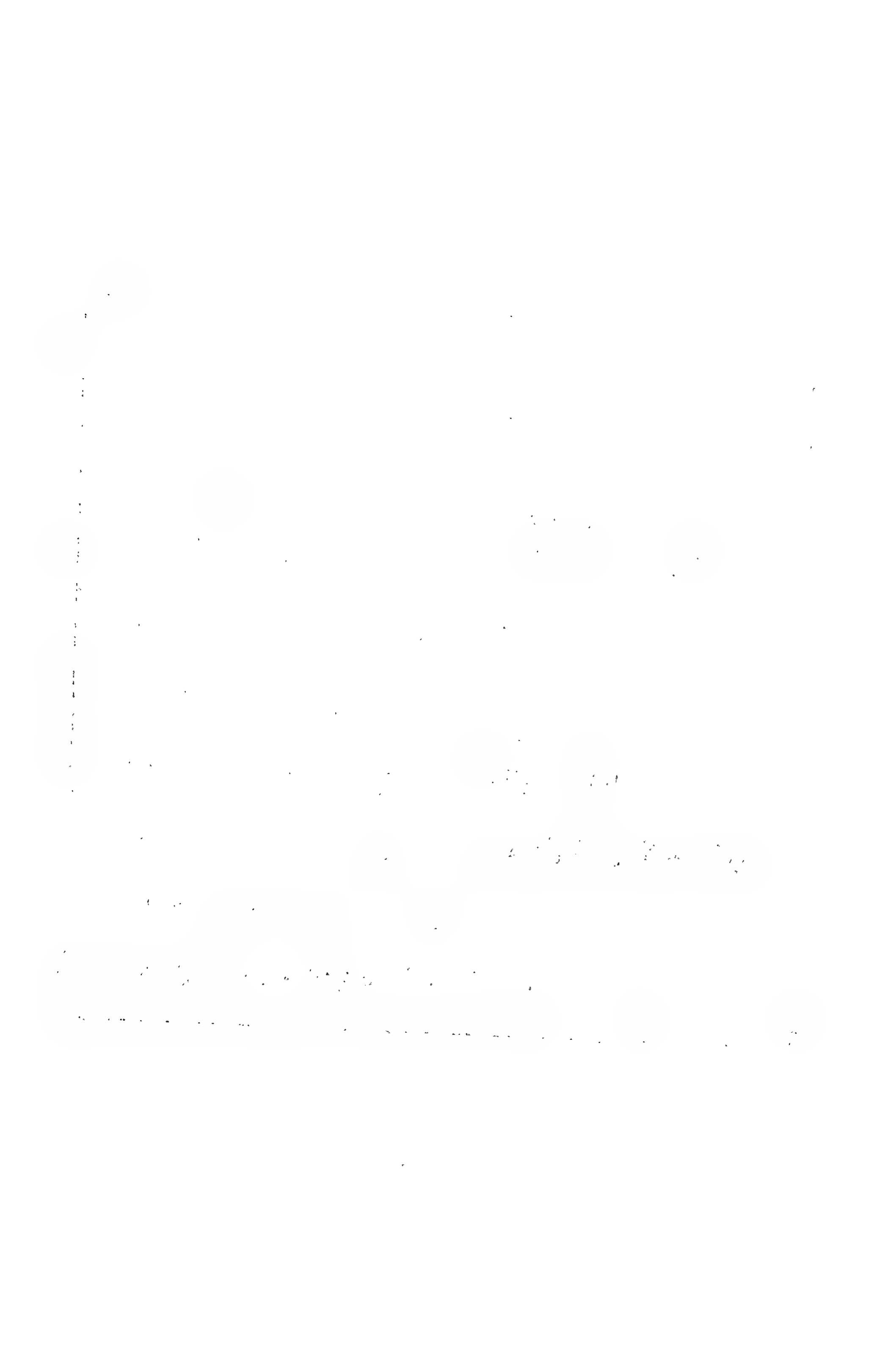
قرنا فأقام حضارة الانسانية الحقة ودخلته جميع العناصر وانصهرت فيه من حدود الصين إلى نهر اللوار »

إن العالم الإسلامى قد تكشف أخيرا أنه خلال هذا القرن الأخير إنما كان محمولا على السير فى طريق غير صحيح ، هو الطريق الذى فرضه عليه النفوذ الأجنبى حين حجب الشريعة الاسلامية وفرض القانون الوضعى وأقام أنظمة تحت اسم الديمقراطية والقومية والاشتراكية إتضح أنها جميعها فاسدة و لا تصلح للاستجابة لأشواق النفس الاسلامية التى بناها القرآن وقوامها (التوحيد الخالص) .

إن محاولات الغرب والصهيونية والماركسية فى تأخير نهضة العالم الإسلامى بمقاومة أو تأخير أو إجهاض المنطلق الإسلامى الصحيح وخاصة فى بلاد العالم الاسلامى سواء بالتبشير فى إندونيسيا أو إيقاف التقدم فى تركيا أو الباكستان أو احتلال أفغانستان لن يقضى على اليقظة ولكنه سيعطيها قوة جديدة .

الباب الثالث

آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب



الفصل الأول

آفاق جديدة للدعوة الإسلامية فى الغرب

فى مطلع القرن الخامس عشر يتكشف كل يوم ضوء جديد وراء الإسلام وتتجمع هذه الأضواء لتشكل ظاهرة حقيقية يجب متابعتها ودراستها وتحليلها للتعرف على ابعادها ، الواضح من النظرة الأولى أن الخيوط كلها تتصل ببؤرة الضوء ، علماء غربيون منصفون قد درسوا الإسلام ووجدوا فيه هادياً لأنفسهم وللبشرية ، كان هذا منذ سنوات بعيدة : دزابر ، وجوستاف لوبون ، وكارليل ، وجورج سارطون .

وهناك حلقة جديدة فى مجال الحضارة كالتى وصفها شبنجلر فى كتابه سقوط الغرب ، ومعالم أخرى كشف عنها مؤلف سقوط الحضارة (كولن ولسون) ثم جاءت موجة اخرى على رأسها الفيلسوف جارودى فى كتابه : حوار الحضارات وفى مؤلف جديد له تحت عنوان « بشائر الإسلام » .

ثم جاءت موجة أخرى على رأسها الدكتور موريس بوكاى عن تحليل ومقارنة الكتب المقدسة وتفضيل القرآن على أساس علمى بحث فى عديد من الأبحاث أذاعها فى الملتقيات المجتمعات الإسلامية فى الجزائر ، ثم كان خبر (مارس ١٩٨٢) بإشهار إسلامه فى باريس على يد الدكتور محمد بدر بعد لقاءات موسعة مع الدكتور محمد المبارك رحمه الله وقد صدر له كتاب جديد لم يترجم بعد . وجاءت بعد ذلك موجة أخرى على رأسها مايكل هارت وكتابه « العظماء المائة وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو إعتراف يقوم على الإقرار الواضح بأن دعوة الإسلام رسالة سماوية أرست مجتمعاً ربانياً فى الأرض على نحو لم تعرفه الديانات المسيحية واليهودية .

وهناك تلك الدراسات الجادة للاقتصاد الإسلامى التى قدمها كثيرون فى

مقدمتهم جاك أوسترى أستاذ الاقتصاد بجامعة السربون عن مقدرة النظام الإسلامى على إعطاء البشرية ما عجزت عنه الرأسمالية و الشيوعية .

ومن ناحية أخرى تعددت آثار القانونيين الغربيين فى تقدير الشريعة الإسلامية و الاعتراف بأنها شريعة مستقلة غير مستقاة من الشرائع الأخرى وغنية بالثراء والعطاء ، فضلا عن حاجة العالم إليها .

ومنذ سنوات ظهرت الدكتورة سجرية هونكه و كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) بأبحاثها التى ردت بها إعتبار الحضارة الإسلامية بأنها هى صاحبة الفضل الأوفى على الحضارة العالمية . واليوم تظهر كاتبة ألمانية أخرى بعد أكثر من عشر سنوات على سابقتها الدكتورة (أنامارى شميل) الذى لم يترجم شىء بعد من أبحاثها بعد وقد عرف بها الدكتور زكى على المجاهد المسلم نزيل جنيف منذ خمسين عاما ، وكيف أنها قدمت دراسات عن السيرة وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ابن خلدون وعن إقبال ، وعن جلال الدين الرومى . وعن الإسلام فى شبه القارة الهندية ، ويبدو أنها تأثرت بالأعلام من أبناء الباكستان والقارة الهندية المسلمين وهى منذ ثلاثين عاما تقدم الفكر الإسلامى إلى قراء اللغة الألمانية .

كذلك فقد أعطت دراسة تجربة الإسلام فى الجزائر لعديد من المفكرين الغربيين تحولا فى تفكيرهم أن لم يكن موازيا للتفكير الإسلامى فعلى الأقل على طريق الإنصاف من أولئك : جاك بيرك وإميل درمنجم ومؤلف كتاب ثلاثين عاما فى صحبة الأمير عبد القادر وجارودى نفسه الذى أشرنا إليه وقد دخل فى الإسلام بآخره ، إما إتيان دينيه فقد دخل فى الإسلام فعلا ، فقد شهد هؤلاء حركة جمعية العلماء التى أنشأها العلامة المجاهد عبد الحميد بن باديس والتى كان لها دورها الحاسم فى الحفاظ على اللغة العربية فى الجزائر وحماية الشخصية الجزائرية من الانصهار فى الشخصية الفرنسية وهو الهدف التى ظنت فرنسا عام ١٩٣٠ بعد مرور مائة عام على إحتلال الجزائر أنها بلغته .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد انفتحت فى الغرب آفاق جديدة تريد

أن تعرف الكثير من حقائق الإسلام بعد أن حجبت عنها هذه الحقائق فترة طويلة بكتابات المستشرقين الذين كانوا يعملون فى خدمة الكنيسة ووزارات الاستعمار وكانت كلمة السر بينهم جميعاً أن لا يعرف الغرب (حقيقة الإسلام) خوفاً من الدخول فيه بعد أن تقطعت الأوصال بين المجتمعات وبين الإيدلوجيات الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية والماركسية، والتى ثبت عجزها خلال ثلاثة قرون على العطاء الحقيقى. كانت ولا تزال هناك محاولة إفساد كل وجه كريم من وجوه الإسلام يصل إلى الغرب، يقوم بهذا أحد رجلين أما عملاء الصهيونية العالمية الذين يخططون للسيطرة على العالم قبل عام ١٩٩٨ حسبما جاء فى البروتوكلات، أو دعاة العلمانية والوثنية والإباحية فى الغرب، الذين يعملون فى ركاب العجل الذهبى والنظام الربوى العالمى الذى يوجه الحضارة كلها وجهة الاستهلاك لاستنزاف الثروة العالمية من ناحية والذى يدفع المجتمعات إلى الانحلال والفساد على مذهب فرويد وماركس وسارتر وماركوز وغيرهم من دعاة التدمير السريع للحضارة المعاصرة.

ولقد ظهرت فى السنوات الأخيرة أبحاث ووثائق تقرر أن ما تفعله منظمات التبشير العالمية (وهى التى تروج لمصانع الاستشراق وإنتاجه) ليس له إلا معنى واحد هو أنه خوف من الإسلام، فهم يعرفون كيف يجذب الإسلام الناس إليه بغير دعاة أو مبشرين، فهم لا يعنيهم إدخال الناس فى المنسيحية بقدر ما يعنيهم إفساد فهمهم للإسلام وما [محاولة الحوار] إلا وسيلة من هذه الوسائل التى ترمى إلى الحصول على كتابات من المسلمين البارزين بأنه لا خلاف جذرى بين الإسلام والمنسيحية، فضلا عن إحتواء التلمودية اليهودية المسيحية وفكرها ومؤسساتها، وكل هذه الوسائط تحاول أن تشوه الصورة الإسلامية التى يتطلع أهل الغرب إلى الحصول عليها، وذلك حتى لا يتعلق أمله بالإسلام فى إنقاذه من الأزمة العالمية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية القائمة الآن على وجه الخطورة.

أن هذه الأرضية الخصبة من الكتابات عن الإسلام، منذ رفع برنارد شو صوته بالحديث عن تطلع أوروبا إلى الإسلام قبل أكثر من خمسين عاما وقد توالت الخطوات فى سبيل الإنصاف والتعرف على الإسلام، كل ذلك قد حفز

مجري واسعا عميقا ، تحاول الصهيونية ردمه أو إفساده ، ولكن هناك عوامل كثيرة تؤكد استمرار هذا المجرى واتساعه ، تلك هى الحاجة الحقيقية للمجتمعات الغربية إلى إنقاذ نفسها من الحطمة التى تمر بها ومن الأزمة الخطيرة وقد تعالت الصيحات بضرورة قيام نظام إقتصادى جديد بعد فساد النظام الاقتصادى الرأسمالى والماركسى الذى كان رد فعل له . كذلك فإن الظواهر الواضحة فى كتابات رجال اللاهوت والفكر الدينى عن فساد الكتب المقدسة واضطرابها وعن تعارضها مع الحقائق التى تكشف عنها العلوم التجريبية اليوم وتوافق الإسلام مع هذه العلوم ، كل ذلك من شأنه أن يدعو إلى تطلعات أوسع إلى الإسلام ولا بد من حماية هذه الرسالة التى تقدم لهـــذه المجتمعات من أخطار التشكيك والتزييف التى تقوم بها الدوائر الصهيونية لإفساد الصلة بين المسلمين وبين الغرب ، وتصويرهم بصورة لا تتفق مع سماحة الإسلام ، ذلك لأنهم الطامعون فى السيطرة على العالم بعد تسقرط الحضارة القائمة لإقامة إمبراطورية الربا التلمودية ، التى تحاول أن تصهر الأمم فى بوتقة العبودية لأصحاب العجل الذهبى ، وهذا هو الذى لن يكون أبداً لأن سنن الحياة ونواميس الوجود ترفضه وتأباه ، هذه السنن والنواميس التى تجرى فى مجرى الحق والعدل والرحمة والآخاء البشرى والتى سوف تهزم قوى الخير فيها قوى الشر مهما تألبت واستأسرت .

بل أن كل الدعوات التى ترمى إلى هزيمة القارة الإسلامية هى من صناعة يهود ، هناك الدعوة الباطلة الكاذبة تحت اسم الانفجار السكانى للدعوة إلى تحديد نسل المسلمين ، وهناك عمليات التهام فوائض الثروات الإسلامية وتأخير قدرة الأمة الإسلامية على إمتلاك التكنولوجيا الحديثة وهى التى تملك الثروة والطاقة والتفوق البشرى والمؤهلة لإقامة حضارة إسلامية حقيقية تسعد البشرية تحت راية التوحيد الخالص .

أن العالم الغربى يعلم منذ عام ١٩٠٧ وما قبل ذلك أن حضارته الغربية المادية الوثنية فى طريق الزوال ، ولذلك فهو يعمل على تأخير دور المسلمين فى إقامة حضارة إنسانية جديدة تقـــدم للبشرية نموذجا صالحا للاستمداد من الله تبارك وتعالى وبناء المجتمع على الضوابط والحدود التى رسمها ، وقد عمدت منذ ذلك

التاريخ إلى فكرة إقامة جسم غريب بين قارتى آسيا وأفريقيا ليحول دون قيام هذه القارة الإسلامية التى صنعها التوحيد لتكون رسالة للعالمين تحقق قيام المجتمع الربانى ومن هنا تتقاذف هذه الأمة تلك السهام التى لا تتوقف والتى تندفع من الصهيونية والشيوعية والغرب جميعا حتى يحال بين البشرية وبين هذا الأمر الخطير : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » ونحن لن نيأس فإننا نؤمن بأن الله تبارك وتعالى « يؤت الأرض ينقصها من أطرافها » فإن قـــدرة الله تبارك وتعالى فى نصرة المؤمنين وانتشار الدين قائمة ، وفى كل يوم تتسع رقعة الأرض لكلمة الله وتنقص الأرض التى يعيش عليها أهل الشرك . وتلك سنة الله فى الوجود فإن أهل الحق مؤيدون من الله منصورون . ما استقاموا على الحق واستمسكوا بأمر الله واعتصموا بالعزيمة والقيام على كلمة الله بالحق مهما أصابهم من وصب فإن ذلك لا ينتزع من قلوبهم ذلك الإصرار على العمل خالصا لوجهه تبارك وتعالى وسوف تسقط هذه القلاع التى تريد أن تؤخر دعوة الله ، أو تحول دون وصولها إلى أهل الأرض وسوف تتوالى آيات الله لتكشف عن حقيقة هذا الإسلام وفساد الأيدلوجيات والمذاهب البشرية التى أعطيت الفرصة خلال أربعة قرون كاملة إلى اليوم فلم تستطع أن تقدم للناس إلا الأزمات والتمزق والانحراف والدمار النفسى والاجتماعى . أن كل الكلمات الزائفة التى قيلت لتزييف الحقيقة الوحيدة تتساقط اليوم وتتكشف تلك الدسائس والمؤامرات وتنهار المذاهب والدعوات التى صنعها التلموديون وتابعهم عليها نفر من أبناء جلدتنا وأهمها فصل الدين عن الدولة وإثارة نزعات القوميات والإقليميات للوقيعة بين أهل التوحيد ولا بد من العودة إلى الوحدة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامى على أساس أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، ولابد من أن يقدم المسلمون للغرب نموذجا إسلاميا تطبيقيا والله من وراء القصد .

الفصل الثانى

ليظهره على الدين كله

الدكتور موريس بوكاى ، عالم طبيب ، غربى ظهر فى السنوات الأخيرة على طريق تلك المسيرة الجديدة التى استطاعت عن طريق البحث العلمى أن تجد فى القرآن والإسلام ذلك الضوء الكاشف الذى تتطلع إليـــه المجتمعات المعاصرة الحائرة بعد أن شاقها التطلع إلى هدى مقنع يكشف الطريق الصحيح للبشرية بعد أن حوصرت خلال القرون الأربعة الأخيرة فى نطاق الفلسفة المادية وبعد أن عجز الإنجيل والتوراة أن يصمدا أمام الفحص العلمى الذى تعرض له العهد القديم والعهد الجديد فى السنوات الأخيرة على أيدى علماء من رجال الدين المسيحى أنفسهم ، ولقد أشرق هذا التيار الجديد بضوء خافت منذ بدأت كتابات توماس كارليل وجوستاف لوبون ودرابر ثم اتسعت دائرته فى السنوات الأخيرة بكتابات الدكتورة سجريد هونكه وغيرها ، وفى خلال ذلك ظهرت أشعة مضيئة على أيدى بعض الذين اهتدوا فعـــلا إلى الإسلام أمثال الدكتور عبد الكريم جرمانوس والدكتور خالد شلدريك والدكتور ليوبولد فايس « محمد أسد » والدكتور إتيان دينية وكلهم من جلة العلماء الباحثين الذين دخلوا الإسلام وكتبوا تجاربهم وعشرات آخرون أوردنا أحاديثهم فى كتابنا « الإسلام فى غزوة جديدة للفكر البشرى » ، مما يؤكد وجود « مجرى جديد » أخذ يعمق ويتسع ويلفت النظر حقا وسيكون بفضل الله بعيد المدى فى السنوات القادمة فى تغيير وجهة الفكر الغربى والبشرى والعالمى رغم كل محاولات المؤامرات التلمـــودية والاستشراقية التى مازالت تنفث سمومها بهدف واضح ، هو أن لا يصل مفهوم الإسلام الأصيل إلى أهل الغرب ، وأن وصل فيجب أن يشوه بإثارة كثير من المغالطات والملابسات والتمويهات وقد كانت آخر مؤامراته حلقات « الحوار » التى تستهدف الوصول عن طريق كتابات المسلمين إلى القول بأنه ليس بين الإسلام وبين المسيحية خلاف فى المسائل الأساسية وأن الخلاف كما يدعون ويكذبون هو

فى مسائل فرعية أو شكلية ، وتجىء صيحة الدكتور موريس بوكاى فى كتابه الذى صدر منذ عامين « التوراة والقرآن ، والعلم » وترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية وإلى العربية فأحدث آثاراً ضخمة بعيـــدة المدى ، ثم يعاود الدكتور بوكاى مراجعاته بعد عامين ويواصل دراساته فيقدم أشياء جديدة خطيرة مثيرة يجب أن يلم بها القارىء المسلم ليكون على علم بذلك التيار الجديد الذى يقدم القرآن والإسلام إلى أهل الغرب عن طريق البحث العلمى والمقارنة مع العهد القديم والعهد الجديد ، وليزداد الذين آمنوا إيماناً وليكون ذلك مزيداً من الأسلحة التى يستطيع أن يستعملها الدعاة إلى الله مع من يحاورنوهم .

يتساءل الدكتور موريس بوكاى فى أحدث دراساته التى قطع فيها الآن قرابة عشر سنوات : « ما الأسباب التى تدفعنا فى القرن العشرين إلى الإيمان بالله » .

السؤال مطروح هنـــا مع اندراج عامل الزمن فى صيغته ، إذ ليس من المفارقات القليلة الشأن فى عصرنا هذا أن تكون البواعث ذات العلاقة بالعلم قادرة على صرف البعض عن الإيمان بالله ، بينما يقوى لدى الآخرين نفس هذا الإيمان . لقد أرادوا فى الواقع أن ينزعوا باسم العلم كل قابلية تصديق عن الميراث الدينى الذى تركته لنا القرون السابقة فى أشكال متنوعة ، وفى أنحاء مختلفة ، وأرادوا ألا يثقوا بالمعرفة الإنسانية التى لا تفتأ تتقدم فى المعرفة العقلانية للحقيقة وألا يروا فى الدين إلا نتاجا لخيال جامح . وهكذا استبعد قبلنا كل وثيقة تتعلق بالإيمان بالله ، فهم يقبلون أن يأخذوا كل ما استطاع أفلاطون أن يكتبه عن سقراط الذى لا ينكر وجوده ، أما أن يحدثنا عن العهد القديم أو القرآن الكريم عن موسى ، أو أن تنقل إلينا الأناجيل قصصاً وأخباراً عن عيسى فإن هذه النصوص لا يحكم عليها بالصدق ، وإنما تنبذ جملة وتفصيلا بالنظر إلى الموضوعات المطروقة فيها ، ذلك هو موقف المفكرين لما فوق الطبيعة أو ما يتجاوز نطاق المحسوس ، أولئك المفكرين الذين وجدت مواقفهم فى الغرب قبولا لدى مفكرى القرن التاسع عشر وأدت إلى قيام نظرية المادية الملحدة .

وهناك بالمقابل من يؤمنون بالله ، ولكن كثيراً منهم للأسف فى البلدان الغربية ما يزالون بحكم تربيتهم السابقة وتعاليمهم الراهنة التى ما تزال متحجرة صلبة لا يرضون بأن يتجزأ فكر موضوعى حتى ولو إستمسك بإيمانه كاملا على الاهتمام بأسس هذا الإيمان المتمثلة فى الكتب المقدسة من أجل دراستها دراسة نقدية مجردة من أى حكم مسبق .

أن الشعور الدينى فى الغرب تحت التأثير السائد من اليهودية المسيحية ليشهد اليوم انحساراً كبيراً جداً ، فالترجمة المادية لهذا الهبوط قابلة للقياس بمنطلق الدقة فنحن نجدها فى هبوط الاتجاهات أو الميول الدينية عند الشباب . .

تقول الاحصائيات : أنه كان لفرنسا سنة ١٩٦٥ ما يقرب من ٣٦ ألف قسيس وكان من الممكن لسلك رجال الكنيسة أن يتجدد بصورة مرضية بمتوسط قدره ١٥٠٠ سنوياً من القسس الجدد ، إلا أنهم لم يبلغوا سنة ١٩٦٧ أكثر من ٤٨٩ ومن ذلك العام أخذ عددهم ينخفض باطراد ليصل إلى ١٣٦ فى ١٩٧٦ و ٩٩ سنة ١٩٧٧ ثم أن عدد الطلبة المسجلين فى المدارس الاكليريكية من القلة بحيث يمكن معه التأكد بأن عـــدد من سيتم تكوينهم سنويا من القساوسة فى السنوات القادمة لن يصل إلى مائة، الأمر الذى يمكن معه القول بأن الكنيسة لن يكون لها فى غضون عقود قليلة سوى عدد ضئيل من الرجال . ومن الأسباب الأساسية لهذا النفور من الحياة الدينية فى البلاد المسيحية فقدان الثقة فى الكتب التوراتية وفيما يلى بيان ذلك : لم يكن يجرى الحديث حتى مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ — ١٩٦٥) عن أصالة نصوص التوراة التى كان الناس يقبلونها على ماهى عليه حالياً باستثناء حالة اختصاصيين نادرين . من ذلك أنه ما من أحد كان يتجرأ — فيما يتعلق بالإنجيل — على أن يتشكك فى كونها تنقل إلينا كلام عيسى بدقة وأحكام . فهو كما كان يقال — نتاج مشهود مباشرين لرسالته ، ألم تكن الأناجيل تدعى « مذكرات الحواريين » ولكن لائحة من لوائح مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٦٥ لم تنح هذا النحو بصورةقطعية . غير أن هذا التصور قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الأخير بحوث أخذت تظهر إبتداء من سـنة ١٩٧٠ وهى من إنتاج لاهوتيين مسيحيين أنفسهم ، فقد قام هؤلاء

بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ الخ . فقد أصبح الناس اليوم يدلون بأن الأناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق فيه كما يبدو من النصوص — على رأى واحد ، لأن أحداثاً من رسالته قـــد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الأناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات .

أن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة « العهد الجديد ١٩٧٢ » وهى عمل اشترك فى إنتاجه أكثر من ١٠٠ إختصاصى من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك بدون أدنى إلتباس أو غموض ، كما تعبر عنه أيضاً مدرســة القدس التوراتية .

وقد أثبتت مراجع دقيقة وعديدة من هذه الدراسات فى كتابى « التوراة والقرآن والعلم » بيد أن مجمع الفاتيكان الثانى كان قد استثنى فى الحقيقة العهد القديم إذ أكد أن هذه الكتب تتضمن نقصاً بل وحتى « باطلا » ، وتبين الأعمال الحديثة أن من المشروع تقييم الأناجيل بمثل هذه التقييمات .

فكيف نتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل إلينا إلا الحقيقة التى أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقاً ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التى هى من تلفيقات خيال « لوقا » و « متى » وقائمة لوقا ألا ينسب هذا الإنجليزى خمسة وسبعين جداً لعيسى منذ آدم ، أن ما نعرفه من الحد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا هذا أمراً غير مقبول ، فكيف يلقن الله الناس مالا يطابق الواقع .

وهناك تناقضات كثيرة فى الأناجيل بين مرقص ولوقا ومتى تجد تفسيرها فى هذه البحوث العصرية التى أجراها الخبراء المسيحيون الذين بينوا أن صياغات متتالية لنصوص إنجيلية قد انبثقت إنطلاقاً من روايات سمعية عن عيسى كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الأولية وأن ذلك كله قد أفضى إلى الأناجيل الحالية ، وهكذا يقول الدليل على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية بهدف إنتاج نصوص

مكتوبة يصفها الأب كانجيسر ، أستاذ معهد باريس الكاثوليكى ، بنصوص مكتوبة للمناسبة أو للنضال لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل منها إلى إنفاذ نظرتها الخاصة . . وقد نشر اللاهوتيون البريطانيون السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب إنجلترا نتائج أعمالهم ١٩٧٧ تحت عنوان (وهم الإله المجسم) وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث .

وهكذا أدت المعارف العصرية والمتنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالأفكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الإصالة التى كانت تضفى عليها ودون برهان أو دليل فى القرون الماضية ، تناقض قصص الخلق والطوفان » .

هذه المعارف العصرية قد أدت إلى تغيير المفاهيم التى كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية ومسلماً بها دون مناقشة .

أن الانتقال من التشكيك فى إصالة مجموع الكتب اليهودية والمسيحية بواسطة معلومات عصرية إلى رفض الإيمان بالله ، هو ما تفعله لسوء الحظ كثير من العقول المضطربة بفعل هــــذه الاكتشافات والتى تجهل أو لا تريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند حد عيسى ، وهم إن يرفضون إعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام يصلون إلى الاعتقاد بأن المعارف الدنيوية تقدم المفتاح لجميع المشاكل وأن العلم القوى جداً قد سبق نهائياً كل إيمان بالله .

وقبل أن أعرف بزمن طويل ما يمكن أن تقودنى إليه دراسة الإسلام إلى الاكتشاف فيما بعد — كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية كانت — مهما قيل فيها كفيلة جداً بأن تعود إلى التفكير فى وجود الله . ونحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة وبقائها يبدو عامل الصدفة كما لو كان أقل احتمالا أكثر فأكثر . ألا يؤيد المعتقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة .

لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية ، ولقد وجدتها والحمد لله يوم أن شرعت فى دراسة القرآن وبحثت طويلا ووجدت فى قراءته تجسيماً جديداً لهــــذا التوافق بين الدين والعلم ، ذلك

التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفنى عنه .

أن تطبيق مكتسبات العلم على دراســـة الكتاب المقدس « القرآن » قد جعلتنى أكتشف كل ما يتعلق بظواهر طبيعية عديدة لا يمكن أن ننسبها إلى إنسان نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم ، ولقد تجلى لى أن مكتسبات العلم ضرورية لفهم كثير من الآيات وأن دراسة « القرآن » على ضوء المعارف العصرية تقود من جهة أخرى إلى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد عن ألف سنة وأن ما تعرفه عن تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون إنسان ما قبل نحو أربعة عشر قرناً هو قائله . وحيث أن (القرآن) يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشرى فإنه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات . أن النص الموجود بين أيدينا اليوم هو عينه الذى كان فى بحر الإسلام فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص « القرآن » والمعارف العصرية . كذلك فإن هناك عنصراً هاماً يمكن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد فى « القرآن » ما نجده فى التوراة من أخطاء ، وهى ملاحظة تقضى على الفرضية التى سبق أن أبديت فى الغرب — ودون أى حجة — والتى مفادها أن ما فى « القرآن » يكون قد نقله إنسان ما من التوراة .

أن ما ذكره « القرآن » عن الأرض ولا سيما عن دورة الماء فى الطبيعة وتكون التعاريج وعن مفاهيم العلوم الطبيعية والفيزولوجيا وتوالد البشر ، تفرض القول على كل إنسان موضوعى صادق النية أنه يستحيل على إنسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه . وقد أوضحت بأن عبارة المقارنة الدنيوية تعنى أحداثاً تثبتها وتؤكدها تجربة وليست قابلة للنقض فيما بعد ، قارنت بين القصة القرآنية والقصة التوراتية فى موضوع الخلق والطوفان وخروج موسى من مصر . لقد حددت التوراة زمان الطوفان فى عصر لم تحصل فيه آية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيداً فى عصرنا الحديث فى حين أن القصة التى أوردها « القرآن » للطوفان بوصفه

عقاباً سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره لم يحدد له زمان قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة . والسؤال هو : هل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها التوراة والعصر الذى أوصى فيه القرآن المعرفة الإنسانية أن يحصلوا على معلومات عصرية فى هذا الموضوع . من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شىء ، فكيف يتسنى لرجل — إذا صح أنه هو الصانع للقرآن — أن يستبعد منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يعلو على كل نقد من الوجهة العملية وكما تصدق هذه الفكرة على الطوفان تصدق على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى .

ولقد وفرت لتوراة « العهد القديم والعهد الجديد » مجالا للتفكير فى تعارض صارخ بين بعض مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة، لقد كان دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جداً .

أما القرآن فإنه لا يتضمن شيئاً مهما يكن للعلم أن يرفضه لأن كلامه وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغير ، كما أن عدداً من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا فى عصرنا هذا .

ويصور الدكتور بوكاى آثار غلبة الفلسفة المادية على الغرب فيقول : ألا تشهد فى البلدان الغربية التى يغلب فيها التأثير اليهودى والمسيحى عجزاً كاملا لأساتذة الفكر الدينى فى مواجهة المادية بمعارضتها معارضة فعالة تقوم على حجج دامغة من شأنها أن تقف سداً منيعاً فى وجه أمواجها العارمة . نجد فى الغرب هبوطاً قوياً للميول الدينية هو أقوى دليل على هذا الانهيار بينما نلاحظ فى بلاد الإسلام توسعاً وانتشاراً فى الآونة الراهنة . الملاحظ أن هناك ديانات تتقهقر فى عصرنا هـــذا من حيث توزعها العددى ، وهناك ديانة تتقدم على المستوى العالمى « هى ديانة الإسلام » هذه المعلومات من الكتب المقدسة فى مواجهة العلم لا ينبغى أن تترك أحداً فى موقف اللامبالاة بسبب عناصر التقييم الجديدة التى تقدمها لنا وإمكانيات المستقبل التى ترتسم فى الأفق . أن اشتمال « القرآن » على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة التى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعداً كان مجهولا إلى هذا الحين ليحملنى على

دعوتكم إلى التدبر فى هذه الآية الكريمة من سورة البقرة :

« كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

ونقول فى ختام هذا الاستعراض أن الدكتور بوكاى بلغ مرحلة فكرية تربوية فى الكشف عن عظمة القرآن وعن اضطراب التوراة والإنجيل بالدليل العلمى مصدقاً لما أشار إليه القرآن من أن أصحاب هذه الكتب جعلوها قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها وغاية القول أن بوكاى أيد بلسان المقال عبارة القرآن « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً » وما يزال الحق تبارك وتعالى يكشف عن آياته .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق » .

الفصل الثالث

الإسلام يزحف إلى أسبانيا والبرتغال

إن ظاهرة إبتعاث الإسلام فى أسبانيا والبرتغال ما تزال تهز المجتمع الغربى وتترك آثارها فى مجتمع الاستشراق والتبشير الذى يواجه هذه الظاهرة بشىء كثير من الحذر والامتعاض. فقد ظهرت أخيراً جمعية عودة الإســلام إلى الأندلس فى أسبانيا وظهر نشاط إسلامى واضح فى قرطبة وأشبيلية ومدريد ومدن أخرى وتكونت أول جمعية إسلامية سنة ١٩٧٥ م مركزها غرناطة بالأندلس (مائه شخصية) تحت اسم «عودة الإسلام إلى الأندلس» أسسها مسلمون أسبان لدراسة الدين الإسلامى والتمكن من نشره فى بلاد الأندلس، كذلك أسس المسلمون الموجودون فى البرتغال جماعة ومركزاً إسلاميين برئاسة السيد سليمان بالى المحامى من أهل مزنيق (لشبونة) ١٩٧٧ م حيث تأسس المركز الإسلامى مؤلفاً من رؤساء البعثات الإسلامية المعتمدة فى البرتغال كأعضاء مشرفين وعاملين وينظم هذا المركز دروساً فى اللغة العربية للمسلمين وغير المسلمين، مع بناء مسجد لشبونة للعمل على دعم روابط الجماعـــة الإسلامية الموجودة فى البرتغال، ويقدر عدد المسلمين بالبرتغال الآن بإثنى عشر ألف مسلم. وهناك نشرات باللغة البرتغالية للتعريف بالإسلام وتجرى ترجمة كتب بعض أعلام الإسلام إلى اللغة البرتغالية.

ولكن الاستشراق لا يسكت عن معارضة هذه الظاهرة فيبتعث مستشرقاً ليطوف بالخليج ويقول فى محاضراته أن الإسلام يكاد يكون مجهولا فى أسبانيا المعاصرة ويردد عبارات حاقدة فى رسالة أحدهم: هل من المعقول أن كل العرب الذين كانوا يقيمون فى الأندلس، قد عادوا على أعقابهم عبر البحر أم بقى منهم من بقى وذاب منهم فى ثنايا المجتمع الإسبانى من ذاب قال: نعم عادوا كلهم ولم يبق منهم سوى عشرات ظلوا على إسلامهم وكانوا يمارسون «التقية» خوفاً من

المجتمع وقد انكشف أمرهم وتم ترحيلهم فى القرن الثامن عشر ذلك هو المستشرق المتعصب « ميخائيل دى ابالزا » الذى قال لسامعيه : لماذا هذا الحنين العجيب لديكم أنتم العرب إلى الأندلس ، أننى ألاحظ هــذا الحنين كلما لقيت عربياً وتناول الحديث بيننا الأندلس ، وفى محاضرته كان متعصباً حيث ادعى أن الروح الوطنية الإسبانية قد نسجت من خيوط العداوة للعروبة والإسلام ، ولا ريب أن هذا هو رد فعل مسيحى متعصب تجاه تلك الروح الجديدة التى بدأت فى إسبانيا والبرتغال والتى تمثل ظاهرة حقيقية فى المجتمع الإسلامى بل المجتمع الأوربى جميعاً ونحن نعرف أن الصحافة والأعلام الإسلامى لابد أن يكون معارضاً لهذه الظاهرة الجديدة التى تفرض نفسها فرضاً والتى لا تمثل أى تطلعات عدوانية، وإنما هى انتشار لكلمة الله الحق فى العالمين .

والمعروف أن هناك جالية إسلامية فى إسبانيا تكونت على يد داعية باكستانى كان قد استقر فى إسبانيا منذ أكثر من أربعين ســنة ، يوجدون فى مدريد وبورتوليانو وقرطبة ، وهناك الجمعية الإسلامية بإسبانيا التى بدأ يسلم على يديها بعض الأعضاء الإسبانيين وأن عدد هؤلاء المسلمين الإسبان يزيد فى سرعة مثلما يحدث فى مختلف البلدان الأوروبية وقد تكونت مراكز إسلامية مثل مركز دارك نيوميا والمعهد الإسبانى العربى للثقافة فى مدريد ، والمركز العربى لمحو الأمية فى برشلونة ومركز الجمعية الإسلامية بأســبانيا فى مدريد وبرشلونة وبلنسية وسرقسطة وإشبيلية .

كما أنه يوجد فى إسبانيا أشخاص ومؤسسات تقوم بتعليم الواقع الإسلامى ، وتوجد دراسات فى الجامعات بالعربية حيث تدرس مبادىء الإسلام فى جامعات مدريد وغرناطة وبرشلونة (على النحو الذى يقوم به الاستشراق) وكذلك دراسة مبادىء العربية وتاريخ إسبانيا الإسلامية، والأدب العربى وتاريخ الأندلس ونحن نعلم أن قوى المسيحية تحاول بقدر ما تستطيع أن تحول دون عودة الإسلام إلى إسبانيا وإن كانت تحاول دراسته على نحو تاريخى لا يمكن أن يعود أو من وجهة نظر مسيحية على الأقل .

فيقول (ميخائيل دى ابالزا) أن الإسلام فى نظر الإسبانيين هو مثل كل

شيء بمثابة ماض عربي في شبه الجزيرة ، لقد استمر العرب والإسلام في إسبانيا طيلة تسعة قرون (من الفتح ٧١١ م إلى إخراجهم نهائياً بين ١٦٠٩/١٦١٤ م) أن ذلك الماضي العربي الإسلامي ، تكون عنصراً من الماضي الوطني الإسباني المعاصر ، وأن التراث العربي معترف به في بعض الميادين وظاهر في الهندسة والآثار وفي الأسماء العربية للأماكن في شبه الجزيرة ، ولكن الإسبانيين اليوم لا يشعرون مع ذلك بكبير ارتباط بالإسلام الحالي ولا بد من الاعتراف بأن العلاقات بين إسبانيا والبلاد العربية كانت تتخذ أشكالا عدوانية لا سيما من طرف الإسبانيين ، حروب ضد العثمانيين ، ضد المغرب وأن المجتمع الإسباني يعتبر العالم العربي بصفة عامة عالماً أجنبياً وأن الجوار الجغرافي هو أيضا لا يربط الإسبانيين بالإسلام كثيراً .

ويرجع ذلك كله إلى التعصب التاريخي للقومية والكاثوليكية في إسبانيا التي كونت روح القومية الكاثوليكية وصهرتها في الحروب الدائمة ضد الإسلام مع شبه الجزيرة . ثانيا : العقلية الإمبريالية الاستعمارية الأوروبية التي كثيراً ما أثرت على إسبانيا خلال القرون الأخيرة في إحتقارها لشعوب العالم الثالث الإفريقي الآسيوي .

ويعترف (دى ابالزا) بأن الإسلام هو دين التسامح وأن المسلمين لم يكن لهم تعصب ضد المسيحيين ولكن المسيحيين في القرون الوسطى في إسبانيا وشبه الجزيرة الايبيرية كانت لهم روح عدوانية ضد المسلمين .

هذا ما ذكره المستشرق الإسباني وهو خليط بين الحق والباطل ، فالمعروف أن النصرانية هي التي أخرجت المسلمين وعاملتهم معاملة ظالمة ، وأنها حاصرت مراكز الثقافة والحضارة والعلوم والإسلامية وأخرجت المسلمين منها ثم بدأت تلك الدعوة العريضة بأن العرب لم يكن لهم دور في العلوم التجريبية واستمر ذلك فترة طويلة ، ولكن الباطل لم يلبث أن انكشف وتبين فضل العرب والمسلمين وظهرت كتابات منصفة في هذا الصدد ، أما عودة الإسلام إلى إسبانيا في العصر الحديث فهي جزء من عودة الإسلام إلى أوروبا كلها ، إلى فرنسا

وإنجلترا وألمانيا وقد تشكلت فيها جاليات كبيرة بدأت تقيم مجتمعا إسلاميا فيها وأغلبهم من المهاجرين من المغرب وتركيا وغيرها وهم يقدمون الإسلام من جديد إلى الغرب وقد أفلحوا فى كسب كثيرين من ذوى النظرة السليمة وما سجلناه عن البرتغال وإسبانيا يؤكد هذا ولذلك فإن القوى النصرانية تسارع إلى الدعوة إلى ما يسمونه الحوار من أجـــل الحصول على تصريحات من علماء المسلمين بأن الفوارق بين الإسلام والمسيحيين قليلة أو أكاديمية وذلك ليقدموها للذين يرغبون فى الإسلام ليردوهم عنه ، ولـكن الحقائق الصحيحة عن الإسلام وعن الخلافات الأساسية بينه وبين المسيحية لا تلبث أن تظهر (التثليث — الصلب — الخطيئة) وقد كتب فى ذلك كثير من أعلام الدول الإسلامية فى المغرب ومصر وغيرهما وقد تبين أن توقف الإسبانيين من فتح مسجد قرطبة للمسلمين كان أشبه بالمراوغة والخداع ، ولـكن الإسلام يزحف بفضل مفاهيمه الأصيلة . وبفضل فـكرة التوحيد الخالص ، وهو لا يرغب فى عداء ولا خصومة ولا يحمل أحقاداً أو تعصبا ولـكنه ينشر الأمن والرحمة والسلام .

ومن علامات الخير أن يكتب المؤلف الإسبانى « البروماتشوردوم » فى السنوات الأخيرة كتابا عن محمد رســـول الله باللغة الإسبانية يتحدث فيه عن الإسلام ونبى الإسلام فى اعتدال وحكمة حتى وصف كتابه بأنه قصيدة شعرية مطولة ، وإن كتبت بالنثر ، اكتفى فيها بالمصادر الإسلامية وأهمها سيرة ابن هشام وقد هاجم غمزات الـكتاب الأوروبيين وتخرصاتهم من أن الإسلام انتشر بحد السيف أو عن تعدد الزوجات أو التشكيك فى أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عرض لهذه المسائل من وجهة نظر نزيهة مستقيمة وحرية بالتقدير والإعجاب ولأول مرة يقرأ الإسبانى كتابا عن « الرسول » صلى الله عليه وسلم أملته روح الإنصاف والإعجاب بما يخالف ما يوجد فى الـكتب المدرسية التى أملتها روح التعصب الذميم .

الفصل الرابع

هل أصبح الفكر الغربى على طريق الإسلام اليوم

موريس بوكاى ورجيه جارودى

مفكران غربيان يعلنان الإسلام عام ١٤٠٢ هجرية

فى وقت متقارب من رمضان وشوال هذا العام (١٤٠٢) أعلن فى فرنسا إسلام المفكرين: الطبيب العالم موريس بوكاى والفيلسوف اليسارى روجيه جارودى. ماذا تعطى هذه الظاهرة للفكر الإسلامى، هل هى ثمرة حقيقية لأثر الإسلام فى الفكر الغربى: هذا الأثر الذى بدأ منذ أكثر من سبعين عاما بكتابات (توماس كارليل) فى كتابه الأبطال عن النبى صلى الله عليه وسلم وكتابات (جوستاف لوبون) فى حضارة العرب عن الإسلام وتصريحات برناردشو الذى تنبأ بأن أوربا ستقبل الإسلام فكراً فى خلال قرن من الزمان، هذا التيار الذى وصفناه فى دراستنا (الإسلام فى غزوه جديدة للفكر الإنسانى) وقد جاءت بعد ذلك علامات كثيرة وإضافات أكدت وجود هذا التيار وتعمقه وامتداده بكتابات كثيرة كان من أبرزها كتاب (شمس الله تشرق على الغرب) للدكتورة سجريد هونكه وإسلام عبد الله كوليام، وعبد الكريم جرمانوس، وخالد شلدريك وهم من أبرز الباحثين المفكرين الذين اهتدوا إلى الإسلام إلى ما كتبته مريم جميله فى الأخير، كل هذا يحاول أن يصور هذا المجرى الجديد الذى يريد أن يقتحم جمود الفكر الغربى وماديته ووثنيته، ويدلك على أن هناك عديد من كتاب الغرب قد بدأو يتساءلون عن الإسلام كمخرج من الأزمة العالمية للإنسان المعاصر بعد أن جربوا أيدلوجيات الليبرالية والماركسيه ودرسوا فكر البرهمية والبوذية وغيرها ولم يجدوا فيها مخرجاً للنفس الإنسانية التى تواجه فى الغرب أزمة الاغتراب والتمزق والغيثان والانحلال.

وقد جرت هذه الريح الصفراء فى أوديتنا وحاولت أن تجتاح أبنائنا. الحقيقة

أن هذين الرجلين ما زالا من وقت يبحثان عن المنقذ والمخرج بقلق ، وقد كان موريس بوكاى قد اتصل بهذه الدراسات عندما بدأ يدرس الظواهر العلمية التى تحدثت عنها الأديان وقرأ ترجمات معانى القرآن وقرأ التوراة والإنجيل وكنا نلتقى به فى الجزائر وفى العام ١٣٩٩ الهجرية وجهت اليه رسالة فقد رأيت إلحاح بعض المسلمين عليه فى أن يعلن إسلامه ، فقلت له أن ما تكتبه هذا يدل على إنك مسلم فى أعماقك فإن تكن ظروفك الشخصية ما زالت تحول دون ذلك فإننا نرجو أن تكون من أهل لا إله إلا الله فقد قدمت للقرآن وللإسلام مجموعة طيبة من الحقائق فى كتابك .

[الدين والكتب المقدسة والعلم] الذى ترجم إلى عديد من اللغات وفى مقدمتها اللغة العربية قبل ١٩٧٨ . وكان من قبل قدم إلى القاهرة للبحث عن فرعون موسى الذى غرق وقد استدل على المومياء واكتشف الكسر الذى أصاب الجسد فى مواضع مختلفة نتيجة الغرق وكيف نجاه الله لتجرى عليه هذه الفحوص العلمية حيث أدخلت أجهزة مضيئة إلى جوفه وصدق الله تعالى : « اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » .

أما جارودى فقد بدأت منه بادرة ظهرت من بعد فى كتابه حوار الحضارات والحقيقة أن رأينا فى جارودى لم يكن مشجعا على هذه الخطوة الجريئة فقد كنا نعتقد أنه يتطلع إلى الحضارة الإسلامية لتكون منقذاً للحضارة الغربية عن طريق مفاهيم الإسلام فى العدل الاجتماعى التى ربما راقته وائتلفت فى خاطره مع مفاهيم الاشتراكية وكانت مقولته فى الربط بين الزنج والقرامطة وبين العدل الإسلامى مقولة غير ناضجة ولكننا اليوم بعد أن تدافعت رسائله فى السنوات الأخيرة : كيف تحققت إنسانية الإنسان ، نداء إلى الأحياء ، وكتابه الأخير قبل إسلامه بقليل الذى أطلق عليه (Promesses of L,islan) والذى ترجم بكلمة (وعود الإسلام) والذى تعتقد أنه يمكن أن يسمى (معطيات الإسلام) هذه الرسائل تدرجت به فى النظرة إلى الإسلام على نحو جاء معه إعلان إسلامه مفاجئة حقيقية حينما كان إعلان إسلام بوكاى مسألة وقت كما يقولون .

وعلى كل حال فإنني أزعم أن كلا الرجلين دخل الإسلام عن طريق القرآن : معجزة الدهر وإلى قيام الساعة ، جاءت جارودى من منطلق الحضارة الإسلامية ومعطياتها العلمية وعدلها ورحمتها وعطائها الكريم للنفس الإنسانية والارتفاع بها عن العبودية للأوثان وللإنسان وجاءت بوكاى من منطلق العلم الإسلامى وذلك الإعجاز القرآنى الذى كشف عنه العلم الحديث فى « حقائق » علمية و ليس فى نظريات قد تكون عرضة لتغير تفسيرات العلم .

وحين نمضى مع تجربة « موريس بوكاى » الطبيب نجده ينطلق من نقطة « تطبيق مكتسبات العلم الحديث على الكتاب المقدس » وقد أعطت هـــذه الدراسة التجريبية لنفس بوكاى ذلك اليقين الذى لا يتطرق إليه الشك بأن القرآن كتاب منزل موحى به من عند الله تبارك وتعالى وأن الكتاب المقدس « التوراة والإنجيل » أو العهد القديم والعهد الجديد قد أصابه التجريف وقد أشار إلى نوعين من البحوث كشفت هذه الحقيقة أولها : « أبحاث مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٧٠ ودراسة اللاهوتين البريطانيين السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة إنجلترا وقد نشروا أبحاثهم عام ١٩٧٧ تحت عنوان « وهم الآله المجسم » وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث . أما أبحاث مجمع الفاتيكان إبتداء من عام ١٩٧٠ وهى من إنتاج لاهوتيين مسيحيين قاموا بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ إنطلاقا من حقيقة واقعة هى : (أن الناس اليوم يسلمون بأن الأناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق على رأى واحد) وأن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة (العهد الجديد — ١٩٧٢) هى عمل إشترك فى إنتاجه أكثر من مائة إختصاصى من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك دون أى إلتباس أو غموض . بل أن مجمع الفاتيكان الثانى أكد فى التصريح المجمعى (رقم ٤) أن هذه الكتب تتضمن نقصا وحتما باطلا وتبين الأعمال الحديثة أنه من المشروع تقييم الإنجيل بمثل هذه التقييمات فكيف يتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل إلينا الحقيقة التى أوحى بها الله عند ما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقا مثل هذه السلاسل من نسب عيسى

التى هى تلفيقات خيال لوقا ومتى المقدمين لنا قوائم لأجداد مختلفة وينسب لوقا لعيسى منذ آدم خمسة وسبعين جداً . أن ما تعرفه من الجد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا أمراً غير مقبول فكيف يلقن الله الناس مالا يطابق الواقع ، كذلك أشار بوكاى إلى شكوك أخرى فى الكتب المقدسة هى بمثابة تناقضات بين يوحنا ومرقص ولوقا ومتى بالنسبة لوقائع يوردها أحدهم على أنها حدثت « الخوخة المعجزة » ويوردها الآخر على أنها ستقع عندما يبعث عيسى من جديد ، ووصية عيسى ، ومؤسسة سر القربان المقدس ، ويقول : هذه التناقضات درسها الخبراء المسيحيون وبينوا أن صناعات متتالية لنصوص إنجيلية قد لفقت انطلاقا من روايات سمعية عن عيسى كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الأولية . وأن ذلك كله أفضى إلى الأناجيل الحالية وهكذا يقوم الدليل القاطع على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية بهدف إنتاج نصوص مكتوبة للمناسبة أو للنضال (كما وصفها الأب كانجيسر مدير معهد باريس الكاثوليكى) لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل واحدة إلى إنفاذ نظراتها الخاصة .

هذا هو (التحدى الأول) الذى واجه (بوكاى) : الشك فى مصادر الكتاب المقدس ، أما (التحدى الثانى) فهو تناقض قصص العهد القديم : كقصة الخلق والطوفان فهى لا تتفق مع المعلومات الحديثة عن تكوين العالم أو معطيات التاريخ ، ويحسم الموقف بقوله : لقد أدت المعارف العصرية والمتنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالأفكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الأصالة التى كانت تضفى عليها دون برهان أو دليل فى القرون الماضية وأن المعارف العصرية والاستعانة فى دراسة التوراة بالمعطيات المفيدة بهذا البحث أدت فى الغرب إلى تغيير المفاهيم التى كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية ومسلماتها بدون مناقشة . وأن العقول المضطربة بفعل الاكتشافات أدت إلى التشكيك فى أصالة مجموع الكتب اليهودية والمسيحية : مما جعل المعلومات العصرية بالمقارنة مع الكتب المقدسة مؤدياً إلى رفض الإيمان بالله . بل أن هذا الجمود وصل إلى حد رفض إعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام كأنما وحى الله قد وقف عند حد عيسى .

ثم يدخل إلى تجربة فى وضوح فيقول :

قبل أن أعرف بزمن طويل ما يمكن أن تقودنى إليه أى دراسة للإسلام كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية مهما كانت — ومهما قيل فيها — كفيلة جداً بأن تقود إلى التفكير فى (وجود الله) تبارك وتعالى ويتساءل : ألا يؤيد التعقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة . فنحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة وبقائها يبدو (عامل الصدفة) كما لو كان أقل احتمالا أكثر فأكثر ، ويوم أن شرعت فى دراسة القرآن وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية .

لقد وجدت فى قراءة القرآن تجسيداً جديداً لهذا التوافق بين الدين والعلم : هذا التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفنى عنه . ولقد كان لدراسة موضوعية لنص قرآنى على ضوء المعارف العصرية جعلتنى أكتشف كلاما يتعلق بظواهر ضيقة عديدة لا يمكن أن ننسبها إلى إنسان نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم ، لقد تجلى لى أن دراسة القرآن على ضوء المعارف العصرية تعود إلى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد على ألف سنة . أن ما نعرفه من تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون (إنسان) ما قبل نحو من أربعة عشر قرناً هو قائله وحيث أن القرآن يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشرى فإنه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات .

تجربة بوكاى مع القرآن

وحين نتأمل الحديث النبوى (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) و (اطلب العلم ولو فى الصين) بهذا نفسر دون صعوبة ذلك التقدم العلمى العجيب الذى شهده العالم الإسلامى فيما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى بينما لم نجد لدى البلدان المسيحية سوى التقليد المطلق مع المدرسة اللاهوتية السائدة وركود المعرفة وفى عهد (قرطبة) الزاهر كان الناس فى مختلف بلدان اوربا يؤمون جامعتها

الشهيرة للتذود من العلوم وقد كشفت لى تجربتى مع القرآن الحقائق التالية :

(أولا) : قد تبينت أن النص الموجود بين أيدينا اليوم (النص القرآنى) هو عينه الذى كان متداولا فى فجر الإسلام فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية .

(ثانياً) : هناك عنصر هام يكمن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد فى القرآن ما نجده فى التوراة من أخطاء وهى ملاحظة تقضى نهائياً على الفرضية التى سبق أن أبديت فى الغرب ودون حجة والتى مفادها أن ما فى القرآن يكون قد نقله إنسان ما من التوراة .

(ثالثاً) : كل المعلومات التى قدمها القرآن عن الأرض ولا سيما دورة الماء فى الطبيعة وعن مفاهيم تهم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، كل هذه الآيات تفرض القول على إنسان موضوعى صادق النية أنه يستحيل على إنسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه .

(رابعاً) : بالمقارنة بين قصص قرآنية وقصص توراتية (الخلق — الطوفان — خروج موسى من مصر) يتبين سلامة القرآن .

بالنسبة للتوراة حددت التوراة زمانه فى عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيداً فى عصرنا الحديث ، فى حين أن القصة التى أوردها القرآن للطوفان بوصفه عقابا سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره ، لم يحدد له زمان ، قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة .

فهل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها قصة التوراة والعصر الذى أوحى فيه القرآن أن يحصلوا على معارف عصرية فى هذا الموضوع : من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شىء من ذلك فكيف يتسنى لرجل — إن صح أنه هو الصانع للقرآن — أن يستفيد منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يرتفع عن كل نقد من الوجهة العلمية كما يقولون

وكما تصدقه هذه المسكرة على قصة الطوفان تصدقه أيضاً على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى لا مناص من التسليم هنا بتفسير آخر غير التفسير البشرى لا يمكن أن يكون وحيا من الله جاء لتصحيح ما إقترفه الناس من أخطاء فى صياغة الكتب السماوية السابقة .

(خامساً) : هناك تعارض صارخ بين التوراة (العهد القديم والعهد الجديد) بين مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ، على أن ما يجرى مجرى اليقين منذ أن حصلت لنا مفاهيم . كانت إلى ذلك الحين تعوزنا عن أصول نصوص التوراة وعن صياغتها التحريرية وبلوغها إلينا ، هو أن دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جداً وأن كثيراً من النصوص هى كتابات المناسبة الظرفية مثل قصـــة التكوين الكهنوتية . فى هذه الظروف تجد حالات عدم التوافق مع المعارف العصرية تفسيرها الكامل .

أما « القرآن » : فإنه لا يتضمن شيئاً ما يمكن للعلم أن يرفضه لأن كلامه كلام وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغيير ، كما أن عدداً من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا فى عصرنا هذا . إذن فالمقابلة هنا بين الكتاب المقدس والعلم تتراءى لنا بوجه آخر فلم يعد هناك مجال للفصل بين الاثنين . إن اشتمال القرآن على جميع هذه لعناصر التى هى من الوقائع الراهنة والتى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضـــل المعارف الحديثة بعداً كان ميولا إلى ذلك الحين لتحملنا إلى دعوتكم إلى التدبر فى هذه الآية الكريمة : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

هذا فى تقديرى هو المنطلق الحقيقى . الذى انتهى بالدكتور موريس بوكاى إلى اليقين الكامل وإلى إعلان إسلامه وكتابه الأخير « الإسلام من أين أتى » وإن كان لم تصلنا بعد مواده ونصوصه إلا أننا نعرف أنه يدور فى هذا الإطار فهو يركز على بحث نشوء الإنسان فى ضـــوء اكتشافات العلم من جهة وأقوال الكتب المتقدمة من جهة ثانية ، وفيه يكشف عن أن الاكتشافات العلمية قد صدقت ما ورد فى القرآن وأن الآيات البينات التى أعلنت منذ أربعة عشر قرناً قد كشفت عما يحاول أن يثبته العلم فى عصرنا هذا وهذا هو الإعجاز .

الفصل الخامس

تبليغ الإســـلام

(٢) تجربتان لبوكاى وجارودى

دخل موريس بوكاى ساحة الإسلام عن طريق العلوم التجريبيةفقد وجد أن القرآن قبل أربع عشر عاما حسم الرأى بالنسبة لحقائق علمية لم يكن لبشر فى هذا التاريخ أن يعلم عنها شيئا حتى جاء العلم فكشف عنها فدل ذلك على أنه وحى من الله تبارك وتعالى ، أما (روجيه جارودى) فإن تجربته تختلف . فقد دخل الإسلام عن طريق معطيات الحضارة الإسلامية للإنسانية : العدل الاجتماعى والرحمة والإخاء البشرى وهو ما تفتقده الحضارة الغربية المعاصرة فهل يستطيع الإسلام أن يعطى هذا الضياء للغرب ، ربما هذا هو المنطلق الذى انطلق منه جارودى عندما ألف أول كتاب له يعترف فيه بفضل الحضارة الإســلامية ويطلب الحوار معها (حوار الحضارات) فهو من هذا المنطلق يرى عطاء الإسلام بعد أن فقد أمله فى إشتراكية إنسانية حين ترك الحزب الاشتراكى الفرنسى منذ سنوات .

ولا ريب أن ما يطوف فى ذهن هؤلاء المثقفين الأوربيين من فساد الحضارة الغربية وإيمانهم بأنها فقدت القدرة على العطاء بعد أن التمسوا لها مناهج الشرق والغرب هو الذى دفعهم أخيراً إلى التفكير فى الإسلام على النحو الذى تطلع إليه برناردشو ، وغيره ممن ظنوا أنه يمكن تطعيم الحضارة الغربيـــة بنتاج الحضارة الإسلامية وكان « توينبى » يرى أن تحريم الخمر والمساواة من الألوان هما ما يمكن للحضارة الغربية أن تقتطفه من الإسلام وهى نظرة ضيقة جداً حين ظن أنه يمكن إقامة الدين الرباعى من المسيحية والإسلام والبوذية والهندوكية ولقد أثبتت الأيام للمفكرين الغربيين سذاجة هذه النظرة وعجزها عن العطاء وتساقط النظرة الأخلاقية القائمة وراء بعض الأديان الوضعية المنفصلة عن التوحيد وكذلك

تداعت منظومة المسيحية واليهودية بعد أن تكشفت فكرة بشرية الرسائل المقدسة وكانت مطروحات بوكاى بأن القرآن هو وحده العطاء الربانى الأصيل بالوحى أنه توصل إلى ذلك عن طريق معطياته التى قدمها قبل أربعة قرنا وأقرها العلم الحديث اليوم ، فقضية (روجيه جارودى) هى مع الحضارة الحديثة هو بنقدها وينقد ما أفرزته من نظم سياسية واجتماعيةوفلسفية ويرى أن هذه المدنية قد قامت على فتات موائد الحضارةالأخرى التقطها لصوص التاريخ فى غفلة من أعين الشرق موطن التراث الحضارى الذى يدعى الغرب الانتماء إليه وعنده أن العلوم فى الغرب قد ابتعدت عن هدفها الأول المتمثل فى خدمة الإنسان والسعى إلى خلاصها وهو يتهم تلك العلوم بأنها قد تحولت إلى سلطة قائمة بذاتها خارجة عن أى رغبة وتوق إنسانى فى السعى نحو الأفضل . وما القلق والفوضى والإحساس بالعبث والفراغ سوى نتائج أولية للصراع القائم بين السلطة القامعة التى أفرزتها تلك العلوم وبين الإنسان ، بعد أن تمحورت تلك العلوم والتقنيات حول ضمنية الإله فى هدف السيطرةعلى الإنسان والطبيعة معا ، وفى الوقت نفسه كانت العلوم الإنسانية ولم تزل تهدف فى الدرجةالأولىإلى خدمة الإنسان ، لذلك امتزجت تلك العلوم بالحكمة واتسمت برحابة الأفق الروحى ، وتحدرت فى بعد غيبى يقى الإنسان من الوقوع فى العبث والفراغ ، وأى علم خال من الحكمة هو فى النهاية خال من أى مقومات أساسية لتقدم الإنسانية،وهكذا بعد أن كانت أوربا فى القرون الوسطى (بربرية جاهلة) أصبحت الآن (بربرية عارفة) علىهذا النحو يصور جارودى موقف الغرب من الحضارة وهو فى نفس الوقت يدافع عن (التنظيم الإسلامى) ويرى فيه خلاصا للإنسانية من تعسف السلطة السياسية ويقول أن الزكاة هى أول نوع من أنواع الضريبة المجباة فى سبيل خدمة المجتمع وطريقة جبايتها وتوزيعها على الخدمات العامة هى الطريقة المثلى ولا يضاهيها فى ذلك أى نظام ضريبى حديث .

ويدعو جارودى إلى فتح حوار بناء وإيجابى مع الحضارة الإسلامية وإلى إلغاء قرون من العداء والحقد والكراهية لهذه الحضارة التى أثرت وما تزال تؤثر فى الفلسفة والاجتماع والتنظيم السياسى.ويرى جارودى أن الحملات الصليبية كانت

مسئولة عن الصورة المشوهة عن الإسلام والمتواجدة فى أذهان أجيال وأجيال من الغربيين ويدعو فى كتبه الثلاثة [حوار الحضارات ، نداء إلى الأحياء وعود الإسلام] إلى عقد مصالحة بين الحضارة الغربية والفكر الإسلامى تبدأ بإعادة فهم هادىء ورزين لمعطيات الحضارة الإسلامية .

ويرى الدكتور عبد الحليم الكنانى : أن جارودى قد كشف فى كتبه جملة حقائق هامة : (الأولى) : أن الحضارة الغربية شرقية كانت أم أفرنجية أوربية كانت ام أمريكية لم تنجح حتى الآن فى وقف الحروب ورد الطغيان وتحرير الشعوب وإطعام مئات الملايين من المرضى وإيواء الملايين من المشردين من اوطانهم وتعليم أكثر من ربع البشرية القراءة والكتابة ولم توفق حتى الآن إلى حماية الإنسان من الإنسان وصيانة الكرامة الآدمية والحفاظ على القيم الدينية والروحية والأخلاقية والجمالية التى تعطى الحياة معناها الحقيقى وبهجتها وقوتها الخلاقة .

(الثانى) : الإعجاب بالإسلام لاهتمامه بأمور الدنيا والآخرة معاً وأنه يشرك فى بناء المجتمع البشرى القوى الروحية والأخلاقية وتقوى الله إلى جانب اهتمامه بالحياة الطيبة وبناء المدن والاستمتاع بكل آثار المدنية والنعم واللذات غير المحرمة .

وقد وجد (جارودى) فى الإسلام نظاماً اجتماعياً اقتصاديا روحيا أخلاقيا يصلح لإخراج « البشرية » من ورطتها الحاضرة ويدل الناس على نمط جديد من الحياة والتنظيم تعين على معالجة المشكلات البشرية الحاضرة وتنجيها من البؤس واليأس والهلاك قبل فوات الأوان — يقول « يملك الإسلام اليوم قوتين : قوة روحية صاحبة توجه حياة (ألف مليون مسلم) ويملك فى نفس الوقت نفسه أكثر ثروات العالم المالية والمعدنية ولن يطول الجمع بين هاتين القوتين أكثر من عشرين أو ثلاثين عاما قد تتضاءل بعدها الثروة المعدنية كالبترول وغيره ، ولذلك فإن الإسلام مدعو الآن لتحمل مسئوليته فى بناء المجتمع البشرى والسير بالإنسان فى طريق جديد إلى آفاق جديدة . ويرى جارودى أن الإسلام هو اليوم أصلح

النظم العالمية الكبرى لتحقيق هذه النظرية السياسية الاجتماعية الاقتصادية ، ومن خصائص هذه النظرية [التوفيق بين الإيمان والعلم] والإسلام أقدر الأديان على هذا التوفيق لأنه لا يقيم حاجزاً بين العبد وربه وبين الإيمان وبين الله ولا يقيم حجاباً بين الإيمان والمجتمع .

وفي تقرير ثالث عن كتاب دعوة الإسلام (Promesses of L,isIan) للأستاذ صلاح الدين المستاوى يرى أن سر فساد المجتمعات الغربية الحاضرة هو (١) صراع الطبقات المتحكمة في العلاقات الاجتماعية . (٢) إتخاذ التفسير المادى سبباً لنشأة الحياة والكون .

ويرى أن الحضارة الغربية تعيش في مأزق وقد تردت في هذا الخطر من جراء « ماديتها » ومن جراء « إنشطارها » ورؤيتها الجزئية للإنسان وللكون وللطبيعة . أنه لا ينكر التقدم العلمي الحادث والتقنية المتطورة ولكن هذا التقدم لم يكن محققا لسعادة الإنسانية ، بل أنه سبب شقائه اليوم ويورد إحصاءات وأرقام مزعجة عن القفزة التي حققها الإنسان في مجال الخراب والدمار ، والحل عنده هو ضرورة الحوار بين الحضارات ويرى أن الحوار بين الحضارات أصبح ضرورة ملحة وأن الجدل العميق لم يعد اليوم بين رأسمالية غربية استعمارية واشتراكية سوفيتية فكل منهما يمثل نفس الغاية والأهداف ما داما يتخذان الاستغلال والاحتكار والتنافس الذي لا يعرف التوقف على الأسواق والموارد الأولية والمواقع الاستراتيجية منهما . وسبيلا ويرى أن الجدل الحقيقي اليوم هو بين (النمط الغربي للعيش) بشكلية الرأسمالي والاشتراكي ونظام جديد يتلافى السلبيات التي وقع إرتكابها في الماضي ولا يرى جارودى بديلا لهذا المضطرب في الكتلتين بل في العالم كله ولا يرى منقذاً إلا الإسلام .

وقد تطورت نظرة جارودى إلى الإسلام في مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : في إلتفات جارودى إلى الإسلام ممثلا في النظر إلى عطائه في مجالات العلم والمعرفة في بغداد والقيروان وفاس وقرطبة وبرز ذلك في كتابه (حوار الحضارات) بصفة خاصة .

المرحلة الثانية : إلتفاته إلى القيم الروحية والحضارات الإنسانية فى برنامجه الذى قدمه للشعب الفرنسى بمناسبة انتخابات الرئاسة والذى دعا فيه إلى التغيير . حيث حذر الفرنسيين والغرب بصفة خاصة من طغيان الاستهلاك والمادية وانحرام التوازن الاجتماعى ونبه إلى الخطر الذى يتربص بالبشرية من جراء التسابق فى مجال الأسلحة النووية والجرثومية وما ينفق فى سبيلها من أموال وما ترصد لها من ميزانيات كبرى .

المرحلة الثالثة : قدم مشروعا أورد فيه تجارب إنسانية وحضارية فى أرجاء مختلفة من المعمورة فى فترات متفاوتة ودعا شعوب الإسلام إلى التوجه نحو دينها وقيمها وبرز ذلك واضحا فى العقود والسنوات الأخيرة فى البرامج السياسية والاجتماعية والاقتصادية لعدد من البلدان الإسلامية والعربية وبصفة خاصة فى الثورة الإيرانية فى أيامها الأولى .

ولا ريب أن (الصحوة الإسلامية) قد أعطت جارودى ضوءاً كاشفا على الطريق الذى سار عليه أول الأمر فى حذر فاندفع بقوة حتى أنه أطلق على كتابه الجديد الذى لم تعرف محتوياته بعد .

« الإسلام يسكن مستقبلنا »

وجارودى الآن فى موقف الانصاف فهو يكشف زيف النظامين ويراهما استعماريين بربريين ، ويدين تصرفهما وتجاوزاتهما ، ويذكر بما للإسلام على الغرب من أيد ، فالإسلام هو الذى غذى فنونه وفلسفته وعلومه وتقنيته وقوانينه وآدابه وفى نقاط كثيرة كان الشرق ولمدة طويلة متقدما على أوربا . أنه يرى أن الأشد بربرية ليس أولئك الذين أوقف شارل مارتل زحفهم. أن هذا الاكتشاف للغير ، هذا الاعتراف المتبادل وبصفة مستعجلة بالنسبة للإسلام هو أمر ضرورى اليوم ، فإنه هو الذى يستطيع أن ينقذ الغرب من أزمته ، أن حواراً حقيقيا يمكن أن يجرى بين الحضارات ويرى جارودى أنه يمكن للحضارة الغربية أن تأخذ وتعدل نفسها . وذلك باكتشاف ما هو حى فى الثقافات غير الغربية ، أن جارودى

يقوم إزاء قومه وأبناء حضارته بمهمة تزيح عن أعين وعقول قومه الحزازات والخلفيات والمركبات التى تحكمت فى مواقفهم فجعلتهم منغلقين عن سواهم من الشعوب والحضارات الأخرى .

وليس من شك أن لنا وقفة إزاء هـــذه الفكرة التى تبناها جارودى فى السنوات الماضية والتى نرجو أن يكون دخوله فى الإسلام عاملا فى تغيير وجهة نظره إليها أو إلى الأساليب الموصلة إليها، فالحقيقة التى يعرفها جارودى الآن وهو من المسلمين ، أن الإسلام منهج مستقل له ذاتيته الخاصة وطبيعته المنفردة ، وأن الأخذ منه ممكن ولكنه لا يكون الإسلام ، وأن الحضارة الغربية غدت فى انحرافها منطقة القدرة على تعديل مسارها بمفاهيم الإسلام لقد بغت فى انحرافها حداً كبيراً لا يصلح معه أى تطعيم وهى تتطلع من طريق التغريبيين إلى تحقيق أهوائها بتبرير أوضاعها المنحرفة ولكن الإسلام لن يكون يوما مبرراً لفساد الحضارات ولا خادما لأيدلوجيات الشعوب وهو وأن التقى مع الديمقراطية فى بعض ظواهر (الشورى) أو مع الاشتراكية فى بعض مظاهر (العدل الاجتماعى) فإنه يختلف عنهما تماما لأنه منهج مفرد ربانى المصدر ، قائم على التكامل الجامع بين الروح والمادة والدنيا والآخرة ولذلك فإن حوار الحضارات لا يكون إلا بأن يتخلى الغرب عن سيطرته حتى تستطيع شعوب الإسلام أن تمتلك إرادتها وتطبق منهج الله وتقيم مجتمعه على الأرض ، وعندئذ يمكن أن يتم الحوار بين إرادتين حرتين أما اليوم فإن هناك محاولات للسيطرة والاحتواء من القوى الكبرى تحاول أن تؤخر نهضة الإسلام أو تدمر يقظته أو تفسد انطلاقه .أن الإسلام يستطيع أن يعطى الكثير للمجتمعات المتطلعة إلى إلتماسه منهجا لها ، وإلى الأمم التى ترى أنه لايوجد منقذ للبشرية غيره ، ولعل الأستاذ جارودى يبذل جهداً فى هذا الاتجاه .

ولا ريب أن هذه الحقائق الثلاث التى قدمها هى منطلق صحيح وطيب لخطواته القادمة وهى قوله :

(١) أن الله هو المالك الوحيد (٢) أن الله هو المشرع الوحيد (٣) أن الله هو الحاكم الوحيد .

ففى النقطة الأولى تحدث عن الاقتصاد الإسلامى وركز على مبدأ الاستخلاف الإلهى للإنسان وبين كيف أن المؤمنين كانوا يتجردون عما يملكون تقربا إلى الله وأن الزكاة أحد أركان الإسلام والاقتصاد .

(٢) وفى النقطة الثانية يقول : اختصاص الله بالتشريع فى المجتمع الإسلامى كان مصدراً لإنسانية التشريع الإسلامى ومرونته وصلاحيته لكل الأزمان والأماكن ومن هذا المنطلق أزاح ما أشاعه بهتانا خصوم الإسلام من إدعائهم قسوة أحكامه ورجعيتها خصوصاً فى نظرته إلى المرأة .

(٣) وفى النقطة الثالثة يقول : حاول إستقصاء أصالة النظرية الإسلامية السياسية وارتكازها على الشورى وتحدث عن ثراء عطاء الحضارة الإسلامية فى مجالات العلم والمعرفة المختلفة والازدهار الكبير الذى حدث للسلمين فى كل بلد حلوا ، وعدد أسماء أعلام مسلمين أثروا فى مسيرة الحضارة الإنسانية فى الطب والفلك والعلوم فى وقت كانت كل أوربا فى ظلام دامس وليل طويل .

وبالجملة فإن جارودى رد إعتبار الحضارة الإسلامية أولا ثم رد إعتبار المنهج الإسلامى أخيراً ، وهو كسب كبير للإسلام ، ونحن نعتبره هو وبوكاى مقدمة لخير كثير فى محيط المثقفين الغربيين ، فهذه ظاهرة جديدة طيبة بعد مرحلة طويلة من كتابات الانصاف للإسلام من مفكرين غربيين ظلوا محتفظين بعقيدتهم ، ولعل عباراته التى ختم بها كتاب (وعود الإسلام) توحى بالوجهة الجديدة حيث يقول :

« أن الإسلام الذى يمثل قوة حية ليس فقط فى ماضيه ولكن فى كل ما يمكن أن يبتكره ويقدمه فى الحاضر والمستقبل . الإسلام الذى ظل قروناً طويلة مكروها غير مرغوب من طرف الغربيين من جراء آثار الحروب الصليبية أن المسألة مسألة مستقبل . مستقبلنا جميعا » .

هذا ونقول للأخوين المسلمين بوكاى وجارودى : مرحبا بكما فى ساحة (لا إله إلا الله) .

الفصل السادس

تحـــديات خطيرة

تواجهها السنة النبوية فى الغرب

ورجال يتصدون لها

كان الملتقى الإسلامى فى (تلمسان) الجزائر فى شوال (الماضى) ١٤٠٢ مناسبة طيبة لالتقاء عدد كبير من علماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم كله ، وكان أبرز ما فى ذلك اللقاء تلك الأسماء الكريمة التى كان لها فى العقود الأخـــيرة من القرن الرابع عشر دوراً واضحاً فى توجيه الدعوة الإسلامية ودفعها إلى طريق الإصالة والترشيد ، وكان أبرز ذلك أولئك الأبرار الذين هاجروا إلى الغــــرب لخدمة الإسلام منذ سنوات طويلة ومنهم الدكتو « محمد حميد الله » الذى ترك بلاده «حيدر أباد » منذ أكثر من أربعين عاما حيث أقام فى باريس يخدم ترجمة القرآن والحديث النبوى ورسائل النبى صلى الله عليه وسلم . وقد جمع كل ما يتصل بالوثائق السياسية فى العصر النبوى حيث جمع (ثلاثمائة رسالة) قسمها إلى ثلاثة أقسام : (١) فيما يتعلق بما قبل الهجرة . (٢) أثناء الهجرة . (٣) ما بعد الهجرة . ومن ذلك كتابه مع جعفر الطيار إلى النجاشى ملك الحبشة مع المهاجرين فى السنة الثامنة من الهجرة إلى ملك لا يظلم عنده أحد .

ويتحدث الدكتور حميد الله عن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء رحلة الهجرة كان قد أخذ الدواة والقلم أيضاً أثناء السفر فلما جاء سراقة ورأى المعجزات وطلب العفو وكتاب أمان لنفسه كتب له أبو بكر أو مولاه عامر بن فهيرة كتاب أمان كما ذكره ابن هشام وأخرين ، وقد عمل الدكتور حميد الله خلال هذا الوقت للدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله وقد كان فى مقدمة من نشر أول دستور مكتوب فى العالم كله وضعه رئيس دولة بعد موافقة الأهالى ، ولم نجد

قبل الإسلام شيئاً من ذلك لا فى اليونان ولا الروم ولا الصين ولا الهند ولا مصر وقد وضع فى ذلك مؤلفاً خاصاً بالإنجليزية .

The First written- Constitution on the world,

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا ممثلى سكان المدينة من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين وأقترح عليهم تأسيس دولة خاصة للدفاع وقت هجوم الأعداء والعدل عند القضايا الداخلية لو كان الفريقان من قبيلتين مختلفتين فقبلوا وأنتخبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كرئيس لتلك الدولة ، فلما نجح النبى صلى الله عليه وسلم فى تأسيس دولة لهم شاورهم وكتب حقوق الراعى والراعية وواجباتهم فى صحيفة وصل إلينا نصها بتمامة وفى نفس الوقت أمر النبى عليه السلام بتخطيط حرم المدينة أى حدود هذه الدولة .

كذلك فقد أجرى إحصاء المسلمين، روى البخارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكتبوا من تلفظ بالإسلام من الناس » فكتبنا ألف وخمسمائة رجل وبعد هذه التدابير الإبتدائية الأساسية للدفاع عن دار الإسلام بدأ يغادر المدينة ويسافر إلى بلاد القبائل المجاورة واحدة بعد الأخرى يقترح عليهم حلفا عسكرياً : لو هاجم عليكم أحد أعدائكم ننصركم ، ولو هاجم أحد علينا وطلبنا منكم تجيئون لنصرتنا إلا فى حروب الدين فقبلت جهينة وضمرة وغفار وأسلم ثم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الحديبية إلى الملوك المجاورين يدعوهم إلى الإسلام : فكتب إلى:

هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى وخيفر وعدو ابنى الجلندى ملكى عمان والمنذر بن ساوى صاحب البحرين (الأحساء والقطيف حالياً) وقد وصلت إلينا أصول هذه الكتب إلى الملوك ، وهكذا عاش الدكتور حميد الله منذ أربعين سنة فى الغرب يخدم الدعوة الإسلامية ويجمع الوثائق ويحاجج المستشرقين فيما يكتبوه من باطل وتحريف .

ولما كان موضوع الملتقى السادس عشر هذا هو « السنة النبوية » فقد عرض الدكتور حميد الله أيضاً لترجمات الأحاديث النبوية إلى الفرنسية وخص

بالبحث ترجمة بوسكية لصحيح البخارى وكشف عما فى هذه الترجمة من أخطاء .
وإذا كانت الترجمة قد صدرت فى أربعة مجلدات فقد وضع الدكتور حميدالله مجلداً
كاملا فى تصحيح أخطائها ومن أخطائها على سبيل المثال لا الحصر .

رؤية — ترجمها السحر الأسود .

الزكاة — ترجمها التبرع .

سجدة — ترجمها الجثى على الركب .

لم يفرق بين الرجل والمرأة فقال أن حذيفة امرأة .

سبحان الله — ترجمها المجد لله وصحتها تنزيه الله .

وقد أنتشرت هذه الترجمة الخاطئة فى أفريقيا وأخواننا المسلمون يعتمدون
عليها ، ولا تستحق ترجمة بوسكية أى تقدير لما فيها من تعصب وأخطاء ،
ويغلب على منهجه الجدل والتعصب فقد أدعى أن المنهج التاريخى غريب على المسلمين
وأن الشريعة غير مرتبة ، وأن كلمة الحقوق غير مرتبة والإسلام لا يميز بين
الأمور بينما الأوربيون المعاصرين قد فعلوا ذلك زاعما أن الأحاديث الصحيحة
قليلة جداً ، وهو فى ذلك كله يحاول أن يثير الشك فى عقل القارىء المتسلم وهو
ليس ملتزما بالأمانة العلمية فهو أحيانا يضيف كلمة إلى الحديث أو يحذف كلمة .
من أجل هذا كله فقد شمر الدكتور حميد الله عن ساعد الجد وواجه هذا العمل —
وكل أعمال الاستشراق السابقة فيما يختص بصحيح البخارى وأصدر المجلد الضخم،
وقد اهتزت لذلك دوائر الاستشراق وقاوموا هذا العمل وقالوا لهم : أنتم لستم أهلا
للتعقيب على العالم الفرنسى فهم حريصون على أن تبقى هذه السموم داخل الترجمات
ليقرأها المسلمون الذين لا يعرفون العربية .

وقد زارت سيدة مسلمة الشيخ حميد الله وقالت له : هل يجوز السحر ، أن
ترجمة البخارى تذكر أن السحر جائز فى الإسلام وأخرج الشيخ النص العربى
فوجد العكس . وقد كان من الضرورى أن يجمع المسلمون فى باريس مبلغا كبيرا
لطبع هذا المجلد ليوجد فى السوق لمن يقرأ ترجمة بوسكيه ولتصحيح المضامين

المحرفة ، إيمانا بأنه إذا تركت هذه الترجمة فى السوق فستظل كثير من الأخطاء قائمة فى نفوس الناس عن جهل وغيرها عن عمد .

وهكذا يعمل هؤلاء العلماء الأبرار الذين تركوا بلاد المسلمين من أجل أداء هذا العمل (ومن هؤلاء الدكتور زكى على الذى يقيم فى جنيف منذ خمسين عاما وله كتاب عن الإسلام فى العالم وأبحاث أخرى) .

ولما رأينا الدكتور حميد الله وكنا قد قرأنا له منذ أكثر من ثلاثين عاما وجدنا رجلا متواضعا سمحا يكره الأضواء فلا يتقدم نحو منصة الملتقى أبدا وينيب الأستاذ العربى إمام المركز الإسلامى فى باريس فى إلقاء أبحاثه ، وهو على مائدة الطعام لا يأكل إلا لماما ، رجل زاهد فى كل أمور الدنيا فإذا افتقدناه وجدناه على مكتبه يكتب فعنده عمل كثير حتى ولو كان فى زيارة للجزائر . ولقد كان من اللحظات الخالدة الحاسمة تلك اللحظات التى شهدناها حين التقى مع السيد أبو الحسن الندوى ، وقد سألته منذ متى لم تقابله فقال : منذ أربعين عاما وكلا الرجلين من كبار رجال الدعوة الإسلامية وكلاهما له جهاده وعمله .

وقد كان هذا العمل الذى وجه إليه الحق تبارك وتعالى مثل الدكتور حميد الله عملا خطيرا خاصة بعد أن ألقى دكتور أحمد فون انفر (المسلم الألمانى الذى يعمل للدعوة الإسلامية فى بريطانيا) وكان من بين رجال الملتقى وقد أشار إلى مدى الأخطار التى يتعرض لها المسلمون الجدد فى الغرب ومـــدى حاجة هؤلاء إلى مترجمات صحيحة من السنة النبوية . ذلك أن هناك فى الغرب من يحاول أن ينحرف بهؤلاء المسلمين إلى طريق خطر هو طريق الصوفية الغربية التى ينجذب إليها أعداد كبيرة من المعتنقين للإسلام فى المجتمعات الغربية ، وعن طريق ذلك المنهج يختلف الموقف عن فهم السنة النبوية الصحيحة .

كذلك فقد كشفت الأبحاث عن مدى الأخطار التى تتحدى السنة النبوية عن طريق الدعوات المسمومة المطروحة تحت عنوان « الاكتفاء بالقرآن » وقد كشف كاتب هذه السطور وزملاء له هذا الجانب الخطير ، كما عرض بعض الباحثين موقف الشيخ المودودى من هذه الفتنة الشديدة الخطر . كذلك فقد

عرض الباحثون لأخطار بعض الطرق الصوفية ودعوتها إلى تصوف مبتدع قائم على التحلل من التكاليف الشرعية والرقص والغناء والولاية المطلقة للشيخ ودعاوى المعجزات والكرامات ودعا إلى الحفاظ على الشباب المسلم من الانحراف نحو هذا الاتجاه .

وقد حفل الملتقى الإسلامى بدراسات واسعة للسنة النبوية الشريفة كحلقة من هذا العمل الكريم الذى تقوم به الجزائر من أجل تأصيل الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامى .

الباب الرابع

حركة اليقظة وما حققته

أولا : حركة اليقظة وما حققته فى القرن الرابع عشر

ثانياً : جاء الغزو بعد ما غفلوا

ثالثاً : تطبيق الشريعة فى العالم الإسلامى

الفصل الأول

حركة اليقظة

ما حققته خلال القرن الرابع عشر الهجرى

حققت حركة اليقظة الإسلامية فى القرن الرابع عشر عدداً من الانتصارات التى غيرت مجرى المجتمع الإسلامى تغييرا جذريا وأعدته لاستقبال خطوات أكثر إيجابية على طريق الله تبارك فى خلال القرن الخامس عشر : هذه الخطوات أو الانتصارات بحيث أن تكون موضع نظر ودراسة وتقدير الفاحصين لتطور هذه الأمة نحو الأصالة ونحو تحقيق رشدها الفكرى وتحررها من أغلال التبعية والتقليد والاحتواء والإذابة الذى عمد النفوذ الأجنبى على تحقيقه فى محاولة لصهرها فى أتون الأممية العالمية حتى يضيع طابعها الخاص وذاتيتها الربانية القائمة بالتوحيد الخالص منذ أربعة عشر عاما لتكون مؤهلة لحمل البشرية على الحق وإضاءة طريق الله تبارك وتعالى أمامها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولنذكر أن النفوذ الأجنبى الذى فرض على المسلمين فى القرن الثالث عشر الهجرى والذى امتد إلى اليوم فى صور مختلفة منها الاستعمار والحماية والوصاية والتبعية الاقتصادية والسياسـيـة والعسكرية فى مراحل مختلفة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر هو نوع متميز من التحدى الذى يختلف إختلافا واضحا وعميقا عما سبقه من مؤامرات الاحتواء والسيطرة التى عرفت أبان حملات التتار والحروب الصليبية ، ومؤامرات الشعوبيين والزنادقة فإن أخطر ما حدث فى هذه الحملات الاستعمارية الأخيرة هو أن النفوذ الأجنبى قد أجلى المسلمين عن منهجهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتربوى بأن فرض عليهم نظما واحدة ، حملهم عليها حملا وكان مدخله إلى ذلك هو تغيير هوية التربية والتعليم وفرض أنظمة تعليمية مدخولة كونت أجيالا رعاها النفوذ الأجنبى وحماها وسلم إليها مقاليد الأمور وضمن حين أنهى وجوده السياسى والعسكرى أنها ستمضى على نفس طريقه .

ولكن الأمر لم يمض كما ظن النفوذ الأجنبي ورجاله من دعاة التغريب والغزو الثقافي فإن حركة اليقظة الإسلامية سرعان ما اشتد عودها وأصبحت قادرة على كشف الزيف والرد على الاتهامات ودحض الشبهات مما أعاد إعتبارها في نظر الأجيال الجديدة التي حاول التغريب خداعها والتغرير بها لتنظر إلى أمتها وعقيدتها ولغتها ونبيها وشريعتها نظرة الاستشراق والتغريب التي تروج لها منذ سنوات عديدة عن طريق المدرسة والصحيفة والثقافة الوافدة ومن أهم الحقائق التي تعد انتصاراً في هذا المجال :

(أولا) : تصحيح المفاهيم فيما يتعلق بالقيم والشخصيات الإسلامية فقد توالت الحملات على (ابن خلدون) و (ابن تيمية) و (الغزالي) بينما أزجيت عبارات التكريم والتقدير لابن سينا والفارابي والحلاج والسهروردي واستمر ذلك زمنا طويلا ، بل أن الاستشراق قد تمكن من خداع بعض المبعوثين إلى الغرب ليقدموا رسائل وإطروحات تقدم هذه الشخصيات الكريمة على أنها لا تملك قدراً كبيراً من من العلم أو الفضل على النحو الذي فعله الدكتور طه حسين في رسالته عن (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) التي قدمها إلى السربون عام ١٩١٧ والتي حمل فيها حملة عنيفة على هذا العلامة الكبير واتهمه بالقصور والاضطراب ، متابعة لرأى دعاة المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي كان يقودها اليهودي دوركايم والذي عاش طه حسين في حضانة فكرة وتابعه في رأيه عن ابن خلدون ، ويجيء اليوم من الشعوبين من يدعو إلى إعادة بعث هذا البحث المسموم ظنا منه أنه بحث علمي صحيح ولقد استطاع الباحثون المسلمون أن يدحضوا وجهة نظر التغريب والاستشراق والشعوبية إزاء هذا العالم الكبير الذي خطى في السنوات الأخيرة بتقدير المنصفين من الباحثين الغربيين على أساس أنه قدم ثلاثة علوم : وهى تحليل التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد .

وكذلك فقد كشفت الأبحاث عن فساد وجهة الفارابي وابن سينا من الناحية الفلسفية (مع تقدير دورهما في الطب والعلوم) أما في الفلسفة فقد تبين أنهما كانا تابعين لمدرسة المشائين اليونانيين وأنهما خصصا لمفاهيم الفلسفة اليونانية التي يقودها أرسطو وأفلاطون وأن فكرهما لا يمثل مفهوم الإسلام الحقيقي وأن

مفهوم الفلسفة اليونانية الذى قدماه قد رفضه الفكر الإسلامى الذى يقوم على مفهوم التوحيد الخالص .

كذلك قد تكشف أن مفهوم « الحلاج » « والسهروردى » فى الفكر الذى قدماه لم يكن من الفكر الإسلامى الأصيل ولكنه كان مفهوما زائفا استوحياه من الأفلوطنية التى كانت تمثل فكراً مسيحيا ويهوديا ممتزجا قبل الإسلام .

وكذلك انكشفت أهداف الاستشراق والتغريب وجوهر الاستشراق بعد أن انكشفت سمومه .

(ثانياً) : عظمة الشريعة الإسلامية : والكشف عن مفاخرها الحقيقية ، وقد جاء هذا بعد أن سيطر النفوذ الأجنبى على العالم الإسلامى بالقانون الوضعى وحجب تطبيق الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامى لأول مرة بعد أربعة عشر قرنا من قيام هذا المنهج فى عالم الإسلام ، وكانت تلك الدعوى العريضة التى حاول بها كرومر ولافيجرى وغيرهما من قراصنة الاستعمار تشويه هذه الشريعة السمحة بالإدعاء بأنها شريعة صحراوية متأخرة عفا عليها الزمن فإن بعضا من الأبرار من المسلمين المثقفين الذين قصدوا إلى الغرب وحملوا معهم رسائل عن الشريعة الإسلامية إلى جامعاتها فأثاروا مشاعر علماء القانون الغربيين الذى اعترفوا بفضل هـذه الشريعة وعجبوا لعجز المسلمين عن تطبيقها ، وقد توالت هذه الاعترافات عن طريق مؤتمرات للقانون العالمى عقدت سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ وبعدها اعترفت فيها جماعات رجال القانون العالمى بأن الشريعة الإسلامية هى شريعة مستقلة ذات كيان خاص تختلف عن الشريعة الرومانية وأن لها جوانب غاية فى القوة تستطيع أن تسعد البشرية وجاءت شهادة الفيلسوف الإيرلندى برنارد شو غاية فى الإنصاف .

وكشف مسيو لامبير من كبار رجال القانون الفرنسى عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وكيف أن الفرنسيين أخذوها من مذهب مالك ، وأن اختلف الرأى عما إذا كان ذلك عن طريق الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر أم عن طريق الجزائر وتونس وفى نفس الوقت بدأت ظاهرة الكشف عن عظمة القرآن بأنه من عند الله وفساد الكتب القديمة وقد حمل لواء هذه الدعوة كثير من الأكابر

منهم موريس بوكاى .

(ثالثاً) : استطاع الشيخ مصطفى عبد الرازق أن يعلن رأياً جديدا فى الفلسفة ، بعد أن استطرد المستشرقون الغربيون الذين قدموا هذا العلم كطلابهم فى الجامعة وقال بأن الفلسفة الإسلامية الحقيقية تبدأ من الفقه وعلم الكلام وأن ماعداه فهو تبعية للمدرسة اليونانية وأن منهج الإمام الشافعى فى علم أصول الفقه يعد بمثابة المنطلق الحقيقى لهذا ، أما مدرسة الكندى والفارابى وابن سينا فهى لا تمثل الفكر الإسلامى الصحيح .

وبذلك أعيد إعتبار الإمام الغزالى الذى حملت عليه الفلسفة الحديثة ودعاتها لأنه أوقف تيار الفلسفة فى الإسلام حين أخرج كتابه تهافت الفلاسفة وكشف عن زيفهم فى إدعائهم بأن الله تبارك وتعالى لا يعلم الجزئيات أو أن المادة قديمة على النحو الذى ضللت به دراسات الفلسفة عدداً من المثقفين المسلمين وقد انكشف زيف كتابات كثيرة كرسائل إخوان الصفا والأغانى وأبى نواس . وتبين فساد المنهج الكلامى المعتزلى والفلسفى وعلت الدعوة إلى التماس منهج القرآن .

(رابعاً) : ما كشفه الدكتور محمد أحمد الغمراوى من أن ما قدمه طه حسين بدعوى أنه مذهب ديكارت باطل وزائف،وأن طه حسين لم يقدم مذهب ديكارت على حقيقته وقد سارع الأستاذ محمود الخضيرى يترجم كتاب مقال فى المنهج لديكارت ونشرها صاحب المكتبة السلفية لتوكد فساد إدعاء طه حسين ، الذى كان يظن أن أحداً ان يكشف خبيئته ، ولقد كشفت الأبحاث فى الأخير أن مذهب ديكارت مأخوذ من الإمام الغزالى ومن رسالته (المنقذ من الضلال) بل أن المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك المؤرخ التونسى قد شاهد بنفسه فى مكتبة السربون تراث ديكارت وقرأ تعليقه على رسالة المنقذ من الضلال بالفرنسية ، وهو المعنى الذى توصل إليه المرحوم العلامة محمد فريد وجدى فى الرد على كتاب الشعر الجاهلى عندما قال لطه حسين أن هذا المذهب : مذهب الشك حتى تصل إلى اليقين الذى يدعيه لديكارت هو مذهب إسلامى وأن الإمام الغزالى أول من طبقه .

(خامساً) : ظل التراث الإسلامى مغموراً ، ومحجوبا عن المسلمين ، الذين دخلوا الجامعات التى قدمت لهم العلوم التجريبية والسياسية والاجتماعية على أنها

علوم غربية خالصة فقد بدأت الحلقة الأولى بفرانسيس باكون على أنه منشىء العلم التجريبي حتى جاء الإنصاف من علماء أبرار أمثال درابر، وكارليل، وجوستاف لوبون الذين أعلنوا أن (باكون) هو تلميذ المسلمين وأن مثقفي الغرب هاجروا إلى الأندلس واستمعوا إلى علماء المسلمين وأن المنهج العلمي التجريبي هو من صناعة المسلمين (جابر بن حيان وابن الهيثم والبيرونى وغيرهم) ثم جاءت الدكتورة سجريد هونكه فكشفت هذه الصفحة الرائعة في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب).

قد تبين دور المسلمين الخطير فيما قدموه من بداءات وإضافات لعلوم كثيرة ليست العلوم التجريبية والطبية والفلكية وحدها ولكن في علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية بما يعد في نظر المتصفين « الطابق الأول للحضارة المعاصرة ».

(سادساً) : تكشف في السنوات الأخيرة مدى عظمة المخطوطات الإسلامية المحجوبة عن المسلمين في مكتبات ليدن وفرنسا وإيطاليا وهى تقدر بحوالى مليونى مخطوط، حتى لقد قيل أن تاريخ النهضة الإسلامية لا يمكن أن يكتب على وجه حقيقى إلا بعد تصوير ومراجعة هذه المخطوطات التى تتصل بكل علم وفن إشترك فيه المسلمون، والمعروف أن هذا التراث المخطوط قد سرق من مساجد المسلمين ونقل إلى الغرب تحت تأثير ورعاية القناصل الأجانب وأن الغرب قد أفاد من من هذا التراث فائدة ضخمة ظهرت في عديد من نظرياته الاقتصادية والقانونية بل أنه قد حجب عن المسلمين والعرب فإن عدداً من الباحثين ذهب إلى الغرب ليسأل عن مخطوطة معينة فمنع من النظر فيها.

(سابعاً) : ظهرت في السنوات الأخيرة دعوة إلى الأصالة في بناء العلوم على أساس إسلامى، فظهرت دراسات عن الاقتصاد الإسلامى وعلم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى بعد أن اتضح فساد العلوم الغربية وعدم تجاوبها مع الفطرة الإسلامية وحاجة المسلمين إلى تقديم منهجهم القرآنى الأصيل.

كما ظهرت في السنوات الأخيرة الدعوة إلى تقنين الشريعة الإسلامية وخطت

خطوات واسعة فقد قامت جماعات من الفقهاء وعلماء القانون بإعداد القوانين الخاصة بالتجارة والحدود ، والرده ، وكان عمداء كليات الحقوق فى الجامعات العربية قد نادوا بالتخلص من هذه القوانين المتباينة فى البلاد العربية والرجوع إلى الشريعة الإسلامية باعتبارها إحـــدى خصائص ومقومات الأمة وأهم تراثها الثقافى .

كذلك فقد رد إعتبار الشخصيات المخلصة التى شوهها النفوذ الاستعمارى كالسلطان عبد الحميد وتوضحت حقائق كثيرة فى تاريخ الإسلام فى العصر الحديث بعد أن ظهرت بروتوكولات صهيون وعدد من الوثائق وعرف الناس خداع وتضليل من سمو أعلام الفكر وقادة النهضة من أمثال قاسم أمين ولطفى السيد وعلى عبد الرازق وطه حسين وجرجى زيدان وسلامه موسى .

الفصل الثانى

جاء الغزو بعد ما غفلوا

عن المرابطة والإعداد

ما تزال المرحلة التى عاشتها الأمة الإسلامية فى مجالدة النفوذ الأجنبى ومقاومة الاستعمار موضع دراسة ومراجعة وتحليل ، هذه المرحلة التى بدأت ١٨٣٠ تقريباً باحتلال فرنسا للجزائر والتى استمرت حتى استكمل الاستعمار الغربى أطباقه على العالم الإسلامى فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وقد كانت المرحلة الأولى من هذا النفوذ وهى مرحلة عسكرية غازية قد قوبلت بنضال عسكرى حمل لواءه رجال أبطال قاموا فى سبيل إعلاء كلمة الله وتحرير الأوطان وكان من أبرزهم أحمد عرابى فى مصر والأمير عبد القادر فى الجزائر وعبد الكريم الخطابى فى المغرب ومحمد شامل القفقاسى فى تركستان وأحمد عرفان فى الهند .

لقد تقدمت الأمة الإسلامية إلى المقاومة بأسلحتها القليلة إزاء أسلحة الغرب الضخمة واحتشدت بالأجساد فى سبيل المقاومة وقدمت شهداءها . . وكادت تظفر بالنصر لولا التآمر الذى كان سلاح الاستعمار الحقيقى للقضاء على هذه القوى المجاهدة المؤمنة بالله والمدافعة عن العرض والأرض ولذلك فقد كانت هزيمة عرابى والخطابى وعبد القادر وشامل ليست إلا عن طريق التآمر والغدر وحده وأن هؤلاء الأبطال لو واجهوا المعارك مواجهة متحدة صريحة لهزموا النفوذ الأجنبى وأزالوه ولكن هذا النفوذ استعمل سلاحا خطيرا هو التآمر واصطناع بعض ضعاف النفوس لمعرفة الخطط والقواعد .

وقد أعلن كرومر فى مذكراته أنه لولا المؤامرة لما هزم عرابى وكذلك الأمر فى شأن المقاومة الباسلة التى قام بها الأمير عبد القادر سبعة عشر عاما فى وجه النفوذ الفرنسى الزاحف على الجزائر أما المقاومة التى قام بها الشيخ شامل فى وجه

الزحف الروسى فقد كان فوق ما يتصور العقل من الإصرار والاستماتة ، كذلك كان الأمر فى موقف عبد الكريم الخطابى .

ولكن الاستشراق يحاول فى كل حين أن يزيف الحقائق وأن يصيب هذه الأسماء الكريمة برشاش من الشك . . وليس هناك ما يمكن أن يوجه إلى هؤلاء الأشاوس الأبرار إلا أنهم ما كانوا يعرفون أسلوب السياسة بأكاذيبه وأباطيله ومناوراته ومحاولاته الخادعة فهم قد آمنوا بأن العدو الذى هاجم البلاد هو العدو وأنه لا سبيل إلى التفاهم معه فى شىء إلا بإجلائه أولا وهو أسلوب كان مزعجا للنفوذ الأجنبى الذى كان يريد أن يجد من يمكنونه من أغراضه ، من الخونة طلاب المغانم الذى دلوا العدو فى حرب عرابى على مواقع الجيش أو تآمروا على الأمير عبد القادر أو خانوا شامل أو الخطابى .

وسيظل هذا الجيل من المجاهدين موضع تقدير مهما يقال عن قصور معلوماته أو عدم قدرته على مواجهة ذلك الهول الوافد الخطير فإنه ضحى بنفسه وقدم شهدائه ومات واستشهد دون أن يستسلم . .

ولقد حرص الاستعمار وقد عجز عن أن يقضى على هؤلاء الأبطال فإنه عمل على نفيهم من أوطانهم فنفى عرابى وعبد الكريم وعبد القادر عن أوطانهم . .

هاجم عرابى بريطانيا فى التل الكبير فى مصر .

هاجم عبد الكريم فرنسا فى ريف المغرب وفى معركة أنوال .

هاجم عبد القادر فرنسا فى الجزائر .

هاجم شامل النفوذ الروسى القيصرى فى القرم .

هاجم عرفان بريطانيا فى الهند . .

لقد استمر عبد القادر سبعة عشر عاما حتى حطم الاستعمار خطوط تموينه وحصره حصارا شديدا . . كذلك قاوم شامل جيوش قيصر روسيا زهاء خمسة وعشرين عاما يقول عبد القادر القادرى : أن الإمام محمد شامل القفقاسى كان على

نمط الأمير عبد القادر الجزائرى خرج من المشيخة إلى الإمارة وتناول السيف عن طريق القلم حيث كان من أتباع الحركة النقشبندية التى أسسها محمد البخارى فانتشرت فى الصين وتركستان والقفقاس وقازان وتركيا وكان الأمير عبد القادر الجزائرى من أتباع الحركة القادرية التى أسسها الشيخ عبد القادر الجزائرى ولم تكن هذه الحركات فى ذلك الوقت إلا معسكرات جهاد ونضال ومقاومة للنفوذ الأجنبى وقد كان لها دورها فى الحروب الصليبية فى مصر والشام .

ولقد ظل عرابى وعبد القادر وشامل يجاهدون حتى نفذ الزاد وفنيت المؤنة وأشرف المجاهدون على الفناء فأخذ عرابى إلى سيلان حيث أمضى بها بضعة عشر عاما ونقل عبد القادر إلى دمشق حيث عاش بها بقية عمره أما الشيخ شامل فقد سمح له بالذهاب إلى المدينة المنورة حتى مات ودفن بها ١٨٧١ أما الأمير عبد الكريم الخطابى فقد نفى فى جزيرة رينو فى المحيط الهندى ثم أتيح له أن يهرب إلى مصر فأمضى فيها بقية حياته .

هذه المرحلة من حياة العالم الإسلامى يمكن أن يطلق عليها مرحلة الجهاد المسلح غير المتوازن فقد استيقظ عالم الإسلام من غفوته فإذا بالقوة الأجنبية محاصرة له وفى يدها أحدث الأسلحة بعد أن غفل عن حماية نفسه ولذلك فإنه لم يكن من المعقول أن يستطيع المجاهدون كسب المعركة . . ذلك لأنهم لم يكونوا قد وضعوا أنفسهم حيث أمرهم القرآن بالمصابرة والمرابطة والإعداد للقوة التى ترهب العدو وتحول بينه وبين إجتياز ساحة البلاد الإسلامية ولقد بدأت هذه المعركة قبل وقت طويل عندما هاجمت إسبانيا والبرتغال الشاطىء الإســـلامى لأفريقيا ، والمغرب والجزائر وتونس على أثر إخراج المسلمين الأندلسيين فى محاولة للتسيطرة على هذا الشاطىء العربى الإسلامى ثم جاءت مرحلة الاستعمار البريطانى والفرنسى . هذه التى اتخذت أسلوب وضع الحبل فى عنق العالم الإسلامى من أقصى نقطة وهى «كانتون» ثم ننتظر حتى تعرف متى تستطيع أن تسيطر وقد جرت المحاولة الأولى فى بلاد الملايو . . (هولندا) والهند (بريطانيا) وفى المنطقة العربية كان الغزو الفرنسى للجزائر هو أبرز هذه الأحداث وأشدها أثراً فقد هزت المعركة الإمام محمد على السنوسى الذى قام بجولات ضخمة إلى مختلف أجزاء المنطقة مستمداً من

الدعوة الأولى : دعوة التوحيد فى الجزيرة العربية أسلوب العمل وكان أسلوب العمل التربوى الذى قام به منطلقا لحركة اليقظة الإسلامية . ولقد كان الجزائرى والخطابى مجاهدان بالسيف وهما مع ذلك علماء فقهاء وكذلك كان الشيخ شامل عالما قديرا وكان عرابى من خريجى الأزهر هذه الطبقة التى أزعجت الاستعمار فعمل للقضاء عليها وخلق طبقة جديدة فى نطاق الاستعمار ومفاهيمه ووجوده ، هؤلاء الذين تعاملوا مع الاستعمار بأسلوب الأخــذ والعطاء وقبول الواقع بأسلوب السياسيين . لا بجهاد المجاهدين . . وهذه هى الفكرة التى عمد الاستعمار فيها إلى بناء أجيال تؤمن به وتواليه وتعجب بحضارته وكانت قدرة الاستعمار مع عجز القوى الوطنية عاملا هاما فى فرضه القانون الوضعى بديلا من الشريعة الإسلامية وأسلوب التعليم العلمانى بدلا من أسلوب التربية الإسلامية وكذلك فرض أسلوب الاقتصاد الربوى عن طريق المصارف بديلا من أسلوب الاقتصاد الإسلامى؛ كل هذا هو الذى خلق الأزمة الحالية: أزمة التغريب والغزو الثقافى التى تحتاج إلى جهود ضخمة من رجال حركة اليقظة الإسلامية لتحرير الوطن الإسلامى كله من هذه التبعية والتماس منهج الأصالة المستمد من المنابع الإسلامية التى يمثل (القرآن الكريم) فيها حجر الوحى ولذلك فإنه لا بد للمسلمين من العودة إلى طبيعة مجتمعهم الأصــيل وهى قيام روح الجهاد الذى يعتمد على إستيعاب التكنولوجيا الحديثة وصهرها فى بوتقة الإسلام واللغة العربية حتى يكون عالم الإسلام قادرا دوما على الدفاع عن نفسه ومواجهة أى قوى عدوانية زاحفة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

أنه درس يجب أن لا يغفل عنه عندما فقد المسلمون أسلحتهم المسلمون دائما . هو أن الغزو جاء وغفلوا عن الثغور وتركوا سنة من أقوى سنن عقيدتهم وهى المرابطة والإعداد . .

الفصل الثالث

تطبيق الشريعة الإسلامية فى العالم الإسلامى

تعالت الصيحة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى العالم الإسلامى كله منذ وقت بعيد وكانت لها مقدماتها المعروفة منذ كتب علماء القانون فى الغرب عن عظمة هذه الشريعة وكمالها وفضلها ومنذ اعترفت المجامع الفقهية بأنها شريعة مستقلة وأنها ذات موارد ضخمة فى خدمة الإنسان وحمايته ومنذ أخذ رجال القانون فى الغرب موادها لاستنباط قوانين تحل حاجات المجتمعات الحديثة فضلا عن الواقع التاريخى المعروف باعتماد القانون الفرنسى على فقه الإمام مالك سواء جاء هذا الفقه عن طريق حملة نابليون على مصر أو طريق إحتلال الجزائر .

وهذه الأمور كلها معروفة ومبسوطة فى كتب تاريخ الفقه الإسلامى الحديث وكانت موضع دراسة واسعة مستفيضه للملتقى الإسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٢ حضرها أقطاب الفكر الإسلامى المعاصرين .

وقد استجابت الحكومات العربية والمسلمة لمطامح الشعوب الإسلامية فأوردت فى دساتيرها مادة خاصة بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين ، كما عمدت عدد من البلاد العربية على إعداد دوائر معارف خاصة بالفقه الإسلامى فضلا عن قيام عدد من هذه الدول بتقنين مواد الشريعة الإسلامية .

وهذه ظاهرة طيبة بدأت منذ الأربعينات منذ هذا القرن وقطعت أشواطا واسعة فى العقود الأخيرة. غير أن نكسة ١٩٦٧ قد أضافت إلى هذه الظاهرة دفعة جديدة فقد تحدث عدد من الباحثين والقانونيين عن أن من أهم أسبابها غياب تطبيق الشريعة فى المجتمعات ومن ذلكم الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى فى كتابه (فن الحكم فى الإسلام) حيث يقول أنه أحس بزلزال هزيمة ١٩٦٧ فسأل نفسه ذلك السؤال الذى لا بد أنه أقلقنا جميعاً :

[أما من علاج لكل ما حل بنا ، إما عن طريق إلى إعادة بناء الفرد وإعادة بناء المجتمع] .

ثم يقول : أنه بتفكيره العميق انتهى إلى ضرورة العودة إلى الإسلام وإلى كتاب الله لتطبيق تعاليم الإسلام فى كل حياتنا العامة والخاصة ومن هنا يدعو الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى إلى إعلان الحكم الإسلامى وقيام المجتمع الإسلامى فوراً ، ويلح فى أن تعود الأمة إلى رحاب الله فوراً وهو يرى أننا حين نفعل ذلك فإننا نكون قادرين على إمتلاك إرادتنا فى مواجهة كل التحديات التى تحيط بنا ويرفض الدكتور أبو زيد فهمى الموائمة بين أفكار ومبادىء معاصرة فى أنظمة الحكم وبين الإسلام ويقول : إننا لا نستطيع أن نكون مسلمين جزئيا على الإطلاق .

* * *

وفى خلال ما يجرى العمل على إعداد القوانين المستقاه من الشريعة الإسلامية تتعدد وجهات النظر ويحاول بعض أهل الفكر طرح عدد من العوامل التى يحاولون أن يجعلوا منها (معوقات) للتطبيق وهى فى مجموعها منها ما يتعلق بإعداد المجتمع قبل التطبيق ومنها ما يقول أن القانون المدنى الحالى أغلبه موافق للشريعة .

٢ — المسائل الثلاث (مع المستشار عبد الحليم الجندى)

يقول المستشار عبد الحليم الجندى : أن القرآن نزل على تدرج لأن الله سبحانه وتعالى يريد له الحفظ وليحفظه الناس ونزل مع تدرج الآيات تدرج الأحكام وفى هذا التدرج كان بعض القول بالنسخ لتغير الأحوال ، وكان المجتمع يتطور ويتقدم ولم يختار الرسول الرفيق الأعلى إلا وقد أكمل الله الدين وأتم نعمته على المسلمين ووجب من يوم أتم الله هذا الدين أن يطبق كاملا ، أما التدرج الذى نريده وننادى به وقد نادينا بهذا منذ عشرين عاما ، التدرج هو

أن نقول هكذا :

القانون المدنى يصدر ونعمل فترة انتقالية ، ثلاث سنوات لكى يطبق ويكون قد قرىء كفاية .

لقد أنجزنا القانون ووضعنا تحت كل مادة ما يقابلها من المجلة (العثمانية) أو من قانون قدرى باشا ، ذلك أن قانون قدرى باشا لو طبق منذ أعد لفاق قانون نابليون وما كنا أصلحناه أو عدلناه ألف تعديل .

إذن نحن نعمل فترة انتقاليةفلتكن ثلاث سنوات ، سيعرف الذى سيشرب الخمر سيحدث ، الذى سيزنى سيحدث ، اليد التى ستقطع ستحدث ، إذا قطعت يد واحدة فى الجيزة لعطلت السرقات فى الصعيد فى الإسكندرية حتى ليبيا بمجرد أن تقطع يد واحدة ، أمريكا فيها ستة ملايين سرقة سنة ١٩٧٥ ، لو قطعت يد أمريكى واحد لن يوجد ٦و١٥ مليون سرقة فى العام ، هذه هى مقدرة الشريعة الإسلامية فى العلاج أن الحدود زواجر .

(٢) أما مقولة أن القانون المدنى الحالى فى أغلبه موافق للشريعة فهى مقولة دارجة الآن على ألسنة الجميع والجواب أن قانون العقوبات الحالى ليس قانونا إسلاميا لأن التعزير فى الإسلام : انظر بماذا يعذر ، أن نظام السجون اختراع أوربى ، تولى المجتمع الأوربى إلى أن أحاط به تخنقه فأصبح فى السجون ملايين وبقيت مؤسسة السجون تنمى نفسها فتزداد تكاليف وتنمى فى المسجون أخلاق السجن ، فتخرج مجرما على أعلى درجة فيزداد العدد ويترتب على ذلك أن الجرائم أصبحت لا يبلغ بها .

الحدود فى علاجها الإنسانى أنها لا تطبق إلا إذا حدث التبليغ كالسرقة. قبل قانون نابليون فى مصر الجرائم كانت عشر معشارها سنة ١٨٩٨ فى خمس سنين كانت كافية حتى ترتفع الجرائم وتزداد الجنايات ، ماكان عندنا زنا ، لم يكن يعرف .كان المرأة إذا صنعت كذا . . انتهى تنتهى . اليوم أصبح لابد من تبليغ الزوج .

(٣) ليست العبادات هى التى تصنع المجتمع الإسلامى ، إنما الذى صنع المجتمع الإسلامى هو القانون الإسلامى وليس الخلق الإسلامى . لأن الذى صنع الخلق الإسلامى هو « الحدود » التى تحمى القاضى الذى يطبق القانون الذى يعمل به وتسرى من أجله هذه الأخلاق فى الناس .

قانوننا المدنى الحالى لم يدع من نقحه عام ١٩٤٨ على مدى بضعة عشر عاما أنه استقاه من الشريعة إلا إدعاء فى بعض ما كتب ، وإنما هو من قانوننا المدنى القديم ومنصوص فى كتاب الدكتور السنهورى أنه أخذه من ٢٢ قانونا منها القانون البرازيلى والتنقيحات التى أدخلها مأخوذة من المشروع الإيطالى الفرنسى للقانون المدنى (كالى إيتالوا فرنس) .

فقانوننا المدنى الحالى هو القانون الذى كان مختلطا وترجم ، ثم نقح ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ويعمل به من ١٩٤٩ وأضيفت إليه الـ ٢٢ قانونا من قانون عالمى ، أضيفت إليه إضافات ولا يقال أن قانوننا الحالى متفق مع الشريعة لأنه يخالفها فى ساقيه اللذين يقوم عليهما : فى نظرية العقد وفى المسئولية القانون المدنى هو : حرية الإرادة والمسئولية عند التعرض هذا هو القانون المدنى ، فهذان الاثنان يخالف بهما مبادىء الفقه الإسلامى . وباختصار فإن الفقه الإسلامى لا يقبل الضرر أو المغامرة أو إطلاق حرية الإرادة على التفقد ، هذا هو المعنى ، فحرية الإرادة مع أنها مضمونة إلا أنها مقيدة بأنه لا غرر ، ولا مخاطرة ، فى التراضى لأنه منصوص عليه فى القرآن ، والتراضى فى الأحاديث وفى جميع الفقه منذ ألف وأربعمائة سنة ، لا غرر ولا خطر يكون فى التعاقد لأنه إذا كان فى التعاقد غرر وخطر يبطله ، هذه القاعدة الأولى من قواعد التطبيق المدنى وهى حرية التصرف ، حرية التعاقد مقيدة بعدم الغرر وبعدم الغبن والقانون الحالى ليس فيه أى ذكر للغبن وليس فيه أى قيد على المغامرة فى التعاقد ، وأنت تطالب إذا أمضيت تعهدا تتعهد فيه بأى شىء ، مطالب بأن تنفذ تعهدك تماما ، ولو كان الذى تعهد له لم يقدم لك ما يقابله . فالقانون المدنى فى هذه الناحية وهى النصف يخالف الفقه الإسلامى وتفاصيل أخرى .

الدعامة الأخرى : الساق الأخرى التى يقوم عليها القانون المدنى هى :

« المسئولية » المسئولية فى الفقه الإسلامى مختلفة تماما وهى مختلفة لا عن القانون المدنى الحالى لحسب بل هى تسبقها وتتقدم فتقرر مثلا أن كل مصاب له تعويض ولا تشترط الخطأ . أن شرط المسئولية الخطأ . فالركن الأساسى وهو الخطأ إذا أحدث ضرراً وشرط التعويض هو الضرر . فالشريعة تقول شيئا مختلفا ، أنت أضررت بى بغير خطأ ، أنت تعوضنى ، أن تضمن الضرر ، هذا شىء تسعى له الآن أوربا من مائة وعشرين عاما ، السوفيت لم يبلغوه للآن ، هذه واحدة وأظنها واحدة تساوى ألفا .

الثانية : أن كل إنسان كـكل إنسان فى الضرر ، وفى تعويض الضرر فتعرض دية واحدة للملك وللرعية وللراعى ولأى فرد فى الرعية ، هى فى هذا تساوى بين الناس فى أقدارهم ، وتسوى بين الناس فى التعويض الذى يأخذونه ، أى باختصار أنها مشكلة ، ولـكنها مشكلة تـكفلت الشريعة بحلها وأن لم تتـكفل الشريعة بحلها لشككنا فى قدرتها على أن تحل شيئا ، نحن نعلم ما يشوب العالم من منكرات ، أنه عالم صنعه قانون جىء به من مائة عام ، صنع الرداء الذى نلبسه من المعاملات الاجتماعية ، سيطرة الغنى على الفقير ، سيطرة ذى الجاه على الذى لا جاه له ، طريقة البيع والشراء ، طريقة الإجاره ، نحن نبيع ونشترى بالقانون الفرنسى ، نزارع بالقانون الفرنسى ، نتعامل فى عائلتنا بالخلق الفرنسى ، هذا المجتمع ليس هو المجتمع المصرى الحقيقى ، هذا المجتمع قد صاغه قانون جديد ، عمل به مائة عام فى بيوعه وشرائه وسائر معاملاته ، الشريعة الإسلامية تتـكفل بإصلاح هذا بيد سحرية ، استغفر الله بصفة إلهية وهذه الحدود وما فيها من بشاعة وشناعة هى لم تشرع ليأخذ بها الناس فوراً، إنما شرعت ليعلم الناس أنها ستطبق عليهم ولذلك قالوا : الحدود زواجر ، ستسرق ستقطع هذه اليد بنظر الناس . علاج ربانى خالص ، اليد التى ستسرق ستقطع ، إذن اليد مباشرة لا تحرك هذه السرقة . الزانى الذى يصنع فى غيبة الناس يرجم علنا ، وتشهد عليه طائفة من الناس : فضيحة ، إذن الحدود هذه عند ما شرعها الله شرعها لنا نحن البشر أما فـكرة أن نبدأ ببعض الحدود : لا ، التشريع نزل متكاملا ، لم ينزل على تدرج ، القرآن نزل على تدرج لأن الله سبحانه وتعالى يريد له الحفظ وليحفظه الناس ونزل مع تدرج الآيات تدرج الأحكام لأن المجتمع كان يتطور ويتقدم ا . هـ .

٣ — مع المستشار جمال المرصفاوى

(١) أن الإدعاء بضرورة التدرج فى العودة إلى الشريعة الإسلامية إدعاء خاطىء لأن من يزعمون يستندون إلى التدرج فى تحريم الخمر ، ويغفلون عن أن أحكام الإسلام قد اكتملت جميعها فالله تعالى يقول فى كتابه الكريم (اليوم أكملت لكم دينكم) فالتدرج إنما كان لنقل المجتمع من الوثنية إلى التوحيد أما الآن وقد اكتمل الدين فنحن ينبغى أن نعود إلى تطبيق شريعة الله كما أنزلها الله .

(٢) أن هناك من يقولون أنه يتعين قبل العمل بالتشريع الإسلامى من أعداد المجتمع الإسلامى لكى تطبق فيـــه التشريعات الإسلامية ، وهذا قول داحض ، لأن المجتمع الإنسانى منذ بدء الخليقة وسيظل إلى يوم الدين تقع فيه الآثام وقد شرع العقاب لحماية الجماعة من الشواذ الخارجين عليه لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ومن ثم يجب أن يسير الإصلاح فى طريقين متوازيين : الدعوة إلى الفضيلة بالحكمة والموعظة الحسنة والعقاب لم لا يمتثل .

(٣) أن تطبيق الحدود سيؤدى إلى توفير الأمن والاستقرار للمجتمع ، وهذا واضح فى الدول التى أخذت بأحكام الشريعة مقارنة بالدول الأكثر مدنية وحضارة فى العصر الحديث وفشلت فى كبح جماح الجريمة رغم استخدامها وسائل العلم الحديث . وقد نادى عمداء كليات الحقوق فى الجامعات العربية فى ندوتهم فى بغداد وبيروت ٧٣ / ٧٥ بالتخلص من القوانين المتباينة فى البلاد العربيـــة والرجوع إلى الشريعة باعتبارها إحدى خصائص ومقومات الأمة العربية وأهم عناصر تراثها الثقافى .

٤ — الدكتور محمد الشعراوى

وفى مؤتمر وزراء العدل العربى فى صنعاء اتخذت توصية بتوحيد التشريعات العربية على أساس أحكام الشريعة وأن جيلا فى أكثر من ٩٠ فى المائة من الأقطار العربية لم يشهد مثلا لتطبيق الحدود وقال الدكتور محمد الشعراوى مقرر المؤتمر :

أن نقطة الالتقاء الوحيد والمصدر الأساسى للتوحيد هى الشريعة الإسلامية فإذا لم نستعمل الشريعة الإسلامية لن نستطيع توحيد أى تشريع لأن البلاد العربية أغلبها إسلامية وكل بلد عربى يجد فى صميم قلبه أن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة وبهذا الخصوص يمكن أن نجد نقطة الالتقاء الأساسية فيما ورد فيه نص فى الكتاب والسنة ، هذا لا إشكال ولا جدال فيه وفيما عداه يمكن استعمال الاجتهاد والتنقل بين مذهب وآخر لأخذ قاعدة قانونية تستجيب لواقع المجتمعات العربية ، وتطلعاتها بحكم التغيرات والتحولات والتيارات التى طرأت على العالم العربى .

المشكل أننا نأخذ تشريعاتنا من جهات أخذت من التشريع الإسلامى أى أننا نرجع للواسطة بدلا من الأصل ، وفى الشريعة الإسلامية نظريات لم يكشف عنها فى بحوث الدفاع الاجتماعى المعاصر إلا منذ سنوات .

إن المشكلة بالنسبة لنا نحن كأمة إسلامية أننا نأخذ من جهة أخذت من ينابيع التشريع الإسلامى ، وهكذا فعوضا عن الرجوع إلى الأصل رجعنا إلى الواسطة وتركنا الأصل وهذا ما نحاول الآن اجتنابه .

إضافة إلى ذلك أن الشريعة الإسلامية من الثراء والغنى ما يمكننا من التأكيد على أنها إلى الآن تشتمل على نظريات متطورة لم يكشف عنها ،أن الحدود الإسلامية هى حدود وقائية ، وأن عقوبات جرائم الحدود هى تهديد وتخويف وأن المواطن حينما يتسمع أنه إذا سرق ستقطع يده وإذا شرب سيجلد سيتراجع وبذلك تكون الوسيلة قمعا نفسيا يجعل الشخص يرتدع تلقائيا ويتراجع عن ارتكاب الخطأ وهو الشىء الذى لم تستطع التشريعات المعاصرة أن تحققه ، وما أدخل من تغيرات وتعديلات وتصورات لم تستطع أن تعطى نتائج فاعلة فى مجال الجريمة إذ الواقع ثبت أنها تزداد استفحالا وتطوراً وتعقيداً بل أن بعض المجتمعات الأوربية والأمريكية تعيش فى قلق مستمر، على أنه إذا ما رجعنا إلى منابعنا الأصيلة والمستمدة أساساً من أحكام الشريعة يمكن أن نتصور قيام مجتمع نظيف وسليم .

مؤتمر إسلامى جامع

ومن هذه المقررات التى أوردها رجال القانون المعاصرون فى الإيمان بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية بتطلع العالم الإسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى إلى أن تكون مصر هى الرائدة فى تحقيق هذه الخطوة نحو الأصالة والرشد الفكرى وذلك بعد أن عملت خلال السنوات الماضية على إعداد التشريعات الإسلامية التى شارك فيها هذا العدد الضخم من أساطين الشريعة الإسلامية والقانون مما تتطلع إليه مختلف الأقطار العربية التى لا ينكر دورها فى هذا العمل فقد قامت فى الأردن والكويت ودولة الإمارات أعمال هامة فى هذا المجال ، ولا ننسى التجربة التى تجرى الآن فى باكستان ونحن الآن نطالب بضم هذه الجهود كلها فى مؤتمر إسلامى عام ليكون ذلك هو العمل الإيجابى فى القرن الخامس عشر على طريق إقامة المجتمع الربانى الصحيح .



الباب الخامس

الأخطار التى تواجه العالم الإسلامى

أولا : أخطار ثلاثة : قانون نابليون، منهج دنلوب ، الداروينية

ثانياً : معركة المحافظة على الذات

ثالثاً : محاذير مؤامرة التبعية الغربية

رابعاً : نظريات مسمومة تحاول تغيير ذاتية الإسلام

خامساً : الفكر الإسلامى بين المنهج الربانى والمنهج الفلسفى

سادساً : بعد تهويد الفكر البشرى

سابعاً : يا قومنا إن ما عندكم هو الحق

ثامناً : الأخطار التى تواجه الأمة الإسلامية

تاسعاً : محاولة تحريك الفكر والمشاعر فى دائرة التفاهات

عاشراً : المعلومة والفكرة والخبر

حادى عشر : الماسونية تكشف وجهها

ثانى عشر : إعادة صياغة المجتمع الإسلامى

ثالث عشر : دعوة إلى الأصالة التربوية والفقهية

رابع عشر : لابد من عودة منهج التربية الإسلامية الأصيل

الفصل الأول

أخطار ثلاثة يجب أن يتحرر منها الفكر الاسلامى

قانون نابليون . منهج دنلوب . الداروينية

ثلاثة أخطار واجهت اليقظة الإسلامية منذ وقعت الغزوة الاستعمارية التى قادها الغرب والتى فتحت الطريق بعد ذلك للقيادات الماركسية والصهيونية التى ماتزال آثارها قائمة حتى اليوم بالرغم من المراحل التى قطعها المسلمون فى مقاومة الاستعمار السياسى والعسكرى والاقتصادى . تلك الأخطار هى :

(١) قانون نابليون . (٢) منهج دنلوب . (٣) نظرية الداروينية .

أما (قانون نابليون) فقد فرض على المسلمين بديلا لشريعتهم الإسلامية التى عاشوا فى إطارها منذ بزغ فجر الإسلام حتى حجبها النفوذ الأجنبى فأقام نظاما ربويا فى مجال الاقتصاد وقوانين تفسح الطريق أمام تحلل الأسرة واضطرابها وشيوع الرزيلة فيها لأنها لا تحكم ضبط العلاقات بين الرجل والمرأة . فهى تبيح جرائم الزنا وهتك العرض وتضع لها إجراءات بعيدة الأثر فى اضطراب المجتمع الإسلامى والاستهانة بالعرض والبكارة وفتح باب من الشر فى مجال المسرح والمرقص وعلب الليل .

وبذلك زالت الفوارق العميقه بين المرأة المسلمة العفيفة وبين بائعات الهوى . وغلبت مفاهيم الأزياء الوافدو القصص الجنسى ، بما أحدث شعوراً نفسياً عميقاً فى المجتمع بأن مسائل العرض والشرف والحدود القائمة فى علاقات الرجل والمرأة لا أهمية لها . . بل صارت من بعد موضع السخرية وغلبت مفاهيم تقول بالتجربة قبل الوواج وتقول بكسر قوامة الرجل بعد أن زارت مصر كاتبات غربيات وكتاب يدعون إلى الوجودية وحرية العلاقة الجنسية ومن التغريبيين من دعا المرأة إلى أن تقاوم سلطان الرجل وتفرض نفوذها عليـــه وجاء القصص

والمسرحيات والمسلسلات لتفرض نوعا من الحوار الهابط الذى لا يحترم رجولة الرجل ولا أنوثة المرأة ولا علاقات الرجل والمرأة أو علاقات الآباء والأبناء .

وقد بلغ هذا الاتجاه الخطير مداه نتيجة (قانون نابليون) . التى كان بعيد الأثر فى إفساد المجتمع الإسلامى بعد توقف الحدود الإسلامية . مما فتح باب الربا والسرقة والاختلاس فتكونت ثروات من مصادر غير أصيلة واضطرب الميزان الذى أنزله الله تبارك وتعالى للتعامل بين الناس وغلب التطفيف وانتقاص عمل العاملين . والسخرية بالمتمسكين بالحق ، واضطرب مفهوم الأخـــلاق الإسلامى الذى كان يجب أن يسود المعاملات التجارية والاقتصادية والاجتماعية ونشأت نظرة إلى القيم والمقومات والأعراف مختلفة تماما عن قيم الإسلام ونظرته إلى العلاقات الاجتماعية ، حيث تبدو جرائم الزنا والشـــذوذ الجنسى وهتك الأعراض هناك مسائل عادية بينما هى فى مجتمعنا الإسلامى أمور خطيرة وحيث لا يهتم الغربيون بمسائل الجنس وشئون العرض ، ولا يرون للحياة الاجتماعية السليمة تقديراً ، بل تشوب حياتهم عورات منها صديق العائلة وتبادل الزوجات وهى أعاصير فاسدة طالما ألمت بمجتمعنا ونحن المسلمون ننظر إلى ذلك كله نظرة خطيرة ونقيم للعرض والشرف والغيرة مقاما كبيراً . وقد فتحت هذه المحرمات فى مجال التقاضى بابا خطيرا من إلباس الباطل ثوب الحق وتدخل الوكلاء والمحامين وإفلات المجرم من العقوبة وضياع الحقوق على أصحابها . وقد إستفاد الاستعمار كثيراً من هذه المؤامرة فقد وجد فيها أوليائه الذين يخدمون غاياته منفذاً إلى الهروب من العقاب .

وفى خلال هذه المائة عام التى ســيطر فيها (قانون نابليون) على البلاد الإسلامية وحجبت الحدود والشريعة والنظام الإسلامى الاقتصادى . إضطرب المجتمع خلالها اضطرابا شديدا ولن يستطيع المجتمع الإسلامى أن يسترد وجوده الحقيقى الا إذا طبق منهج الإسلام الأصيل فى العلاقات الاجتماعية والمعاملات التجارية .

وكان منهج دنلوب فى التعليم وتربية الأجيال من أخطر المؤامرات التى فرضت على البلاد العربية والإسلامية (وفى كل بلد دنلوب على نفس أســلوب تدمير

مقومات المجتمع) وقد عمد دنلوب فى مجال التربية والتعليم وتكوين الأجيال من ذلك المخطط الذى طبقه فى هدم روح الإسلام من المناهج والمخططات الخاصة بالتاريخ واللغة والثقافة والعقائد إلى عدة غايات :

أهمها تخريج أجيال فى أعماق مشاعرها ، ذلك الإحساس العدائى للأديان جميعا . روح مادية مجردة من المشاعر الروحية . فإذا لم تكن هذه الأجيال منكرة للعقيدة الدينية . فهى مزعزعة الإيمان على الأقل بالقيم الربانية ، وقد شهد كثير من الباحثين التربويين أنه صناع المواد فى دراسة التاريخ والمطالعة قدموها بروح معادية للوجدان الدينى وبطريقة يتخرج منها التلميذ والطالب وهو يعادى روح الدين وينفر من كل ما يذكره به ، وكان هدف دنلوب تحطيم قوة العقيدة فى نفس الأجيال حتى لا تتماسك فى وجه الاحتلال الأجنبى . وإزاء مغرياته .. وبذلك فتحت صفحة سوداء شديدة السواد ، وتخرجت أجيال كثيرة وفى أعماق مشاعرها الإعجاب بالغرب وبالمستعمر ورغبة فى تقليده وكراهية للفكرة الإسلامية واحتقار لتاريخها ولغتها وعقيدتها . جريا وراء سراب خادع ،وبذلك كان لهذه الأجيال أثرها البعيد فى التبعية والموآلاة للنفوذ الأجنبى وتأخير النهضة واستبقاء هذا النفوذ ، بل أنه فتح الباب واسـما أمام تلك التيارات التى المت بالمسلمين من بعد . فلولا هذا الاتجاه ما فتحت الأبواب أمام الماركسية وأمام سموم الفكر التلمودى فى مفاهيم فرويد وماركس ودوركايم وسارتر . وما ألم بالفكر الإسلامى من مذاهب الوجودية والماركسية والتفسير المادى للتاريخ والمدرسة الاجتماعية وما يتصل بالفلسفة المادية : والوثنية ، والأباحية التى تفشت فى الأدب والفكر والثقافة وما طرحت من مفاهيم خطيرة فى مجال الاجتماع وعلوم النفس والأخلاق والتربية .

وإذا كان دنلوب قد مضى فإن آثاره ما زالت قائمة وهى التبعية والولاء الأجنبى ، فإذا كان العرب والمسلمون إنصرفوا عن الإعجاب بفرنسا وبريطانيا فإنهم أصبحوا يعجبون بشعوب أخرى وبفكر آخر وافد ، ويؤمنون بالحضارة الغربية وهى تمر بأسوأ مراحلها وأشد حلقاتها اضطرابا وقد علت صيحة أزمة (الإنسان الحديث) واضطراب المذهبين الرأسمالى والإشتراكى والدعوة اليائسة

إلى منهج إقتصادى عالمى جديد .

هذا الشعور بالانتقاص أمام النفس وإعلاء الغريب والأجنبى إنما كان بعض آثار دنلوب ، حيث يدعو الإسلام المسلمين إلى الخروج من هذه الدائرة المغلقة ، إلى دائرة التحرر من تبعية الغير أو عبادة الغير ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فقد انتهى عهد العبودية للدولة أو للقيصر الإله ، وانتهى عهد العبودية للوثنية فى أى صورة كانت ، وقد حرر الإسلام أهله وأتباعه من العبودية لغير الله ، ومن الاعتزاز بغير الله ، ومن الخضوع لغير الله ، والإيمان بسيادة الإنسان المسلم الذى يملك أصفى عقيدة وأتقى مذهب ، وأكرم منهج ، فى ضوء التوحيد الخالص القائم على العدل والرحمة والإخاء الإنسانى والذى يقيم المجتمع الإسلامى الربانى والحضارى الإسلامى التى تجعل خيرها للإنسانية كلها لا تقصرها على جنس أو أمة أو عرق أو لغة فهو دين البشرية جاء للعاملين جميعا حتى تقوم الساعة .

وما يزال خطر المنهج العلمانى فى التعليم بعيد الأثر فى تأخير النهضة ، وما يزال يقف عقبة فى وجه الصحوة الإسلامية ، ولقد علت الأصوات الواعية منذ وقت بعيد إلى ضرورة إعادة النظر فى مناهج التعليم وإقامتها على منهج الإسلام ، ليس بوضع مادة للدين فحسب فهذه مسألة لا تحقق شيئاً إلا إذا كان مفهوم الإسلام هو القاسم المشترك الأعظم على جميع مناهج التعليم حتى علوم الكيمياء والطب والفلك والتكنولوجيا ، وذلك لتحرير هذه العلوم من مفاهيم النفوذ الأجنبى التى ماتزال تفرض أن يكون تعليم العلوم باللغات الأجنبية ولا ريب أن قيام الحضـــارة الإسلامية الجديدة يتطلب أن تتحرك العلوم كلها فى إطار مفهوم الإسلام الذى لا يقصر معطياتها على الشعوب البيضاء ويحول بين الشعوب الملونة وبين أسرار العلوم والتكنولوجيا لتظل مراكز للاستهلاك ومصادر للخامات دون أن تمتلك إرادتها فى تصنيع ثمرات أرضها وثرواتها وخاماتها ، ولتظل تجـــرى فى فلك الرأسمالية العالمية ، مع تجاهل عناصر جديدة تدخل أفق العالم الإسلامى فى هذا العصر ، وهو إمتلاكه للثروة والطاقة والتفوق البشرى مقدمة لصناعة حضارة التوحيد مجددة بعد أن توقفت فترة عن العطاء ، وقد بدت حاجة المجتمع البشرى إلى الإسلام وعقيدته ومفاهيمه ونظامه الاجتماعى والاقتصادى على النحو الذى

كشف عنه الباحثون المنصفون على مدى تاريخ يمتد أكثر من قرن من الزمن ، على أيدى درابر وجوستاف لوبون وكارليل والدكتورة هونكة وبوكاى وأخيراً جارودى .

وتأتى نظرية الداروينية لترسم أخطر تحد واجه الفكر الإسلامى فى العصر الحديث ، هذه النظرية التى تخالف بل وتعارض نظرية الخلق كما جاء بها القرآن الكريم ، وهى نظرية ماكان يمكن أن يكون لها أى وزن لولا أن هناك قوى خطيرة احتضنتها ووسعت دائرتها وحاولت استغلالها فى مجال النفوذ الأجنبى المفروض على المسلمين . . وفى كل مرحلة من مراحل البحث العلمى تظهر حقائق تطمس هذه النظرية وتكشف فسادها عن طريق البحث العلمى نفسه وعن طريق الحفريات التى أكدت ما جاء به القرآن من استقلال خلق الإنسان ، واستقلال خلق الأنواع .

ولكن هذه القوى التغريبية ما زالت تعمل فى قوة لتجديد المغالطات والأكاذيب لتستمر هذه النظرية فى خداع أكبر عدد من الناس ، حيث تقوم على أساسها فلسفات مادية خطيرة منها النظرية الماركسية ذاتها . ومن حيث أنها تقدم مفهوما زائفا للإنسان حيث تصوره بأنه حيوان ، ومن حيث تركيز مفاهيم الاستعمار التى تقرر أن البقاء للأقوى والهلاك للأمم الضعيفة ، نعم ، أن هناك استماتة من قوى الباطل فى مقاومة الحقيقة التى ظهرت وسوف تظهر يوما بعد يوم حتى تكشف كل صور الضلال . والمعروف أن داروين قدم نظريته على أنها فرض من الفروض ، وأعلن أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ولم يستطع العلماء الوصول إليها بعد مائة عام ، وإنما الذى وجده العلماء فى الأحافير هو إنسان كامل بقامته التكاملة منذ ملايين السنين لا صلة له بالقرد ولا بأى سلالة من السلالات .

ولعل الاكتشاف العلمى الذى هدم نظرية داروين من أساسها هو اكتشاف إختلاف (وحدات الوراثة) التى أثبتت استحالة وتطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى آخر ، فقد تبين أن هناك عوامل وراثية كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه وتحتم أن يظل فى دائرة النوع الذى نشأ فيه ولا يخرج

قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد . وهذا الاكتشاف العلمى هو الذى أعدم نظرية دارون وأقبرها وقضى عليها وهو ما أشار إليـــه الفيلسوف برتراندرسل فى كتابه النظرة العلمية حين قال : لقد أخطأ دارون فى قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغييراً كلياً ، لقد تأكد لنا بالدليل العلمى القاطع فساد وزيف هذه النظرية .

وقد تبين أيضاً كما يقول الأستاذ فيصل تيلانى — أنه لم يقبل نظرية دارون إلا العلماء الملاحدة الذين لا يؤمنون بالخالق جل وعلا هذا فضلا عما أعلنه علماء فى هذه المادة فى مقدمتهم (والاس) أعلنوا أنه من المستحيل أن يكون الإنسان قـــد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان .

ومنذ طرح شبلى شميل مفاهيم (الفيلسوف المادى بخنر) فى أفق الفكر الإسلامى ، عن طريق مجلة المقتطف وتوالت كتابات إسماعيل مظهر وسلامة موسى عن التطور والأمر واضح ، فإن الهدف هو إعلاء شأن الفلسفة المادية وفتح الطريق أمام الماركسية والوجودية والفرويديه وغيرها من مفاهيم ، وقد تصدى علماء الإسلام للنظرية وكشفوا زيفها جملة وتفصيلا مستلهمين روح القرآن وفى مقدمة هؤلاء جمال الدين الأفغانى ، ومن بعده فريد وجدى والمودودى وغيرهم ، ولكن القضية التى ما تزال فى حاجة إلى نظر هى تناقض النظرة فى مجال التعليم من حيث ما تزال نظرية دارون تدرس على أنها حقيقة علمية بينما هى فى نظر العلماء الذين تبعوا دارون يرون أنها فرض ثبت عدم صحته ، وفضلا عن أن علماء الأحافير كشفوا عن جماجم وأجساد الإنسان ما يكسف شمس هذه النظرية نهائيا وفضلا عن ذلك فإن القرآن الكريم واضح فى آياته فى تكريم الإنسان واستقلال خلقة ، وبطلان هذه النظرية ، ومن ثم فقد وجب أن تعامل على هذا الأساس وأن ينتهى دورها المسموم على مدى هذا الزمن الطويل فى إفساد العقائد وبلبلة الخواطر .

وبعد فهذه الأخطار الثلاثة التى نشأت فى مرحلة التبعية الغربية يجب أن يتحرر منها الفكر الإسلامى اليوم حتى يشرق فجر جديد من الأصالة والرشد الفكرى .

الفصل الثانى

معركة المحافظة على الذات

أن معركة المسلمين اليوم هى معركة «تأكيد الذات» أو «المحافظة على الذات»، أو حماية الذات: الذات الإسلامية التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا من الانهيار، من التدهور، من الجمود، من المداخلة، من الانصهار فى الفكر البشرى العالمى. أن المحافظة على الذات الإسلامية فريضة من فرائض العقيدة والأمة فى نفس الوقت، وذلك بعد أن تبين أن الهدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين وأصبحت تجرى على ألسنتهم فى سهولة ويسر دون أن يدرى أحدهم مدى الأبعاد الخطيرة التى ترمى إليها وهى كلمات الانفتاح الثقافى، التطعيم الثقافى، إثراء الفكر.

وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة إلى توضيح لأخطارها وأعماقها يغيب عن الغافلين المخدوعين وهى فى مجموعها تعنى التبعية وما لفكرنا الإسلامى الغنى الخصب حاجة إلى أضاليل الفكر البشرى الوثنى المادى وإنما حاجتنا إلى شىء واحد هو العلوم والتكنولوجيا التى يجب أن تنقل إلى إطار فكرنا ومقومات لغتنا لتعمل وفق مفهوم الحضارة الإسلامية القائمة على التوجيه والعدل والرحمة والآخاء البشرى أما وثنيات الأمم وأساطير الشعوب وأسلوب العيش الغربى الذى صنع التحلل والاباحية والتمزق والغربة والقلق فإننا نرفضه لأن طبيعة فكرنا الجامع للروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة بسعته وعالميته وإنسانيته وربانيته لا يمكن أن يحتويه الفكر الانشطارى القائم على المادة.

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القوى الغربية الحريصة على إلتهام العالم الإسلامى: مرحلة الاحتلال العسكرى والسياسى: ومرحلة الغزو

الفكرى الليبرالى الماركسى الصهيونى ، وقد استطاع [عالم الإسلام] أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الثالثة الجديدة المبسوطة الآن من وراء كل مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم وما يسمونه التبادل الثقافى والمنح الدراسية فإنما تستهدف إزالة الهوية الإسلامية العربية كاملة وصهر هذه الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية . دون أن يتبين هذا الشباب الغض الذى تنقصه خلفية إسلامية واعية ، فاقهة لرسالة الإسلام ، عارفة لمدى التحدى الخطير الذى يواجه الأمة الإسلامية باعتبارها المالكة اليوم للثروة والطاقة والتفوق البشرى ، والمعدة بتقدير الله لوراثة الحضارات والمدنيات المهزومة المحطمة ، وإذا كان الشباب المسلم لا يتبين مدى هذا التحدى ، فإنه يسقط سريعا فى شباك الغرب ، الذى يهدف إلى القضاء على هذا النور الذى يحمله أهل الإسلام ، وتزييف فطرة النفس المؤمنة بالله المؤمنة بأنها على الحق ، هذه النفس التى تحمل رسالة الرحمة والعدل والتوحيد إلى العالمين والتى تتطلع إليها البشرية اليوم .

أن على العالم الإسلامى أن يقبل على بناء نفسه بناءاً مستأنفاً مستمداً من مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ، متحرراً من التبعية للفكر الغربى والحضارة الغربية ومفاهيمها الاجتماعية ومذاهبها ونظمها وتشريعاتها الاقتصادية والسياسيه والتربوية وعلى الفكر الإسلامى إرساء نهضة جديدة ومفهوم عالمى جديد يختلف عن مفهوم الكتلتين ، ذلك هو مفهوم الإسلام : الذى يقدم للبشرية منهجا جامعا يختلف عن منهج الرأسمالية والماركسية على السواء .

وعلى المسلمين قبل أن يقدموا هذا المنهج إلى العالمين أن يطبقوه على أنفسهم وأن يقيموا المجتمع الربانى الذى تظهر فيه عظمة هذه التجربة الكريمة .

وليس أدل على عظمة الشريعة الإسلامية من أن المفكرين الغربيين المنصفين دعوا المسلمين منذ أكثر من قرن من الزمان إلى تطبيق تشريعهم والتحرر من القانون الوضعى ، كذلك فقد دعا علماء الاقتصاد الغربيين المنصفين المسلمين إلى إلتماس منهجهم الاقتصادى الإسلامى الأصيل وفى مقدمة هؤلاء جاك أوسترى فى

كتابه (الإسلام أمام التطور الاقتصادى) حيث قال : ليس هناك فى الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لا بد منها للتطور الاقتصادى ، كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر فى النظامين الاقتصاديين السائدين ، وقد ألمح إلى ميزة المذهب الإسلامى الذى هو منهج الإسلام الاقتصادى وقال : أنه ليس فرديا ولا جماعيا ولكنه يجمع بين الحسنيين ، وقد دعا المسلمين إلى العودة إلى الإسلام نفسه وإلى دراسة قواه الكامنة فيه لشق الطريق نحوه عوضا عن التقليد الأعمى ، وجاهر (أوسترى) بأن الإسلام يتمتع بإمكانيات هائلة وأنه إذا ماوجد الطريق الصحيح فإن كثيراً من الصعوبات الاقتصادية التى ظهرت للاقتصاديين وتعذر التغلب عليها حتى الآن فسوف يحلها الإسلام .

كذلك فإن المسلمين مدعوون فى مواجهة أخطار الإذابة والانصهار فى البوتقة الأممية العالمية إلى الوحدة : وحدة الفكر التى هى دعامة الوحدة الإسلامية الجامعة ، والاتفاق حول مفهوم الإسلام الجامع ، مرتفعين فوق خلافات المذاهب والنحل والفرق ، على أساس الرابطة الأساسية القائمة على التوحيد والرسول والقرآن وذلك حتى لا تفتح الثغرة أمام النفوذ الأجنبى لإشعال الفرقة بين المذاهب المختلفة .

لقد إنهزمت دعاوى الأقليات والقوميات وثبت فشلها وبطلانها فلم يعد أمام المسلمين إلا الوحدة ، ولقد هزمت تطبيقات الليبرالية والماركسية فى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامى فلم يعد أمام المسلمين إلا منهجهم الأصيل : منهج القرآن وشريعة الإسلام .

أن منطلق النهضة فى مطلع القرن الخامس عشر هى التربية الإسلامية ، هى بناء الأجيال على قاعدة الإيمان والأخلاق الإسلامية ، علينا أن نعيد النظر فى مناهج التعليم الوافدة التى كانت مصدراً لهزيمتنا ونكبتنا ، حين ظننا أن أسلوب الغرب فى التعليم يستطيع أن يعطينا شباباً قادراً على حمل أمانة الحضارة وبناء الأمة ، ثم تبين لنا كيف واجهتنا الأخطار وفشلنا فى تحقيق إمتلاك الإرادة ، أن التربية الإسلامية على مفهوم الجهاد الذى هو فريضة ماضية إلى يوم القيامة هو

المنطلق الحقيقي للأمة الإسلامية .

أننا يجب أن نكون مرابطين فى الثغور وإلا نستسلم إلى الأمن على النحو الذى نعيشه الآن والأخطار محدقة بنا من كل ناحية ، أننا يجب أن نملأ كل ثغرة ، وأن نقف وأيدينا على الزناد ، فإن العدو يطمع فى لحظة من غفلة ، ليجتاحنا « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » (صدق الله العظيم) .

الفصل الثالث

محاذير مؤامرة التبعية الغربية

لقد كان واضحاً من مراجعة تطور الفكر الإسلامى أن « مؤامرة التبعية » كانت أخطر المحاولات التى وجهت إلى الفكر الإسلامى بهدف تغيير ذاتية الإسلام ذاته وبذلك يصبح الطريق مفتوحا أمام إحتواء الإسلام وصهر المسلمين بوتقة الأممية والعالمية وما تزال هذه المؤامرة قائمة ومتجدده ، وهى من الأهداف الكبرى للنفوذ الغربى والصهيونى والماركسى جميعا بهدف إخضاع المسلم والقضاء على عزته وصموده وإيمانه وتماسكه إزاء رياح الغزو الطامعه فى السيطرة على أرض الإسلام ومقدراته وثرواته ومن قبل تطوع كثير من العتاة الجبابرة من أساطين الاستعمار بالدعوة إلى محاربة المسلمين عن طريق الكلمة وتفريغ دينهم من مفهوم الجهاد وضرب وحدتهم بالخلافات القومية والإقليمية وطرح فلسفات الباطنية والمجوسية عليهم من جديد فى أساليب عصرية ومن هنا فقد كان المسلمون فى حرص دائم على « الذاتية » الإسلامية التى تميزوا بها وكانوا فى حذر دائم أن ينصهروا فى مفاهيم الأمم وقد حاول كرومر هذا الأمر حين دعا إلى « الإصلاح » وقال أن إسلاما جرت عليه محاولات الإصلاح لا يعود بعد ذلك إسلاما ، فإن دعوة الإصلاح إنما ترمى أساساً إلى التشكيك فى الأصول الأساسية ولما كانت أصول الإسلام ربانية فإنها لا تخضع لمفهوم الإصلاح الغربى الذى عرفته الكنيسة ، ولا لمفهوم التطور الذى عرفه الغرب فإن قوانين الإسلام فى العقيدة والشريعة والأخلاق لا تدخل فى نطاق الإصلاح أو التطور ، وإنما يمكن ذلك فى مجال الفروع وفى المتغيرات .

لقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية كما رفض تضحية القيم العليا فى سبيل التقدم المادى ، ولم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم ، فليس فى المناهج والدعوات والأيدلوجيات المطروحة من شىء إلا وعند

للمسلمين مثله أن خير منه وهو هناك مقطوع الصلة بالله تبارك وتعالى ، ولكنه فى الإسلام متصل .

كذلك فإن فى مفهوم الإسلام أن العقيدة والشريعة والأخلاق ليست فى حاجة إلى تجديد لأنها ثابتة ذات أطر واسعة مرنة أبدعت بحيث تصلح لكل زمان ومكان ولكن الذى يحتاج إلى (التجديد أو الإصلاح أو التطور) على أى عبارة منها يريدون ، هى طرق التطبيق ووسائل التنفيذ وسبل التعلم والفهم فهذه هى التى يحتاج إلى الانتفاع بتجارب الآخرين والإسلام صالح لكل زمان ومكان لأنه مجموعة صالحة من المعاملات ومكارم الأخلاق . وإذا كان الصينيون كما يقول دكتور جلال أحمد أمين : لم يسمحوا لأى مذهب غريب عليهم بأن يثير لديهم الشك فى تفوق نظرتهم الخاصة إلى الأمور وهم يجتمعون على وثنيات وأساطير — فإننا لا نشك لحظة واحدة فى سلامة نظرتنا الخاصة وكل عمل فكرى يحاول تشكيكنا فى ذلك تتعين مقاومته وكل محاولة للسخرية فى خصائص أدبنا أو معايير نا الأخلاقية أو لانتقاص مبادئنا الدينية الراسخة أو إثارة الشك حول ملاءمتها للعصر ، ليست إلا مساهمة فى قتل نفسية هذه الأمة مهما كان حسن نية أصحابها .

ويتابع الدكتور جلال قوله : أن من يتأمل التاريخ الاقتصادى للدول التى تفوقت علينا إقتصادياً وبنت حضارة صناعية متقدمة لن يصادف مثالا واحداً لم تقترن فيه النهضة الاقتصادية وبالذات فيما يسمى مرحلة « الانطلاق » بشعور قومى عارم وبالاعتقاد فى التفوق على الغير ، أو على الأقل برغبة قوية فى إثبات الذات وبأنها ليست أقل قدراً من الأمم الأخرى ، فإذا كان هذا هو حقاً مفتاح النهضة التى تفتح كل الأبواب المغلقة ، فإنه لا يكون هناك مفر لأى أمة ترغب فى تحقيق نهضتها من اكتشاف المفتاح الخاص بها (وهو لا يمكن إلا أن يكون مفتاحا خاصا) ومن الغريب ألا نرى أن هذه الطاقة النفسية الكامنة لدى العرب والمسلمين لا يمكن تفجيرها إلا عن طريق « الدين » نعم : لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا ونورنا الهادى ، وما الموقف من العلوم وما الموقف من الثقافات والفلسفات ،

والموقف من النقل والاقتباس ، كيف يمكن ضمان أن لا تصبح هذه الاطروحات وسيلة للسيطرة علينا من الامم ، وماذا عن فكرة تقليد الغرب وأنماط الغرب : الترف والاستهلاك والتحرر من القيم .

ولا ريب أن للإسلام مقايسه الخاصة ومعاييره الذاتية ، فهو ليس صالحا لأنه موافق للديمقراطية أو للاشتراكية أو للرأسمالية . أو لأنه فيه حرية فردية ، أو لأن فيه مصلحة الجماعة أو لأمر غير ذلك من المفاهيم المنبثقة من مذاهب أخرى ، أن للإسلام مقايسه فى الخير والشر والحق والباطل ، لقد وصف الإسلام يوما بأنه ديمقراطيا أو إشتراكيا وما كان الإسلام هكذا ، ولن يكون فالإسلام دين منزل ربانى لا يمكن مقارنته أو إخضاعه للمقارنة مع الفكر البشرى الذى قدمته عقول البشر فى عصر من العصور أو بيئة من البيئات ، فلا يلبث بعد قليل أن يصيبه الاضطراب نتيجة متغيرات العصر والبيئة ، أما الإسلام فإنه ذلك الضوء الكاشف الذى يتسم بالخلود والبقاء والقدرة على تقبل متغيرات العصور والبيئات دون أن يصيبه إضطراب ولا وهن ، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها .

ولا ريب أن « مؤامرة التبعية » من أخطر محاولات أعداء الإسلام فرضت على المسلمين عن طريق تقديم أسلوب العيش الغربى بزيفه ولمعانه دون تقدير لسمومه المدسوسة فى مضامينه ، ودون تقدير لفساد الحضارة الغربية فى هذه المرحلة فساداً شديداً فى مجال الأسرة والمجتمع والمرأة والشباب ، بغلبة روح اللهو والأباحية والخمر والجنس ، وفى هذا يقول الدكتور عمر فروخ : « أن الامم لا تنقرض (أى لا يختفى أفرادها ولا يزالون عن وجه الأرض) ولكن الأمم تتعرض إذا فقدت حضارتها وذابت فى غيرها ثم أن الأمم تتعرض بمعنى آخر حينما تنحط فى سلم الحياة وتتخلى عن خصائصها ، وتفقد حضارتها الروحية فتصبح كتلا بشرية لا حظ لها فى الحياة الإنسانية إلا أنها تقلد البشر الذين هم أقوى منها وكلما إنحط البشر فى سلم الحضارة أصبحوا أقدر على التقليد حتى يضعفوا ضعفا شديدا ويصبحوا غير قادرين إلا على تقليد الآخرين . ونحن لا نقلد الغرب فى الاعمال النافعة ولكن فى الاعمال التافهة . لقد كان العرب قادة موكب

الحضارة يوم كانوا يأخذون بأســباب الحضارة ويعطون الأمم الأخرى من أسباب الحضارة ، أما اليوم فأنهم يأخذون ولا يعطون ثم أنهم لا يعرفون كيف يأخذون ولا كيف يعطون . أنهم يأخذون التافه من عند الغرب بالثمن الباهظ بعد أن يبيعوا ما عندهم بالثمن البخس نعم ، أن « التقليد » هو ثمرة « التبعية » فنحن الآن نفــكر بمفاهيم وافدة فى كل مجالات الحياة،وخاصة فى مجال الاقتصاد، وتخضع لمفاهيم الاجتماع الغربية ، عن طريق غزو منظم فى الصحافة والثقافة وفق مخطط يرمى إلى التشكيك فى كل القيم والمبادئ السامية والتقليل من شأن الأخلاق وتصوير الدين كعائق فى عملية التطور والنهضة مما أصاب المجتمع الإسلامى بضرب من التفــكك الأخلاقى والعقائدى والفكر الإسلامى الأصيل لا يفصل بين الدين والمجتمع ، ولا بين الاقتصاد وما عــداه من نواحى الحياة الأخرى ، ويرى الالتزام الأخلاقى طابعا أساسياً .

وما تزال قضية المرأة هى كبرى القضايا التى تركز عليها محاولات تغريب الأمة الإسلامية ، فى شأن تضحية الأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت من أجل إغراء المرأة على العمل ، الذى لم يحقق حتى الآن شيئاً ذا بال ، أن التجربة معروضة اليوم أمام المفــكرين للنظر فيها على نحو منصف . هل يستحق تضييع أجيال الشباب والعقبات جيلا بعد جيل من أجل إستمرار المرأة فى هذه الغواية المضلة : غواية العمل من أجل قروش قليلة تدعى أنها تساعد بها الرجل فى مصروف البيت وأين هو الرجل ذى الكرامة الذى يقبل أن تقدم له زوجته مالا يعينه على أداء مسئوليته ، أن أغلب هذا المال ينفق فى زينة المرأة ومصاريف إنتقالها، وفى تفاهات الترف المنزلى التى لا تقدم ولا تؤخر ، نريد أن نربى فى الرجل المسلم تلك الغيرة على المرأة وتلك الكرامة التى تأبى أن يطعم الرجل من مال تقدمه زوجته بعد أن يمر بعشرات المراحل من الذل والخديعة والغرور والنفاق والإغراء خلال حياتها العملية التى يكفى أن تزاحم فى تلك المواصلات المضطربة ، وأن تترك أبناءها فى الصباح دون أن تعنى بهم أو تقدم لهم بسمة الصباح مع كوب اللبن ، وتتركهم للخادمات اللائى لا يرحمن ولا يعرفن العاطفة واللائى لا تستطيع عاطفتهم أن تعطى هؤلاء الأبناء شيئاً فتنشأ قلوبهم قاسية ، لأن رحمة الأمهات لم تخترقها وتعيش حياة مضطربة فيها كثير من الحقد والخوف والانتقام .

الفصل الرابع

نظريات مسمومة

تحاول تغيير ذاتية الإسلام وأصالته فلنحذرها

مجموعة من النظريات الوافدة يحاول دعاة التغريب إذاعتها والتركيز عليها بين آن وآن فى محاولة لجعلها من المسلمات وقد أعانهم على ذلك أنهم يملكون أعمدة يومية فى الصحف السيارة التى توزع مئات الألوف ويملكون أسماء براقة ينخدع لها الشباب وهم يعرضون هذه المفاهيم الوافدة التى تعارض مفهوم الإسلام الأصيل بهدف إحتواء الأجيال الجديدة للفكرة الغربية التى تقوم على المادية والاباحية والتحلل من المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والغاية هى تحطيم « الحدود » والضوابط التى يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامى .

الفكرة الأولى : فكرة مسئولية الآباء والأمهات فى تشكيل أبنائهم وبناتهم وهى دعوة إلى قطع العلاقة بين جيل الآباء والجيل الجديد ومحاولة خلق روح من الكراهية بينهما ووضع الحواجز ، وتصوير وجهة نظر الآباء فى الأمور هى بمثابة وصاية أو قسر أو محاولة للتسلط أو فرض الإرادة وقد أثار هذه الدعوة المسمومة دعاة المادية وتخريب الأسرة وهدم العلاقة بين الأجيال الذين أثاروا روح المتمردين من الشباب على مقدرات الأسرة بهدف هدم هذه الرابطة وفى مقدمة هؤلاء فرويد وديوى وغيرهم وهم يدعون الشباب والفتيات إلى التحرر من سلطان الآباء لينطلقوا بدون تجربة وبذلك يفقدون خبرة الأجيال ويتخبطون فى طريق الحياة وليس يمكن أن تنمو هذه المؤامرة إلا فى بيئات فاسدة من ناحية الأبوة والأخوة ، أما البيئات السوية الصالحة فإن الأبناء ينشئون فى رعاية أبائهم الذين يكسبون ثقتهم بحسن توجيههم وتنشئتهم ، وهم بذلك لا ينقطعون عن التطور الطبيعى ، وليست العلاقة بين الآباء والأبناء فى الحقيقة هى وصاية جائرة و لكنها

خبرة معروضة بالحنان والسماحة لإلقاء الأضواء أمام الأجيال الجديدة فى أمور العمل والزواج والتعليم والأزياء ، ثم يتشكل الرأى النهائى بالحوار والاتفاق .

وإذا غلب المفهوم الإسلامى على العلاقة بين الآباء والأبناء وقد تكون منذ اليوم الأول فى ضوء قراءة القرآن والحديث والتعرف إلى مفاهيم الإسلام وعبادة الله وطاعته فإن الأمور بين الآباء والأبناء لا يمكن أن تتعقد أو تضطرب ، وإنما يقع الاضطراب فى تلك البيئات التى يكون فيها الآباء غير مقدرين لمسئوليتهم الإسلامية فى توجيه أبنائهم ورعايتهم وموالاة أمورهم بالحب والحنان على النحو الذى يجعل قلوب الأبناء تجنح إلى إستشارة الآباء والتطلع إلى وجهة نظرهم بعد أن تتشكل تلك الثقة الأكيدة ، أما حيث ينشغل الآباء عن أبنائهم وعن بيوتهم بأمور خارجة ، فإن من شأن كل ذلك أن يخلق وحشة من شأنها أن تدفع الأبناء إلى التطلع للاستشارة فى الأمور بعض زملائهم المنحرفين أو الفاسدين ، وعلى الآباء فى سبيل متابعة الأجيال حماية الأبناء من أصدقاء السوء ومن الكتب المنحرفة ومن الأفلام والمسرحيات التى تحمل الأباحية أو الجريمة فإن ذلك كله من شأنه أن يحمى مسيرة الأبناء وتتابع الأجيال .

وليس من شك أنه فى ضوء الإسلام فإن الآباء يعرفون أن الأجيال الجديدة تواجه أمورها بصورة مختلفة عما واجه الآباء ذلك ، ولكن هذا التغير لا يقضى على القيم والأخلاق والضوابط الثابتة على مر الأجيال والتى رسمها الإسلام ، وإنما يكون التطور والتغير فى الأمور الفرعية التى لا تتصل بالعقائد أو الحلال والحرام أو الربا أو الزنا أو السرقة .

وأنه من الضرورى أن تقوم دعامة الأجيال الجديدة على أساس التمكين للقيم المعنوية وللمحافظة على أخلاقيات الحياة ، وأن يتعرف الشباب الجديد إلى أن كل ما فى المجتمعات الحاضرة ليس خيراً وليس حلالا وأن هناك محاذير كثيرة يجب أن يحتمى منها ويجب أن يكون معروفا أن مسألة تغير الزمان لا تفرض قبول الواقع المنهار أو الفاسد أو تبريره .

الفكرة الثانية : هى تلك المحاولة بالقول بأن شبابنا ليس إلا جزءاً من الشباب

العالمى . ولا شك أن هذه محاولة لتبرير إنحرافات الشباب ودفاع عن هـــذا الإنحراف ، ذلك أن شبابنا يعيش فى المجتمع الإسلامى الذى يقوم على دعائم وقيم وضوابط من شأنها أن تفرق بينه وبين تلك التيارات الفاسدة والمتسمومة التى تطوف بالمجتمع الغربى ذلك أن قضية الشباب المنحرف فى الغرب له وجهة أخرى تختلف وهم يواجهون تحدياً ليس موجوداً فى مجتمعنا الإسلامى فلماذا نساويهم بنا ولماذا نفتح باب التقليد لهم ، فهم حين يطلقون شعورهم ولا ينظفون ملابسهم ويتعاطون المخدرات إنما يكشفون عن فساد مجتمعهم المادى ، وأنهم بتصرفهم هذا إنما يعلنون الاحتجاج على أوضاعهم التى تنبعث من فلسفة مادية ترى الإنسان حيوانا وليس لها أى تطلعات روحية أو نفسية .

الفكرة الثالثة : هى ذلك الدفاع المتحمس عن المرأة فى أوضاعها المتردية وذلك التصايح الدائم لدفعها إلى أن تغرق فى أوحال المجتمعات . أن هناك محاولة للتغرير بالمرأة المسلمة بالحديث عن حقوق لها غير مارسم لها الإسلام الذى أعطاها كل من الحقوق مالم تستطع دول كبرى إلى اليوم وبعد ألف وأربعمائة عام من الوصول إليها ، هذه الحقوق تتعلق بأوضاع تفرض عليها من شأنها أن تثير الاضطراب فى علاقتها الأسرية والزوجية كالعمل والتحرر من أوضاع المجتمع ، وهذا التحريض الدائم المستمر الذى يردده الخادعون المضللون لهم من دعوتها إلى الكفاح من أجل تحقيق مطالبها .

ونحن نعرف أن الرجل هو الذى أنشأ هذه المؤامرة : مؤامرة تحرير المرأة وأن لهذه المؤامرة هدف خفى هو إسقاط نظام الأسرة وإفساد تربية الأجيال الجديدة وذلك بإخراج المرأة من مهمتها الأساسية ومسئوليتها الأصـــيلة وهم يخدعونها حين يقولون أن عودتها إلى البيت هى عودة إلى الحريم ذلك لأن من أبرز أهداف بروتوكولات صهيون فى تحطم الأسرة وتذليـــل المرأة لتكون أداة فى مجال الغايات الأباحية والفساد والإنحلال .

والمرأة المسلمة اليوم تعرف ذلك وقد كشف عن عينها غطاء هذه المؤامرة التى ما زالت مستمرة على أقلام بعض المشهورين .

الفكرة الرابعة : محاولة إعطاء بعض الشخصيات المضطربة والمهزوزة والمشكوك فى جهادها ونضالها وبطولتها وآثارها ، شيئاً من التبرير والإعلاء فى نفس القارئ الحديث الذى لم يعايش هذه الأسماء اللامعة أو يقرأ مفصلا عن دورها الخطير من أمثال سعد زغلول ولطفى السيد وطه حسين وسلامه موسى ، فإن هؤلاء التغريبيون لا يتوقفون أبداً عن البث لإعادة الحياة إلى هذه الشخصيات أو إعادة الثقة لها فى نظر قراءة الصحف اليومية وخاصة بعد أن تكشفت مخططات التغريب والنفوذ الأجنبى التى وضعت الأسماء سنوات طويلة موضع الصدارة ، وموضع البطولة ، فى فترة كانت مفاهيم التغريب هى السائدة ، وكانت لا تلمع إلا الأسماء التى تعاون النفوذ الأجنبى ، أما غيرها فإنه لا يعطى هذه الفرصة بالشهرة أو الجائزة ، أو التكريم وكم لدينا من شخصيات ذات بطولة ومجد وفضل فى تاريخ هذه الأمة السياسى والاجتماعى والتربوى ولكنها شخصيات مظلومة دائما ومهضومة الحق فى مختلف العصور لأنها لم تهادن النفوذ الأجنبى ولم تقبل بالعمل تحت لوائه وظلت حريصة على العزة الإسلامية والكرامة وقول كلمة الحق وبذلك بعدت عن الأبواق العالية التى تبرز أولياء النفوذ الأجنبى وحده وتضعهم فى مكان الصدارة ولكن هذه الأسماء لم تلبث قليلا حتى تكشفت وجهتها وعملها ومخطط النفوذ الأجنبى فى إحتوائها وإذا ذكرت اليوم مرة أخرى لإعادة الثقة إليها ابتسم العارفون سخرية من محاولة إحياء الموات .

الفكرة الخامسة : هى تلك المحاولات الباطلة التى ترمى إلى تفسير الإسلام تفسيراً خاطئاً والتى تثير الشبهات حول حقيقة الإسلام وخاصة مفهومه الأصيل بأنه منهج حياة ونظام مجتمع وذلك بإعادة كتابات مسمومة لعلى عبد الرازق او عبد الحميد متولى على النحو الذى يثرثر به : أمثال محمد عمارة ومحمد أحمد خلف الله والنويهى وزكى نجيب محمد فى التشكيك فى النظام الاجتماعى للإسلام أو القول بأن الأديان الثلاثة هى دين الله الواحد أو إلغاء مفهوم الجهاد الذى هو الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، أن فكرة فصل الدين عن الدولة وهذه المحاولات كلها هى من مخططات اليهود لتفريغ الإسلام من مضمونه الحقيقى الذى حما بنية الإسلام على مدى القرون هذا معنى قولهم « حتى يغمد الإسلام سيفه » فالمعروف أن دين

الله واحد فى أصله ولكنه حرف بفعل الأحبار والرهبان وأن كتاب على عبد الرازق لم يكن إلا كتاب مرجليوث اليهودى مترجما إلى اللغة العربية .

وقد بدأت الدعوة إلى تغيير أصول الإسلام بالدعويين التى حمل لوائها عباس البهاء وغلام أحمد القاديانى متابعا لفكر أحمد خان ، والباب والبهاء ، وهى محاولة لتغيير مفاهم الإسلام بالدعوة إلى وحدة الأديان والقضاء على فريضة الجهاد وتعطيل الكفاح ضد المستعمر وتقريب الإسلام من المسيحية وتمسيح الإسلام وإعطائه طابع التسليم بالأمر الواقع (تولستوى وغاندى) وقد سار على هذا النهج كل دعاة التغريب ، وكانت محاولة على عبد الرازق جزء من هذه الخطة .

وقد حملت صيحة التجديد : والتقدم والتحديث بمالأة الشعوبية والاستشراق والتبشير فى تغريب الإسلام وتمسيحه بينما حملت دعاوى الإصلاح والسلفية واليقظة مقاومة هذا التغريب والاحتفاظ بمفهومه الأصيل القائم على القرآن والسنة وإلى الاحتفاظ بالذاتية المسلمة من الانصهار فى بوتقة الأممية والعالمية .

الفصل الخامس

الفكر الإسلامى

بين المنهج الربانى والمنهج الفلسفى

من أخطر المنافذ التى دخل منها الاحتواء الغربى والخروج عن الذاتية والأصالة تقبل مطروحات الفلسفة الغربية والوافدة بغير مراجعة أو نقد أو تحليل من وجهة نظر إسلامية صحيحة قادرة على النظر الصحيح ، متسلحة بمفاهيم الإسلام الأصيلة وأخطر ما هنالك النظر إلى هذه المطروحات على أنها علم أو على أنها حقائق مسلم بها ، أو على أنها من المعرفة الإنسانية المقررة فإنها ليست كذلك وأنها فى حقيقتها لم تعدو أن تكون وجهات نظر بشرية وفروض قابلة للنظر فيها الصحيح وفيها الخطأ وهى تدرس فى إطار عصرها وبيئتها والتحديات التى واجهت المفكرين الذين طرحوها ، وأن من أخطر عيوبنا فى تلقى الفكر الغربى الوافد أن نظن أنه من المسلمات أو من الحقائق العلمية .

ولا ريب أن دراسة مذاهب الفلسفة الغربية المعاصرة (والفكر الغربى كله بشقه) ضرورة ولكن يجب أن يحتشد لها الدراسون بمعرفة عميقة ومكثفة لمفاهيم الإسلام نفسه الذى قدم للبشرية منهجا ربانيا أصيلا ، قادرا على العطاء على مختلف العصور والبيئات دون أن يصيبه ما يصيب الفلسفات الوافدة من العطب أو التحلل أو الانهيار بما يدفع أصحابه إلى الإضافة إليه أو الحذف منه أو تعديله ، ومقياس آخر هو مدى ما حققه هذه الفلسفات بمجتمعاتها ونحن نرى المجتمعات الغربية (لبيرالية وماركسية واشتراكية) بأن تحت وطأة الانهيار الخلقى والقهر والاستبداد والتمييز العنصرى أو التحلل الاجتماعى المتمثل فى حركات الرفض المعاصرة بين الشباب (كالهيبة وغيرها) وجميعها ثمرة نقص هذه المناهج وماديتها وإنحرافها وابتعادها عن تكامل العطاء الإسلامى الجامع للجسد والروح،

ومصدر إنهيارها هو إبتعادها عن المصدر الحقيقى للحياة والكون والعلم هو الله تبارك وتعالى وإقصاء الدين عن واقع المجتمع أو محاربته علانية .

فإذا تعمق الشباب المسلم فى دراسة مفاهيم الإسلام وقيمه الأساسية ومعطياته الربانية التى تهدى القلوب وتعصم النفوس وتطلق النفس بالرضا والإيمان والعزم أمكن مجابهة هذه المذاهب الفلسفية الوافدة سواء فى مجال الفلسفة ذاتها أو فى مجال علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومناقشتها والرد عليها والتصدى للوافدات ، ومن هذا الفهم يصل الباحث المسلم إلى أن مذاهب الفلسفة فى عالمنا المعاصر — على حد تعبير الدكتور التفتازانى — ليست سوى اجتهادات قابلة للصواب والخطأ ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ، فلكل أمم عقائدها وقيمها وفلسفتها النابعة من واقع تراثها ، وأن نعرف بالبديهة أن ما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا ، بل قد يوقع بها أبلغ الضرر ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هى نتاج عصرها وبيئتها ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر .

والمعروف أن هذه الفلسفات مادية الأساس فهى تلتمس ماديها من فلسفة العلم وليس من العلم الطبيعى نفسه ، الذى لا يتعارض مع الإسلام وفلسفة العلم هذه المادية هى وحدها التى تعارض مفهوم الدين المنزل وهى التى تقوم على أبعاد فكرة الإله الخالق عن مجال البحث وحصر اليقين فى دائرة الحس .

وفى هذا يتركز مقتل هذه الفلسفات ، ويأتى ذلك الفارق العميق البعيد بينها وبين النظرة الإسلامية الجامعة القائمة على الروح والمادة ، والعلم والدين والدنيا والآخرة ، وهى النظرة التى تؤمن بالله تبارك وتعالى خالقا ورازقا ومدبراً لكل أمر ، وهو الذى علم الإنسان ما علم من ثمرات العلم ، وكشف له من سنن العلم والحياة والحضارات ما مكنه من إنشاء هذه الدائرة من المعرفة .

ومن هذا المنطلق المادى المنحرف يجئ الخطر الذى لا تكشف عنه دراسات الفلسفة التى تتلقاها أبناؤنا فى الجامعات والمعاهد من حيث يتلقون هذه النظريات المادية على أنها علم ومسلمات فى محاولة لاحتواء العقول الشابة وراء تفسير مادى

للوجود أو تفسير مادى للتاريخ أو هما معا . وعلينا أن نعرف أن الفلسفة الهلينية القديمة حين غزت الفكر الإسلامى فى القرن الثالث طرحت هذه السموم من الإلحاد والأباحية وخلقت جوا ملبدا بالاضطراب العقلى والروحى الذى كافحه علماء الإسلام وأزالوا خطره وأبانوا عن سمومه وفساده وهاهى الفلسفة الأوربية المعاصرة تعود اليوم لتغزو عالم الإسلام تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبي على بلاد الإسلام ، وهى فلسفة غلب على مدارسها ومذاهبها « الإلحاد الصريح » نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات فى أوربا ثم أفرزت مفاهيم الوجودية والهيبية ، نتيجة للتشاؤم الذى ساد المجتمعات الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية ولقد كان لانتشار هذه المفاهيم التى طرحتها فلسفات الرأسمالية والماركسية أثرها فى نشر الفرقة والصراع وتعدد المذاهب مع الجدب والجفاف ، مع الحيرة والقلق فأصابت المسلمين سنة التشتت ، وماكان من غلبة العقلانية غير المسئولة ، بينما يدعو القرآن للإيمان بالغريزة والفطرة والاكتساب ومن هنا كانت دعوة الإسلام صريحة فى أن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تبارك وتعالى ولا أن يهتدى إليه إلا إذا صحب فى تطوافه إلى تلك الغاية قلب يتلقى عنه كل مدركاته وقد اعتمد دعاة الاعتزال على العقل فانحرف بهم عن الجاده وعن وسطية الإسلام الجامع بين الروح والعقل وقد كان الإسلام أوفى ما تكون العقائد حقيقة تمس شغاف القلب وأشواق الروح وتقنع العقل ولذلك فإن الذين كتبوا عن الإسلام عن طريق الفلسفة(فريد وجدى ، محمد عبده ، العقاد) لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القلوب .

وكما جاء هذا الخطر من جانب العقليين ، فقد جاء الخطر الآخر من المتصوفة أهل الوجدان ، حين إنحرفوا إلى تعبيرات فلسفية حلولية وغنوصية غاية فى الغرابة ، أما الطريق الصحيح فقد رسمه القرآن الكريم الذى جاء المثل الأعلى فى العطاء العقلى والروحى للنفس الإنسانية فقد صقل القلوب وهذب النفوس وقوم الأخلاق ، وبذلك تكشف خطر الدراسات المصبوبة فى قوالب المنطق الجدلى الذى أدى إلى تعدد الفرق والمذاهب وتوسيع شقة الخلاف وهذه غاية دعاة الفلسفة والعقلانية فى العصر الحديث .

ولقد كان الإسلام سهلا ميسرا ، من روح الفطرة ، فهو لا يحتاج إلى منهج فلسفى ليكشف جوهره اليسير ، كما إحتاجت تفسيرات الأديان المعقدة وكان موضوع الفكر الإسلامى الدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده وغايته إقامة النظام الإسلامى الذى يضمن إستمرار هذه العبادة وعلى هذا الأساس لم يكن فى حاجة إلى فلسفة ميتافيزيقية لكى يثبت صلاحيته أو يركز دعائمه .

يقول الأستاذ عبد الواحد الناصر : أن الفكر الإسلامى ينطلق من الإيمان بالله لينتهى بمزيد من الإيمان ، أما الفكر الفلسفى فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الأول للكون والأشياء ينتهى بإنكار الخالق والإيمان به على الطريقة الفلسفية ، هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفى فى أصوله وإمتداداته لأن فكر الإسلام فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة إلى عبادة الله وحده وغايته إقامة النظام الإسلامى الذى يضمن إستمرار هذه العبادة ، ومن ثم فليس فى حاجة إلى الفلسفة ليثبت صلاحيته ولا فى حاجة إلى مسايرة الفلسفة المادية الحديثة والأخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، والإسلام يرفض جميع الاتجاهات التى توصف بالعلمية إذا قدمت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تبارك وتعالى وعن الحياة والمجتمع والإنسان . ومحاولة التوفيق بين مبادىء الإسلام والفلسفات الديمقراطية أو الماركسية هى محاولة باطلة وزائفة وقديما فشلت محاولة التوفيق بينه وبين الفلسفة اليونانية .

ولما كانت مطروحات الفكر الغربى كلها مطروحات بشرية فإنها تعجز عن العطاء المتجدد ، وعن العطاء الجامع ، وتعجز عن أن تقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فضلا عن أن الغرب لا يملك منهجا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع وأن النظرية المادية هى رد فعل الكهنوت وأن الماركسية هى رد فعل الرأسماليه وأن الفلسفة الغربية تعتمد على معطيات العلم التجريبى المتغير والذى يفسد بسرعة ، ويقرر بعض الباحثين أن جميع الفلسفات التى نادى بها مفكرو العصر تقوم على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح فمنها من يقترح ألوهية المادة ومنها ألوهية الإنسان ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود وأن الدين

الوحيد الذى صنعت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك إنما هو الإسلام وترمى طرح هذه الفلسفات التى تدمر العقيدة الإسلامية لأنها العقبة الكؤود على طريق سيطرة الأهواء الخبيثة على مصائر البشر وإذا كانت الماركسية فى حقيقتها تدميراً لفكرة « الألوهية » وربطا للإنسان ومصيره بمصير المادة المحسه وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس منها « إرادة الله » على أية حال فإن عداءها الصريح لم يتوجه فى الحقيقة إلا إلى الإسلام باعتباره معقل الفكر الدينى ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق. وهى تعد فى ذلك أصرح حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوحدانية وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت « وهناك محاولة أقل غلوا منها ولكنها أشـــد مكرا : هى محاولة الفلاسفةالوضعيين الذين يهونون من شأن الإسلام وحركة التاريخ وقد بدأ ذلك واضحا فى الكتابات التى قدمها (أوجست كونت) عن الإسلام وجمعها تلميذه (كريستيان شرفيش) وقد سلك فيه المؤلف مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية فقد أشبع الرجل الإسلام مدحا وتمجيدا ولكنه لم يزد على أن عدة « مرحلة » كانت ضرورية كحلقة فى سلسلة تطور البشرية نحـــو الدين الجديد والنهائى (الوضعية) .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود : الفلسفة لامقياس لها فهى ظنية : أخفق منهج أرسطو وأخفق منهج ديكارت ، أنها ظنية لأنه لايتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ومادام لاسبيل إلى اليقين فى موضوعات الفلسفة فإن إختلاف الآراء فيها دائم ، هذا الاختلاف عبر القرون والجدل دائم مستمر ، الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف أتى قبلهم هدم آراء سابقيه جميعا ويقيم مذهبه على أنقاض مذاهب سابقه فيأتى من بعده ويهدمه .

وبعد فإن ثلاث أخطار تواجه أصالة الفكر الإسلامى : (الأول) تفسيره فلسفيا ، والثانى تفسيره صوفيا ، والثالث تفسيره على أساس العقل وحده ، أو مجادلة تجزئته مع مذاهب القومية أو الديمقراطية أو الاشتراكية وللإسلام منطلقه الخاص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والإنسانية والتوحيد المستمد من

القرآن الكريم أساسا ومنهجا وأسلوبا للعرض والتفسيرفإذا أريدإخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته وطبيعته ، ولقد جرت المحاولات لإخضاعه فى مرات متعددة ، وأخطرها مرحلة الاحتواء التى يمر بها الآن — ولكنه كان قادراً على مقاومة التبعية أو إلتماس الأصالة والعودة إلى المنابع كلما اضطربت الأجواء أو برزت الأزمات أو قامت التحديات والأخطار بالغز العسكرى أو الفكرى جميعاً .

وعلى الفكر الإسلامى فى مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة فى مطالع القرن الخامس عشر اليوم تحرير الإسلام من التبعية لأى مذهب فلسفى باسم التحديث أو التقدم أو العصرية ، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادىء الإسلام وأسسه وروحه لأن الإسلام وحى ثابت وما عداه من آراء البشر حادث متغير ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير .

الفصل السادس

بعد تهويد الفكر البشرى

الأخطار التى تواجه الفكر الإسلامى

تنقل الفكر الغربى فى مراحل متعددة :

(أولا) كان فكراً يونانيا رومانيا أغريقيا قائما على المفاهيم الوثنية الأباحية وعباد الاجساد واستعباد البشر فى نطاق نظرية السيادة للحكام والعبودية للمجتمع كله .

يظهر ذلك واضحا فى أفكار سقراط وأرسطو وفى جمهورية أفلاطون وهى مفاهيم تقوم على : إعلاء الرق ، والتمييز بين خلق الله وقصر الاستعباد على جماعات الشعب وإعطاء السادة مكان النفوذ ، وتلك سمة تجمع بين الثلاث الكبار أما سقراط فينحو نحو الاتخاذ من الأخلاق سبيلا لتقييد حرية الفرد وإخضاعه للدولة الحاكمة فى المجتمع اليونانى ، أما أفلاطون فإن يفترض السوء فى طبيعة المجتمع ويدعو إلى عبادة الجسد وعبادة القيصر الحاكم .

(ثانياً) ثم أصبح الفكر الغربى فكرا مسيحيا تحرر من أشياء كثيرة ، من هذه الوثنيات ولكنه وقع فى أخطاء أخرى ، وقع فى الحلول والاتحاد ، وفكرة الخطيئه الأولى وفكرة التثليث والصلب وانحراف المسيحية إلى الرهبانية على ذلك اللون البشع الذى عرف فى الغرب والشرق ، ولقد حاربت الكنيسة المعلم وقتلت جاليلو .

(ثالثاً) ثم حاولت مفاهيم الإسلام أن تحرر الفكر الغربى من هذه الأسواء غير أن قوى اليهودية الغادرة ردته مرة أخرى إلى وثنية اليونان وجرفته فى طرق المادية والأباحية والعلمانية على طريق الرأسمالية والديمقراطية ومفاهيم دارون فى حيوانية الإنسان ومفاهيم فرويد .

(رابعا) : ثم تفجر الفكر الغربي عن رد فعل شديد بالنظرية الماركسية التي قدمها اليهودي « ماركس » والتي قسمت المجتمع الغربي قسمين ، وكانت الماركسية فكراً يهوديا تلموديا واضحا .

وبقى الفكر الغربي يدافع بما بقى لديه من مفاهيم المسيحية ومثالياتها ردحاً من الزمن غير أن الفكر التلمودي ماليبث أن سيطر على الفكر الغربي فاصبح تلموديا على نحو من الأنحاء فى مواجهة الفكر الماركسي الذى هو تلمودى أصلا وجاءت فكرة التفسير المادى للتاريخ واستغلاء النظرية المادية أساسا لاشتقاقات الفكر الغربي الرأسمالي كله وبذلك سيطرت اليهودية التلمودية على جناحى هذا الفكر وقذفت بذلك كله (الفكر الإسلامى) الذى كان خلال قرن ونصف قرن خاضعاً للنفوذ الغربي وتتموج فيه نظرياته ثم جاء الفكر الماركسى أيضاً ليؤدى دورا ومن ثم لم يكن فى الأمكان للعالم من تجاه الاعن طريق فكر واحد ليس بشريا على الأصح هو الفكر الإسلامى المستمد من منهج القرآن المنزل بالإسلام دين الإنسانية الخاتم على محمد ﷺ .

ولذلك كان من مسئولية الفكر الإسلامى الربانى المصدر أن يكشف هذا الإنحراف ويدفع هذا الخطر ، فالفكر البشرى اليوم الذى يسود العالم هو فكر ، مسيحى يهودى ، مما صاغته الفلسفات الوثنية الأغريقية الرومانية التى أخذت تسود مرة أخرى منذ أنهارت الفلسفة المسيحيه المدرسية والفلسفة المثالية وغلبت الفلسفة المادية ويمكن القول أن الفكر الغربي اليوم معارض تماما لمفهوم التوحيد الخالص ومجاف لمعطيات الدين الحق الذى جاء به كل الأنبياء والذى تبلور بصورة أساسية فى الإسلام إذ تغلب عليه معارضات كثيرة للدين الحق .

(أولا) : عبادة الفرد وعبادة الجسد الجميل (أساس الفن الأغريقى) .

(ثانيا) : عبادة الحياة والمادة ، واعلاء الجمالى على الأخلاقى . (نظرية

الفن للفن) وتأجيج الشهوات وإثارة النشوة واستثارة الشهوة والعرى ودفع العواطف إلى أعلى مراحل الهياج (ثالثا) النظر إلى الإنسان كمادة وجسد وحيوان (رابعا) أحياء الوثنية بالتماثيل وتغليب الأهواء والنزوات والجنس والقبح وتجميل القبح وإدعاء تحسين الطبيعة والتفوق عليها بالفن وهذه كلها من علامات سقوط الحضارة ، وهى نفس العلامات التى شهدتها المجتمعات قبل انهيار الحضارات الفارسية والرومانية والفرعونية ومايزال العالم الغربى (وقد نقل ذلك إلى المجتمعات الإسلامية) يعمل على تجديد الأساطير والخرافات القديمة وصياغتها فى صور جديدة .

وما يزال الفكر البشرى كله غارقا فى صراعه القديم حول : نظرية ارسطو العقلانية ونظرية أفلاطون المثالية ، ومايزال العالم إلى اليوم فى صراع حول ثبات أرسطو وجدل هيجل مع أن الفكر الإسلامى يصنع أحسن قاعدة لذلك وهى نظام الثوابت والمتغيرات .

والناس فى الغرب اليوم بعد أن أفرزت المسيحية الغربية (وهى غير المسيحية المنزلة) الرأسمالية وأفرزت الرأسمالية المادية والاشتراكية ، وهم اليوم يبحثون عن نظام جديد بعد أن فشل النظامين وهم يحاولون أن يأخذوا المسلمين (عن طريق الحوار) ليكونوا ارديفا للمسيحية فى محاربة الشيوعية وعداءهم للإسلام قديم وما محاولة الحوار إلا محاولة للاستفادة من الإسلام لخدمة الرأسمالية .

والمجتمع الغربى يواجه اليوم حالة من الاضطراب بعد تناقص المواليد ، وتمزق الأسرة وتزايد نسبة متعاطى المخدرات وإزدياد عدد اللقطاء والمجانين والمرضى بالسرطان وهناك من ناحية أخرى تلك الحقائق التى تكشفت عن طريق محاجاة الكتب المقدسة لحقائق العلم الحديث والشكوك المثارة حول بشرية هذه الكتب ، فقد كشف العلماء خطأ الكنيسة فى القول بأن الأرض مركز الكون ، وكشف تقدم علم الفلك وآلات الرصد والحساب عن أن الكون يذخر بإعداد لاحصر لها من الإجرام مختلفة الأحجام والأبعاد ، كذلك كشف تطور العلم عن فساد نظريات المادة التى تدعى إزلية الكون والمادة والطاقة وإنتفاء الخلق ،

وقد أصبح ذلك كله هباء وكذباً ولقد كشفت الأبحاث أن هذ الكون كانت له بداية فى الخلق وإنه خلق منذ خمسه الآف مليون عام وأن مصير هذا الكون هو البرود المطلق بعد أن يستنفذ طاقته وما كان أغناهم عن البحث وقد قدم القرآن ذلك كله فضلا عن فساد نسبة كل شيء جهلا إلى الطبيعة أوردالخلق إلى العشوائية والصدفة فتلك كلها أضاليل الفكر الغربى الذى تحطمها الكشوف وتحقق آيات الله فى الآفاق وصدق رسالات السماء ولقد كان من أخطار ماقدمته نظريات الفلسفة المادية والوجودية والاقتصادية الماركسية والرأسمالية أنها تحاول أن تستغنى عن مبدع الكون وخالقه، وهى إذ تفعل ذلك تتصدع وتضطرب وتنهار، كما تبين فساد نظرية ريوى وفرويد فى التربيه التى تقول : أفعل مايشاء والتى تطلق حرية الأبناء فى التعرف إلى الأخطار دون توجيه وارشاد، كما تحطمت نظريات فرويد فى القول يترك الابناء دون توجيه ولتبين خطر مقررات علم النفس المادى والنظرية الماركسية ونظريات الآدب فى فهم الشخصية الإنسانة على أنها مادة وحيوان وجسد .

ولقد كان من دعائم الفكر المادى اليوم عدم الايمان بالغنف وأن كل مافى الكون فهو مادى حتى قيل أن القيم التى يتعامل بها الناس ماهى الاصورة منعكسة من غرائزنا الداخلية النابعة من بعض التفاعلات فى أجزاء معينة من الجسم أو أو بعض التوافقات فى بعض خلايا المخ، وكشفت الحفريات عن فساد نظرية دارون التى أفسدت الفكر الاجتماعى والنفسى والتربوى منذ مائة عـــام بالقول بأن الاجناس صدرت عن أصل واحد، وتبين أن الإنسان الذى مضى عليه خمسة ملايين سنة كان مستقيم القامة وقد خلق مستقلا عن أى نوع من الانواع وأن كل نوع من الانواع خلق مستقلا .

ونحن نرى الحضارة الغربية اليوم تنتكس وتعود إلى الخرافة والاساطير بعد أن أعلت شأن النظرة العلمية المادية التى لاتؤمن إلا بالمحسوس . ونرى اليوم سقوط النزعة العقلية والعلمية حين نرى أربعون ألفاً يعملون بالتنجيم فى ألمانيا الغربية، ومحاولة إضفاء صفة علمية على التنجيم وتغليفة بشيء من المنطق ولاريب أن التلمودية اليهودية هى التى تدخل حضارة الغرب الآن فى مرحلة المحاق : الوجودية،

والهيبز ، والعرى ، والتنجيم ، والخمر وكراهية الأم للولادة ، والانتحار فى قمة الثراء ، والخوف من المستقبل ، والفراغ واستباق الأحداث والترف والتحلل والتمزق ويرى البعض أن هذا دليل على أن العقل الأوربى أصابه الهدم فعاد فريسة للوهم ، وأن الازمات المتلاحقة جعلت الفكر المستنير عاجزاً عن التصدى للحلول فلجأ الإنسان الى نهج الاسطورة من جديد أم أن نهاية الحضارة تجعل المجتمع يستشعر الخوف بالغريزة فيبحث عن التنبؤات التى تسمح له بالتعبير عن مخاوفه وقد برزت فى الغرب فئه من الكتاب الثائرين على قيم مجتمعهم المتمردين على أوضاعهم ودوافع الثورة عندهم مصدرها إيمانهم بان الحضارة الغربية قد أدت إلى سحق أنسانية الإنسان بسبب الحربين العالميين وبسبب تعبد الغرب للمادة والآلة والغلو فى تقدير المال ، ومنهم من آمن بالتشرد وإرخوا العنان لملذاتهم وتحدوا جميع المقدسات وهم يعتقدون أن كل منجزات الحضارة ليست سوى قشرة سميكة من الجليد تغطى مياه المحيط ولكن هـذه الحياة سرعان ماتسحقه وتبدده .

إن هناك ثورة صريحة على القيم السائدة فى المجتمع الغربى الذى أصبح العنف أخلاقيته والقلق جزء لا يتجزأ منه .

وقد تداعت الصيحات من أهل الفكر الغربى داعيه إلى التشكيك فى النظريات والآراء المطروحة والتى تقوم عليها دعائم الاعتقاد والنفس والأخلاق والاجتماع وما كانت فى يوم من الأيام موضع الشك ، وكان يظن أنها خالدة ، تقول هذا كله ليتعظ مفكرونا وليحذروا من صيحات الاغيار ودعاة التغريب الذين يدعوننا إلى السقوط فى هذا الماخور القذر ، بينما أن هذه الأمور التى وصلت إلى هذا الحد من الانهيار تكشف عن مسؤليتنا أمام البشرية فى تقديم الإسلام كمخرج وحيد لها من الأزمة ، فيجب أن نكون هداة دعاة للخروج من الظلمات إلى النور لا أن ندعى إلى الظلمات وإلى حضارة غارقة بائدة متحللة .

أن الإسلام اليوم هو أمل البشرية المنكوبة خروجا إلى الإنسانية الربانية حيث يمتاز الإسلام بالنظرة الجامعة (الماضى والحاضر والمستقبل) وإلى

(النفس والروح والجسد) وإلى (الدنيا والآخرة) والنظرة الإنسانية التى تخاطب الناس أجمعين ، فهو دين ونظام إجتماعى يقـــوم على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق والقرآن هو كتاب الله الوحيد الباقى على الأرض اليوم دون تحريف حيث لاياتيه الباطل من يكن بديه ولامن خلفه وهو الذى قدم سنن المجتمعات والأمم والحضارات وقدم منهج العلم ، ومنهج المعرفة ذى الجناحين .

أن علينا أن نحذر الخطر الذى يرد احتواء الفكر الإسلامى بعـــد تهويد الفكر البشرى لأن المطروحات عن طريق النظريات الماركسية والفرويدية والمادية والعلمانية والوثنية قد تغلغلت فى فكرنا الأصيل القائم فعلينا أن ننقى صفحة التوحيد الخالص ونعيدها إلى طابعها القرآنى الربانى وأن نحافظ على ذاتينا التى أعطاها لنا الإسلام من أن ننصهر فى بوتقة الاممية والعالمية حـــتى نستطيع أن نقوم بمسئوليتنا فى تبليغ الإسلام إلى العالمين فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ البشرية .

الفصل السابع

ياقومنا : إن ما عندكم هو الحق فلستم بحاجة إلى غيره

ما يزال الفكر الغربي يحاول الخروج من الازمة . أنه يبدأ من فراغ ، يبدأ من الفروض التي تفترضها عقليات خاضعة لاهواء عصرها ، تعتمد الاساطير في رسم التجارب ، ولذلك فهي مازالت تتخبط ، ذلك لأنها لا تعتمد الفطرة ولا التجربة ولا منطق الحق الذي ينطلق من مفهوم الدين الحق . ولذلك فإن كل هذه النظريات يجب أن تظل في موضع الفروض ولا ترتفع ابداً إلى مستوى الحقائق العلمية .

وليس أبعد من نظرية فرويد وافتراضه في ردكل دوافع الإنسان إلى الجنس وحده ، هذه النظرية التي اعتمد فيها على أسطورة قديمة ، كأنما لاتقوم نظرية العلم الا على الأساطير ، وقد عورضت نظرية فرويد بنظريات أخرى ترى أن دوافع الإنسان أشياء أخرى غير الجنس ، غير أن فرويد أصر على موقفه ، وذهبت القوى التي أقتنعت بالنظرية في إذاعتها في كل مكان ، وأدخلتها الجامعات ، وفرضتها على الاداب والقصص والمسرح بالرغم من فسادها وضلالها ومعارضتها للفطرة والتجربة .

أن أسطورة فرويد التي أقام عليها نظريته جاءت من مصادر لايقبل بالاخذ بها أي عالم ، لانها تستمد من ميدان مختلف تمام الاختلاف ، هو ميدان الحيوان .

أن أدعاء فرويد بأن الأولاد أحسوا برغبة جنسية نحو أمهم ، ووجدوا آباهم حائلا فقتلوه ، هذه النظرية الضالة يقرر فرويد أنه أخذها عن أسطورة أو ردها (دارون) عن عالم البقر ، ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الاخصاب فتقتل آباها الشيخ ثم تقتتل فيما بينها على الأم فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها ويبقى الثور الأقوى فهل يعقل حقاً أن ينقل فرويد هذه النظرية او الأسطورة من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان .

الحق أن فرويد بمفهومه المادى وتكوينه اليهودى إنما يهدف إلى تحقيق غاية أساسية هى تدمير البشرية عن طريق أشاعة الفحشاء فيها ولذلك فهو يقبل أن يعتمد أسطورة فى بناء نظرية ويعتمد أسطورة عن الحيوان فى تقرير شأن الإنسان، لقد نقل فرويد هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان ونسبها إلى البشرية الأولى وغفل عن أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ولو دفع إل ذلك دفعاً .

لقد نسى فرويد أو تناسى أن الدين كان موجوداً من أيام المشاعية الأولى ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وأبنها ومن قبل تظهر عقدة أوديب على الأطلاق .

ولقد طيرت القوى التلمودية أفكار فرويد وفروضه إلى كل مكان ووصفتها بأنها علم وأنها منهج علمى كذباً وتضليلا ، لقد إنحسرت الدراسات بعد فرويد وخلال السنوات العشر الأخيرة عن حقائق كثيرة كشفت زيف فريد فى نظرية الجنس , وفى محاولته اصطناع منهج كامل يطبق على الإنسان ، دون تقدير لفساد ذلك بوصفه مختصاً بالبحث فى التحليل النفسى ، فضلا عما وصفه به العلماء من أنه أقام كل منهجه العلمى على تجربة مائتى مريض هم كل من التقى بهم فى عيادته النفسية وأنه لم يستطع أن ينظر إلى الأسوياء والأصحاء ، فضلا عن أنه كان مضطرب النفس ، وكان حاقداً على البشرية وكان على صلة بالمخططات الصهيونية وعلى علاقة أكيدة مع هرتزل فى تطبيق مخطط كامل يرمى إلى أفساد الحياة الإجتماعية والنفسية والاخلاقية العالمية وذلك ما كشفت عنه دراسات فريزر فى الخرافة ودوركايم فى الإجتماع وفرويد فى النفس والاخلاق ولقد كشفت الاحصائيات فساد نظرية فرويد فى رفع التوجيه عن الشباب أو الادعاء بأن التسامى عن الأنحراف الخلقى من شأنه أن يؤدى إلى مرض العصاب وقد تبين أن ذلك كله من أوهام فرويد التى حطم بها أجيالا من شباب العالم الغربى وكان من أخطر الأخطار أن نقلت دراسات فرويد المسمومة إلى أفاق الجامعات العربية والإسلامية دون أن يكشف زيفها ألا منذ وقت قريب .

تقول الأبحاث العلمية الجادة : أن الإنسان فى فطرته الحقة يحتاج إلى التكامل بما نطلق عليه الفضيلة أو السمو أو الصدق أو الإيمان وأن هذا الأحساس يحتاج إلى رعاية وإنماء قبل أن يضمر نتيجة تجاهله وعدم الاستعمال .

يقول الأستاذ يحيى الرخاوى : أن حاجات الإنسان تجرى فى ترتيب تصاعدى يسمح بظهور الحاجة الأعمق متى أشبعت الحاجة الأولى ، والمفروض فى التطور الطبيعى أنه بعد انقضاء حاجة الجسم (طعاماً وجنساً) أن يتنبه إلى بقية حاجاته المعنوية ، فالفضيلة والحضارة ليست أعلاء للغريزة الجنسية بل هى أكمال لما بعدها إذ أنها حاجة أصيلة فى تركيب النفس البشرية ، وما اغتراب الإنسان ووحدته وشقاؤه إلا بأهمالها وكبتها أو أنكارها .

وكما أن غرائز الفضيلة أن صح هذا التعبير قد آن لها أن تجد طريقاً شرعياً من خلال العلم أيضاً فى حياتنا وكما أن فرط الحرمان من الطعام قد يؤدى إلى الحقد أو سوء التغذية وفرط الحرمان من الجنس قد يؤدى إلى الكبت فأن فرط الحرمان من الفضائل يؤدى إلى أمراض محددة لها من الأضرار والمضاعفات ما يفوق مثيلاتها من أمراض نفسية ، ألا أن انتشار أمراض نقص الفضائل لا يظهر بيننا بشكل صريح لسببين : الأول : أنها أمراض شائعة شيوع الوباء ، وكأنها القاعدة وليست الاستثناء ، والثانى أن الحديث عن الفضيلة كثيراً مايغنى عن ممارستها وكأنها التخدير المسكن .

فمرض الزيف هو نتيجة الحرمان من فضيلة الصدق ومرض الظلم هو نتيجة لنقص فى أطلاق فضيلة العدل ومرض التعقيد والغموض ناتج من كبت فضيلة البساطة .

هذه المدرسة الجديدة فى الغرب فهل هى قادرة حقاً على أن تمحو أثر فرويد وأن ترد المفاهيم النفسية إلى الأصالة والفطرة .

أن هذه المفاهيم الجديدة التى تقول بها مدرسة أو حركة علم النفس الإنسانى إنما يستمد مفاهيمها من الفكر الإسلامى وأن كل ما تقول به مستمد من

الدراسات التى قدمها الإمام الغزالى حين تحدث عن مرض الجسد والحرص والطمع ، ولكن الغرب مازال سادراً فى غيه .

وكل مايهمنا نحن أن يفهم قومنا العرب والمسلمون أن لديهم أصول كل هذه العلوم ، منطلقة من الفطرة والوحى ومن الأصالة ومن فهم الإنسان فهماً صحيحاً كما رسمه لنا القرآن الكريم ، وذلك كله يدعونا إلى أن نعلن سلامة مصادرنا وأكتفائنا فلسنا فى حاجة إلى نظريات وفروض باطلة زائفة مستمدة من الأساطير والأهواء وقد ثبت فشلها وأنهيارها فى بيئاتها الأصلية .

الفصل الثامن

الأخطار التى تواجه الأمة الإسلامية

أولا : ما يطرحه الفكر الغربى

أن المعركة اليوم هى معركة تأكيد الذات ، فعلينا أن نعمل على حماية الذات الإسلامية من التحول أو الاحتواء أو الانصهار فى بوتقه الفكر الوافد أو الأممية العالمية ، هذه الذات الإسلامية التى تتميز بطابعها الخاص من التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الإنسانى ، التى كونها القرآن الكريم علينا أن نحفظها من الانهيار والتدهور ، ومن الجمود والمداخلة ومن الانصهار فى الفكر البشرى العالمى . فهذه فريضة من فرائض العقيدة والامة ، إذ تبين أن الهدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية فى هذا العصر : هى تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى . أن المرحلة المبسوطة الآن من وراء مؤامرات التغريب (التبشير والاستشراق) فى مجال الفكر والثقافة والتعليم هى الاحتواء بهدف إزالة الهوية الإسلامية كاملة وصهر الاجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية ، هذه الحضارة التى تمر بأسوأ مراحل أنهيارها وتمزقها ، والثقافه الغربيه التى تصارع فى مجال الوثنية والماديةوالاباحية والتى أفلست فى نفوس الغربيين وأصبحت عاجزة عن العطاء ، مما دفع القيادات السياسية والإجتماعية إلى التطلع إلى نظام إجتماعى جديد .

من أخطر التحديات التى تواجه الأمه الإسلامية ما يطرحه الفكر الغربى فى أفق الفكر الإسلامى من مفاهيم منحرفة وتفسيرات مسمومة .

حيث ما يزال العالم الغربى (والفكر البشرى كله) غارقاً فى صراعه القديم حول نظرية أرسطو العقلانية ونظرية أفلاطون المثالية ومحاولة الفارابى الباطلة فى المزج بينهما وما يزال العالم إلى اليوم فى صراع حول ثبات أرسطو وجدل

هيجل . وما تزال الخرافة القديمة والأساطير تتجدد على أيدى الصهيونية فى صور جديدة وتحت اسماء جديدة لامعة .

وهناك عشرات من أخطاء كتابات تحت اسم العلم منقولة من الفكر الغربى منها الادعاء الباطل بأزليه المادة والطاقة ثم إزلية الكون وارتقاء الخلق ثم قولهم أن المادة والطاقه لا يمكن خلقهما أوفناؤهما وقولهم أن المادة والطاقة لا تفنى ولاتستحدث ، وقد نسب كل شيء جهلا إلى الطبيعة أو رد الخلق إلى العشوائية والصدفه .

وهناك الدعوة الزائفة المسماة بالإنسانية المستمدة من تولستوى وغاندى والمسيح وهى دعوة الاستسلام والضعف وهذا تيار خطير يرمى إلى القضاء على مفهوم الإسلام الجامع بين المادة والروح والقائم على فريضة الجهاد الماضية إلى يوم القيامة .

وقد دفع الاستعمار واليهود الفكر التلمودى إلى أرض المسلمين تحت أسماء كثيرة ، تحت اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية ...

ويتسم الفكر الغربى بالجمع بين المتناقضات ، بين دعوى العلمانية التى ترفض كل ما ليس عقلانيا وقبول الأساطير والشعر والماريشى والفكر الوثنى الذى لا يقبله أى عقل وبالرغم من أن الغرب فى حيرة شديدة ، بحثاً عن نظام إجتماعى يحقق الأمل واليقين فهو يعمل على تصدير هذه المواد المضطربة إلى المسلمين لتجرهم من يقينهم إلى دوامة الشبهات والأضطراب .

والغرب بعد أن فقد إيمانه بالأيدلوجيات الموجودة لديه ، فردية وجماعية رأسمالية واشتراكية فإنه ذهب إلى المشرق بحثا عن البوذية والزفانا والماريشى الذى يتأمل وهو رافع قدميه إلى فوق ، وبعد أن فشلت الوجودية دخولا إلى الهيبية ، تدخل الآن مرحلة الماريشى وتصدرها للبلاد الإسلامية .

ولقد ادرك الغرب أن ماديته تحمل عوامل فنائه . وأن دعوة الإسلام الجامعة

هى القادرة على العطاء ، ولكن هناك قوى تؤخر هذا العطاء ، فإن الدعوة التى تتحدث الآن عن ضرورة تجربة الإسلام تواجه بحملة عاصفة من الكنائس ، وتجرى فكرة الحصول على كتابات من المسلمين ترمى إلى القول بأنه لاخلاف بين الأديان الثلاثة وأنها كلها من عند الله .

هذه الحركة : حركة الحوار ، تحاول أن تخدع هؤلاء المتطلعين إلى آفاق جديدة بأنه ليس هناك فوارق بين الأديان ، والقول بان أساس الأديان واحد هوحق ولكن واقع بعض الأديان قد انحرف بإدخال تفسيرات عليه أخرجته عن طريقه ولم يبق إلا الاسلام الذى حفظه الله من التحريف ، وهو مايزال المؤمل للعطـــاء .

ولقد يستطيع الباحث أن يجد تلك الفوارق العميقة واضحة بين الفـــكر الإسلامى والفكر الغربى مهما جرت المحاولات للقول بوحدة الفكر الإنسانى ، والمعروف أن خاصة الفكر الغربى يسودها الوجدان المتشائم بكل أبعادها ومظاهرها فى الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق والسياسة ، وأن هذه الايدلوجية السوداوية المتشائمة تنتشر فى أوسع نطاق فى عالم الغرب أفكاراً عن لامعقولية الحياة وعبث الوجود وقد أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات هستيرية — كما يقول سمير كرم — على فكر يؤمن بالتطور الإنسانى ومن هنا فإن الوجودية هى آخر صيحات الفلسفة التشاؤمية ويرد كثير من الباحثين مصدر التشاؤم إلى القول بالخطيئة التى تطارد كل إنسان فى الغرب ، والخطيئة مصدرها تفسيرات المسيحية الخاصة بتألية السيد المسيح وهو مفهوم لا يقره الإسلام .

كل هذه العوامل تدعونا إلى تطهير مصادر علومنا وثقافتنا ومجرى فكرنا الإسلامى من تلك الدخائل وخاصة فى مجال العلم الطبيعى والتربية والتعليم والفكر السياسى وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم الإنسان وفلسفة الآداب والنقد الأدبى .

هذه العلوم كلها متصلة بالعقيدة فى الإسلام وليست حرة مطلقة ويجب أن تدرس من مفهوم إسلامى ، ووفق المنطلق الإسلامى الأصيل . وأساسها

الاعتراف بخالق الكون وضرورة توجه كل العلوم إلى الغاية الربانية الاصلية في سبيل اقامة المجتمع الرباني على أساس العدل والرحمة والاخاء البشرى .

وفى هذا يقول محمد إقبال :

يجب أن نكون مؤمنين بأنفسنا كافرين بالافرنج , فالكفر بقداسة الغرب وانكار كونه معيار الصدق والصلاح هو الخطوة الاولى والخطوة الوحيدة التى توصلنا الى تجديد العلوم والآداب فبعد تجديد الايمان بصدق فكرنا الإسلامى وصلاحية شريعتنا الإسلامية والكفر بالفكر الغربى العلمانى والفكر الشيوعى الالحادى نتمكن من أحياء المناهل الإسلامية التى تبدو كأنها جفت وذبلت بعد سيطرة الغرب الحضارية والفكرية والعلمية ، فإذا أحييناهذه المناهل تصبح علومنا الإسلامية وآدابنا ذات حيوية وفعالية ، وتنطلق من حيث وقفت وجفت ، أن واجبنا أن نراقب تطور الفكر البشرى بكل يقظة وانتباه ونحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور .

أن الاهمية البالغه لمواجهة هذا الخطر هو تجديد العلوم وتدوينها على أسس أسلامية وتطهيرها من وجهة نظر المادية والاباحية والوثنيةالتى تحفل بها النظرية الغربية أن علينا أن نطلع الغربيون واتباع التغريب المنبثين اليوم فى كل الافطار الإسلامية أن هناك مقاييس ذات أصالة وعمق قد قدمها الفكر الإسلامى فى النظر الى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ تختلف أختلافاً واضحاً عن تلك المفاهيم الوافدة . هى مفاهيم مستقاة من الفطرة الأصلية ومتوازنة مع الكون والطبيعة البشرية .

الفصل التاسع

ما يطرحه الفكر الغربى

ثانياً : محاولة تحريك الفكر والمشاعر فى دائرة التفاهات.

لايزال أمام أمتنا مهمة شاقة صعبة هى الدفاع عن شخصية الأمة الاسلامية ومقوماتها واستقلالها الفكرى والأيديولوجى وهذا لايعنى فقط مقامة الغزو الفكرى والهجوم الخارجى على معتقادتنا ومبادئنا وأنما يعنى قبل كل شىء معالجة التخلف الفكرى والركود العلمى الذى جعل شعوبنا أدنى بكثير من مستوى مبادئها السامية وعقيدتها الخالدة .

ولعل أخطر ما فى ذلك هو عملية « التمييع » التى تقوم بها أجهزة مختلفة وعملية طرح التفاهات وأساليب التسلية والإضحاك والخرافات وتحريك الحوار الإجتماعى على أقل مستوى من الثقافة على نحو ساخر وسخيف بينما تقضى أصول الثقافة رفع مستوى الحوار الاجتماعى وطرح قضايا تسمو بالنفس الإنسانية والعقل الانسانى إلى التطلع نحو عقلية رفيعة تفكر فى قضايا الكون والوجود وتتعرف إلى التيارات السياسية والاجتماعية العالمية وتعرف موقف الإسلام والمسلمين منها .

ولا ريب أن محاولة تحريك الفكر والمشاعر فى دائرة التفاهات إنما يرمى إلى حجب المجموعات العامة عن التعرف على قضايا المجتمعات والتحديات التى تواجه الأمم ولقد كان الاسلام دافعاً لأهله منذ اليوم الأول إلى معرفة قضايا المسلمين وفى ذلك قول الرسول ﷺ (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

وتجدنا اليوم نتقوقع داخل حدود وهمية أقليمية ، ونغرق فى تفاهات التسلية والأضحاك بينما كان المطلوب هو اقتحام مجالات المعرفة وآفاق الثقافة ولاريب أن هذا الفراغ فى الثقافة الإسلامية هو عامل مقصود يراد به تمكين

هجمات الغزو الأيدلوجي الخارجي من عقول ابنائنا التى أن لم تجد زادها فى العطاء الإسلامى بحثت عن تفاهات الأمم وركام الأساطير والخرافات، كل هذا من شأنه أن يهدم ذاتية الأمة ويوهن من عمل دعاة الأصالة والمدافعين عنها ولا ريب أن هدفهم هو أن تنحرف شخصية الأمة عن طريقها الصحيح وأن تحتويها الايدلوجيات الوافدة التى تصدرها دول كبرى وتكتلات سياسية عالمية، ولكن الوعى الإسلامى اليوم يعرف هذه الأهداف ويرفض هذا الاحتواء، ولابد أن يصمد فى المقاومة للضغوط، وأن يكشف المغالطات والدعايات وأن يصر على السير فى الطريق الذاتى : طريق الأصالة .

ولقد جرت المحاولة مرة ومرة وماتزال تجرى لاخراج المسلمين من دائرة الاحتواء، وقد جرت وتجرى حول الأقليمية وحول الوطنية وحول القومية وحول الاشتراكية، وكل دورة من هذه تأخذ زمنا طويلا ووقتاً وجهداً، ثم تنفثىء كما تنفثىء الكرة أو كاوتش السيارة وتجرى المحاولات مرة أخرى للعودة إلى شىء جديد، المحاولات كلها ترمى إلى ضياع الوقت، وإلى اللعب فى ملاعب الآخرين، وإلى امتصاص الفورة، وتذويب النهضة، أن هناك عشرات المحاولات منها محاولة الفلكلور، والكتابة بالعامية والشعر الحر، وهناك محاولات المسرح والمسلسلات والموسيقى الصاخبة والأغانى والكرة، واحياء الأساطير، ومفاهيم التصوف الفلسفى (الحلاج وابن عربي وابن سبعين) واللهو بالرحلات والسياحات (وكل هذا مدون فى برتوكولات صهيون) وهناك الدعوات الماكرة إلى تعلم اللغات أو ترجمة كتب الغرب، كل هذا يجرى بطريقة تبدو عشوائية لأنها لاتلتزم تقديم شىء نافع ولكنها ليست عشوائية فى تقدير القائمين عليها والداعين إليها، الشعارات الطنانة، والعبارات الرنانة، ومن وراء ذلك نكبات متواليات لأن الطريق غير صحيح والوجهة مكذوبة خادعة مضللة، أن الذين يمسكون بالخيوط من وراء الستار غاية فى الذكاء وقادرون على التغيير فى الوقت المناسب لتقديم فصل آخر .

ومن ذلك أدخال الوطن الاسلامى مرحلة الترف الفكرى بينما يعيش مرحلة القحط الاقتصادى وفى الغرب يتحدثون عن أحدث النظريات الغربية المترفة (عن السريالية والرسم ، والتجريدية تثير الجدل وهناك قضية الاعتماد على العقلانية . باعتبار العقل وحده هو الجدير بالتقدير ، ويهاجمون دعوى الاعتماد على الله باعتبار أنها مسألة تقود الانسان إلى التواكل وتدفع الأمم إلى التخلف ويضربون المثل بالدول المتقدمة التى تعتمد فى انجازاتها على ما كشفه الله تبارك وتعالى للعقل البشرى من علم ، ونسوا أن العقلانية وحدها لاتكنى، وأن الوجدانية وحدها لاتكنى ، وأن مفهوم الإسلام جامع متكامل ، أنهم يريدون أن ينسبوا هذه الكشوف إلى العقل ولا ينسبوها إلى الله تبارك وتعالى وهنا الخطر، ذلك أن العقل بعلمه وبريقه محدود ، والمعتمدون على العقل البشرى ينهارون تماماً عند أول صدمة ، فيظهر عجزهم عن تحقيق ما يريدون وفشلهم فى تنفيذ ما يخططون وحيث توجد أعلى نسب الانتحار والجنون بين الناس الذين يتعبدون للعقل ، ومن أخطر القضايا التى تطرحها قوى التغريب والصهيونية اليوم فى أفق الإســلام محاولة تمييع مفهوم الإسلام بذاتيته الخاصة وطابعه الجامع ، وصهره مع الأديان فى بوتقة واحدة تحت إسم دين الله الواحد بمقولة أن النصارى مسلمون واليهود مسلمون وأن كل دين من هذه الأديان يعبد الله فهو اسلام ، وهذه مقولة باطلة مضللة، ذلك أن الأديان كلها من مصدر واحد ولكن القائمين عليها حولوها عن وجهتها ، وفسروها على نحـــو قومى أو عنصرى ، فتوقفت عن الاعتراف بتسلسلها الذى رسمه لها الحق تبارك وتعالى ولقد جاءت المسيحية معدلة لليهود ومبشرة بمحمد ﷺ ولكن هذا المعنى قد انحرف ، وأن المضللين الذين يقولون أن الفوارق بين الأديان اليوم هى خلافات شكلية فرعية غير صادقين ، فإن الخلاف عميق بين التوحيد فى الإسلام وبين التثليث والصلب والخطيئة فى المسيحية وبين رب الجنود : فى اليهودية .

ولاريب أن هناك عديداً من أوجه الخلاف العميق بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الغربى ، وهناك دعاوى عريضة باطلة وشبهات زائفة ، كلها تستهدف

ضرب الإسلام فى الصميم ، وما الحملة على اللغة العربية إلا مظهراً من مظاهر الحملة على الإسلام ، من ذلك خلق لغة عامية بدلا من العربية الفصحى تحت اسم اللغة الوسطى بدعوى مسايرة النهضة الحديثة هذه الدعوى تهدف إلى القضاء على لغة القرآن على مر السنين .

وهناك محاولة تغليب القانون الوضعى على الشريعة الإسلامية وأخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر تحت اسم المواثمة والتأويل واصطناع الرخص ، وهناك أحياء الحضارات التى سبقت الإسلام والادعاء بأن الحضارة الإسلامية رافده من الحضارة الرومانية القديمة وهناك الادعاء بأن هذه المناطق التى بسط الإسلام ثقافته عليها ولغته كانت رومانية والمطالبة باعادتها إلى اهلها ، ونسوا أن موجات عربية منذ الآف السنين اندلعت فى هذه المناطق قبل قيام الامبراطورية الرومانية بوقت طويل وأن الرومان كانو مستعمرين مكروهين ومغتصبين .

وأن هناك محاولات خطيرة تجرى عن طريق قوى التبشير والاستشراق ترمى إلى الدعوة إلى تحريف النصوص باسقاط رحلة إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) إلى الحجاز ، ومحاولة اسقاط الفرائض بالدعوة إلى الفكر الباطنى الذى يرمى إلى اسقاط التكليف واعلاء بطولات زائفة كالحلاج وابن عربى وبشار وابى نواس وتنكيس أعلام من أمثال المتنبي والغزالى وابن خلدون، وهناك تشويه التاريخ الإسلامى وفرض التفسير المادى عليه وهدم التراث الإسلامى بابراز الزائف منه والسىء والمنحرف والأغضاء عن الذخائر الحقيقية . ثم هناك عملية الترجمة التى يراد بها تقديم كل فاسد من آثار الغرب أو ماليس لنا به حاجة ، هناك القصص الجنسية وكتابات اللامعقول واللاقصة واللا أدب وكلها تفاهات يراد بها تدمير مقومات اليقين والايمان فى النفس الإسلامية .

وهناك محاولات هدم الأسرة عن طريق مفاهيم دوركهايم وليفى بريل وهدم الأخلاق عن طريق الفرويدية والوجودية .

لقد كشف الإسلام عن وجوه الاختلاف العميق بينه وبين الفكر الغربى ، وما كانت البشرية وثنية ثم عرفت التوحيد ولكنها كانت موحدة منذ يومها الأول وكانت تعتريها فترات من الوثنية ، وليس الدين علاقة بين الإنسان وربه فقط ولكن علاقة بينه وبين ربه من ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وأن الدين ليس مانعاً من الرقى والتقدم ، وأن مذاهب الشك واللاارادية والالحاد مفاهيم زائفة ، فالإنسانيه موحدة بفطرتها وهى تبحث دائماً عن الخالق الصانع المدبر مالك الملك ، ولقد طرح الفكر الغربى عن طريق الاستشراق و التبشير شبهات كثيرة ولكن حركة اليقظة الإسلامية استطاعت أن تكشف زيفها وأن تدحضها .

الفصل العاشر

ثالثاً : ما يطرحه الفكر الغربى

المعلومة والفكرة والخبر

أن هناك قدراً ضخماً من المعلومات والأفكار والأخبار تطرح يومياً فى المجتمع الإسلامى عن طريق الصحافة والإذاعة أو الكتب المترجمة أو وسائل الإعلام المختلفة ، هى وجهات نظر متراكة لمجتمعات أخرى : فيها مادة نافعة قليلة وفيها زيف كثير ، فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين وهى تمثل وجهات نظر قد تختلف وقد تتعارض مع مفاهيمنا الأساسية وقيمنا الثابتة ؟ ذلك لأن ما يطرح من خبر أو فكرة إنما يشتمل على جزئين متداخلين :

(١) حقيقة ما : هى عبارة عن خبر .

(٢) وجهة نظر أو تعليق أو تحليل لهذه الحقيقة تمثل « رؤية » الذين بثوا هذا الخبر ونحن نعرف أن هناك غرابيل دقيقة جداً لا تنفذ منها الأخبار حين تبث فى العالم الثالث إلا وهى مطعمة بوجهة نظر الصهيونية أو النفوذ الغربى أو الشيوعية . فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين من هذا الأعصار الضخم المدمر الدائم المستمر يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ؟

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا وعقيدتنا وأن نفرق بين العلوم وبين الثقافات وبين المعارف النافعة والمعارف الضالة من لهو الحديث ولغو القول مما يضل به الناس وعلينا أن نتأكد من أن المعلومات المطروحة علينا ليست وسيلة للسيطرة الأممية علينا .

أن هناك فوارق دقيقة وعميقة بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الفكر الغربى القائم الآن على نظريتين هما :

المادية والماركسية والذى لا يجعل لتكامل الإنسان الروحى والمادى سبيلا .

دور الطوائف اليهودية والمسيحية فى العالم العربى والإسلامى .

وقد تبين لنا عنـــدما درسنا المذاهب الوافدة التى طرحت فى أفق الفكر الإسلامى إن الذين دعوا إليها لم يكونوا من أصل المجتمع ولا من مادته ولكنهم كانوا شعوبيين وافدين ، وقد عرف أن دعاة الطورانية (اشقورا واغاييف) لم يكونوا أتراكاً ولا عثمانيين ، وقد عرف أن الذين أدخلوا الشيوعية فى العالم العربى (سواء فى مصر أو فى الشام أو فى العراق) كانوا يهوداً غربيين ، وكذلك كان دعاة القومية العربية ممن نشأوا فى أحضان الاتحاديين الأتراك أو فى أحضان الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك هم الذين أعانوا فى دخول الفرنسيين إلى الشام أو دخول الانجليز إلى مصر وكذلك الذين حاربوا السلطان عبد الحميد وحملوا عليه وأساءوا إلى صفحته النقية .

وقد أشار « موروبيرجر » إلى أن بعض الطوائف اليهودية والمسيحية فى العالم العربى الإسلامى كانوا هم الوسطاء الرئيسيين فى بث أفكار التغريب والشيوعية والإلحاد والإباحية وكانوا التجار المصرفيين للربا الذى أوقع المسلمين فى براثن الديون ،كذلك أولئك الذين سافروا إلى الغرب دون حصانة من دين أو وطنية فالتقطتهم أجهزة دقيقة هناك واصطنعتهم للعمل ضد أمتهم تحت اسم التجديد والتقدم والعصرية وحرية الفكر ونظرية الشك وتلك هى بضاعة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم الأديان .

هؤلاء هم الذين طرحوا تلك الشبهات العديدة ومهدوا لأكبر تحول علمانى ذلك الذى قام به مصطفى كمال أتاتورك حين نقل دوله الخلافة العثمانية إلى دولة (ديندية) ، هذه الحركة الخطيرة التى استهدفت إلغاء الشريعة الإسلامية وإستبدالها

بالقانون الوضعى من ناحية وإسقاط الخلافة الإسلامية التى كانت علامة تجمع بين المسلمين وكانت ظاهرة « اللائكية » هذه موضع حفاوة من الغربيين فى مصر والبلاد العربية الأخرى .

ولكن سرعان ما استطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن ترفع صوتها بالدعوة إلى الاصالة وإلى العودة إلى المنابع ، وإلى المنهج الربانى فى المجتمعات الإسلامية . ويعد سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٦ من أكبر الطعنات التى وجهت إلى قلوب المسلمين وجاء ذلك على أثر رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودى (قراصو) رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك للخليفة وقوله : (سترى كم يكلفك هذا الرفض) وقد جاء إسقاط الخلافة بعد وعد بلفور ببضع سنين . وكان هذا تمهيداً للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة ، وإحلال مفهوم الاقليات بديلا منه ، حتى ينفسح الطريق للعنصرية اليهودية ، ومن هنا فان الفكرة العربية فى حقيقتها لم تكن هدفاً نهائياً ، ولكنها جاءت بعد أن سقطت الوحدة الإسلامية وكانت فى نظر القائمين بها مرحلة تجمع فى سبيل الوصول إلى الجامعة الإسلامية فإن الذين حاولوا أن يجعلوها هدفاً كانوا مضادين لطبيعة الأشياء ولرغبات أهل البلاد أنفسهم ، ذلك أن الوحدة الاسلامية قد قامت أساساً على وحدة الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية والنفسية ، وهذه لا يمكن ان تتيسر فى ظل فكرة أخرى جزئية كالفكرة العربية ولكن النفوذ الأجنبى كان يعمل على تفريغ الفكرة العربية من مضمونها الإسلامى أساسا ليجعلها أشبه بمفهوم القومية الغربية الوافد ، الذى يقوم على الصراع وعلى الدماء وعلى الاستعلاء بالجنس والعنصر .

ولقد تبخر بعد ذلك : ذلك الجهد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية بمفهوم عربى ، وانكشف فشل هذا الجهد وفساده لأنه لم يبدأ من نقطة الأصالة وعلى طريق الإسلام ، ولقد ظن كثيرون أن الوحدة العربية غاية بينما لم تكن ولن تكون إلا مرحلة على الطريق : طريق الوحدة الإسلامية ، ومن ثم فقد

كانت كل المحاولات التى قادها دعاة القومية معوقا لهذه الوحدة عن أن تتخذ طريقها الصحيح .

القومية ولدت فى مدارس التبشير

ونحن نعرف أن فكرة « القومية » ولدت فى أحضان المدارس التبشيرية وعلى أيدى نصارى الشام الذين أرادوا أن يجعلوها الرابطة البديلة مكان الرابطة الأصيلة : الإسلام .

والقومية بالمفهوم الغربى تعـــنى الانسلاخ عن الإسلام تحت شعارات ومسميات شتى وبأساليب وأفكار تلوى أعناق الحقائق والوقائع ولكنها تعنى الفصل بين العروبة والإسلام وهى تهدف إلى بعثرة وحدة المسلمين إلى جنسيات معزولة ومحبوسه وراء أسوار العلمانية ، أو هى عروبة مقطوعة عن الإسلام فكراً وعن المسلمين جغرافيا ، ، وقد حاولت الدعوة إلى القومية أن تتمثل فى نظام شامل فكانت لها آراؤها فى التربية والقانون والاجتماع والاقتصاد واستعلى فيها مفهوم الأجناس والدماء والعناصر وفصل اللغة عن الإسلام كفصل التاريخ عن الإسلام والإدعاء بأن التاريخ عربى والحضـــارة عربية والثقافة عربية ، والهدف هو إخفاء صوت الإسلام وإحلال عاطفة لها صورة العقيدة محل الإسلام ومن إخطارها إعادة تفسير التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ قومى والبحث عن سبيل لوضع صيغة القومية عليه منذ أول عصوره وقبل أن تعرف كلمة القومية أو مدلولها وواضح أن هذا هو المدخل الخطير لهدم الوحدة الإسلامية الفكرة الجامعة والترويج للعلمانية والمادية والاشتراكية وكلها مفاهيم وافدة تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية فى الأساس وصهر وحدة المسلمين فى أتون الأممية العالميه

الفصل الحادى عشر

الماسونية تكشف وجهها

بعد أن تنكرت عصراً طويلا

تكشفت خفايا الماسونية فى الغرب عن أخطار بعيدة المدى بعد أن أذيع أن المحفل الماسونى الأيطالى وبه ٩٦٢ شخصية سياسية وعسكرية تقوم بانشطة غير مشروعة فى أطار المحفل الماسونى من عمليات تهريب أموال وتجسس سياسى وعسكرى وفساد فى الجهاز القضائى . وقد أجبرت أحدى هذه الفضائح الحكومة الأيطالية على الأستقالة .

وما تكشف فى ايطاليا هو جانب ضيئيل من أعمال الماسونية فى الأقطار الغربية ، بل لقد أشارت دراسات ضافية إلى الدور الذى قامت به الماسونية فى الأحداث الثلاثة الكبرى التى واجهها العالم فى القرنين الأخيرين وهى : الثورة الفرنسية وسقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا وسقوط النظام الروسى القيصرى .

وكانت هذه البدعة قد قامت من أجل أهداف اليهودية العالمية التى تختفى وراء قناعين أولهما الماسونية والثانى الصهيونية .

وقد استطاعت الماسونية فى الغرب أن تتسع وتسيطر فى مختلف الأقطار وأن تكون مصدرا لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية بخداع جماعات البسطاء بأنها تدعو إلى البر والخير والحرية ولم يكن يعرف أهدافها الحقيقية إلا الذين وصلوا إلى الدرجة الثانية والثلاثين كما كشف ذلك الآدب لويس شيخو السوعى منذ ١٩١١ فى بحث ضاف فى مجلة المشرق كما كشف ذلك السيد رشيد رضا فى المنار وفى العصر الحديث لاتزال كتابات الدكتور محمد على الزغبى والدكتور أحمد علوش من المصادر الأساسية فى الكشف عن هذه النحلة الخطيرة التى تسربت مع يهود الدونمة

فى تركيا إلى العالم الإسلامى وكان لها تأثيرها فى جماعة الاتحاد والترقى وتركيا الفتاة التى استطاعت اسقاط السلطان عبد الحميد وألغاء الخلافة الإسلامية وتمكين اليهود من الوصول إلى فلسطين بعد أن وقف السلطان عبد الحميد وقفة حاسمة أمام أغراءات هرتزل ومؤامراته وكان أن فقد عرشه مقابل هذه الوقفة الشريفة .

وقد بدأت بعد سقوط السلطان عبد الحميد تتكشف خفايا الماسونية وأبعادها الخطيرة التى لم يكن يعرف مداها أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهما عندما اتصلوا بها وظنوا انهم يستطيعون عن طريقها خدمة العالم الإسلامى وتحريره من النفوذ الأجنبى الزاحف إذ ذاك .

وقد تعرضت الماسونية فى العقود الماضية إلى هجوم عنيف من الكنيسة الكاثوليكية فى مختلف بلدان أوربا باعتبار أن هذه المحافل معادية للمسيحية حيث يؤمن أعضاؤها إيمانا مجردا بوجود مايسمونه (مهندس عظيم الكون) وحيث يزاولون طقوسا خاصة لاتمت للدين بصلة وحيث يزاولون نشاطهم بشكل سرى وحيث تتدرج العضوية فى هذه المحافل بشكل هرمى ، وقد أعلن البابا كلمينت الثانى فى ذلك الوقت أن الماسونيين يشكلون تهديدا خطيرا للكنيسة وأمر أن يحرم من الانتماء للكنيسة الكاثوليكية أى كاثوليكى يصبح عضوا فى محفل ماسونى وقد اتخذ البابوات اللاحقون موقفا شبيها بذلك .البابا بنيدكد الرابع عشر ،البابا بيوس السابع،البابا ليو الثانى عشر (٧٥١ — ١٨٢٥) كما اعتبر الماسونيين أيضا مجرمين سياسيين وحاربتهم الممالك الايطالية قبل القرن التاسع عشر . وقد تبين أن عددا من القادة السياسيين فى إيطاليا كانوا من الماسونية أمثال (جاريبالدى) الذى ترأس أحد المحافل الماسونية ، وكذلك كرومويل الذى قام بثورة فى انجلترا من أجل اليهود ، بل أن هناك مصادر تشير إلى مدى صلة مارتن لوثر دوعوته البروتستانتية بالهدف اليهودى الماسونى .

والذى يضاف إلى هذا أن الغرب الآن لم يعد يحكم إلا من خلال المحافل الماسونية وأن الكنيسة الكاثوليكية سمحت فى العقد الآخر لأعضائها بالاشتراك

فى المحافل الماسرنية بل أنها خطت خطوة أبعد من ذلك حين أعلنت وثيقة براءة اليهود من التحريض على قتل المسيح وهى خطوة لم يكن يمكن تحقيقها ألا بعد تغلغل الماسونية فى أضلاع الفاتيكان .

وقد أشار « ولفرد كانتول سميث » إلى أن الدور الذى قام به مصطفى كمال أتاتورك بالغاء الخلافة الإسلامية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية بعد أن كانت الدولة العثمانية قائدة الإسلام يرجع إلى أنه عضو فى الدرجة الثلاث والثلاثين فى الماسونية .

وقد جندت الماسونية فى السنوات السابقة لظهور إسرائيل عددا كبيرا من المثقفين - تغلغلت إلى حد معين فى مختلف مجالات الصدارة فى البلاد العربية والإسلامية وكانت كل محاولات تغريب المجتمع الإسلامى وتزييف مفاهيمه وقيمه صادرة من هذه الجماعات ، بل لقد تبين أن جميع الفنانين العاملين فى ميدان المسرح والسينما والأغانى هم من خدام الماسونية الذين تعلموا فيها الخطط التى تقضى على كيان الأمة الإسلامية وأخلاقها .

وفى الأخير عندما تكشفت خطط الماسونية وانفضحت مخططاتها حاولت أن تستعض عن ذلك بتنظيمات جديدة منها الروتارى والليونز .

بل أن كثيرا من قادة الماسونية فكريا أمثال جرجى زيدان وصروف ومكاريوس الذين قادوا الصحافة العربية فى العشرينات استطاعوا من خلال كتاباتهم تسريب عديد من مفاهيم الماسونية الى ترمى إلى القضاء على الأخلاق والعرض والعفاف ومازال كتاباتهم تشهد بذلك وقد جاء فى أثرها جيل أشد خطورة فى مقدمته طه حسين وسلامه موسى وحسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض .

ونحن نحذر أمتنا فى هذه المرحلة الدقيقة من حياتها من أخطار الماسونية التى لم ينته دورها بعد والتى كانت سببا فى سقوط القدس فى أيدى اليهودية العالمية الإسلامى ورصد ثرواته واقتصادياته وما اعتقد أن المسلمين فى حاجة إلى مزيد

من التذكير بأخطار هذه المنظمات وماتولد منها فقد كشفت عشرات الدراسات عن أخطارها التى استطاعت أن تقضى على كثير من الحكومات والأنظمة ممن حافظوا على مقومات بلادهم وحالوا دون نفاذ اليهود إليها وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة وثائق كثيرة تكشف عن الصلح بين الماسونية والصهيونية من ناحية وبين الصهيونية والشيوعية من ناحية أخرى ، وقد سمى بعضهم بروتوكولات صهيون ـ الانجيل البلشفى ـ ونحن نعتبر أن الشيوعية والماركسية كلاهما خطر على العالم الإسلامى على درجة واحدة فى هذه المرحلة .

الفصل الثانى عشر

إعادة صياغة المجتمع الإسلامى

ما يزال المجتمع الإسلامى فى حاجة إلى التماس الأصالة بالتخلف من الزيوف المبهرجة والصور الساخرة والمكشوفة والعلامات المترفه التى تحاول أن تحطم تماسكه وقوته وأصالته وقدرته على الصمود فى وجه التيارات الزاحفة، أن أغراق المجتمع الإسلامى بصور الترف وأسبابه وعوامل الأغراء والأباحات ونظرية عبادة الأجساد والتمتع باللذات والأسراف فى حب الحياة كلها من العوامل التى ترمى إلى تدمير المجتمع الإسلامى بحيث يصبح عاجزا فى المرحلة الثانية عن مقاومة أى غزو يوجه إليه.

وهناك قوى كثيرة تعمل على تحقيق هذه الغاية حتى لا يستطيع المجتمع الإسلامى من أن يؤكد وجوده وقدرته على إنبعاث حضارته الإسلامية لتعطى الإنسانية زادها الجديد الذى تتطلع إليه.

هذه القوى تعمل على تغيير النمو الطبيعى للحضارة والمجتمع والتاريخ، وتفرض أعرافاً جديدة تمكنها من السيطرة وتحول دون وصول الأمة إلى الأصالة ومن ثم نجد تلك الأطروحات الغربية قائمة فى أفق المجتمع الإسلامى عن طريق مناهج التعليم والثقافة والصحافة، بما يحول بين المجتمع الإسلامى وأمتلاك إرادته الحرة، فى إقامة نظامه الإسلامى المنبعث من تراثه وقيمه وشريعته، ومازال هذه القوى تحول وتضع السدود والقيود ومن أخطر الدعوات المطروحة فى سبيل هدم المجتمعات الإسلامية:

(أولا) نشر المفهوم الربوى عن طريق أساليب خادعة تحت اسم الأقتصاد السياسى والتفرقة بين الربا والفائدة، ولاريب أن نشر الربا غاية أساسية فى هدم المجتمع الإسلامى ومن أجل تحقيق مصدر الدعوة إلى الأباحيات والقمار وعلب الليل وتنشر الدعوة إلى أفساد الأخلاق وتدمير المجتمعات وأشاعة

الانحلال الذى يمكن من دفع الناس إلى الانفاق فى بذخ واسراف وإلى الاقتراض والرهن وضياع الثروات وبعد اقراض تتم السيطرة على اقتصاديات الدول ، الأمم ومن أجل ذلك يشرف اليهود على إذاعة مفاهيم الوجودية والفرويدية ونظرية الفن للفن والإباحيات والكشف والجنس الذى تحفل به القصص والآداب الغربية والمترجم والمطروحة يقدر ضخم فى محيط الفكر الإسلامى اليوم .

(ثانياً) إفساد العلم ومنتجات الأرض وذلك عن طريق دفع المصانع إلى إنتاج الكماليات وأدوات الزينة والترف وعوامل الإفساد وتجارة المراقص والبغاء والمسارح والإباحيات بحيث تتقلص الثروات البشرية الحمامات العالمية ويقع العالم فى دائرة الأسراف وفقدان الثمرات ومن أجـــل ذلك انتشرت الدعوة إلى اللذات .

(ثالثاً) وحتى لايتمكن المجتمع الإسلامى من امتلاك اراته والسيطرة على مقدراته تقوم الدعوة اليوم إلى تحديد النسل بعد أن عقمت الأرحام فى الغرب بنتيجة اعراض المراة عن الرواج والولادة واسرافها فى اقتناص اللذات بعيدا عن روابط الأسرة ، ومن حيث بدات فى عالم الإسلام علامات التفوق البشرى الذى يراد القضاء علية بالدعوة إلى تحديد نسل المسلمين وحدهم بينما تعمل كل الوسائل والمغريات لزيادة نسل غير المسلمين .

(رابعا) الدعوة إلى محاربة الفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه دين ودولة والترويج لمفهوم باطل زأف هو مفهوم العلمانية الذى عرفه المجتمع المسيحى تحت ضغط ظروفه الخاصة وتأتى هذه الدعوة فى إطار قصور مفهوم المسلمين فى التفرقة بين المسيحية التى هى عبارة عن مجموعة وصايا وبين الإســـلام الذى يجمع بين العبادة وبناء علاقات المجتمع .

(خامساً) محاولة طرح مفهوم وحدة الآديان والغاء الفوارق بينها ومحاولة القضاء على مفهوم ذاتيه الإسلام الخاصة القائم على أنه دين التوحيد الخالص

الوحيد الآن فى الأرض كلها والذى يختلف عن تفسيرات الآديان المختلفة ، التى انحرفت عن مفهوم التوحيد .

(سادساً) محاولة القضاء على مفهوم الجهاد الاسلامى باشاعة مفهوم التسليم للعدو فى امتلاك جزء من الأرض الإسلامية ، وقد جاءت هذه الخطة على أثر حركات الجهاد الإسلامى التى حققت نتائج هامة مادفع القوى الأجنبية إلى طمس هذه التيارات ، ومن الضرورى على المجتمع الاسلامى ابقاء مفهوم الجهاد الإسلامى قائماً فى وجه القوى المضادة ليكون قادراً دائماً على القضاء على السيطرة الأجنبية .

(سابعاً) محاولة القضاء على مفهوم الإسلام للحضارة من حيث أنها تقوم على أطروحة جامعة بين الفردية والجماعية وعدم الاستعلاء بالعنصر أو الجنس أو اللون وأن تكون ثمرات العلم والحضارة للبشرية جميعها .

(٢)

ويبقى بعد ذلك على المسلمين أن يتعلموا من عبرة التاريخ البشرى وليس فى التاريخ البشرى الا تجربة واحدة مستمرة على مدى الأجيال تلك: هى الخضوع لله تبارك وتعالى أو الأعراض عنه فالمجتمعات التى قامت حضارتها واتسعت ونمت هى المجتمعات التى قامت على أساس الأذعان لإرادة الله تبارك وتعالى والإيمان به ، فإذا أعرضت المجتمعات اصابتها سنة الازالة والإبادة ، ومن ثم تحطمت الحضارات الباذخة واحدة بعد أخرى لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الحق إلى الترف والفساد والزنا والإباحة والبغاء ، هنالك كان هلاكها ، وهذه هى عبرة التاريخ قائمة بالحضارة التى يعيشها العالم اليوم ، فالمسلمون مطالبون بالتماس سنن الله الحق والسير فى طريقة المستقيم وتحرر مجتمعهم من العوامل الضاغطه التى تفرضها القوى الاستعمارية واليهودية والشيوعية لاحتواء عالم الإسلام والحيلولة دون تميزه وتفرده بذاتيته الخاصة ورسالته العالمية ، وبذلك يسقط فى اتون التيمية والاحتواء وينهار مع هذه الحضارة حين تنهار .

ولاريب أن الطريق الذى يسير فيه المسلمون الآن وهم محاصرون بالتيارات اليهودية التلمودية من حيث تجاهلهم إرادة الله تبارك وتعالى وانكار قدرته وعطائه واستسلامهم للنظريات المادية التى تتحدث عن الطبيعة وعن دورات الكون المنتظمة ، وكل هذا خطاء، فإن الصانع فى الحقيقة هو الله تبارك وتعالى وليس الطبيعة ، وإن هذه الدورات المنتظمة لاتقيم مفهوما جبريا فإن الله القادر على تنظيمها قادر على تحطيم نظامها وتحتبرطبيعتها متى شاء كيف شاء أنى شاء .

لقد دخلت على المسلمين منذ اتصلوا بالفكر الغربى أخطاء كثيرة ومفاهيم زائفة ، تسيطر الآن على مناهجهم الدراسية والتعليمية والثقافية وتحاول أن تحتوى مفاهيمهم الأصيلة القرآنية سواء فى مجال الإجتماع أو الاخلاق أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية فهم يعتمدون مقاييس الفلسفة المادية فى تقدير الامور ، وينسون مفهوم الإسلام الجامع بين المعنويات والماديات والذى يجعل للجوانب الروحية والمعنوية والنفسية قدرها الموازى بل السابق للتقادير المادية (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله) فالإسلام يرجح ميزان التقدير بالمعنويات إزاء الماديات الزائده فى الجانب الآخر .

ومن أخطاء المسلمين فى مقايس الأمور إعتماد التفسير المادى للتاريخ وتغليب الجانب الاقتصادى على الجوانب الروحية والمعنوية وينسون قدر العقيده الدينية فى ترجيح كفة الأمور .

وفى مجال الاقتصاد ينحرف المسلمون إلى مفاهيم الاقتصاد السياسى الذى وضعه الربيون أصحاب أمبراطورية الربا على أساس امتلاك السيطرة العالمية على مقدرات الامم والشعوب ، وهم يسلمون ثرواتهم ومقدراتهم لتخضع لتيارات عالمية ظالمة ، بينما يستطيعون أن يمتلكوا أرادتهم وثرواتهم ويحركوها فى مجتمعهم بارادتهم الذاتية ويحققون بها المفهوم الإسلامى للاقتصاد من حيث مقومات الانفاق والزكاة والوجهه الصحيحة للكسب الحلال .

أننا فى حاجة إلى إعاده صياغة المجتمع الإسلامى من جديد على طريق الاصالة والتماس المنابع الاسلامية بالعمل على :

أولا : العودة إلى فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثانياً : العودة إلى فريضة الجهاد

أن الاسلام لايواجه الواقع آيا كان ليقره أو يبرره ، وإنما يواجه الواقع ليزنه بميزان الله تبارك وتعالى فيقر منه ما كان على طريق الله ويعمل على أنشاء واقع جديد يتفق مع حدود الله لما إختلف عن الطريق .

الفصل الثالث عشر

دعوة إلى الأصالة التربوية والفقهية

طرحت القوى الأجنبية الوافدة على المجتمع الإسلامى أسلوبا جديدا للحياة وفرضت عليه مفاهيم جديدة فى مجال السياسة والاقتصاد والتربيه بعدأن كونت أجيالا من المتعلمين وفق مفهوم الديمقراطية الغربية ، بدأ هذه العملية رجال الاستعمار فى البلاد الغربية الذين اتصلوا بطلائع الشباب المثقف فاحتضنوهم ووجهوهم وجهتهم ، واقنعوهم بأن الأسلوب الوطنى المتقد بالحماسه المتطلع إلى اجلاء المستعمر وأخراجه من البلاد لن يحقق نتيجة ما ، وأن الإسلوب الصحيح هو قبول التعاون مع المستعمر الذى لايقصد الا تمدين البلاد كانما كانت هذه تعيش فى همجية قبل ذلك ولقد كان أحدهم كرومر) يعلن كل عام فى تقريره السنوى أن الاستعمار لن يخرج إلا بعد أن يكون ركائز من أبناء البلاد يحملون رسالته قبل أن يرحل وقد امضى لورد كرومر ربع قرن كامل وهو دائب على تحقيق هذه الرسالة ، ولم يفكر فى مغادرة البلاد إلا بعد أن وضع بدائل على الصحافة والثقافة والتعليم كانت أشد إيمانا بدعوته وأشد ولاء للنفوذ الاجنبى من المستعمر نفسه .

هذه هى قصة الأخطار التى تواجه الأمم فى الحقيقة ، وهى تكمن فى تغيير نظام المجتمع من ناحية بحجب الشريعة الإسلامية والنظم الاسلامية وفرض نظم وآفدة وقانونا اجنبيا وضعيا لايعترف بالاعراض ولا بالاخلاق ولا يحفظ للامه كرامتها أو للمجتمع روحه وهو فى نفس الوقت قد حرف أسلوب التعليم فصرفه عن الإسلام والقرآن وفرض عليه طابعا لادينيا لايستهدف إلا تخريج أصحاب ولاء

الحضارة الغربية وأعجاب بابطال الغرب وتنكر واحتقار للتاريخ الإسلامي واللغة العربية .

وبالرغم من أن الاجيال الجديدة التي نشأت في ظل النفوذ الأجنبي لم تتعرف إلى خصائص الأمة الإسلامية ولا فيما إلا في القليل الذي عرفته عن طريق الاسرة، أو عن طريق بعض الدعاة وائمة المساجد فإن المجتمع الإسلامي قد رفض تلك الأفكار الوافدة التي طرحتها الأنظمة الاستعمارية من رأسمالية ولبرالية وديمقراطية وماركسية ووجد أنها لا تستجيب لفطرته ولا تعطيه مطامحه النفسية ولا الروحية وبذلك افلست تجربة الديمقراطيين ثم افلست من بعدها تجربة الماركسيين ، وكان معنى هذا أن الروح الإسلامية العميقة الكامنة في الأعماق قد استجاشت وتطلعت إلى الأصالة . نعم : أن حركة التيقظة الاسلامية لم تلبث أن برزت من خلال هذه التيارات الالحادية والاباحية والمادية التي فرضتها المدرسة الحديثة والتي كانت تتصدر الصحف والندوات والجامعات ، ولم تكن حركة اليقظة تملك إلا الجهد اليسير في مواجهة هذه القوى العاتية ولكنها استطاعت أن تنتصر عليها وأن تواجهها وتديل منها .

لقد كان هدف النفوذ الاستعماري هو القضاء على هوية هذه الأمة وذاتيتها الخاصة ، وكان يرى أن ذلك هو وحدة الذى يمكن الغاصب من إلامة السيطرة وبالرغم من أن الامه كانت مكبلة بالنفوذ الاجنبي المسيطر عسكريا وسياسيا فان روح الاسلام القوية النافذة استطاعت أن تبرز وأن تقاوم .

ولكن التبعة ثقيلة والمسئولية مازلت ضخمة فان هذا النفوذ الاجنبي المسيطر قد أقام واقعا فعلا وأقام أعرافا وهو مازال يدفع الاوضاع على الطريق الممهد ومازال قواه تعمل من رراء ستار شفاف : هو ستار المناهج الدراسية والابحاث الثقافية والمسرح وقد حقق أكبر هدف سياسى وهو تمزيق وحده المسلمين وأقام القوميات والاقليات التي ترى أنها حدوداً طبيعية وقد أقامت لها تاريخا وكيانا بحيث يكرن من العسير إعادتها إلى الوحدة الطبيعية .

وعندما قاومت البــلاد الاحتلال والنفوذ الاجنبي وكانت تتطلع من ورائه إلى امتلاك إرادتها، كانت القوى الغاصبة تخطط لنفوذ مشترك، من صهيونية إلى ماركسية إلى غزو فكرى يعمل على تغريب الامة نفسها عن أصولها وقيمها، على النحو الذى حدث فى تركيا وإيران ثم كانت المعركة مع الصهيونية هى أكبر المعارك وأشدها وأعقدها، وهى معركة لاتكتفى بالسيطرة على أرض فلسطين ومقدسات المسلمين فى القدس وانما تجرى المعركة من جوانب أخرى عديدة وخطيرة تستهدف تمزيق الوحدة الإسلامية، وإيقاع الخلف بين العرب والمسلمين وبين الاقطار العربية نفسها وبين الطوائف المختلفة والاقليات، وأثارة الوان الصراع بين الامة الواحدة التى تجمعها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهى حرب منظمة تقوم بها منظمات تبشيرية واستشراقية وشعوبية موجهة أساسا ضد الإسلام الذى هو الجامع الوحيد لهذه الامة، والمصدر الاساسى لوحدتها وقوتها وقدرتها على المقاومة وحل مشاكلها وإعادة مجتمعها إلى طريق الرشد والعدل وتتمثل هذه الحرب فى مواجهة كل مايمثله العرب والعروبة كواقع تاريخى فى مواجهة الصهيونية. ويتمثل فى الجملة على شكل مايحمله العرب والمسلمون من عقيدة وخلق وشمائل وتاريخ فالصهيونية تحمل لواء الحملة على العروبة وعلى تاريخ إبرهيم وتحاول تزييف مفهوم الارتباط الإسلامى بين حنيفية إبرهيم وتوحيد محمد وتزييف أوضاع اليهودية والمسيحية فى هذا الاطار.

وهى حرب موجهة إلى مفهوم أهل السنة والجماعة وعلاقة بالفكر الصوفى والباطنى والشيعى والإعتزال، ومحاولة الدعوة إلى فهم التراث الإسلامى على أنه اعتزال أو تصوف واحياء مفاهيم الغرب والقرامطة وغيرهم وأشاعة مفاهيم الحلول ووحدة الوجود.

وهناك الدعوات المسمومة المنبعثة من مذاهب الماسونية والبهائية والقاديانية وهى دعوات تحاول أنكار البعث والجزاء والجنة والنار، وتدعو إلى سقوط

التكليف واحياء نظريات الفيض والاشراق والاتحاد والحلول ودعاوى الروحية الحديثة وتحضير الارواح .

وهى تهدف إلى افساد مفهوم الاسلام الاصيل الجامع ، القائم على التوحيد الخالص ، إلى دعوات تفصل الدين عن المجتمع ، وتطرح مفاهيم القومية الضيقة والاقليمية والشيوعية والقانون الوضعى ، والدعوة إلى العالمية والاممية، وإلى طرح للنظرية المادية المنكرة لوجود الخالق تبارك وتعالى والدعوة إلى التحلل والاباحية والحرية الدينية والاخلاقية .

وبالرغم من أن كل هذه الدعوات قد سقطت ، وتكشف زيفها ، ودحضت حركة اليقظة الاسلامية مخططاتها فانها ماتزال تتجدد ، وتغير أسلوبها مرة بعد مرة لتحاول إخضاع أجيال جديدة فما أحوج المسلمين اليوم إلى التماس مفهوم الإسلام الاصيل القائم على التمييز الواضح فى أسلوب العيش بين المسلمين وبين الغرب ، فالمسلمون يملكون منهجا تربويا أصيلا قد نشأت فى ظله أجيال وأجيال ، أجيال كانت قادرة على حمل الامانة وحماية الزمار وبناء الحضارة الاسلامية التى عرفها العالم بالعدل والرحمه وأعلاء شأن الاخاء الإنسانى فلماذا نخضع المسلمون لمناهج تربوية وافدة ثبت فشلها فى بيئاتها التى انشأتها ، وهى مناهج علمانية لاتعترف بالاخلاق ولا بوجود الله الخالق .

والمسلمون يمتلكون منهجا ربانياً فى السياسة والاقتصاد والإجتماع يمتاز عن الايدلوجيات الوافدة بالعدل والتكامل ما أحوجهم إلى تطبيقه وأعلانه للبشرية كلها لتجد فيه ضالتها التى افتقدتها خلال قرون طويلة .

واليوم تنعقد فى مختلف اجزاء العالم الاسلامى مؤتمرات تحمل الدعوة إلى الاصالة فى مجال التربية ، والاصالة فى مجال الفقة ، والاصالة فى مجال الوحدة الاسلامية، ذلك أن أخطر ما أدخله الاستعمار هو القانون الوضعى بأنظمته وقضاته

والتعليم بمدارس ومناهجة ، هذه هى التى قطعت رتيبة وحده الفكر الاسلامى ، ولذلك قد تعالت الصيحة بالانطلاق مرة أخرى من تشريع اسلامى أصيل ومراجعة التشريعات التى كانت فى عهد الحماية التى سنها نظامها لحماية مصالح الاستعمار التى كانت قوانينه أبعد ما تكون عن ذاتيتنا وتاريخنا وعقيدتنا ، بل لقد كان وضعها له (كما يقول عبد الكريم بن جلون) يرمى اساسا إلى محو مقوماتنا الأصيلة بالتدريج عن طريق نسخ النظام القانونى البلاد ، وأن الخطر المنتشر فى مجتمعنا الذى يتجرع نفس القلق كذلك من تصدع واقعنا الثقافى الناتج عن التعليم المحدث بنفس التشويه والتضليل للقيام مقام اللغة العربية وثقافتها بدعوى تخلفها عن ملائمة ضروريات الحياة المعاصرة والعلم الحديث ، وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه المناهج الفاسدة التى تخـلى فريق من المواطنين الشباب عن التراث القومى والاستسلام للثقافة الأجنبية والتقليد الاعمى إلى حد انصهار فى حضارة الفاتحين بدون قيد أو شرط .

ومن أهم مايوجة إليه العمل تلك المدارس التى أنشأتها السلطة الاستعمارية وورثها التغريبيبوب العلمانيون اتباع ديوى وغيره ، هذه التى درست للشباب المسلم القوانين الوآفدة وأهملت الفقة الإسلامى المعمول به إلا فى مسائل معينة كالأحوال الشخصية وأصبح كل رجال القانون تقريبا يجهلون أحكام الشريعة ومقاصدها . وأن هذا الجهل التى يفسر النصوص الفقهية عند تطبقها حسب تأويل تمليه فى ذلك مناهج القوانين الوضيعة ويرى رجال القـانون المسلمون اليوم : أن دعوة الأصالة الفقهية هى فى الحقيقة دعوة إلى تصحيح أوضاع لم يبق أمرها قابلا للمماطلة والتسويف وتناد إلى استرجاع حق مسلوب .

فالاصطلاح المستعمل الآن عند الـكلام على الاصالة يجرى بمعنى الالتزام بالاستقلال الذاتى دون أن يقصد بهذا المعنى الشذوذ والاعتزال .

كذلك فإن دعوة الأصـالة تضىء الفهم الصحيح للدين ورسالته الشاملة

للحياة واصالة الروح الإسلامية الحقيقية فى النفوس وحملها على استكشاف ذاتها وتعلقها بالأصول وترويضها على رفض كل سيطرة أجنبية تفرض سلطتها بالقوة أو ثقافتها عن طريق الحيلة والاستدراج ، حيث أن مبادىء الإسلام لاترضى للمؤمن أن يكون ذيلا لغيره فى أفكاره وسلوكه .

فمعرفة الذات وفهم الواقع هما واجب الفكر الإسلامى المعاصر .

الفصل الرابع عشر

لابد من عودة منهج التربية الإسلامية الأصيل

على طريق الأخطار التى تواجه الامم يجب أن يتجه البحث حول القضايا المصيرية :وأهمها هذا الواقع الذى يعيشه المجتمع الإسلامى فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى . هل نقبل واقع المجتمع المضطرب الآن ونبرره أم ندعوه إلى تصحيحه فى ضوء مفهوم الإسلام الصحيح ، أننا نطالب المجتمع الاسلامى باعادة النظر فى تشكيله بالعزائم لا بالرخص ، فى مجالات كثيرة ، فى مجالات المعاملات الاقتصادية مع سيطرة الربا ، وفى عمل المراة ، وفى مسألة الفنون والأضحاك والتسلية . كل هذه الأمور فى حاجة إلى معرفة رأى الاسلام فيها والتزامة . أننا نتطلع إلى تشكيل أعراف المجتمع الإسلامى من جديد بحيث ترفض الزيف المادى الأباحى الذى تقدم الأطروحات الوافدة فى مجال الازياء والفنون وبحيث تطرح النظام الغربى بيقين واعتقاد وباعتراف أن هناك جزاء أخروى ومسئولية أخلاقه وفردية أن هناك محاولة مستمرة للقضاء على الفطرة النقية التى جاءت الاسلام متجاوبا معها ، وفرض أعراف وافدة معارضه للفطرة تدفع الإنسان إلى الانحياز إلى الشهوات والغواية والأهواء لينهار كيانه الخاص ولينهار الكيان الإجتماعى نفسه بينما يدعوه مفهوم الإسلام إلى حماية نفسه ومجتمه وراء ضوابط وحدود ومقومات عليه أن يقف عندها ولا يتعداها .

ولا يتأتى تصحيح مسيرة المجتمع إلا بتعديل مناهج التعليم وإعلاء منهج التربية الإسلامى على منهج التعليم الوافد .

ذلك لأن الغربيين قد صاغوا منهج التربية وفق معتقداتهم وأخلاقهم وآدابهم فهى لاتصلح لنا أصلا ولابد أن تعود الامة الإسلامية إلى نظرتها القرآنية الإسلامية المستمدة من عقيدتها وكتابها فتجعل ولائها للإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، ولقد بين الكثير من الباحثين فى السنوات الاخيرة «أن ما يدرسه الطلاب المعدين ليكونوا معلمين من علوم تربوية ، إنما هى اراء ترجمت أو اقتبست من أقطار

غربية أو شرقية وهى نادراً ما تخدم واقعنا التربوى أو ثقافتنا الإسلامية المعاصرة.
وفى هذا تقول دكتور الرحمن النقيب : أن مايحدث فى معاهدنا وكلياتنا من قطع الطلاب عن حضارتهم وثقافتهم الإسلامية وشغلهم بالكامل بفكر تربوى وافد قد ترجم أو نقل أو إقتبس من الغـــير ليمثل جناية على شخصية هذه الأمة ممثلة فى الأعتداء الكامل على شخصية أهم عنصر من عناصر تلك الأمة وهو المعلم فالمعلم (العربى) يتخرج من كليات التربية وقدعرف عن التربية اليونانية والرومانية والعصور الوسطى المسيحية والعصور الحديثة مالا يعرفه عن التربية الاسلامية من عصورها الزاهرة ومن عصور انحطاطها . أن أعداد المعلم تربويا بصورته الحالية لايعده فى الواقع ليكون معلما فى مجتمع مسلم ، يعتز بفكرة التربوى وتراثه الاسلامى وانتمائه إلى أمه إسلامية واحدة ، إنما يعدة ليكون عبدا مردداً للفكر الوافد بدون نقد لهذا الفكر أو تمحيص لمبادئه النظرية وتطبيقاته العملية دون أن يمد نظره إلى مايحدث فى الدول الإسلامية .

« أن العلوم التربوية التى تلقى إلى طلابنا على أنها حقائق علمية إنما هى فى الواقع مجرد نظريات أو تأملات أو آراء خاصة بمجتمعات أخرى ودراسة هذه العلوم لاتسهم فى معظمها إلا فى تنمية الشعور بالتبعية الثقافية » .

(٢) فاذا ذهبنا نستقصى واقع النظرية التربوية الوافدة وجودنا أن أخطر ماتتسم به هذه النظرية هو انفصالها وأنشطارها ، أى أنها تفصل بين الدين والخلق وبين العلم والإيمان وأنها تنادى بفلسفة مؤداها « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وهى نظريه جائرة تمثل أتجاها قديما فى التفكير ويمكن أن تتعرف على أصولها فى فكر الجاهلية الغربية كما يقول السيد محمد القاضى الذى يرى أن الذين ينظرون إلى أمور التعليم على المستوى العالمى يهولهم أنه قد أفرغ من كل مضمون دينى أو إيمانى أو قيمى وأنه أنحاز بكليته إلى الدنيا وإلى المادة ، وهذه هى المحنة التى تورطت فيها البشرية .

ومن هنا فقد تبين للسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى فساد هذه النظرية الوافدة ومن ثم فان عليهم أن يتخلصوا منها وأن يعودوا إلى مفهومهم الأصيل

فى التربية ، وأن يعودوا إلى منهجهم الربانى الذى يتفرد عن سائر النظريات والاجتهادات بالاصالة والشمول .

ونحن نجد أن النظرية التربوية الغربية قد افسدت كل المجالات حتى مجال دراسة الشريعة الإسلامية حيث فرضت دراسة القانون الوضعى ، وفى مجال الاقتصاد فرضت دراسة الاقتصاد السياسى وهو العلم الذى وضعه أصحاب امبراطورية الربا لفرض مذهبهم المعارض للاسلام على البشرية كلها .

وهكذا فان النظرية الوافدة فى التعليم والتربية قد افقدت الشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها وتكاملها وغرست فيها روح التبعية والانقسام، ويرى الدكتور أسحق أحمد فرحان أنه بالرغم من أن الاستعمار قد ذهب فإن مواريثه لاتزال قائمة فى البلاد الاسلامية يحرسها إتباع له ، وعلى الرغم من حصول الكثير من البلدان الاسلامية على الاستقلال إلا أنها ما زالت تتوارث النظم التربوية التى وضعت فى عهد المستعمر ولذلك فلابد من إعادة الصياغة لمناهج التعليم والتربية وفق مفهوم الإسلام فاسرائيل عند احتلالها لفلسطين حرصت على تغيير مناهج الكتب المدرسية حتى لا يبقى فيها ما يدعو الناشئة إلى الجهاد والبذل والتضحية أو الانتماء لهذه الأرض المقدسة مع التأكيد على تصويرهم بأنهم غزاة قساة لاحق لهم فى أرض ولا وطن .

وما فعلته إسرائيل هو ما فعله من قبل اللورد كرومر والقس دنلوب فى مصر وما فعله كثير من رجال الاستعمار فى الغرب وفى كل مكان بالعالم الإسلامى ، وماتزال هى دعوى قوى جديدة كاليونسكو ووحدة الحضارة العالمية التى هى مفاهيم الماسونية القديمة مجددة فى صور أخرى وكلها ترمى إلى إذابة مفهوم الجهاد الاسلامى فى دعوات مضللة تحمل طابع الاستسلام والأذعان للقوى الأجنبية المحيطة والمسيطرة على اجزاء من العالم الإسلامى .

وفى هذا يقرر (دون ناظر) : أن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بوجود إسرائيل ولا بسيطرة اليهود على المنطقة إلا إذا تعرضوا لعملية إعادة تعليم

(أى غسيل مخ) وكل ما حدث فى هذا المجال للأمة لا يكفى ، تغير عقائدهم الراسخة ، وتمحو من تراثهم وسلوكهم وكتبهم المدرسية وتفكيرهم كل الاقطار المعادية لليهود ، أى أن اليهود يعدون على جعل عملية اعادة التعليم من البنود الملزمةفى أى تسوية مع العرب .

ونحن فى مواجهة هذه المحاولات الخطيرة التى تحاولها الصهيونيةوتحاولها النفوذ الغربى وتحاولها الماركسية على اختلاف الجهات الاسلامية المتأثرةبهذا الفكرأوذاك نجد أنه لاسبيل إلى الخروج من الأزمة الا بتربيةجيل جديد مسلم ،تربية إسلامية هى طريقة الخلاص لهذه الأمة مما تعانى وهذه هى الخطوة الإساسية لتطبيق النظام الإسلامى .

هذه التربية الإسلامية التى توازن بين الفرد والجماعة وتعنى بالنظرية والواقع وتعتمد العقل والوجدان معا ، والروح والمادة فى آن وبعد أن تكشفت النتائج الخطيرة لتطبيق المناهج التربوى الوافدة التى تشوبها روح الشك والارتياب فى الدين والاستخفاف بفرائضه وواجباته والاستهانة بالآداب والأخلاق والاهتمام بالظواهر والقشور .

وابرز ما تعنى به التربية الاسلامية هى تربية روح « الرقابة الذاتية » (ولا نقول الضميرفهى كلمة وافدة ليس لها أساس فى الفكر الإسلامى) من داخل الفرد وتنمية حسه الدينى . ومسئوليته المباشرة أمام الله عز وجل بالتقوى فيكون حارسا أمينا للنظام الذى آمن به .

فالإسلام يعرف الانسان بنفسه ويبصره بمقوماته ويطلعه على حقيقته الماديه وحقيقته الروحية ويولى الاهتمام بأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتغيير الباطل فقد أكد الإسلام على تثبيت الحق والقيم الصحيحة .

ويقوم بناء التربية الاسلامى على بناء القدوة فى الأسرة (الوالدين) فالرجل هو الذى يصنع زوجته ثم يصنع أولاده وقدوة الوالد أعظم من قدوة المدرس

وأمام المسجد ، وعلى المسلمين أن يكونوا أنفسهم وأولادكم ولاينتظروا أن يكونهم أحد ، وعلى الرجال أن يكونوا أولادهم وزوجاتهم .

وعليهم تحصين الشباب من الغزو الفكرى والمطبوعات المتحللة .

ولابد أن يكون رب البيت مستقيما ، يحافظ على عمله ويقوم مبكراً ولا يرى متهاونا ولا يترك أمر أولاده لحظة ، وعليه أن يسألهم عن أمورهم ساعة بعد ساعة ويهدى لهم التوجيه الكريم ، ذلك أن الفجوة التى تنشىء إنما مصدرها تقصير الآباء وتفريط الأبناء ومن صلاح الولد أن يحاط بمجموعة صالحة ولابد من تحصين الشباب أمام التيارات الفاسدة ، ولابد من كشف الشبهات عن الحضارة المتحللة والأخطار المحيطة بالأمة الإسلامية .

الباب السادس

بناء المجتمع الإسلامى الجديد

الفصل الأول : المجتمع الإسلامى والحضارة الغربية المنهارة

الفصل الثانى : العودة إلى منهج السنه والجماعة

الفصل الثالث : بناء الشباب المسلم وفق منهج الإسلام

الفصل الرابع : الطفل المسلم

الفصل الخامس : فجر جديد لعلم إجتماع إسلامى

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي . والحضارة الغربية المنهارة

(مازال المجتمع الإسلامي كالكيان الحي قادراً على رفض الجسم الغريب)

مر المجتمع الإسلامي فى مواجهة الحضارة الغربية بمراحل ثلاث : مرحلة الانهيار ومرحلة التقليد ومرحلة التحفظ : هذه المرحلة التي نعيشها الآن والتي ستحقق فى النهاية التماس الأصالة والرشد الفكرى وإعادة بناء الحضارة الإسلامية التي توقفت عن العطاء خلال القرون الثلاثة الماضية تحت تأثير النفوذ الأجنبي الذى سيطر على العالم الإسلامي وحجبها عن التماس وسائل الحركة فى اتجاه الإنماء العلمى والتكنولوجى ، فضلا عن تلك المحاولة التى فرض بها النفوذ الأجنبى الحيلولة بين المسلمين وبين بناء الصناعة والقوة ليظلوا مستهلكين وتظل بلادهم مورداً للخامات ومصدراً لبيع المصنعات الغربية .

ولقد تعالت صيحات دعاة التغريب منذ وقت بعيد بالدعوة إلى حضارة عالمية واحدة تكون الحضارة الإسلامية جزءاً منها وقد عارض المسلمون هذا المفهوم معارضة حاسمة وكشفوا عن أن فى العالم حضارتان هما حضارة التوحيد وحضارة الوثنية وأن حضارة الغرب القائمة الآن إنما هى امتداد لحضارة الغرب اليونانية والرومانية بعد توقف استمر ألف عام وبأسلحة إسلامية نتيجة إمتلاكهم مفاهيم (المنهج الإسلامي العلمى التجريبى) الذى وصل إلى أوربا عن طريق جامعات المسلمين فى الأندلس . غير أن الغرب اصطنع أساليب المنهج التجريبى الإسلامي دون أن يقبل أصوله الفكرية والاجتماعية وصهر تلك المفاهيم فى إطار النظرية المادية الوثنية اليونانية ومن ثم نشأت هذه الحضارة الغربية المعاصرة فى هذا الاطار أما حضارة الإسلام التى قامت ببزوغ فجر الاسلام فقد تشكلت وفق مفاهيم التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى وتحرير العقل الإنسانى من الوثنية وتحرير الانسان من العبودية ، وقد استفادت هذه الحضارة من

تراث البشرية القديم كله فراجعته وكشفت عن زيوفه وإنحرافاته واستطاعت أن تاخذ منه العناصر الايجابية الصالحة لتشكلها وتصهرها فى دائرة الفكر الإسلامى فى صورة مختلفة كل الاختلاف عن مفاهيم الحضارات القديمة وفى خلال ألف سنة كاملة قدمت الحضارة الاسلامية للبشرية عطائها الوافر الخصب فى مرحلة أطلق عليها اسم (العصور الوسطى المظلمة) التى كانت قاصرة على أوربا بينما كانت أضواء الحضارة الاسلامية تغمر هذا الكوكب من حدود الصين إلى حدود نهر اللوار.

غير أن « دورة التاريخ » لم تلبث أن لحقت بالحضارة الاسلامية فتوقفت عن العطاء بينما بلغت الحضارة الغربية ذروة العطاء المادى مع عجز واسع عن العطاء النفسى والروحى والمعنوى ، ومن ثم فقد آفاق المسلمون بعد فترة من الأغفاء على تخلف واضح إزاء غزو غربى كاسح لبلاد المسلمين لم يحمل معه إلا الجوانب السلبية من حضارته فى مجالات الاباحية والتحلل والترف والمظاهر المادية الاستهلاكية فخدعت أجيالا من المسلمين ثمة ، ثم لم يلبث المسلمون أن انتقلوا إلى مرحلة التقليد حتى جاءت صدمات (الهزيمة والنكسة والنكبة) لتفتح عقول المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة واضحة : هى أن أسلوب العيش الغربى ليس صالحا تماما ليكون أسلوبا للحياة فى المجتمع الإسلامى وأن على المسلمين أن يلتمسو منهجهم القرآنى الأصيل.

كذلك فقد كشفت الحضارة الغربية عن إنحرافها وفسادها وعوامل انهيارها التى استطاعت أن تخفف من مظاهر الانبهار والتبعية ورأينا أعلامها من مفكرى الغرب يكشفون عن عجز الحضارة الغربية عن العطاء فى مجتمعها الذى شكلها فكيف بها فى مجتمع يختلف من حيث العقيدة والفكر والذاتية الخاصة وهو مجتمع له حضارته الخاصة وأسلوبه المتميز أصلا : ذلك هو المجتمع الاسلامى.

يقول الدكتور الكس كاريل : فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » أن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا . لقد انشئت

دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم . أن أهم سمات هذه الحضارة : أن المادية البربرية التي تتسم بها حضارتنا لاتقاوم السمو العقلي فحسب ، بل إنها أيضا تسحق الشخص العاطفي واللطيف والعفيف وأولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن أشياء أخرى غير المال . ويقول عن سبب انحراف الحضارة ومصيرها : يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الواقع هو عكس ذلك فهو يرغب فى العالم الذى ابتدعه . إنه لم يستطع أن ينظم (بناء بنفسه) لأنه لايملك معرفة عملية بطبيعته ، ومن ثم فان التقدم الهائل الذى احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هى احدى الكوارث التى عانت منها الإنسانية فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة ، إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا .

أن الجماعات والأمم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هى على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة فى الضعف والتى ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عوده غيرها إليها ولكنها لاتدرك ذلك ، إذ ليس هناك مايحميها من الظروف العدائية التى شيدها العلم حولها . وحقيقة الأمر أن مدينتنا مثل المدينات التى سبقتها أوجدت أصولا معينة للحياة عن شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة لأسباب لاتزال غامضة .

(٢)

ويقول جيرالد هيرد فى كتابه القيم الخلقية الثالثة : أن الغرب تعس ومتخلف بتحكيمه القانون العلمى فى كل شيء حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم مادام كل شيء ماكينه فكل شيء لاهدف له ولا أخلاق له ، ولاقيم له . كل مايملك الغرب هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر .

ويقول باحث آخر . أن تبعية الحضارة الحديثة لاخلاقية الحضارة الرومانية واليونانية فى عبادة الجنس فقد اسلمتها بمرور القرون إلى حياة الاباحية وتحطيم

الضوابط التى لابد منها فى توجيه الطاقة الجنسية إلى بناء الحياة لاتدميرها وقدعمق هذا الاتجاه عوامل كثيرة من أهمها موقف مفكرى الكنيسة الأوائل من الجنس واعتباره خطيئة وقذارة يجب السامى عليها دون مراعاة لحقيقة وجود الدوافع الجنسية فى الإنسان علمهم بذلك يخففون نزعة عبادة الجنس فى الشعوب الأوربية التى ورثتها عن الحضارة السابقة بحثت أدى على العكس وولد رد الفعل العنيف وذلك لعدم قدرة الإنسان على قتل غرائزه نتيجة الصراع العنيف فى داخل النفس الإنسانية ، انفجر الكبت الجماعى فى صورة إباحية مستوره أحيانا متسربلة بسرابيل التدين الظاهرى وغلبته واضحه احيانا أخرى ومنها تخطيط اليهودية العالمية فى العصور الأخيرة لتقويض المجتمع الغربى المسيحى من الداخل وتفجيره جنسياً .

وقد وجه جارودى فى كتابه « من أجل حوار مع الحضارات » نقدا لاذعا إلى الحضارة الغربية المعاصرة التى انبهر بمظاهرها الملايين من المسلمين وأعلن أن سيادة هذه الحضارة أنما يمثل أعظم كارثة فى تاريخ الإنسانية .

ويقول عن « عصر النهضة » : أن هذا العصر كالم يكن كما يصوره الأوربيون قمة الحضارة التى أعطت أرقى القيم الإنسانية بها ، أنها بداية احلك فترة فى تاريخ الإنسانية ، إذ بدأت معها فترة الاستعمار الاقتصادى والسياسى فى العالم ، عندما بدأ الرجل الأبيض فى نهب الموارد الأولية من القارات الأخرى لتشييد بناءه الاقتصادى ثم استمر إلى اليوم فى عملية الاستنزاف الاقتصادى .

وينتقد الحضارة الغربية يسبب تحطيمها القيم الانسانية فيقول : أن الحضارة الأوربية التى بنيت على فلسفة (فاوست) والتى جعلت من الإنسان الغربى مجرد آله للإنتاج والاستهلاك تسير دون هدف ولهذا السبب فإن الحضارة الغربية ستقود الإنسان إلى هلاك محتم إلا إذا خرج الرجل الأبيض من جهله ومن غروره وعطرسته وتفتح على الحضارة العريقة الأخرى .

ويقول : أن الإنسان الذى انتجته الحضارة الغربية يسير بلا هدف كالآتى : انتاجه واستهلاكه . وهدفه الوحيد هو أن ينتج أكثر فأكثر ، ويطلق على ذلك النمو (الاقتصادى) وجعل من كمية هذا النمو الاقتصادى المقياس الوحيد الذى يفرق بين دولة متحضرة ودولة متأخرة . »

(٣)

فاذا ذهبنا نستعرض وقائع الحضارة الغربية نجد صوراً قائمة غاية القتامة وإليك هذه الصورة : الصحف ١٩٧٣/٢/٢٠ = أعلن الدكتور لويس هيلمان مخطط الأسرة الأمريكية : أن العقم الذى يقصد به تحديد النسل يتزايد الأقبال عليه فى امريكا بسرعة مذهلة وأن ٢٠ فى المائة من الازواج والزوجات الأمريكان سوف يصبحون عقماء بحلول عام ١٩٨٥ وذكر أن حركة تعقيم الرجال والنساء فى مدن الساحلين الشرقى والغربى قائمة على قدم وساق ولكنها تسير ببطء فى الولآيات الوسطى وفى الجنوب ، وقد اجريت عملية مسح فى (سان فرانسسكو) أوضحت أن ٢٦ فى المائة من الأزواج والزوجات الذين طلبوا تعقيمهم قد عقموا بالفعل والأمهات اللواتى بلغن سن ٣٢ قد أعلن اسرهن بما يكفى من الأولاد والبنات وبقى لهن ١٥ سنة تقريبا من الخصوبة والأنجاب وانهن يضقن ذرعا بتناول حبوب منع الحمل وتخشين آثار نسيان تناول الحبة يوما ويؤمن بأن التعقيم مضمون جدا ، وقد بدأ تعقيم النساء فى أمريكا منذ ست سنوات ، أما تعقيم الرجال فقد بدأ ينتشر انتشاراً سريعا منذ أربع سنوات، هذا وقد اثبت علماء جامعة فلوريدا الأمريكية انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل الأمريكى واثبتت الدراسات المتعددة انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل بوجة عام فى الدول الصناعية . ،

(٤)

هذه بعض مظاهر الحضارة الغربية التى تحاول القوى الأجنبية طرح مفاهيمها فى أفق المجتمعات الإسلامية حتى تنهار بها وتدمرها ، فهل تقبـــل المجتمعات الإسلامية هذا الأحتواء وهذا الأنصهار فى بوتقة حضارة توشك على الغرق والانهيار .

أن هذه الحضارة التى تمر بمرحلة الأنهيار والدمار تنكشف عن مجموعة من الحقائق لاسبيل إلى تجاهلها :

أولا . عجزها عن إعطاء السكينة لقلب الإنسان بعد أن هزت أعماق الثقة والطمأنينة النفسية بالغطاء المادى الذى وصل فى بعض الأقطار الأوربية إلى درجة عالية مما أدى إلى ظهور موجه عاصفة من الانتحار والتمزق النفسى ويرجع ذلك إلى أغفال الجوانب الروحية والنفسية والخلقية التى هى جزء أساسى من طبيعة الإنسان وأن فى أغفالها تدمير لشخصية الإنسان من الداخل .

ثانياً : معاداتها للفطرة الإنسانية وانها أهدرت خصائص الإنسان كجنس وفرد ونوع ، وذلك أنها بدأت فى ظروف جعلتها تنفر من الدين بل عادته وحاربته ولذلك كانت المادية إقصى سمات الحضارة المعاصرة ولم يكن للقـــيم الإنسانية بمفهومها الشامل مكان فيها .

ثالثا : أن الخطأ الفادح الذى وقعت فيه الحضارة المعاصرة هو عزل العلم عن القيم ومازال هذا الخطأ قائما ومازال العلماء فى الشرق والغرب لايرون للقيم سلطان عليهم أو مدخلا فى معاملهم .

رابعا : لم تعد تملك الحضارة الغربية حل أزمتها الخانقة ، وذلك يعود إلى عقم التربة التى تقف فوقها وفساد الهواء الذى يكتنفها وهى تقفز كالمحبوس من النقيض إلى النقيض إلى أن وجدت أغرب حل حين اقترح (الدوس هكسلى) تعميم المخدر وجعله فى متناول الجميع كالمشروبات الروحية والتبغ ، فهى تؤمن بالقوة أكثر من إيمانها بالحق ويخلى ذلك فى إرادتها السيطرة على الشعوب وتسخير جنس من البشر لخدمة جنس آخر ، وعدم إيمانها بالقانون الأخلاقى للبشرية وإنما لمعاملة ابناء جنسها .

(٤)

أن البشرية اليوم فى أشد الحاجة إلى عقيدة تنقذها مما هى فيه فقد أفلست كل النظم الوضعية التى سادت فى العصر الحاضر فلم تستطع أن تكفل للناس حياة الســـلام والاستقرار ، وقد دخلت الحضارة الغربية مرحلة المحاق ولم يعد فى استطاعتها أن تعطى شيئا إيجابياً . أنها تعطى الآن القلق والتمزق وأزمات التدمير

الإجتماعى والخلقى وأن الأمل معلق بالقوة القادرة على منح الإنسان مطامحه الروحية إلى جانب المعطيات المادية ، وأن المعطيات المادية نفسها لم ولن تكون قادرة على اسعادة ، هذه القوة القادرة هى الإسلام الذى يقدم للبشريه نموذجا مختلفا يقوم على أخلاقية العمل الذى هو حجر البناء الأول للحضارة القادرة ، فاذا فقدت الحضارة هذا الأساس فانها مهما تطل بها الحياة ستظل الملايين القائمة بها مدمرة منهارة ولذلك فان الخطأ الأكبر الذى يجب أن يتحرر منه المسلمون هو الاستسلام للنمط الغربى ونسيان الهوية الإسلامية وفقدان الأصالة القائمة على التوحيد . أن الهدف من الغزو التغريبى القائم من القوى الثلاث : النفوذ الأجنبى والشيوعية والصهيونية هو أن ينصهر المجتمع الإسلامى فى بوتقة الأممية وبذلك تضيع ذاتيته الخاصة ويصبح جزءاً من القطيع الضال . أن الأنماط الحضارية الإجتماعية التى يراد إحتوائنا فى داخلهاهى إنماط فاسده مدمرة . ولذلك فنحن نطالب بالعودة إلى المنابع ولشجب أسلوب العيش الغربى .

أن اكتشافنا للعبة الاستعمار الرامية إلى تجريدنا من مصدر القوة فى نفوسنا وتحطيم إيماننا بقدراتنا الذاتية على التطور وقدره حضارتنا على العطاء،هو الذى يدفعنا الآن إلى الاعتماد على ذواتنا . أن منهج الإسلام هو المنهج الوحيد القادر على بناء الحضارة الإنسانية الأصيلة ، ليس للمسلمين وحدهم بل للبشرية كلها .

أن المجتمع الإسلامى مازال الكيان الحى قادراً على رفض الجسم الغريب ..

الفصل الثانى

العودة إلى منهج السنة والجماعة

يواجه المسلمون اليوم موقفا شبيها بموقف المسلمين فى القرن الثالث الهجرى ابان ترجمة فلسفات اليونان وذلك الركام الضخم من الفكر الغنوصى القديم ، وما اتصل بفكر المانوية والمزدكية والبوذية والباطنية والاشراق فقد تراكمت هذه النظريات القديمة المرتبطة أساسا بالوثنية والتعدد والمتصلة بمـــا دخل على الدينيين السابقين للاسلام (اليهودية والمسيحية) من مفاهيم الأديان القديمة كالاشراق ووحدة الوجود والحلول والاتحاد والدهرية والتناسخ والتثليث — تراكمت وزحفت على مفهوم الإسلام السمح المضىء البعيد عن التعقيد فاصابته بتلك الاثار التى ظهرت على اقلام الفلاسفة المسلمين (الكندى والفارابى وابن سينا) والمتصوفة (ابن عربى والحلاج وابن سبعين) وعلماء الكلام بل الشعراء والأدباء أمثال بشار وأبى نواس فى مجال الأباحة والمعرى وأبى العتاهية (فى مجال الشك) واليوم يمر المسلمون بنفس القضية بصورة أخرى وعلى نسق مختلف ولكنه يصدر من نفس المصدر ، فقد توالت — منذ وقع المسلمون فى أسر النفوذ الأجنبى — ترجمات فلسفية يونانية وغربية حملت معها رياح السموم شـــكوكا وشبهات واطروحات تتصل بالأديان والعقائد والفلسفات التى تعيشها هذه الأمم وماكان للمسلمين من صلة بها .

ويعيش مفكرو الاسلام ودعاته منذ سنوات طويلة على نفس ماعاش عليه علماء المسلمين ومفكريهم إذ ذاك يدحضون هذه الشبهات ويكشفون زيف هذه المعطيات ويبينون للمسلمين مدى الفوارق العميقة بين ما طرحته هذه الفلسفات وما يتصل بالمسلمين الذين يملكون منهجا مختلفا ، وعقيدة متباينة ، هى فى ذاتها بعيدة عن التعقيد والاضطراب وليست فى حاجة إلى أدوات الفلسفة والمنطق

فهى بطبيعتها سمحة يسيرة ، نابعة من مفهوم التوحيد الخالص الذى لايحتاج إلى محاولات واسعة كما تحتاج المادية أو مفاهيم التعدد و التثليث و الشرك و أنكار الخالق .

وكما دارت هذه المعركة طويلا واشتركت فيها إجيال عديده فكذلك تدور المعركة الآن وتشترك فيها أجيال لأنها فى كل جيل تطرح شبهات جديدة وقضايا جديدة تصدر عن تحولات الفكر الفلسفى الغربى و تنقلاته من مذهبى الفردية والجماعية كما عرفه أرسطو وأفلاطون وكما تعرفه اليوم مذاهب الليبرالية والاشتراكية وبين ذلك مطروحات أخرى من الداروينية والفرويدية والماركسية ، وغيرها وإذا كان العامل الوحيد الذى التمسه المسلمون واعتصموا به فى الماضى هو مفهوم أهل السنة والجماعة فانه مازال العاصم الوحيد الذى يجب أن نلتمسه اليوم وتعتصم به فهو الميزان الصحيح لقياس كل ما تطرحه المذاهب اليوم من خلال الفلسفة أو العلم أو التصوف .

فمنذ اليوم الأول لظهور هذه الدعوات عن طريق مترجمات الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية فقد تصدى لها أهل السنة وقاوموها مقاومة اضخمة واجهت مفاهيمها وردت عليها ونقضت شبهاتها وكشفت عن أنها حركة مادية ، وانها مؤامرة خارجة ترمى إلى هدم المجتمع الإسلامى والدولة الإسلامية عن طريق مفهوم التوحيد نفسه ، وأنها وثيقة الصلة بالحركات الهدامة التى ترمى إلى إحتواء عالم الإسلام وقد تبين أن هناك معاهدات وعقود بين دولة الروم وبين هذه القوى وكشف الباحثون أن الذين وضعوا أساس الشعوبية والباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مأيلين إلى دين اسلافهم وقد حرص أهل السنه على تعقب الملحدين والكشف عنهم كما عارضوا اخضاع الإسلام للجدل العقلى ودعوا إلى الأخذ من المعين الأول والمنبع الأصيل : « القرآن والسنة » وكشفوا زيف آلهيات أرسطو ورفضوها لأن مقدماتها ونتائجها كانت متعارضة اشد التعارض مع مفهوم التوحيد الخالص ونحن نجد الآن أن دعاة المذاهب الشعوبية جميعا ليسوا من المسلمين .

(١) تحديات النزعة العقلية :

ووقف العلماء المسلمون موقفا حاسما إزاء النزعة العقلية التى دافع عنها المعتزله ، فقد انكر أهل السنة اخضاع المعتزله العقيـــدة الإسلامية للعقل والتأويل العقلى للآيات القرآنية ، إيمانا منهم بان الإســـلام ليس عقلانيا ولا وجدانيا خالصا وإنما هو منهج جامع وأن الأنحراف نحو العقلانية بأسرافها واستعلائها يحول العقيدة الاسلامية السمحة إلى مذهب فلسفى عميق ومعقد ويبتعد بها عن روح الإسلام وعن أسلوب النبى ﷺ فقد إنصرف أهل السنة عن البحث فى مسائل الصفات والذات الألهية والقياس وقالوا أن صحابة النبى ﷺ آمنوا دون قياس أو مجادلة .

أما تحكيم العقل فقد كشفوا عن محاذيره ، فالعقل ليس واحداً فى الناس والعقل دون أن يستمد ضوءه من الوحى لايمكن أن يستقيم فالعقل ليس حكما على (ماوراء الطبيعة) أو فى شان الله تبارك وتعالى والقضاء والقدر وليس حكما فيما جاء به الشرع (العبادات والمعاملات) والعقل عاجز عن ادراك ما وراء الحس .

وقد أثارت حركة التغريب والشعوبية اليوم هذه القضية مرة أخرى وظهر من يدافع عنها ويروج لها ، وهناك محاولات لفرض العقلانية على مفاهيم الإسلام . والإيمان والعبادات ، يروجه لهذا عقليون وفلاسفة ومتكلمون وقد ترر ابن تيمية أن منهاج السلف ليس واحداً من هؤلاء بل هو غيرها ، لأن العقائد لاتؤخذ إلا من النصوص ولاتؤخذ ادلتها إلا من النصوص ، وليس للعقل سلطان فى تأويل القرآن وتفسيره وتخريجه إلا بالقدر الذى تؤدى إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار ، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو فى التصديق والأذعان وبيان تقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهمافالعقل يكون شاهداً ولايكون حاكما ويكون مقررا ولايكون ناقضا ولارافضا ويكون موضحا لما اشتمل عليه القرآن من الادلة .

(٢) تحديات الفلسفة :

وكما وقفت هذه المدرسة أمام العقلانية وقفت أمام الفلسفة والفلاسفة (الكندى والفارابى وابن سينا) الذين حاولوا الربط بين العقيدة الإسلامية والفلسفة اليونانية فاضطربت بهم المسالك وعجزوا عن تحقيق هذه الوحدة لاختلاف المصادر والأسس، وقد عد هؤلاء الفلاسفة ومن تابعهم من المشائين اليونانيين لمتابعتهم قضايا الفلسفة اليونانية التى كانت تسمى علم الأصنام والتى تعارض التوحيد الخالص الذى هو السمة الأساسية للإسلام.

وقد كان وقف الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمة وابن حزم موقفا حاسما ازاء إزدهار الفلسفة الباطنية وفى مواجهة من بهرتهم قشور الفلسفة اليونانية وأوهام أرسطو وأفلاطون وردوا على الشبهات وعادوا إلى التماس المفهوم الأصيل.

ولقد كان أبرز سموم التيار الفلسفى أنكار النبوات واحتقار الأخلاق وازدراء الحدود والانحراف عن طوابع الإيمان الخالص، وبانتشار الفلسفة اليونانية انتشر الكفر والالحاد وغلب الميل إلى الاباحيه والانحلال.

وظهرت «المدرسة القرآنية الأصيلة» التى تعتمد على الكتاب والسنة فتأخذ من القرآن أصل العقيدة والدليل الذى تقوم عليه العقيدة.

وقد مررنا فى العصر الحديث بهذا الدور فقد ظهرت المدرسة الكلامية والفلسفية ممثلة فى جمال الدين ومحمد عبده وأقبال وغيرهم، وقد أدت دورها فى مواجهة أخطار الفلسفة الغربية ومفاهيمها الوثنية والمادية، ثم تبين عدم كفاية هذا المنهج، ومن ثم ظهرت المدرسة القرآنية الأصيلة فى إهاب حركة اليقظة الإسلامية.

وقد أعلنت مدرسة أهل السنة والجماعة أن النظر الفلسفى الخالص لا يمكن أن يكون أساسا للفكر الإسلامى وأنة لا يمكن الوصول إلى الحقائق الأولية إلا عن طريق الوحى، وأن الفلسفة ليست قرينة الوحى ولا مناظرة له، فهى

لاتزيد عن كونها استخداما للعقل وتفكيرا منظما يمكن أن يستخدم الناس فى الدين أو فى أى موضوع آخر ، وهى فى أحسن صورها تعمل على أن تعصم الذهن من الخطأ فى الاستنباط والبرهان اللذين يمكن لمادتها الاساسية فيما يخص الدين أن تأمن طريق الوحى .

وقد قاوم زعماء السنة الفلسفة اليونانية وقاموا إنحرافات المعتزلة وقاوموا إنحرافات الصوفية فى القول بوحدة الوجود والحلول والاتحادوحاولوا أمتصاص كل مافى النظر العقلى والنظر الوجدانى فى دائرة مفهوم السنة والجماعة .

وقد نجحت حركة (الأنبعاث السنى) كما يطلق عليها بعض المؤرخين فى استئصال الباطنية وتحطمت مفاهيمها بصوغ عقائد سنية فى رسائل حاسمة ، وكانت الباطنية محاولة لتدمير الإسلام ولتشويه جوهره القائم على الغاء الوساطة بين الله والإنسان والدعوة إلى إسقاط التكليف وكان للشريعة الإسلامية أثرها فى إعادة بناء المؤسسات الأخلاقية والإجتماعية وقامت مفاهيم أهل السنة والجماعة على إقامة الوحدة الفكرية والاخلاقية تثبيت الدعائم الإساسية وقبول الاختلاف فى الفروع ، ومن أهميتها الجمع بين روح التصوف وروح الاعتزال فى إطار واحد جامع هو الوجدانية والعقلانية معا وهو مفهوم الإسلام الأصيل ، وذلك حفاظا على وحدة الجماعة وصهرا لمقوماتها فى تكامل جامع بعيدا عن انحرافات المعتزلة والباطنية والصوفية الفلسفية التى انهارت .

يقول ابن قيم الجوزية فى « شفاء العليل » وأهل السنة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، لا مع الأشاعرة أو الرافضة أو الشيعة أو غيرها . بل هم مع هـــؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفه من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم . فمذهبهم حق جميع الطوائف بعضه إلى بعض ، القول به ونصره وموالاه أهله فى ذلك الوجه ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهل من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لايقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلا بباطل ولايحملهم شنئان قوم على إلا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون فى مقالاتهم بالعدل » .

(٣) وكما نشأت فكرة التعطيل عن طريق التأويل وتصدى لها الأئمة من سلف الأمة بالكشف عن ضلالها وانحرافها نجد اليوم جماعة المعطلة الذين يثبطون الهمم . ويعارضون تطبيق نصوص الشريعة بدعاوى باطلة كقولهم باعداد الأمة ، أو أن مفهوم الإسلام دين ودولة ليس وارداً وأن الإسلام ليس إلا هذه العبادات من الصلاة والصوم ودخول المساجد وليس هو كذلك قطعا .

ونحن نعرف أن نشأة التأويل فى الجولة السابقة قد اعتبرت أصل الفتنة فى تعطيل النصوص والتجاوز بها عن معانيها التى وضعت لها لغة وشرعا إلى معانى وراء مدخوله تتحملها الباطنية والغنوصية ومن إليهما من الجمعيات السرية التى كانت ترمى إلى هــــدم الشريعة وإضلال معتقديها وبلبلة ما إستفز فى قلوبهم وامتزج بنفوسهم من عقائد واضحة لاليس فيها ولاشائبة .

وكذلك . رد أحمد بن حنبل على المشككين فىالقرآن حين يأخذون منه آيات معنية مقطوعه عن سياقها وعن جملة القرآن ويدعون أنها متناقصةمع آيات أخرى وقد أخذوا بعض المتشابه من القرآن وضلوا به واضلوا .

وأعلن أن الأعتماد فى تفسير القرآن يكون على القرآن نفسه مع الاعتماد على أصول اللغة العربية ومواصفاتها وعلى لســـان العرب وقانونه فى مخاطبتهم ومحاورتهم ، بتلك اللغة التى لم يكن هؤلاء على معرفة بها وإلا على أطلاع على أسرارها أطلاع ابن حنبل عليها وعلى كل ما يتصل بها من مواصفات الشرع والفاظه واستعمالاتها .

كل هذه التيارات تحتاج إلى النظر والمراجعة اليوم فى المقارنة بين الأزمة التى واجهها الفكر الإسلامى بعد ترجمه الفكر اليونانى والفارسى والهندى ، وبين الأزمة التى يواجهها اليوم بعد ترجمة الفكر الغربىالليبرالىوالاشتراكىوما يتصل بهما من مدارس فى علم النفس والإجتماع . كل هذا يدعونا إلى التماس مفهوم أهل السنة والجماعة فانه هو الطريق الوحيد لحماية الإسلام من التبعية والاحتواء والأنصهار فى الفكر العالمى والأممى .

الفصل الثالث

بناء الشباب المسلم

وفق منهج التربية الإسلامية هو منطلق المد الإسلامي
في القرن الخامس عشرة الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم : نقول وبالله التوفيق .

أن قضية التربية فى المجتمع الإسلامى المعاصر على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى هى أخطر القضايا وأهم التحديات التى تواجه المسلمين والتى يتوقف على موقفهم منها أهم ما يمكن أن يتحقق لهم ،فقد كانت التربية من أكبر التحديات التى واجهت مجتمعهم فى القرن الرابع عشر باشد الأخطار حين استسلم المسلمون بالتبعية لاساليب التربية الغربية وخضعوا لها وانحسر مفهوم التربية الإسلامية بمضامينه الأخلاقية والروحية والمعنوية ، عن حياتهم ومجتمعاتهم فاستشرت فيهم نزعة النظرة المادية المغرقة والمقاييس المادية والمطامع والأهواء .

لقد كان المسلمون يعيشون قبل الغزو الاستعمارى فى مجتمعات تطبق فيها الشريعة الإسلامية وتقوم بناء الأفراد والجماعات على أساس القرآن والسنةويتشأ الشباب والفتيات المسلمات فى أطار معرفة الله تبارك وتعالى ومهما كانت حالة التربية فى عالم الإسلام قبل الغزو الاستعمارى فانها كانت مؤهله للتجددو الانبعاث على طريق الله بعد أن ارتفع صوت دعوة التوحيد فى الجزيرة العربية والأزهر ومناطق أخرى فى عالم الإسلام ، فلما جاء النفوذ الأجنبى قضى على كل هذا وحجب هذه الصورة ، وفرض أسلوبا جديدا وافدآ على تربية الأجيال وبناء الشباب وأصبحت المدرسة فى عالم الإسلام علمانية خالصة لاتعنى باللغة العربيةولا بالقرآن

ولا بتاريخ الإسلام ومن ثم تكونت الأجيال على مفهوم غامض مضطرب فلم تورث ذلك الإيمان الصادق بالتميز الإسلامى الواضح عن الأجنبي ولا بالقدرة الغيورة على حماية الثغور والتمسك بالذاتية الإسلامية فى مضامينها الحقيقية التى كانت تؤهلها لنشر الإسلام فى العالمين وقد صاحب ذلك حجب تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية على نحـــو أسلمهم للقانون الوضعى وللربا وللانطلاق الاجتماعى فى مجال العلاقات بين الرجل والمراة على نحو ضعفت فيه الغيرة والحمية وحماية العرض وتعالت صيحات الفنون المستوردة والمسرح والرقص والغناء الخليع ومن هنا كانت التربية الإسلامية هى المنطلق الحقيقى لبناء المجتمع الإسلامى الجديد فى القرن الخامس عشر بعد أن انتهت تلك التجربة المريرة بالهزيمة والنكبة والنكسة .

وقد كشف أسلوب النقل والاقتباس والتبعية لمناهج التربية الغربية عن نتائج خطيرة أخرت سير حركة اليقظة الإسلامية وحالت دون قدرة المسلمين على أمتلاك ارادتهم وإقامة مجتمعهم الربانى سنوات طويلة واليوم والمسلمون بين تلك التحديات الثلاث المنبعثة من النفوذ الغربى والصهيونية والماركسية على اجزاء من العالم الإسلامى كرأس جسر لتغريب هذه الأمة وحجبها عن منهجها القرآنى الأصيل والحيلولة بينها وبين امتداد مكانها الصحيح الذى تؤهله لها مقدراتها وحجمها ومكانها الاستراتيجى وتفوقها البشرى وأمتلاكها للثروة فضلا عن تاريخها الحافل وتراثها الضخم ودورها الواضح فى بناء الحضارة الحديثة حين قدمت المنهج العلمى التجريبى الذى يقوم عليه التقدم المعاصر كله ، نقول أن المسلمين اليوم فى مواجهة هذه التحديات يجب أن يكونوا قادرين على أمتلاك ارادتهم فى بناء منهج التربية الإسلامى وتطبيقه فى مجتمعاتهم .

ولقد أولى الإسلام الطفولة اهتماما واضحا وكبيرا حين فرض على الآباء حسن إختبار الزوجات وحسن إختبار الأسماء واعداد الأبناء لاجيالهم ، وتنشئتهم على الخلق والمودة والإيمان بالله .

ولقد كانت العلاقة بين الآباء والأبناء على مدى تاريخ الإسلام هى علاقة التوجيه والرعاية وإضاءة التاريخ أمام الأبناء وتقديم التجربة التى احرزها الآباء لهم دون أن يفرض عليهم الاختيار فى الأمور ، وكان الأبناء يؤمنون بهذا الدور الذى يقوم به الآباء ويطالبون به مستفيدين بتجربة الآباء ، وعالمين بأن بناء الغد لايتم إلا على « الأساس » الذى قدمه الآباء ناظرين إلى تجربة الأجيال السالفة بعين الإسلام نفسه ، فاذا كانت صالحة بنوا عليها وإذا كانت غير ذلك التمسوا الأصالة والمتابعة الحقيقية المستمدة من جوهر الإسلام .

ولم تنشأ هذه المفاهيم التى تتحدث عن عقوق الأبناء أو استخلاء الآباء إلا فى ظل مفاهيم التربية الوافدة ولم تتسرب تلك العبارات المسمومة إلا من مفاهيم فرويد ودوركايم وديوى وغيرهم ، هؤلاء الذين ضللوا شبابنا بالحديث عن حرية الأبناء فى اختيار الطرق ، دون دليل أو معين أو دون خبره ، وماذا تكون الطريق أمام الشباب الغض الذى يفتح عينيه للنـــور لأول مرة ، إلا مضطربة ، وما تكون خطواته عليها إلا واهنه ، ولذلك فقد كان حقا واجبا ملزما على الآباء أن يرعو هذا الخطو وأن يقدموا تجربتهم ، وأن يحموا هذا النبتة حتى تنموا ، هذه الابوه الرحيمة المتابعة لامور الأبناء ساعة بعد ساعة بالرحمة والحب والمؤاخاه ، ودون أى قدر من التقصير ، أو الغلطه أو التجاهل ، لقد كانت التربية فى نطاق الجو الغريب الذى عاشت فيه الأجيال غير اسلامية ، فهى لم تستوف ذلك الحق من المتابعة والاحسان والتعاطف وتقديم المشورة ، هذه الأبوة الحانية المتفقة الموجهة التى تعقد صـــلات الود والحب مع ابنائها فتزيد من نفوسهم الخوف وتخلق فيها الثقة ، وتدفع عنهم متاعب المراهقة بالسماحة والتبشير ودفع الشباب بالإيمان والرعاية على احتياز الخطر .

ذلك هو فهم الإسلام الحقيقى للعلاقة بين الآباء والأبناء ، أما تلك الصورة التى نراها الآن فى مجتمعاتنا فهى ليست صورة أصيلة .

ولقد كان الآباء المسلمون آية فى الرحمه والحب والوفاء وحماية النبت بالحنان حتى ينمو ، فخلق ذلك فى قلوب الأبناء إعجابا وتقديرا ووفاء للآباء وللمدرسين والموجهين ، أما الآن فان ذلك كله يختفى تحت صور باهة فالأب مشغول عن ابنائه بملذاته واهوائه ، والمدرس لايؤدى حق التربية الحقة ، والأبن معرض للضياع لأنه لايجد من يثق به ، فكيف يبنى على بناء الآباء وكيف يكتشف النافع من الضار كذلك فان التربية الإسلامية فى شأن الفتاة تختلف اختلافا نوعيا ، فالفتاة يجب أن تصنع على أنها أم المستقبل وحامية الأسرة ومكونه الأجيال وراعية الزوج وأن كل تعليم لها لايحقق هذه الغاية أولا فهو تعليم غير نافع ولقد كان للسلمين تعليمات : تعليم للفتى وتعليم للفتاة ، يؤهل كل منهما لوظيفته ولعمله ، وبناء والأجيال مقدم على كل أعمال المرأة ، ولايجوز أن تضحى الامة باجيالها الجديدة من أجل عمل للمرأة لايحقق عائداً الا بمفاهيم الماديات وهى مفاهيم ضالة ، وتتاح عمل المرأة العاملة كله لاشيء ونحن نعرف أن عمل المرأة « مؤامرة » يراد بها هدم الأسرة أساسا وتخريج هذه الأجيال الجديدة مدمرة محرومة من الحنان والعناية والتوجيه الاموى والابوى الدائم المستمر المتلاحقه يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ولما كان الإنسان مادة وروح ، فان الاصول الثوابت فى بناءه قائمة ، على مدى العصور واختلاف البيئات ، ولايعتز اختلاف الازمة فى القيم الثوابت كالحلال والحرام والخير والشر ، أما المتغيرات التى تجرى عليها المجتمعات بالانحراف فانها لاتقيم القيم ، ولكن يطلب إلى المجتمعات أن تعود إلى مناهج الاصالة .

ولايسيطع الإســـلام أن يقبل التأويل أو التحويل فى قيمه الاساسية من أجل ارضاء انحرافات المجتمعلت او فساد الحضارة على النحو الذى نراه الآن فى المجتمعات الغربية وما كدنا نقع نحن فيه فى مجتمعاتنا .

أن الأساليب التربوية الوافدة التى يقدمها الغرب هى أساليبه ومفاهيمه المستمدة من عقيدته وثقافية وعاداته ، فعليه أن يطبقها كما يشاء ، أما نحن فلنا

عقيدتنا وثقافتنا وقيمنا التى إنبنى عليها مجتمعنا منذ أربع عشرة قرنا فلا سبيل لنا إلى قبول غيرها وعندما قبلنا غيرها فى مرحلة الاضطراب حين فرضت علينا لتفوذ الغرب فنحن نرى الآن نتائج الانحراف والأزمة والاضطراب التى وقع فيها مجتمعنا والتى لن ترفع إلا إذا عدنا مرة أخرى إلى الأصالة والمنابع الأولى.

وبالجملة فان القيم الأساسية للتربية فى الغرب ماخوذة من مفكرى الإسلام ولكنها انصهرت فى مجتمعات تقوم على الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى القديم، ولذلك فقد إنحرفت وانصهرت ولم تعد تصلح لنا إذا التمسناها مرة أخرى، ونحن مطالبون بان نشكل ابنائنا على تربية إسلامية أصيلة قبل أن نبعث بهم للتعليم فى الغرب.

وآية الخلاف بين منهج التربية الإسلامية ومنهج التربية الغربية اننا نعتبر الإنسان روحا ومادة ونؤمن بالعقل والقلب ونتصرف على أن الدنيا والآخرة مرتبطتان. أما فى الغرب فالحياة مادة والإنسان حيوان والدنيا هى آخر المطاف ومن هنا تختلف الأصول باختلاف الغايات.

أن المسلمين اليوم وبعد أن مرت بهم التجربة كاملة (نكبة ونكسة وهزيمة) نتيجة الاستسلام لمناهج الغرب التربيوية، ونظامه الاقتصادى والإجتماعى، يرون أن الطريق الصحيح هو منهج الإسلام والمسلمون اليوم يتجهون نحو تحقيق قيام المجتمع الإسلامى فى بلادهم فاذا صدقت العزيمة فان هناك ما يسمونه (تعليم المعلمين وتربية الآباء) وذلك باعداد الأجيال القائمة على بناء الأجيال الجديدة على الرحمة والحب والموالاة ومن ثم لاتصبح بين الأجيال فجوة ويقوم «التقاء الأجيال» بدلا من صراع الأجيال الذى لم يكن يوما من الأيام مفهوما اسلاميا.

واعتقد أن بلاداً كثيرة فى العالم الإسلامى اليوم تتجه نحو تطبيق منهج التربية الإسلامية ، أما اعداد هذا المنهج فقد تم فعلا وقدم كثير من أعلام الفكر الإسلامى وحركة اليقظة دراسات ضافية فى هذا الشأن من أهمها ماكتبه الأستاذ المودودى والشيخ أبو الحسن الندوى والأستاذ حسن البنا وعشرات من الباحثين الإعلام الملتزمين .

الفصل الرابع

الطفل المسلم

بين قصص الجنس والجريمة فى الكتاب والشاشة

تتصاعد اليوم فى العالم الإسلامى صيحات مدوية تحاول أن تصف الفكر الإسلامى بالتقصير فى توجيه الطفل المسلم وتحاول أن تسد هذا الفراغ بأن تقدم فكرا وايدا ملونا فى مجموعات زاهية براقة من القصص الخرافية والأساطير والأشباح والجريمة لتسد هذا الفراغ المدعى فى مجال الفكر الإسلامى .

وهــذه الصيحة فى حقيقتها لاتخرج عن المخططات التلمودية التى رسمتها بروتوكولات صهيون والتى نفذت بدقة فى أوربا وأمريكا لاحتواء الطفل الغربى (كاثوليكيا وبروتستنتيا) ليكون اداة طيعه لتقبل مفاهيم التربية الحديثة التى غرسها ديوى ومكدوجل وغيرهم وهى التربية التى ترفض رفضا باتا توجيه الطفل أو تقديم الاستشاره له أو تعليمه معرفة ربه أو دينة او تهديه إلى أسلوب الخير الذى جاءت به رسالات السماء .

ولاريب أن الصيحة لاحتواء الطفل العالمى قد بدأت منذ سنوات قليلة فى نطاق المخطط الذى يقوم به الصهيونية العالمية لتنفيذ مخططها بالسيطرة على العالم عام ١٩٩٢ أى بعد عشر سنوات من الآن ولقد بدأت هذه الخطة متعجلة مدفوعة إلى عشرات من الأعمال فى وقت واحد من بينها تقديم الجنس نفسه إلى الأطفال وتقديم موسوعات كاملة عن الأعضاء الجنسية وعمليات الالتقاء بين الرجل والمرأة وتقديم الفكاهات والنكات المتبذله المتداولة حول هذه العمليات وذلك لتعويد الطفل منذ أيامه الباكرة على النظر إلى هذه المسألة نظرة طبيعية

وبذلك تختفى تماما من مفاهيمه روح العرض والشرف والكرامة والغيرة والحفاظ على مالا يجوز كشفه من أدوات الجسم ، وبدأ أن المخطط يعارض تماما كل ماتدعو الآديان إلى الاحتفاظ به » ومنذ بدأ هذا التيار المسموم الذى حمل لواء الدعوة إلى تقديم نظام جديد يركز على الطفل بدأت تتدفق على المكتبات فى الغرب وأنهار من الكتب عن عالم الطفل، وقد ركزت هذه المؤلفات على أمور أساسية: هى الجنس والعنف والعرى وسرعان ما وصلت هذه المؤلفات إلى بلاد الإسلام وترجمت وقدمت فى طبعات ملونة على ورق فاخر ، واستهدفت البلاد المتعددة وهى كلها تمجد المغامرة والعنف والاستغلال والتحرر من الحدود والضوابط وقد كان هناك تقدير واضح لنوع الكتب التى تقدم إلى المسلمين والعرب وهى كتب تعلى من شأن بطولة الرجل الغربى من أمثال (طارزان) الرجل الأوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار والتى تصور الغرب فى صورة البطولة الخارقة بالنسبة للمسلمين والعرب الذين يعيشون فى الاكواخ والفقر، وكذلك صورة (جيمس بوند) رجل المؤامرات الذى لا يتحلى بفضيلة ما لأن الغاية عنده تبرر الواسطة ، وهو يحمل بغرور القوة وغرور الثراء وهناك عشرات القصص الأخرى التى ترجمت وقدمها عملاء التغريب ودعاته فى بلادنا العربية ونشرتها المكتبات المشهورة وهى قصص تحمل جرائيم الانحلال والرزيلة لأنها ترجمت عن كتاب غربيون أباحيون وتباع بأسعار زهيدة وقد صاحب هذا التيار الذى يبلغ الآن ذروته فى البلاد العربية مجموعة أخرى من أفلام العنف والجريمة يقدمها التليفزيون فى الأوقات التى يكون فيها الأطفال مستيقظون ومنتبهون إلى متابعتها .

ومن هنا فنحن حين نخضع لهذا التيار التلمودى المفروض إنما نحقق هدف التغريب والغزو الثقافى وهو ما يضاد ما ترمى إليه التربية الإسلامية من حماية الطفل من الخوف وتأمينه النفسى وذلك من حيث لاندرى حين ندفع الطفل إلى الخوف فتدمر أمنه النفسى .

وقد كشفت الأبحاث العلمية عن مدى خطر القصص التى تحمل صورة البطل الخارق للطبيعة (السوبرمان) وتقول الدراسات أن هذه الشخصيات لها مضمون واحد يدور حول محور واحد هو أن الحياة فى أى مجتمع تقوم على الانسجام بين أفراده وأنما تقوم على تحدى المجموعة بعمل غير عادى ، يذهل الجميع ويبهرهم وتهدف إلى تحقيق ذاتية الفرد باخضاع الجماعة له والحقيقة أن البطل الخارق للطبيعة غول يجب أبادته وحماية الأطفال من تأثيره السيء على نفسياتهم ، وأغلب مبتكرى هذه الشخصيات يهود ، وظفتهم الأوساط الصهيونية لاشاعة هذه السموم .

أما بالنسبة لمعرفة أثر أفلام العنف والجريمة على الأطفال وهم يشاهدونها على شاشة التليفزيون فقد ألتقى أكبر علماء النفس فى العالم مع خبراء الشاشة الصغيرة فى مؤتمر أقيم فى فنلندا وكان أثر أفلام العنف على الأطفال واحدة من أهم المشاكل التى درسها خبراء هذا المؤتمر ، وقدم أحد خبراء علم النفس والإجتماع خلاصة تجربته فقال : أنه جمع مجموعة من الأطفال الذين يتراوح أعمارهم مابين أربع أعوام وخمسة أعوام وعرض منهم بعض أفلام الجريمة التى يعتدى فيها أبطال الفيلم على شخصية مهرج السرك ثم نقل هؤلاء الأطفال إلى قاعة جمع فيها بعض الألعاب ونموذجا لمهرج السرك وقبل أن يغلق باب القاعة ضم إلى هؤلاء مجموعة أخرى لم تشاهد الافلام التى عرضها عليهم ومن مكان ما وقف يراقب تصرفات الاطفال وهم ينظرون إلى نموذج المهرج من بعيد والبعض الآخر اعتدوا عليه بالفعل كما شاهدوا وتبين من ذلك قاعدة أن الاطفال ميالون بطبعهم إلى التقليد وانهم حسب البيئة التى نشأو فيها فاذا تربوا على العنف نشأوا عليه .

كذلك فان الخطر من مثل هذه القصص والأفلام أنها كتبت على نحو يرمى إلى تصغير الامم فى نفوس أطفالها وتكبير الأمم الغازية .

ولعل أخطر مافى هذه الغزوة التى يراد بها تدمير الأجيال المسلم الجديدة هو تقديم قصص الخرافات والأساطير ومفاهيم السحر والمجون والاباحية من خلال المؤلفات التافهة .

ولاريب أن هذه المحاولات جميعا تحول بيننا وبين تشكيل أطفالنا تشكيلا اسلاميا وفقاً لمفاهيم الإسلام وتعاليمه .

يقول باحث تربوى مسلم :

فليس «العنف» من القيم التى نحرص عليها فى تربية أطفالنا، كما أن المغامرة أيضا ليست من القيم التى يجب أن ينشأ عليها الأطفال ولو تأملنا الشخصيات التى أخترعها الغرب، مثل شخصية (ميكى ماوس) أو شخصية البحار (آكل البسلة) لاكتشفنا أنها شخصيات مثيرة ولكنها تخلو من أى مضمون روحى أو إخلاقى إسلامى وذيوع هذه الشخصيات فى عالمنا الإسلامى مع عدم وجود منافسة حقيقية تعنى إننا نترك مهمة تسلية أطفالنا وتثقيفهم على عاتق الشرق والغرب ولاتقوم بدور أساسى فى ذلك ، مع أن الأهتمام بأدب الأطفال فريضة دينية ومن المدهش أن الغرب يهتم بالكتب الدينية للأطفال يرسمها بالالوان والتصوير وهذا يقتضينا (حراسة عقل الطفل المسلم) عن طريق تقديم قصص لا يقل مستواها فى الكتابة والطباعة والرسم عن قصص الغرب والشرق وليس هناك أعظم من قصص القرآن ، وعلينا أن نقدم لهذا العمل جماعة الأبرار المخلصين الفاهمين للغايات العليا المقدرين للاخطار التى تتناوش ابنائنا (ومع الأسف فان المتصدرين للكتابة للطفل اليوم بعد أن مات جيل (كامل كيلانى، وبراتق وسعيد العريان) لا يقدرون المسئولية وأما مسلم لا يحمل مفهوما صحيحا للإسلام وأما من اتباع المذاهب الإباحية والملحدة) ولما كانت الكتابة للطفل أصعب من الكتابة لعالم الكبار لأنه هو العالم الذى تذوب فيه الحواجز بين الواقع والخيال والذى يلعب الخيال دوره العظيم فان كتاب أدب الطفل يجب أن يكونوا من أصدق الناس إيمانا بالدعوة الإسلامية .

ومن المحاذير والأخطار فى كتابة القصص تلك المضامين التى تتضمنها هذه القصص والأسلوب الذى يكتب به والمستوى اللغوى والسن يقول الأستاذ على الحديدى : أنه يجب تقدير مدى الضرر الذى يقع على الأطفال ما دون السادسة، إذا ما أحتوت قصصهم مواقف الفزع والخوف وحوادث الرعب كقصص الجن والعفاريت والمردة والغيلان وما فيها من تعذيب وقتل الأطفال وسجنهم فى

الظلام دون طعام أو شراب أو مواقف السحرة ومسخهم الإنسان إلى حجارة وحيوانات أو الموضوعات الشريرة كقتل الإنسان والأطفال وطبخهم طعاما يؤكل ، فهم يصدقون ما يقال ، ومن ثم تتشكل عندهم مفاهيم فاسدة عن السحر والجنيات والأساطير ويعيشون حياتهم فى خوف ورعب شديدين .

وأخطر من ذلك كتب القصص التى تمجد الجريمة والمجرمين ، والخارجين على القانون وعلى نظام الأسرة والمجتمع ، وتصوير القتل والنهب والجنس بصور بطولية مبهرة تفتن الأطفال فيعشقونها ثم تدفعهم إلى التهور بتقليدها والقيام بمغامرات حمقاء .

ويقول : أن كتب المخاطر والمغامرات كتبت لتمجيد الرجـــل الأبيض وحضارته ومعتقداته ولترفعه إلى مصاف المثل والقدوة ولتضعه موضع البطولة دائما بينما تحط من شأن الشعوب الأخرى .

وهكذا فنحن نحذر تحذيرا شديدا من هذا الركام المطروح فى السوق الغربى من كتابات الأطفال المليئه بالسموم .

(سوبر مان وارسين لوبين وشرلوك هولمز ، ميكى ، تان تان) والهدف هو تدمير المجتمع الإســـلامى فالبروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات صهيون يقول : لكى نبعد الجماهير من الامم غير اليهودية عن أن تكتشف بنفسها أى مخطط عمل جديد لها سنلهيها بأنواع شتى من الملاهى والألعاب وسرعان ما نبدأ فى الاعلان فى الصحف داعين إلى الدخول فى مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها ،

ولاريب أن كتب الأطفال وكتب المراهقين المطروحة الآن فى السوق لاتتلائم مع هدف مطالبنا لاعادة بناء مجتمع مسلم وفق شريعة الإسلام : أن كل ماينشر فى صحف الأطفال أو فى كتبهم منقول ومترجم من مصادر أجنبية وهذه المجلات العربية المنشورة كلها مجلات أجنبية مكتوبة باللغة العربية .

وقصص الأطفال الذائعة تحكى مشاكل مجتمع أجنبي وهي معارضة لمفهوم الإسلام وليس فيها أى حديث عن مجتمع المسلمين أو تاريخهم أو أبطالهم ولا تعالج مشاكل مجتمعات المسلمين .

وقد تبين لمؤسسة التربية الصحية فى شوبجارت بالمانيا الإتحادية نتيجة دراسة أجرتها بأن أفراط الأطفال فى التفرج على التليفزيون يلحق بهم إضراراً جسيمة ويجمع الأطباء والأخصائيون فى علم النفس أن التهيج المتواصل الذى يتملك الأطفال عند التفرج على التليفزيون مدة طويلة وعدم تفريقهم بينما يشاهدونه على الشاشة من أفلام بوليسية وبين الحقيقة ، يعمل على الحاق الأضرار الجسيمة والنفسية بهم ، وقال العلماء إنه كثيراً ما يترك الوالدان أطفالهم يجلسون مدة طويلة أمام التليفزيون ، مما يسبب التوتر وفقد الهدوء والأرق وقلة تركيز الفكر والصداع وآلما فى العينين ، وقال العلماء أنه لايجوز ترك الأطفال يتفرجون على التليفزيون أكثر من ساعة فى اليوم على أبعد تقدير ، والا يتفرجوا أثناء ذلك الا على البرامج المخصصة لهم فقط . وقد استندت مؤسسة التربية الصحية فى التقرير الذى قدمته فى هذا الشأن على نتائج التحقيق الذى قامت به هيئة محطات الاذاعة الألمانية قبل أشهر قليلة ، فقد تبين لها فى ختامه بأن ١٥ ٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٨ سنوات و١٣ سنة وخمس الأطفال الذين تتراوح أعمالهم بين ٣ و ٧ سنوات يتفرجون على الأفلام البوليسية فى البرنامج المسائى ، هذا ، كما وجد بأن خمس الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و٩ سنوات يتفرجون على التليفزيون أثناء تناولهم طعام العشاء وأعربت المؤسسة عن قلقها بعد أن تبين لها أن الأطفال غالبا ما يتفرجون على التليفزيون على أنفراد ، ولما كانت الأفلام البوليسية التى يشاهدونها تتخللها أعمال العنف والقتل وتثير الرعب فانه يجب على الوالدين أن يكونوا مع أولادهم أثناء تفرجهم ليشرحوا لهم مالا يستطيعون فهمه .

ومن هنا فان على قادة حركة اليقظة الإسلامية التنبه إلى هذه المخاطر والتقدم لملأ هذا الفراغ بتقديم أدب الطفل الإسلامى القائم على تقديم البطولة الإسلامية إلى الطفل الذى يحب البطولة والمخاطر (من ١٢ — إلى ١٨) وأن يقدم معها

مفهوم الإسلام للمثل الأعلى فى الإنسان كرامة وخلقا وسماحة وإنتقالا من الفردية إلى الغيرية ومن الذاتية إلى الجماعية وأن تدريس الطفل المسلم مفهوم رسالة الإنسان فى الإسلام ومهمته على الأرض ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى وعمله فى إقامة المجتمع الربانى والتعرف على البشرية كلها بروح الأخاء الإنسانى والنظر إلى الحياة نظرة جادة بعيدة عن الأساطير والأشباح والخرافات ، وعليه أن يعرف مدى التحديات التى تواجه المسلمين فى هذا العصر لينشا مسلحا بالإيمان متجها إلى النضال والكفاح والمقاومة وحماية الثغور والمرابطة حتى يسترد وطنه وأرضه المغتصبه وتعود فلسطين وبيت المقدس إلى المسلمين وعلى هذه القصص أن تقدم باللغة العربية الفصحى بما يتناسب مع تدرجه فى السن والتعليم وأن تبنى هذه القصص أول ما يتبنى فى الطفل على الإيمان بالله تبارك وتعالى الخالق الرازق الذى يتصرف فى الكون كله (إلا له الخلق الأمر) فان قيام هذا الإيمان فى النفس هو الذى سيمكنه من أن يفهم الإسلام بوصفه منهجا جامعا للدين والدنيا وللدنيا والآخرة وللروح والجسد وللعلم والدين وأن من شأن هذا أن يحرسه من أن يقع فى أنخاخ النظرية المادية والعلمانية والآباحية ومغريات الحضارة المادية المنهارة .

الفصل الخامس

فجر جديد لعلم اجتماع إسلامى

أعتقد أنه قد آن الاوان بمطالع القرن الخامس عشر الهجرى أن يقوم المسلمون بتأصيل العلوم باستمدادها من منابعها الإسلامية ، بعد أن عاشوا خلال هذه الفترة الطويلة يتعلمون ويطبقون مناهج وافـــدة صاغتها طبيعة وظروف وتحديات مجتمعات أخرى تختلف عن المجتمع الإسلامى عقيدة ووجهة وثقافة ، وفرضتها محاولات احتواء خطيرة سيطرت على التعليم والثقافة لادخال المسلمين فى إطار الفكر العالمى الأممى القائم على النظرية المادية وعلى المفهوم الاباحى .

فالمجتمع الغربى الذى صدر للعالم الإسلامى تجربته ، قد تشكل على نحو يختلف عن مجتمع الإسلام الذى كان قد عاش أكثر من ألفى عام فى إطار رسالات السماء هذا المجتمع الغربى الذى تشكل أبان الأمبراطورية الرومانية على نحو غاية فى استعلاء السادة والأمراء وذلة الطبقات المستعبدة ، وعلى نحو من الترف والإباحية والفساد والطغيان . مجتمع القياصرة والفراعنة والاباطرة والاكاسرة ، الذى كان يعبد الحاكم ويسجد له .

هذا المجتمع لم يلبث أن عرف الرحمة والسماحة عندما دخلت النصرانية فأزالت كثيرا من غروره وغطرسته ، وأحلت محلها رهبانية إبتدعوها ما كتبها الله عليهم فما رعوها حق رعايتها ، فأصبح مجتمعا منفصلا عن الحياة ، راغبا إلى العزلة منقطعا عن الدنيا .

ثم جاءت مرحلته الثانية مع النهضة ، انقـــلابا آخر بالعودة إلى الاستعلاء بالجنس والاستعمار والحضارة ، وانصرافا عن الدين جملة فى محاولات متعددة ، لاقامه منهج حياة ونظام مجتمع يقوم على المطامع والاهواء والتسلط ، منكرا حاجات الروح والنفس والمعنويات ، مما نتج عنه ما يعيشه الآن المجتمع الغربى

من صراع شديد بين الفرد والمجتمع وبين المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الماركسية، وما يتصل من دعوات إلى المادية والاباحية والوجودية والهيبية، ومن اضطراب فى علاقات الاسرة والمرأة والشباب على النحو الذى يهدد كيان الحضارة كلها بالانهيار ويهدد كيان النفس الإنسانية بالتمزق :

فى أطار هذا التحول الخطير من الرهبانية إلى الاباحية ، وضعت مناهج علم الإجتماع الذى سيطر على الثقافة الغربية والذى نقله علماء الجامعات الغربيون الذين استقدموا لهذا الغرض فى بلاد العرب والمسلمين والذين سافروا الى الغرب من شباب المسلمين أمثال منصور فهمى وطه حسين ومحمد عزمى وعلى عبد الواحد وافى وعبد العزيز عزت :

وقد تلقى هؤلاء علوم الإجتماع ، على قادة مدرسة العلوم الإجتماعية ، التى كانت قد ظهرت فى فرنسا فى العشرينات ، والتى ظلت مسيطرة على مناهج الإجتماع حتى اليوم وهم دور كايم وليفى بريل وموسى وقوكونيه ، وهى مدرسة تقول بأن قواعد الاخلاق ليست إلا ظواهرة إجتماعية لا نستطيع فى علاجها شيئا ، وكل ما يجب علينا عمله هو أن نرصدها لنستخرج منها قواعد عامة ، وأن الإنسان مادة فحسب ، وأن مبادىء الأخلاق التى هى ظواهر إجتماعية ، إنما تملى على الافراد دون أن يكون لهم دخل فى بنائها أو فضل الإيمان بها ، وأن ارادة الإنسان الحرة التى يعتز بها ليست إلا وهما لان المرء لا يملك لنفسه شيئا وإنما هو مسير بغرائز وقــــوى .

ولاريب أن هذا المفهوم لا يتفق مع الدين المنزل ولا الفطرة البشرية ، وأنه يحاول أن يهدم مفهوم الاخلاق الدينى الذى عرفته الاديان السماوية جميعا وأن جماعة مدرسة العلوم الإجتماعية اليهود إنما يسيرون فى نطاق المخطط الذى رسمته الصهيونية لهدم الارادة الفردية والاخلاق والأسرة .

وتقوم نظرية مدرسة العلوم الإجتماعية المادية ونظرية داروين على مفهوم الفلسفة ونظرية فرويد ، وتحاول أن تخضع مفهوم العلوم الإجتماعية إلى النظرية

التجريبية المطبقة على المادة من ناحية أو على مفهوم الحيوان من ناحية أخرى ، ولا ريب أن ذلك كله يختلف مع مفهوم العلوم الإنسانية المتصلة بالنفس والروح والاخلاق مما لا يمكن اخضاعه لمناهج العلم المادى .

ذلك أن الجوانب النفسية والروحية والوجدانية التى تشكل السلوك والأحاسيس والتصرفات إنما تتصل أساسا بالعقائد وترتبط بالإيمان بالله ، ولقد وجدت هذه الدعوى معارضة شديدة وأثبتت الابحاث العلمية عجز المناهج التجريبية المطبقة على المادة عن تحقيق نتائج صحيحة بالنسبة لمشاعر الإنسان وعواطفه وأخلاقه وتصرفاته .

وتستهدف النظرية الإجتماعية المطروحة القضاء على الشخصية الفردية قضاء تاما ، بدعوى خضوع الفرد للجبرية الإجتماعية التى تقول بأن الإنسان محكوم بعدة عوامل ، هى التى تدفعه فى طريق الحياة ، وهى بذلك تحاول القضاء على قاعدة وطيدة فى الإسلام وفى المجتمع الإسلامى : وهى قاعدة الارادة الفردية والألتزام الأخلاقى :

كذلك تحاول هذه المدرسة أنكار أصالة قيام الأسرة منذ العهود البشرية الاولى ، وفى مفهوم الإسلام أن الأسرة تكونت فى بداية البشرية ولم يخل منها جيل من الأجيال .

ولا يعترف الإسلام بأى نظرية عن تطور العائلة أو القول بأن المرأة كانت مشاعة فى عهد البشرية الأول ، فالقرآن الكريم يقرر صراحة أن نظام الأسرة نظام أصيل فى الطبيعة البشرية :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(سورة النساء) .

ولاريب أن مدرسة العلوم الإجتماعية تستهدف التشكيك فى نظام الأسرة ، توطئة للدعوة إلى القضاء عليه على النحو الذى يحدث الآن فى المجتمعات الغربية .

وقد جرت محاولات للقضاء على الاسرة على مر التاريخ ، ولكنها عجزت عن ذلك وسيظل نظام الاسرة ثابتا مكينا على مر الازمان ، وسيظل أى نجاح يتحقق لخصومه فى القضاء عليه عملا جزئيا يسقط بمرور الزمن ، ولا يأخذ صفة الشمول أو الاستقرار .

وتنطلق نظرية علم الإجتماع من مسبقة فرضية هى أن الإنسان مادة وجسم وأنه ليس له قوى أخرى (شأنها فى ذلك شأن علوم النفس والتحليل الفرويدى) ، ولا ريب أن مثل هذه العلوم الإجتماعية والنفسية إنما تخضع لاهواء الفلاسفة ومزاجهم الشخصى وهى نتائج عامل واحد من عدة عوامل تسيطر على المجتمعات والفكر البشرى ، هذا العامل هو العصر وأحداثه .

وأغلب هذه العلوم تعتمد على الاسطورة الاغريقية وتتخذ منها تصورا عاما كالظاهرة للحياة ، ومع أنه قد تكشف لمدرسة العلوم الإجتماعية أن الظاهر الانسانية ليست كالظاهرة الطبيعية وأنها من نوعية مخالفة ، وأن الظاهرة الإجتماعية ليست شيئا ملموسا يقاس كما تقاس الظاهرة الطبيعية ، فان هناك خطة للأصرار على الخطأ وقد أشار العلماء التجريبيون إلى أن الظاهرة الإنسانية لا تخضع للقياس المادى وتشذ عنه وتتميز بحرية باطنة فيها ، ولا يمكن التنبؤ بمجراها أو وقت وقوعها ، وأن الظاهرة الإنسانية أقرب إلى الذات ، والإنسان ذات وليس موضوعا ، بالرغم من هذا كله فان أصحاب الفلسفات المادية ما زالوا يخدعون ويغالطون .

* * *

وفى الجامعات المختلفة فى العالم الإسلامى درست مواد علم الإجتماع منقولة ومترجمة من كتابات الغربيين ، الذين قايسوا هذا العلم وفق مفهوم النظرية الليبرالية الغربية والاساتذة الاجانب الذين كانوا يقدمون هذه المادة فى الجامعات العربية كانوا ينتقون المدرسة التى ينتمون إليها فالمتخرجون من الجامعات الفرنسية كانوا يتبعون منهج المدرسة الفرنسية وكذلك المتخرجون من الجامعات الانجليزية والامريكية ، كل حاول توجيه دراساته ومؤلفاته وفق الثقافة التى تخرج فيها والولاء الخاص بها ، لذلك لم تكن

الاعتاملاعلى وجه العموم واضحة والاصالة لاتظهر على العموم إلا عند محاولة دراسة النظم الإسلامية ومقارنتها بالنظم الاوربية الحديثة ، أما فيما عدا ذلك ففي ترديد للأفكار الوافدة ، وكل الكتب التي صدرت عن علم الإجتماع في هذه الفترة متأثرة بمؤلفات أصحاب النظريات العضوية التطورية التي كانت سائدة في أوربا — على حد تعبير الدكتور شحاته سعفان — مثل كتاب نقولا حداد الذي وصف بأنه أول مؤلف باللغة العربية في علم الإجتماع وكذلك كتابات سلامة موسى وطه حسين وكلها متأثرة بنظرية التطور ، وقائمة على حدود المفهوم المادي للفرد ، وتقوم على أن الإنسان حيوان خاضع لشهوتي الطعام (ماركس) والغريزة (فرويد)، وأنه مسوق بهاتين الشهوتين في كل تصرفاته ، وهو مفهوم لا يعترف بالقيم المعنوية والروحية ، ولايحفل بأثر الدين ودعوته في تغيير نظم المجتمع ، كما أنه متأثر بمفاهيم جمهورية أفلاطون التي تقوم على أساس الإعتراف بالفصل بين السادة والعبيد وضرورة وجود مجتمع العبودية في خدمة السيادة وقد أقر أرسطو هذا المفهوم.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أكد الباحثون أن (علم الإجتماع) القائم اليوم في المجتمعات العالمية ، ليس علما قائما بذاته يعمل على النحو الذي يفرض العلم الصرف ، ولكنه يعمل في خدمة النظام الغربي وما يتصل به ، من تثبيت سلطانه ونفوذه في عالم المستعمرات أو البلاد الخاضعة له اقتصاديا ، ومن هنا فقد أشار باحثون كثر إلى أن علم الإجتماع الأمريكي مثلا لم يقف عند حدود مجتمعه بل تعداه إلى بحوث استهدفت مقاومة التغيير في العالم الثالث وضرب الحركات التحريرية .

وأثبت علماء أخرون ارتباط البحث الاجتماعي في الغرب بأدوات السياسة والقوة العسكرية ، وأن بحوث علم الإجتماع تستخدم كوسيلة في الفراغ العالمي وتثبت تبعية العالم الثالث للنظام الرأسمالي فكرا وتوجيها .

كذلك فى الاتحاد السوفيتى نجد أن جانبا كبيرا من الفكر الاجتماعى موجه نحو كشف مآسى وتناقضات المجتمع الرأسمالى على وجه العموم ، وأن الباحثين السوفيت يدرسون قضايا المجتمعات النامية بهدف كشف أثر الرأسمالية والاستعمار على أوضاعها وتغيراتها ، ومعنى هذا أن علم الاجتماع فى الغرب ليس علما أصيلا وإنما هو علم موجه ، فهو فى داخل المجتمعات الغربية لخدمة أهداف النفوذ والسيطرة ، وفى داخل المجتمعات الماركسية لكشف عوامل أو أخطار السيطرة الغربية ، ومعنى هذا أن علم الاجتماع الآن بصورته الحالية هو علم تبرير الواقع ، وأنه ملتزم بتوجيهات الايديولوجية والحزب .

ويقول الدكتور عبد الباسط عبد المعطى الذى يكشف هذه الحقائق فى كتابه (اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع) أن دور كايم وفيبر ومن قبلهما أوجست كونت ، أرادوا جميعا التنظير لصعود الرأسمالية الأوربية والمحافظة على منجزاتها وتبنى توجه ليبرالى غالى فى الفردية التى هى جوهر المشروع الرأسمالى ، وأن الرواد لعلم الاجتماع لم يكونوا قادرين على وضع نظرية عامة شاملة ، وأنهم خضعوا لمجتمعاتهم ولتحديات عصرهم وبيئتهم فى حدود فرنسا وألمانيا ، وبذلك جاءت ملاحظاتهم متعايشة مع هذا الواقع متحدة به .

كما أن هؤلاء جميعا كانوا منظرين للطبقات الحاكمة والمسيطرة ، فتحول العلم لديهم إلى تحكم ذى بعد واحد ، قضى على واحدة من خصائص العمومية أى نسيج البناء الاجتماعى بطبقاته وجماعاته وقطاعاته . وأنهم أتخذوا جميعهم موقفا تبريريا من أوضاعهم الاجتماعية ، وتلك أقوى مقاتل علم الاجتماع الذى نقله المسلمون فى مدارسهم وجامعاتهم ، وحاولوا أن يصوغوا مجتمعاتهم على ضوئه الكئيب .

كذلك فقد أشار الدكتور عبد الباسط فى أحدث دراسة عن علم الاجتماع عن تأثر هذا العلم بمنهج العلم الطبيعى ، كما أشرنا من قبل ، كذلك فقد أنكر الباحثون أن علم الاجتماع قادر على الوصول إلى قواعد عامة للتطور الاجتماعى .

ويرى الباحثون أن علم الاجتماع — على هذا النحو — يمكن أن يكون

علما أنسانيا ويمكن أن يكون عند الإنسان وبمعنى آخر أنه يمكن أن يسهم في حل المشكلات ويمكن أن يؤكد التخلف ويخدم الأقلية .

وقد بلغ الأمر أن يقول أحد علماء الإجتماع « هوارد بيكر » إلى جانب من نقف ؟ هل نأخذ جانب المسيطرين أم الخاضعين : الحكام أم المحكومين ؟ وليس أقسى من هذا التساؤل ليكشف أمام أبصار المسلمين فساد تجربة علم الإجتماع الذي يخضعون له منذ أكثر من سبعين عاما .

وفي مراجعة لفكر الأربعة الكبار في علم الإجتماع : أوجست كونت ودور كايم وماكس فيبر وليفي بريل ، نجد أن القاعدة الأساسية هي : نظرية دارون التي تقول أن الإنسان حيوان ناطق وتدرجه في نظام الحيوان، وتفرض عليه أحكامه متجاهلة جوانبه الروحية والمعنوية ، وهي أساس النظرية المادية بالاضافة إلى نظرية فرويد في الجنس والتفسير المادي للتاريخ الماركسي .

ولا شك أن القانون الذي وضعه أوجست كونت وأطلق عليه اسم (المراحل الثلاث) قد فشل فشلا ذريعا ووجهت إليه انتقادات جمة ذلك لأنه تجاهل ظاهرة الدين الموحى به والقادر على تغيير المجتمعات، ويقف عندالنصرانية ولم يجد من الشواهد التاريخية ما يؤيده عمليا فضلا عن خضوعه لفكرة التطور المطلق الذي لا يعترف بالثوابت .

وكذلك يقوم الاطار الفكري لمفاهيمه على أساس الفلسفة الوضعية التي تحكم المجتمع على أساس القوانين الطبيعية التي لا تتغير وهو يؤمن بأن الفرد شيء لا قيمة له .

ويهدف علم الإجتماع عنده لأن يكون أداة للمحافظة على الواقع القائم وتأكيد السلطة الحاكمة ، ولذلك نادى بالحد من حرية التفكير وهلل عندما قبض نابليون على ناصية السلطة بيد من حديد ، ونادى بضرورة محاكاة علم

الاجتماع للعلوم الطبيعية ، وقد حرص على أن يكون علم الاجتماع الوليد أداة محافظة وتبرير ، وهو يرى أن على الانسان أن يتواءم مع ما هو قائم ، فليس له من إرادة ولايجب أن تكون له ، وأن العيب كل العيب فى الإنسان وأخلاقه، لا فى الظروف المحيطة به ، وهذا تصور - كما يقول الدكتور عبد الباسط عبد المعطى - ليس ضد الانسان فحسب بل هو مشوه ومزيف لتاريخ الانسان .

وكان دور كايم قد انتقل بعلم الاجتماع نقلة حاسمة إلى أفق التلمودية ، التى صيغت مفاهيمها فى قوالب علمية مرتين : فى نظرية فرويد (النفس والآخلاق) وفى نظرية دور كايم (الاجتماع) .

فدعوة دور كايم تقوم على الجبرية المطلقة للفرد فى إطار المجتمع وإقراره بعجز الإنسان عن تغيير المجتمع وضرورة خضوعه له وقوله أن العامل الفعال الذى يؤثر فى المجتمع هو البيئة الاجتماعيـــة ، وهوالغاء كامل لدور الفرد ، وقد شهد عليه الباحثون بالتناقض والخلط وكان يثيرالتساؤلات ولايجيب عليها، ويتركز خطؤه فى دعواه أسبقية المجتمع على الفرد ، وخضوعه لفكرة البرجماتية والنفعية . وتسير كتاباته المتنوعة فى مسار تأكيد ضرورة انصياع الانسان لما هوقائم ولماهومحيط، فالظاهرة الاجتماعيةعنده إجبارية والزامية وأن دراساته فى نظر كثير من العلماء وأراءه يعوزها كثير من الصدق العلمى .

ومن أخطائه : اعتباره الجريمة هى الفطره والأسرة هى الشذوذ ومنهجه خليط من جميع المذاهب المادية الماركسيه والفردية والبرجماتية وبه تحول علم الاجتماع إلى دراسة الطواهر دون أن يكون له أثر فى تغيير المجتمع ولاشك أن من أكبر أخطائه دعواه العريضة بأن المجتمع هو الذى أنشأ العقيدة وأن الدين لم ينزل من السماء ، وإنما أوجدته الجماعة على النحو الذى حمل لواءه الدكتور طه حسين ودعا إليه فى الثلاثينات .

ولاريب أن مفاهيم دور كايم ربيب المذاهب الماركسى أصلا والنظرية المادية ، معارض تماما لكل القيم الأساسية التى تقوم على الفطرة والتى جاءت

بها الأديان فى منهجه الربانى القائم على الأصالة وعلى التكامل بين المادة والروح .

وقد بدأت خطوات التبعية فى العالم الاسلامى لمفهوم علم الاجتماع الغربى ، عندما قدم الدكتور منصور فهمى أول رسالة فى فلسفة الاجتماع لجامعة باريس ١٩١٣ تحت إشراف اليهودى ليفى بريل عن (حالة المرأة فى التقاليد الاسلامية) وقد صاغها فى إطار مفهوم المدرسة الفرنسية الاجتماعية ، التى كان عميدها دور كايم ، وقد وقع تحت تأثيرات تفسير كثير من المستشرقين المتعصبين ضد الاسلام فأتت رسالته مجافية تماماً لقواعد الاسلام وما يجب أن يتصف به المسلم ، إذ تناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعدد زوجاته بكثير من الخلط والفساد وقال أن المرأة بعد الاسلام ساء موقفها لأنها أصبحت تعامل كفرد لا كقريبة ، وقال أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) يشرع للجميع ويستثنى من ذلك نفسه ، ومضى يتحدث عن ذلك كله بأسلوب المستشرقين، واحتوى فصل من الرواية نقداً لأكثر من موقف للنبى صلى الله عليه وسلم ولحياته الزوجية والاجتماعية، وقال أن الاسلام هو الذى فرض الحجاب على المرأة والاستقرار فى المنزل (وقد رجع الدكتور منصور فهمى عن هذه الآراء فيما بعد وكتب عن الإسلام كتابات رائعة) ومن ذلك ما ردد الدكتور طه حسين فى آرائه عن أن الدين خرج من الأرض كما خرجت الجماعة ، ومحمود عزمى الذى كان يفرق بين مفهوم الاقتصاد السياسى ومفهوم الإسلام ويقول : إذا ذكر الاقتصاد فلا يذكر الدين .

كما أعلن طه حسين أن ابن خلدون غير كامل الأهلية العلمية ، ونقده نقداً جارحاً وأعلن عدم اعترافه بأن ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع أو حتى مبشر بعلم الاجتماع الحديث ، مخالفاً بذلك الأغلبية الساحقة لعلماء الاجتماع المعاصرين الذين اعترفوا لابن خلدون بفضل السبق والأصالة ، ومنهم توينبى البريطانى وفريرو الايطالى وجمبلوفتز البولندى وذلك جرياً وراء التبعية لرأى اليهودى دور كايم فى ابن خلدون حقداً وغلوا .

كذلك فإن الدكتور على عبد الواحد وافى الذى وكل اليه انشاء قسم الاجتماع

فى الجامعة المصرية ، ظل وإلى اليوم خاضعاً لمفهود دور كايم المدرسة الفرنسية ، وهو الذى روج له وقدم مفهومه بالعربية فى كتاب ضخم ولقد كان كل أساتذة الاجتماع على هذا النحو ومن جاء بعدهم عبد العزيز عزت والساعاتى والخشاب ، فقد تعلموا على فوكونيه وماسينيون وكان هؤلاء يبحثون على المفكرين المسلمين الخاضعين للفكر اليونانى أمثال ابن مسكويه الذى تأثر فى بحثه فى الأخلاق بأفلاطون فى جمهوريته وبارسطو فى كتابة الأخلاق .

وقد خضع الدكتور حسن الساعاتى والدكتور مصطفى الخشاب لمفاهيم علم الاجتماع الغربى وتلقاه على أيديهم عشرات من المثقفين فى العالم العربى ، وقد عالجوا جميعاً المجتمع العربى الاسلامى على أنه مجتمع محكوم عليه بنظام علمانى خالص فى اقتصاده وسياسته وقوانينه ، فلم يكن هناك ما يفتح الباب أمام المفاهيم الاسلامية فى علم الاجتماع وقد أحيا هؤلاء دراسات أوجست كونت صاحب المذهب الوضعى وسان سيمون وفكر المدرسة الفرنسية (دور كايم وليفى بريل) كما عنوا بالانثروبولوجيا والأساطير والفلكلور على اعتبار أنها المادة التى تصنع منها المجتمعات البدائية ، وجروا شوطاً طويلا وراء مفاهيم علم الاجتماع الغربى الوافد الذى لم يكن يلتقى مع الفكر الاسلامى فى أى أساس من أسسه ماعدا بعض علامات بسيطة أظهرت مفهوم الاسلام ، منها كتابات الدكتور حسن سعفان عن رفض المجتمع الاسلامى للنظرية الماركسية فى تفسير التاريخ ، وقد قال أحدهم: أن كل مالدينا من علم الإجتماع هو من صناعة الاربعة الغربيين الماديين أوجست كونت وهربرت سبنسر وأميل دو كايم وماكس فيبر .

ولكن الأمور لم تكن لتمضى على هذا النحو بعد أن علت صيحة حركة اليقظة الاسلامية بالعودة إلى المنابع ، والبحث عن الأصالة وترشيد الفكر وتحريره من التبعية وتصحيح المفاهيم ، وهى الدعوة التى تمالت فى العقدين الأخيرين من القرن الرابع عشر ، والتى امتدت إلى كل جوانب البحث والثقافة ، وخاصة فى مجال الاقتصاد والسياسة والإجتماع والتربية ، ومن ثم ظهرت خيوط رقيقة

من الدراسات التى استحصدت وقويت ، وخاصة ما قدمه الدكتور مصطفى محمد حسنين فى كتابه « نحو علم اجتماع اسلامى » الذى صدر منذ عشر سنوات .

ويرى الدكتور مصطفى حسنين أنه حيث يجعل دور كايم الظواهر الاجتماعية أساس الدراسة وتجعل المدرسة الانجليزية والأمريكية النظام الاجتماعى أساس الدراسة، فإن الاسلام يجعل من واقعات العمران البشرى موضوع الدراسة ،وأن كثيراً من علمائنا قد أخطأوا فى ظنهم أن واقعة العمران البشرى - كما عرفها ابن خلدون - هى بذاتها الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم ، ولكن طبيعة الواقعة الاجتماعية تختلف فى وظيفتها وبنائها الاجتماعى اختلافاً جوهرياً عن وظيفة الظاهر الاجتماعية وبنائها الاجتماعى ، وأن واقعة العمران البشرى - كما قدمها ابن خلدون - نسيج وحدها فى الوظيفة والتركيب الاجتماعى على السواء ، وأن دور كايم أهدر كل تقييم أخلاقى حتى أنه يقول : أن الجريمة ظاهرة ضرورية وهى ليست ظاهرة مقيدة ، ولاريب أن هذا لايستقيم إطلاقا مع النهج الاسلامى فى النظر إلى مجتمع المسلمين ، بل هناك ما هو أسوأ ، فإن دور كايم ينتهى فى نظريته فى الظواهر الاجتماعية إلى القول بأن أصل الأديان أصل أرضى يرجعها إلى الطبيعة .

وهناك فارق كبير وعميق بين المدرسة الاسلامية والمدرسة الاجتماعية يكشف عنه الدكتور مصطفى حسنين (ذلك هو أن ابن خلدون يربط بين قيام الواقعة الاجتماعية ووظيفتها ربطاً شديداً . إذ جعل العمران فى هدفها وغايتها ، وإذا كان الإسلام قد شد بين صالح الفرد وصالح الجماعة فى نطاق واحد ، وجعل كل مصلحة منها تساند الأخرى وتدعمها فإن ابن خلدون على أساس الفهم الاسلامى كان يقيم واقعات العمران على أساس ماتحققه من مصلحة للجماعة والأفراد على السواء .

ويشير الدكتور مصطفى حسنين إلى أن بحوث دور كايم ، وأن جعل موضوعها ، العرب فى شمال أفريقيا وبلاد الشام والبدو بصورة عامة ، كانت

تتجه إلى وصف هذه الجماعات على أنها (بدائية) متخلفة بالاضافة إلى آراء دور كايم المرفوضة فى الدين الوضعى.

من أجل هـذا رأى الدكتور مصطفى حسنين أن يرجع إلى أساس المدرسة الاجتماعية الاسلامية التى أرسى دعائمها ابن خلدون ويقول : أنه لابد لنا ونحن أصحاب المنهج الأصيل الأول إذا أردنا مقاومة هـذه الأفـكار الهدامة ولـكى نصلح أمرنا ، ونعود إلى الأصالة ، أن نؤكد على منهجنا فى التفسير وأن نصد كل رأى مخالف بنفس الأسلوب الذى يتخـذونه فى محاربتنا ، أنهم يقولون : أنهم أصحاب أسلوب علمى ونحن نقول لهم : أن لنا أيضاً أسلوبنـا العلمى المـكين ، وأسلوبنا العلمى قائم على هذا العلم الذى هو فقه الشريعة الأصيل : قرآننا وسنـة رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أسلوبنا واحد غير مسبوق بمثله ، لم يتبدل ولم يتغير ، هو القرآن الـكريم وسنة الرسول صلى الله عليـه وسلم ، وذلك ما قام الدليل الشرعى عليه بأنه طاعة الله ورسوله .

الباب السابع

التغريب والأدب العربى

الفصل الأول : تحديات التغريب فى مواجهة إصالة الأدب العربى .

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة تحتاج إلى دراسة ومراجعة، وتتطلب العمل على فتح الطريق إلى بناء منهج عربى إسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى ونقده ، خاصة وأن المنهج الغربى الوافد ما زال مسيطراً على الدراسات الأدبية فى الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغة العربية فى إجزاء كثيرة من بلادنا العربية الإسلامية .

وأعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا إلى عصر الإصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا إلى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للأدب العربى واللغة العربية العلمى : « لغة القرآن » رغبة فى تحرير الفكر الإسلامى كل من المناهج الوافدة والتى فرضها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة امتناهى التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفسى وطابع أمتنا وأدبنا. وأدبنا، وإبراز ذلك واضحاً أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هـذا الركام من المذاهب والدغوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافى والتحررمن التبعية للغرب فى شتى صورة ، وامتلاك الإرادة القادرة على ربط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقاً الى تبليغ الإسلام للعالمين .

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة :

أخطر ما أصاب الأدب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الادب نخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعاً شديداً ، ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاماً عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الإسلام تحت اسم جديد وتيار جديد وبدأت الكتابات الادبية كلها وكأنها منفصلة اتصالا تاماً عن الملكات المتتابعة للأدب العربى بل إن الكتابات التى قدمها بعض الادباء

المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماماً كدراسات أبي العلاء المعرى والمتنبي وابن الرومى وغيرها .

فقد جرت المحاولة لإخضاع الادب العربى (القديم كما يسمونه) إلى مذاهب غربية كالمذهب التحليلي والمذهب النفسى وجرى إخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لإحياء شخصيات متكرة لا وزن لها فى تاريخ الادب العربى الحقيق من الصعاليك والزنادقة أمثال أبي نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد عجرد وغيرهم على أنهم — كما ادعى الغربيون — يمثلون عصرهم أصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذى وددت أن أتحدث عنه فى مؤتمر إسلامى للأدب العربى لا يغفل عن تحديات التغريب وأخطار الغزو الفكرى للأدب العربى وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونتير ، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستمرة من نظرية دارون وما بعدها والتى تنظر إلى الإنسان على أنه حيوان شهوة ومعده .

وهو بالقطع ليس كذلك فى مفهـــوم الفكر الإسلامى الذى يعتبر الادب العربى حلقة من حلقاته وحبة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التى فرضت نفسها على الادب العربى أن تعطى للأدب مجالا أكبر من حجمه الحقيق ، وتفسح له مكانا أكبر من طبيعته فأصبح من حق الادباء التحدث فى مختلف القضايا الإجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر فى مجالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقه والشريعة والاخلاق .

كذلك فإن محاولة الدعوة إلى استقلالية الادب العربى عن الفكر الاسلامى فتحت الباب واسعاً أم (لاأخلاقية الادب) وغلبة المفاهيم التى يسمونها الإدب للأدب والفن للفن وهى مفاهيم يفكرها الفكر الإسلامى تماماً ويردها رداً غير جميل . فهى

تحرر الادب من طابع الاخلاق وتدفعه إلى تصوير الغرائز والاهواء من غير مافيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفى ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الإباحيين والكتب التى تتصل بأثارهم أمثال ألف ليله والأغانى وغيرها من هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابه (حديث الأربعاء) كما انفسح المجال أمام ترجمة القصص الغربية الإباحية وانكشف عن جوانب الفراغ والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والأخلاقية والغمز لكل مايتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة إلى الاطلاق بدون حرج والجرأة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطىء إلى بروز أسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها فى أسلوب ماكر من أساليب الغزو الثقافى يراد بها وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد أجابة صحيحة تهدى قلبه الغض أو ترعى نفسه البسيطة ، بل أن الدكتور طه حسين قد فاخر يوما بأنه أخضع للشك بعض المعتقدات التى ورد ذكرها فى القرآن وأحاديث الرسول .

ولقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى الوافد على الأدب العربى: ضعف أصالة البحث، والتخفف من المصادر الأصيلة ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وماسجله الرواه والقصاصون من أخبار من أجل ترويج أراء كاذبة مضللة ، وهى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى ، وإنما جمعت للتسلية والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والأحاجى والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والاباطيل ولعل الدكتور طه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين تعمد ودعا طلبته فى كلية الأدب بالاعتماد على كتاب الأغانى كما دعا المبشرون إلى

اتخاذ ألف ليله مصدراً لدراسة المجتمع الإسلامي وكذلك ثمار القلوب للثعالبي وهي كتب حافلة بكل فاسد وغاش ، وليست لها طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ماطبق طه حسين مذهبه على السيرة فأدخل اليها عشرات الأساطير التي لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبي وينقونها من كل شبهة، حتى جاء طه حسين فأدخل اليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التي خدعت الكثيرين حتى ظنوا أنها عمل أدبي رائع وإن كانت لم تخف على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعي وصفاً صحيحاً حين قال : أن هامش السيرة تهكم صريح .

ثانياً : فساد تحقيق التراث وتجديده

وفي مجال التراث الإسلامي للأدب العربي جرى التحريف والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة أحياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت ماضيه في طريقها الصحيح قبل أن يفد المنهج الغربي بمفاهيمه المسمومة التي لا تتفق مع ذاتية الأدب العربي وبمحاولاته الخطيرة في أحياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير إبان حركة الترجمة من الآداب اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الغنوصي والمجوسي والوثني ، ولقد حرصت مدرسة النقد الأدب الغربي (طه حسين وأتباعه من بعده) على أحياء كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والعزل الحسي والكتب الحافلة بالمفاهيم الوافدة من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلتقي بهدف تدمير قيم الفكر الاسلامي الذي قام أساساً على التوحيد الخالص ونظرة واحدة إلى هذه المؤلفات التي إنبعثت والتي أعيد أحياؤها يكشف في وضوح عن الغاية والهدف :

(أولا) الفكر الغربي وكل ما يتصل بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك

المحاولات التى قام بها الفارابى وابن سينا للربط بين الفكر اليونانى والفكر الاسلامي فى محاولات ثبت من بعدها فساها وعجزها .

(ثانياً) أحياء كتاب ألف ليله وليله والأغانى ورسائل أخوان الصفا التى كتبها دعاة الباطنية .

(ثالثاً) أحياء الفكر الوثنى المتصل بالتصوف فى كتابات الحلاج ومحى الدين بن عربى والسهروردى وابن المقفع وحنين ابن اسحق وابن الراوندى .

(رابعاً) أحياء شعر الخمـر والحس بأحياء شعر أبى نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد عجرد . ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وإن هذا العصر الذى هو القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالى وابن تيمية والمتنبى والبيرونى ولا يذكرون إلا ابن سينا وابن رشد، وحين يذكروهما لا يذكرون أثارهم فى الطب أو العلوم وإنما يذكرونهم من حيث هم اتباع ارسطو ، وحين يذكرون المعرى يذكرون شعراً له يغمط التوحيد ويذكر التعدد وإذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمامة فى محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون كتابة المحلى فى أحد عشر مجلداً .

وهم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لأن المستشرقين الغربيون يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التى طالما أيدوها ، ولا يذكررن المعتزلة إلا لأنهم ربائب الفكر اليونانى وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون أن الإسلام قد ضعف بعد سقوطهم ويهاجمون الخليفة المتركل هجوما عنيفاً لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامى وقالوا إن الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكرى وأنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن تقدمها النيران .

وجرى التغريبيون على طريق المستشرقين والمبشرين فلم يحفلوا إلا بشاعر داعر أو فيلسوف منحرف أو بصوفى ضال ، أما الإصلاء جميعاً فقد أغضوا عنهم وهاجموهم وانتقصوهم . وحاولوا الإدعاء بأن العبقريات لم تكن عربية وإنما كانت فارسية ونسوا أن الإسلام هو الذى صنع العقلية الاسلامية التى قدمت هذا النتاج وأن العنصر لم يكن له دخل ورد ، إسماعيل مظهر عبقرية بشار إلى صلبما الفارسى وابن الرومى إلى أجداده الروم .

وحين عرضوا للجاحظ قدروه فى كتابة البخلاء وهاجموا كتابة البيان والتبين لأنه الكتاب الذى فضح شبهات الشعوبية وقد هاجم طه حسين وسلامة موسى كتاب البيان والتبين بشراسة لاحد لها ، واتهموه بكل نقيصه لأنه دل عليهم وكشف المعين الذى منه يغترفون شبهاتهم وأباطيلهم . ودافع أمثال عبد الرحمن بدوى عن الملحدين والمنحرفين وعنى طه حسين بالمجان والعشاق ، وغيره بشعراء الهجاء المقنع وأثارت هذه الدراسات روح التشكيك فى الأدب العربى واتهامه والتحامل عليه وإعلان أسوأ صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الأدب كله والوقوف عند الشعراء وأدباء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والأدب الرفيع الذى قدمه عشرات التوابغ .

بل أن طه حسين ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال أن ما فى الأدب العربى من نثر فنى إنما أصله من الفرس ، دإن أعظم مقومات الأدب العربى والفكر الإسلامى إنما استمده من اليونان والإغريق .

(راجع كتابنا: محاكمة فكر طه حسين) .

ومن البعث الزائف للتراث إعادة نشر رسائل إخوان الصفا الذى [تأكد] أنها من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسنيون إلى إحياء تراث الحلاج ، وما تزال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب ملىء بالسموم ، ومن هذا أيضاً تلك الأكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من

أشعار الفرس القديمة إلى العالم الفلكى الجهير عمر الخيام وقد كشف الباحثون المسلمون فساد هذه المحاولات كلها.

وهناك محاولات أخرى أشد خطورة فى مجال بعث التراث وهى إعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طه حسين فى كتبه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرهما ، فقد أخضع هذه الكتابات لمذهب التفسير المادى للتاريخ وجرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم، فنحن فى تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هى إعادة صياغته لإفساده أو نشر المنحرف منه .

ثالثاً : فساد الترجمة من الآداب الأجنبية

وفى مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسسات التبشير ومدارس الإرساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من الترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التى أغرقت القارىء العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والإثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسمها كأنها أمور طبيعية أومشروعة ، ليست محرمة ولا هى إنحراف فى هذه المجتمعات نفسها وقد امتد هذا اللون المسموم إلى الفقه والأدب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

فى مجال الأدب فقد قذفت الترجمة الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسى الخليع ، وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة جيدة ، وقد استهدفت كلها الآثارة دون المنفعة وقام طه حسين بدور كبير فى ترجمات المسرحيات الفرنسية المكشوفة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى إطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى اكنافها

القصاصون الحاليون، وقد أحصى يوسف أسعد داغر إثنى عشر آلاف قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات الإسلام وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين وإعلاء روح التعصب الأوربى، وفى الأخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى إلى إدخال مفاهيم زائفة فى النفس المسلمة. ومن كتابات امرسون وول ديورانت وغيره تجسد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفيه الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفة وعرض تاريخ اليهود عرضاً جذاباً مشربا بالعطف والمحاباة.

ولقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات الفكر والأدب والفن مترجمة القصص الأباحى والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التى قام عليها المسرح والرواية وهى نظرية الصراع بين الإنسان والآلهة مع أن الإسلام ينفى مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى والإلحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التى قدمها دوركايم وسارتر وكلها تحاول أن تعرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الإسلام الأصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

وأسوأ ما فى ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الإسلامى على أنها علوم أصيلة وليست فروضاً قابلة للخطأ والصواب أووجهات نظر تمثل أممها وأصحابها ودون أن تلحق هذه الترجمات أوتسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارىء المسلم، موقف أمته وفكرها من هذه القضايا.

وفى نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج إليه المسلمون فى هذا العصر من مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التى نحن فى حاجة إليها واستبدلت بذلك ركاما مضطربا عاصفا يرمى إلى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى

النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعفاف وصبور الآباحيات الجنسية على أنها شرعة المجتمع المباحة ، كما تصور الجريمة على أنها ظاهره طبيعية

ومن شأن هذه المترجمات أن تطرح فى مجتمعنا الإسلامى موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

رابعا : محاولات هدم اللغة العربية المنهجى

وقد حاول التغريب والغزو الثقافى أن يتوجها بخطة خطيرة من التآمر نحو اللغة العربية الفصحى : لغة القرآن لهدمها ومحاولة إحلال العاميات والحروف اللاتنية بديلا منها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى وبين القرآن من ناحية وقطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية بإعلاء العاميات ، وقد توالت هـــذه الدعوة منذ وطأ الاستعمار البلاد العربية وحمل لوائها المبشر الإنجليزى وليم ويسكوكس وعنه تلقاها عشرات فى مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل من التغريبين حمل هذا اللواء ودعا هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد وسلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض .

وما تزال هذه الدعاوى تتجـدد فى مختلف أجزاء البلاد العربية على صـورة وأخرى منذ دعا لويس ماسنيون إلى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عبد العزيز فهمى وآخرون ، وتجددت فى السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى باللغة الوسطى) وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبوحديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولى وهى محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة بإعلاء اللهجات وإعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن وليكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها إلى العامية .

وجاءت مرحلة أخرى فى محاولة خطيرة تولاها وتصدى لها الدكتور طه حسين

وهى تبديل الخط العربى وقداعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو إصلاح أو تجديد (وهى أسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيرا) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشرقرنا أو يزيد وهى القوانين التى ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خلال أربع عشر قرنا .

فإذا تحققت هذه الخطة التى تسمى بالتطوير أو التى ترمى إلى هدم الأصول والقوانين والقواعد التى صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هى تحقيق الهدف فى تبلبل الألسنة بين المصرى والشامى والمغربى ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى الإسلامى متعذرة على غير المتخصصين من دراسى الآثار ومفسرى الطلاسم وعندئذ تصبح وحدة العرب مقدمه لوحدة المسلمين عمل باطل » .

وبدعة إصلاح اللغة هى إحدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنها الدكتور على العنانى هى فيما يأتى : « أن الاصلاح فى الألفاظ والتراكيب والأساليب لا يكون إلا بتغيير قواعد إبنية اللغة وهى (الصرف) وتحوير ضوابط إعرابها والأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعاره والكناية وهو (البيان) وبتغير وإهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى إصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب إلى السهل إنما يعنى أن نهدم علم (الصرف) من أساسه وننسخه نسخاً تاماً لتعدد قواعده) وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على أنقاضه صرفا جديداً محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفاً على العقل والفكر سهلا على الذهن والفهم ، كذلك الأمر فى إصلاح قواعد

النحو وإصلاح علوم البلاغة وبهذا يكون معنى الإصلاح فى اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافـة نظرية ، وعملية ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الإزالة والوضع، وهذا يعنى أحداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغـة العربية الجديدة أن صح اتصالها بالعربية الحالية المعروفة اتصال اللهجة بالام فإنها تبعد عنها شيئاً فشيئاً حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو كلاهما عندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميته » .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة عشرين من الفقهاء فى مختلف مجالات الشريعة الإسلامية والآداب والحضارة والفكر والفقه عن توابيت دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربيـــة وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب فالتغيير فى هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فإن الإسلام وهو عقيدة وشريعة قد إستنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع فى العبادات والمعاملات من الـكتاب والسنـة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والتنابيع لا يمكن أن تستنبط من أحكام إلا بواسطة مبادىء خاصة وقوانين معروفة بعلم الاصول وأساس هذه المبادىء والقوانين الراسخ أو دعائم علم الأصول إنما هى فهم الغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع له من القواعد الصرفية والنحوية وضوابط علوم البلاغة وإذا أصلحت هذه الضوابط وتلك القواعد بالازالة والوضع إنهدم أساس عدم الاصول وتداعت دعائمه وإذا انهدم الأساس وتداعت الدعائم انهدم أيضا ما يرتـكز عليها وهو هذا العلم وإذا وصل هذا العلم الأساسى فى استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة إلى التداعى ، تداعت معه أيضاً طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيده واحتجبت الشريعة وعـدنا إلى الجاهلية الأولى » .

هذه هى حلقة الصورة البراقة كما يصورها الدكتور على العنانى الذى حمل لوائها اليوم مجموعة من أعداء الإسلام واللغة العربية يدافعون عنها وينقلونها من

ثوب إلى ثوب ومن أسلوب إلى أسلوب وكلما انكشف زيفهم فى جانب أعادوا تشكيلها فى صورة أخرى .

خامساً : المؤامرة على عامود الشعر

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية فى بناء القصدة : ولقد جرت المحاولة أولا للقضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاماً عن عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبي ومن ثم بدأت الحملة عليه وإتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير الذى هز النفوس فى مواجهة الأحداث ، فى قضايا الوحدة الإسلامية والنفوذ الأجنبي وفى الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة إلى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى والاجتماعى وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الإداء الذى آزر الحركات الوطنية والإسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربى والصهيونية .

هذه هى الضربة الأولى التى وجهت إلى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشد خطراً هى مرحلة الشعر المنثور وقصيدة النثر أو شعر التفعيلة أو الشعر الحر .

تلك الدعوى المسمومة إلى حمل لوائها الماركسيون والشعوبيون لإخراج الأدب العربى من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التى أثر بها فى محيط الإسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربى أصيل معاصر هو عمر أبو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وأنها صناعة وافدة وإن الصهيونية حتى وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هى مبتكرة البدع والهرطقات فى هذا المضمار أو ذاك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العودة إلى التراث والإصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عمودياً طيلة حياته التى تمتد أكثر من ألفى عام وان كل التجديدات التى دخلت عليه ـ كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجى كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير فى إطارها وأن هذا الشعر العربى قد أصبح

صورة فكر ودراسه حضارة وأمة وقد جاء اليوم من يدعو إلى التخلى عن هذه العمودية كلياً للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك ومن يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها فى القديم والحديث والنظر إليهم على أنهم متخلفون لا يصح أن أن نسير على منوالهم ويؤكد كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحر فى أصل نشأته شعبة من إتجاه عام يدعو إلى تقليد الغرب فى فكره وحضارته فاطلاق الشعر من القافية التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنا الشعر العربى دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربى الذى لم يعرف القافية إلا فى صدود ضيقة من آثار إحتكاكه وتأثره بالأدب العربى فى الأندلس .

ولقد كان من أثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثره عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى تراثه الطويل ، هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سموم الفكر الغربى من تشكيك ولا ادرية وانحلال ومعانى مرتجلة ساذجة وحاول إبتعاث تراث قديم من الأساطير التى جاء الإسلام للقضاء عليها وإعلان أنها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا فى مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المادى .

وكل الدعاوى التى يحملها أهل الشعر فى صميمها تدعو إلى هدم قواعد الأدب العربى والبلاغة العربية عن طريق عمادها اللغوى وقد حفل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والإلحاد والتفاهات وقد اتخذه الشعوبيون المنحرفون إداة لمحاربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الإسلام الصحيح .

سادساً : إنحراف القصة

لا شك أن القصة بمختلف أسمائها وفنونها هى فن غربى خالص مستحدث تختلف إختلافاً كبيراً عما عرف الأدب العربى من فنون يمكن أن توصف بأنها

فقه أو ما عرف عن طابع القصص القرآنى ، فقد بدأت بالترجمة ثم التغريب ثم مع تغيير معالم البلاد وأسماء الأبطال مع بقاء جوهرها الأجنبى .

وما تزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الأوربية بكل أخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التى تختلف فى جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الإسلامية ولا شك أن هناك فروقا بعيدة بين النفس العربية الإسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للأحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الأسرة ، وهنـــاك أيضاً فروقاً وتباينا من ناحية التصرف إزاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى أفق الأدب العربى لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الإسلامية لأنها تخضع للمنهج الغربى وهى مغايرة تماماً للقصص الذى وصفه القرآن الكريم بأنه (القصص الحق) البعيد عن الخيال الجارف والهوى والتشهير والتفاصيل وقد اتسم الأدب العربى منذ ظهور الإسلام بخاصية واحدة هى تمثل الصدق والحق مع الوضوح والإيجاز ، والتماس العبرة ، والدعوة إلى الخلق والسمو والارتفاع فوق الاهواء ، وكلها عناصر مضادة للقصة العربية الحديثة بل ومعارضة لها ، وذلك أن العربى كان يفكر دائماً فى أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحرة الجريئة المكشوفة ، وطبيعة الفارس المقاتل الحفيظ على العرض والكرامة . الذى يقول كلمته فى صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم تكن فى حاجة إلى القصـــة المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والظلال والرموز ، ذلك أن العقيدة الإسلامية كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساساً فلم تكن فى حاجة إلى هـــذه المذاهب الغربية التى تقام فى المعابد والاديرة لتشرح للناس مقاصد معقدة .

ولما كانت ذاتية الامة العربية ومزاجها النفسى وتركيبها الاجتماعى والعقائد فى البسيط السمح ، وقد حققت من الادب العربى المسرحية والملحمة والقصـة

الاسطورية وحين ظهرت ألف ليلة وليلة وأدب المقامات والسجع كان ذلك كله غريباً عن طابع الأدب العربي المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

فهذه القصة العربية التي يقدمها الأدب العربي اليوم ليست أصيله ولذلك فهي ان تستمر طويلا لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربيـــة الإسلامية ، وأنها قد أفسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الإغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفساد .

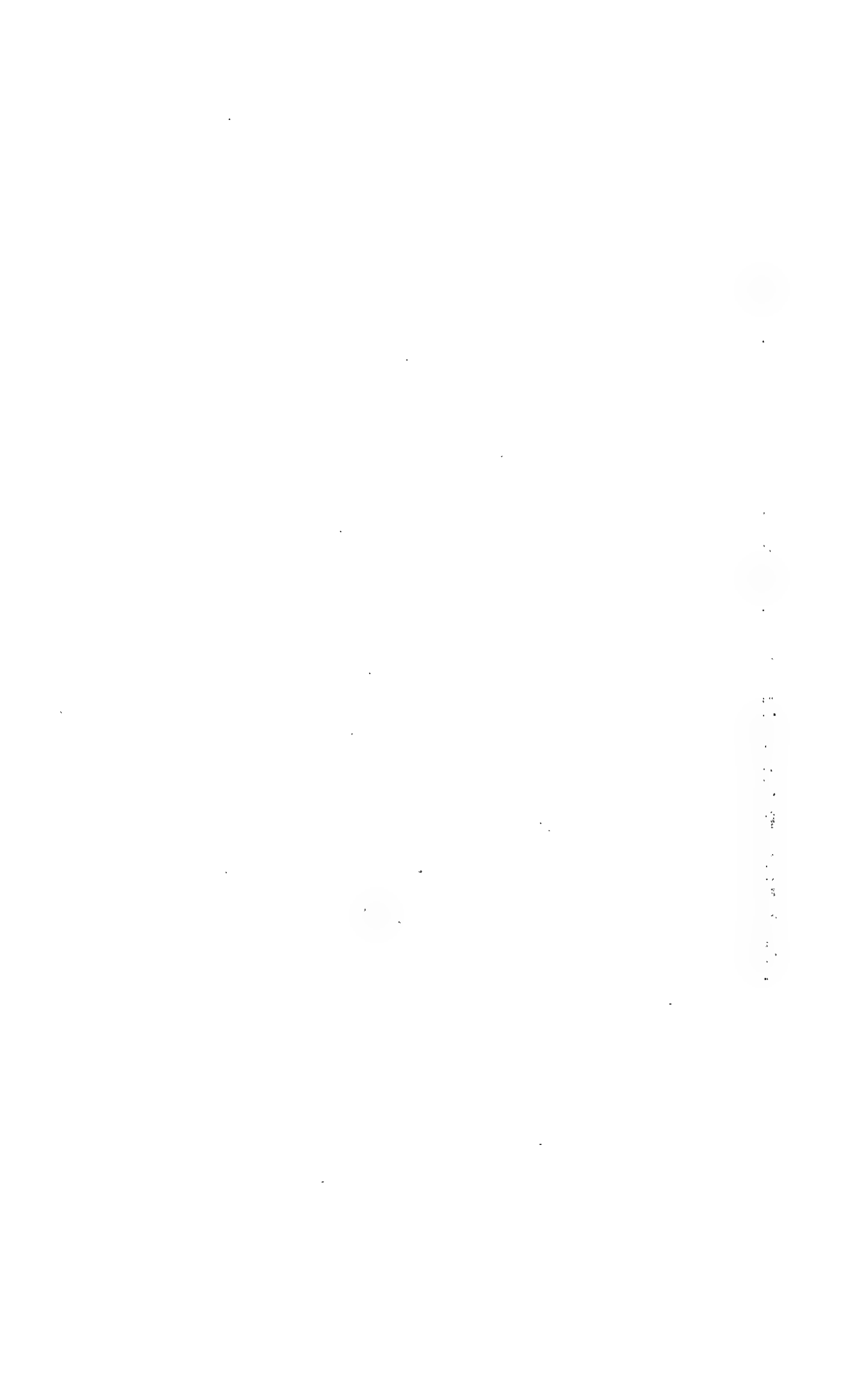
والقصد بهذه الصورة المعروضة اليوم هي من سموم الغزو الفكرى والتغريب التي تهدف إلى تحطيم القيم الأخلاق والكرامة وإفساد المجتمع .

* * *



الباب الثامن

عالمية الدعوة الإسلامية



الفصل الأول

آفاق جـــديدة أمام

عالمية الدعوة الإسلامية

أن المتتبع لخطوات الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامى اليوم فى هـذا العام الثانى للقرن الخامس عشر الهجرى يجد علامات كثيرة توحى بأن هذا القرن هو قرن النهضة الإسلامية إن شاء الله ، انتقالا من (مرحلة اليقظة) التى كانت علامة على القرن الرابع عشر إلى (مرحلة النهضة) وهذه العلامات والاشارات هى بمثابة رؤوس موضوعات تحتاج إلى متابعتها ورصدها وإضافة كل جديد على طريق نمائها وذلك حتى يمكن متابعة تطور حركة الدعوة الإسلامية العالميـة :

أولا : فى مجال الكلمة الصادقة .

كتب تتحدث عن الإسلام وأهم هذه الكتب فى الفترة الأخيرة .

١ – كتاب روجيه جارودى الجديد (بشائر الاسلام) بعد كتابة حوار الحضارات الذى تحدث فيه عن دور الحضارة الإسلامية فى بناء النهضة الغربية .

٢ – كتاب الدكتور موريس بوكاى الذى أشير إليه أخيراً والذى رصد فيه عدداً من النتائج الهامة وذلك بعد كتابة الذى أحدث ضجة منذ سنوات (الكتب المقدسة والقرآن والعلم) .

٣ – ظهور كتاب المائة الأوائل فى تاريخ البشرية والرسول محمد صلى الله عليه وسلم أولهم تأليف المؤلف الامريكى (مايكل هارت) .

وقد حدد المؤلف سبب إختياره للرسول صلى الله عليه وسلم على أنه الشخصية الاولى فى العالم على هذا النحو :

(أولا) : دوره فى نشر الاسلام وتدعيم وارساء قواعد شريعته أكبر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية فهو المسئول الأول والاوحد عن أرساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والاخلاق وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية .

(ثانياً) : القرآن الكريم قد أنزل عليه وحده وفى القرآن وجد المسلمون كل مايحتاجون إليه فى دنياهم وآخرتهم ، والقرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كاملا وسجلت آياته وهو مايزال حياً وكان تسجيلا فى منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد، وليس فى المسيحية شىء من ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق لذلك كان أثر محمد أكبر وأعمق من الأثر الذى تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية . وأن كل ماحدث خلال حياة محمد وبعد وفاته ما كان يمكن أن يتحقق بغير وجوده .

(ثالثاً) : أن القرآن الكريم العظيم هو الذى حفظ للعرب لغتهم وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة .

(رابعاً) : الامتزاج بين الدين والدنيا فى شخصيته الفذة هو ماجعله يؤمن إيماناً مطلقاً بأن محمداً هو أعظم الشخصيات فى تاريخ الانسانية بأسرها .

ثانياً : الكتب المعارضة :

كذلك فإن علينا أن نتابع مراجعة المؤلفات المعارضة التى يكتبها أعداء الإسلام وأن نرد عليها وأن نتابع خطوات الاستشراق الغربى والاستشراق الصهيونى والاستشراق الماركسى .

ومن أخطر كتب التى ظهرت فى الفترة الأخيرة كتاب (هل يمكن الاعتقاد

بالقرآن) الذى وضعه الكاتب السوفياتى « رحماتوف » والذى قدم فيه عديداً من الشبهات والسموم وقد عنى العلامة عبد الله كنون أمين جمعية العلماء بالمغرب بالرد عليه تفصيلا . وفى هذا المجال نجـــد أن اللجان الإسلامية فى مختلف المنظمات الاسلامية تحاول أن تتابع هذه الخطة . ومن أبرز ما عرض أخيراً : تلك الأخطاء الخطيرة التى احتوتها دائرة المعارف البريطانية فى طبعاتها الأخيرة وقد تصدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لهذا العمل وقدم الدكتور محمود دياب ردوداً هامة فى هذا الصدد . كذلك فقد أعلن عن تشكيل لجنة بمقر مركز التربية العربى لدول الخليج بالرياض لإصدار مجلد يكشف عما جاء فى كتب المستشرقين من تحريف للحقائق ، وقد رأت اللجنة أن يكون الهدف من هذا الكتاب « الكشف عن عيوب المناهج ، التى يتبعها المستشرقون فى دراساتهم العربية والإسلامية بحيث يكون ذلك طريقاً لوضع هذه الدراسات فى موضعها الصحيح ، وتصويب النظر اليها على نحو لا يجعل أجيالا من الباحثين وطلاب المعرفة ينظر اليها نظرة التقدير والاحترام التى ينظر بها الآن أو التى ينظر بها كثير من العرب والمسلمين بحيث يكون المجلد المقترح تأليفه مدخلا أساسياً لتتبع أعمال المستشرقين مستقبلا بصورة أكثر دقة وتفصيلا .

وسيصدر هذا البحث تحت عنوان : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ويضم البحث القرآن الكريم وتفسيره والسيرة النبوية والعقيدة الاسلامية والقانون والشريعة والتاريخ واللغة والأدب والفلسفة والعلوم والجغرافيا والنظريات السياسية والحياة الاجتماعية والسيرة النبوية والفن العربى والإسلامى والمعاملات المصرفية والحضارة الإسلامية فى الأندلس وجنوب أوروبا .

ثالثاً : نظريات دارون وفرويد وكارل ماركس وانشتاين :

وفى تطور آخر عقدت ندوة إسلامية فى باكستان حضرها ثلاثون خبيراً إسلامياً أعلنت الندوة أن نظريات دارون وفرويد وكارل ماركس وانشتاين

معادية للمعتقدات الإسلامية، وقد عملت الندوة على تطوير التعليم تمشياً مع المعتقدات الإسلامية وحماية الشباب المسلم من العقائد الأجنبية وقد دعا روحى رئيس جامعة باكستان الاسلامية إلى تطهير المعرفة الحديثة من عناصر مؤذية هى فى حالة حرب حالياً مع قدسية معتقداتنا وممارساتنا الدينية وأبلغ الندوة أن داروين وفرويد وماركس هم مفكرون غير دينيين قدموا صورة للعالم تنكروا فيها الخالق عز وجل وأن نظرية انشتاين لتصرف الجزئيات المحركة تعتبر خاطئة من وجهة المنظور الإسلامى وانتقد الدكتور اسماعيل الفاروقى (جامعة تامبل فى تنسلفانيا) نظرية التطور لداروين وقال إذا جاء هنا داروين وأبلغنى أننى ابن قرد فأنا بالتأكيد اسفقد طباعى ويمكن أن يتبع أجداده إلى أى مكان ولكن أجدادى هم أدم وعمر بن الخطاب وانتقد الدكتور الفاروقى النظام العلمانى للتعليم الذى قال أنه استورد معتقدات أجنبية وأنه يغذى الشباب المسلم بأفكار معاديه لتراثه ومستقبله وقال أن الندوة وضعت خطة من تسع نقاط تعمل موسوعة معرفة إسلامية وهى ستصدر فى وقت قريب .

رابعاً : أحياء التراث :

كذلك فى مجال أحياء التراث نجد الآن أن خطوات جديدة تجرى فى طريق تقديم الفكر السياسى الاسلامى وفى مقدمتها تلك الأعمال التى يقوم بها الدكتور فؤاد عبد المنعم حيث قدم .

الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزى ٥٩٧ هـ .

: التحفه الملوكية فى الآداب السياسة .

: كشف السرائر عن معنى الوجوه والأشباه والنظائر فى القرآن الكريم : لابن العماد المصرى المتوفى ٨٨٧ هـ

خامساً : الاقتصاد الإسلامى :

هنـــالك ندوات عن البديل الإسلامى للبنوك الربوية ، وهناك اتجاه واسع فى طريق استجلاء عظمة للاقتصاد الاسلامى وفى مقدمة ذلك ما أعلنه : (مجلة

أو ستري) أستاذ الاقتصاد بجامعة السربون فى باريس حيث قال : أن النظامين الاقتصاديين العالميين : الرأسمالى الحر والشيوعى المقيد قد عجزا عن حل مشاكل العالم الاقتصادية إلا أن هذا الحل موجود فى النظام الإسلامى الذى جمع الخير لبنى البشر ، وبقى على المسلمين أن يمسحوا الغبار عن كنوزهم الثمينة وأن يحسنوا عرضها للناس لتصبح طريق تصحيح وهدف انجاز .

سادساً : فى عالم الغرب خطوات جديدة على طريق الإسلام :

وفى أسبانيا صحوة اسلامية : أعلن رئيس مركز الدعوة الاسلامية فى غرناطة بأسبانيا الدكتور منصور عبد السلام بأن أسبانيا تشهد هذه الأيام وبعد خمسة قرون من غياب الحكم الاسلامى صحوة اسلاميـــة كبرى حيث نشاهد الرجال والنساء الأسبان يقبلون على اعتناق الدين الإسلامى مما يؤكد أن هناك زيادة مستمرة فى أعداد المسلمين الأسبان الذين يتمركزون فى مدينة غرناطة ، وقال أن المسلمين هناك يعقدون الاجتماعات والمؤتمرات لشرح الاسلام وتقديمه لغير المسلمين كما أن هناك برنامج تعليمى دائم للمسلمين الجدد لتدريس قواعد الدين والشريعة وتحفيظ القرآن الكريم وعلم الحديث إلى جانب تعلم اللغة العربية .

هذه النظريات التى توحى بتيارات جديدة على طريق الدعوة الإسلامية العالمية تكشف عن أن الخطط التى بدأها دعاة اليقظة منذ عقود قد دخلت فى مرحلة أكثر إيجابية فإن الحديث عن أخطاء التبشير والاستشراق قد بدأ منذ وقت بعيد منذ كتب الدكتور عمر فروخ والدكتور الخالدى كتابهما (التبشير والاستعمار) ومن بعده كتبت عشرات الأبحاث وقدمت اطروحة ضخمة فى جامعة الأزهر ومن هذه الدراسات كتابنا (الاسلام فى وجه التغريب : الاستشراق والتبشير) ونحن نجد الآن أن هناك خطوات أكثر تقدما إلى الطريق الصحيح عن طريق الهيئات الثقافية والجامعة الكبرى . وفى مجال الاعتراف بفضل الحضاره الاسلامية بدأت هذه الخطوات منذ سنوات طويلة (درابر ، كارليل ، جوستاف لوبون) . ثم جاء ذلك البحث الضخم الذى قدمته المستشرقة : سجريد هونكه (شمس الله تشرق على الغرب) وهانحن الآن نجد خطوات أخرى على الطريق .

ومنذ سنوات طويلة تكشفت أخطاء فرويد ودور كايم وسارتر وماركس، وكتبت عنها عشرات الأبحاث ، واليوم نجد مؤتمرات عالمية تضع الحقائق أمام المسلمين وتقوم هذه الشبهات فى ضوء حقائق الاسلام .

وهكذا نجد أن القرن الخامس عشر يقدم صورة جديدة للقضايا التى أثارتها حركة اليقظة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر عندما استغلت مفاهيم الاسلام الصحيح بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وبوصفه منهجاً متكاملا جامعاً بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة وصارت هناك مفاضلة واضحة بين أصالة الإسلام وبين العلمانية والفلسفة المادية .

وكل يوم يمر تتضح الصورة أكثر وتتكشف الحقيقة ليس للسلمين وحدهم بل للعرب نفسه يمر بأزمة نفسية خطيرة لايجد لها حلا إلا أن يلتمس الطريق الوحيد الباقى للانسانية بعد كل هذه الأيداوجيات المضطربة : طريق الإسلام .

الفصل الثانى

الفقـــه الإسلامى

معجزة الإســلام الكبرى

لقد لفت الفقه الإسلامى أنظار كبار رجال القانون فى الغرب لفتاً شديداً بل يمكن القول أنه هز نفوسهم هزا فقد وجدوا فى تراثه الواسع العميق ثروة ضخمة عجيبة ، غطت على كل محاولاتهم واجتهاداتهم الشخصية وكشف عن عظمة مصدر هذا الفقه ، بل أنهم لهثوا أزاء ماتكشف منه بين أيديهم ، فقد كانوا كلما حاولوا الوصول إلى قانون فى موضوع ما،بعد الجهد الجهيد وجدوا أن الإسلام قد سبقهم إليه وعلى نحو باهر معجز. وبدت صياغتهم للقانون ساذجة وقد أداهم هذا التأثر إلى القول بحقيقتين كبيرتين :

(١) أن هذا الفقه قد شمل كل مطالب الحياة وأن أوربا تكون أسعد ما تكون لو أنها طبقته على مجتمعها ولو بعد مائة عام.

(٢) الدهشة الشديدة لأن يكون هذا الكنز الشديد البهر موجوداً لدى المسلمين ومع ذلك فإنهم « يقتبسون » أو بمعنى آخر يشحذون من ذلك القليل الضئيل الذى لدى الأوربيين وهو ليس صالحاً لهم ولا محققاً لأشواق النفس الانسانية .

ومن العجيب أن الغرب كان يعقد مؤتمراته الواسعة واجتماعاته الضخمة التى تضم كبار ورجال القانون فى مختلف عواصم الغرب سنوات متصلة (عام ١٩٣٥ مؤتمر الحقوقيين فى أثينا ، ١٩٣٧ مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى . ١٩٥٠، مؤتمر القانون المقارن فى لندن ، ١٩٥١ دورة الفقه الاسلامى فى باريس) .

فى نفس الوقت الذى كان التغريب والغزو الثقافى ورجال الشعوبية من أمثال محمود عزمى وطه حسين وسلامة موسى وغيرهم يخدعون المسلمين فى بلادهم بأن

القانون الوضعى هو الأساس الصحيح لقيام المجتمع الإسلامى ويهللون ويصفقون لمصطفى كمال أتاتورك عندما حجب الشريعة الإسلامية فى الدولة العثمانية وأنفذ القانون السويسرى . وكانت بلاد المسلمين والعرب قد خضعت منذ النفوذ الأجنبى البريطانى الفرنسى — الايطالى — الهولندى) للقانون الوضعى وتوقف تطبيق الشريعة الإسلامية منذ نزول الاسلام لأول مرة تحت تأثير النفوذ العسكرى المفروض على بلاد الاسلام والعرب ما عدا (الجزيرة العربية) التى نجت وحدها من هذا الغزو المتسلط . غير أن حركة اليقظة الاسلامية ما لبثت أن انتفضت بعد سقوط الخلافة الاسلامية فى تركيا لتحمل لواء الدعوة إلى العـــودة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وجرت خلال هذه الفترة أبحاث عديدة ومحاولات كثيرة حتى أصبحت صيحة العودة إلى الشريعة الاسلامية اليوم أمراً لابد من تحقيقه فى مطالع هـذا القرن الخامس عشر الهجرى علامة على تحرر هذه الآمه من النفوذ الغربى الذى فرض عليها خلال القرن الماضى والذى لم تستسلم له يوماً من الأيام .

وقد سجلت الدراسات مدى الاثر العميق الذى تركته الشريعة الاسلامية فى القانون الدولى والعالمى كما كشفت الابحاث الحديثة عن جوانب كثيرة من الشريعة الاسلامية أصبحت مادة خصبة للقوانين الاجنبية ومن ذلك :

أولا : ما توصل إليه الامام ابن القيم ما يسمى نظرية المنفعـــة فى أعمال الفضولى ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفسخ عقود الديون المضرة ، ومبدأ تغيير الاحكام بتغيير الزمان والامكنة والاحوال ، وكلها قوانين جديدة عرفها الغرب فى السنوات المائة الاخيرة بينما كشف عنها الامام ابن القيم قبل ذلك بخمسمائة عام .

ما كشفه الاستاذ عمر لطفى فى دراسته عن حرمة المنازل التى استمدها من القرآن الكريم : « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم » وكان الفرنسيون قد استمدوا من التشريع الاسلامى قانون حرمة المساكن فقال الدكتور فرنان

داجين : يكاد يكون الاعتقاد السائد فى فرنسا أن إحترام المسكن لا يشغل فى تقنين العالم الاسلامى إلا مكانا حرجاً فقد ثبت أن الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذا الانتهاك تحريماً مطلقاً ، فقد ذكر عمر لطفى أن القرآن مفسر يحرم على كل شخص أن يدخل بيت الآخر بغير رضاه إلا فى أربع حالات :

الأولى : إذا كان مرخصاً له الدخول فيه عادة .

الثانية : إذا أدعى إليه فإن الدعوة تساوى الإذن بالدخول .

الثالثة : إذا أدعى فى حالة حريق وفيضان أو إرتكاب جريمة .

الرابعة : إذا كان البيت مفتوحاً للأفراد كالحانوت والحمام .

وكل من ينتهك حرمة مسكن يستحق التعذير هو عقاب لكل جريمة ليس لها حد ، حده الأول التوبيخ والأقصى القتل حسب جسامة الجريمة وحاول المجرم ، ومع ذلك فإن تحريم دخول المساكن من غير استئذان ليس قاصراً على الأفراد بل يتناول السلطة الحاكمة .

ثالثاً : توصل الإمام الشاطبى إلى نظرية تسمى فى القوانين الحديثة : نظرية التعسف فى استعمال الحقوق فأثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين : أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعاً ، إذا لم يقصد منه فاعله إلا الاضرار بالغير ، وفى هذا الموضوع قدم الدكتور محمد فتحى أطروحه دكتوراه فى فرنسا عام ١٩٠٧ عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق ، وقد علق العلامة كبير العالم القانونى الألمانى على هذه الرسالة فقال : لقد كان العلماء الألمان يتيهون عجباً على غيرهم فى ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها فى القانون المدنى الألمانى عام ١٧٨٧ اما وقد ظهر بحث الدكتور فتحى وإفاض فى شرح هذا المذهب عند رجال التشريع الإسلامى . وبأن أن رجال الفقه الإسلامى تكلموا طويلا ابتداء من القرن الثامن الميلادى فإنه يجدر بالعالم القانونى الألمانى أن يرد مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعشرة قرون وأهله هم حملة الشريعة الاسلامية .

وهكذا تكشف الدراسات الغربية مدى عظمة الفقه الإسلامى، ومدى ما يوجد فيه من ذخائر تحاول المجتمعات الاجنبية أن تستفيد منها ومع ذلك فإن القوى الاجنبية تحاول أن تحترم أهلها من أبسط الحقوق وهى استعمال شريعتهم وتطبيقها فى مجتمعاتهم (ونجد مثل ذلك فى كل جوانب التراث الاسلامى فإن أكثر من ثلاثة ملايين كتاب مخطوط للمسلمين يوجد فى خزائن المكتبات الأوروبية والغربية وبعضها محرم على المسلمين الاطلاع عليه) لانه يحوى كنوزاً فى مجال العلوم التجريبية يستأثر بها الغرب ولا يريد للمسلمين أن ينتفعوا بها ليخرجوا من أزمتهم ويحققوا ذاتهم ووجودهم وكيانهم فقد كان عطاء الإسلام فى مختلف المجالات وافراً وأن أنكر ذلك التغريبيون الذين يدعى بعضهم (طه حسين وعلى عبد الرازق) بأن الإسلام ليس له فكر سياسى أو فكر اقتصادى مع أن المسلمين يملكون فى هذا المجال ثروة ضخمة من مؤلفات الماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم الذين اشتركوا فى رسم خطوط النظرية السياسية فى مختلف مجالات الامامة والولاية والحكم والعقد السياسى .

وكذلك فقد كشف الباحث عن المبادىء القضائية الاسلامية التى تتمثل فيما يلى :

أولا : العدل يجب أن يصل إلى الناس بلا تميز وقبل أن يطلبوه .

ثانياً : أعفاء صاحب الشكوى حتى من أثمان الورق الذى يكتب عليه شكواه .

ثالثاً : إقرارات الذمة للولاة وكبار الموظفين وحصر أموالهم حتى يتضح ما قد يزيد منها أثناء توليهم مناصبهم .

رابعاً : تحريم الهدايا على كبار الموظفين وعمال الدولة لأنها أما ثمرة ظلم وقع بالفعل أو هى ثمرة ظلم يمكن أن يقع .

خامساً : أن القصاص لايقف عند حد من وقع منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه إلى من كان لنفوذه وسلطانه دخل فى هذا الاعتداء وكشف الباحث عن أثر هذا النظام القضائى الإسلامى على أنظمة العدالة الاوروبية فيقول أن معرفة أوروبا لهذا النظام قد تمت من خلال ثلاث طرق :

(١) المخالطة العربية الأوربية أثناء الحرب الصليبية .

(٢) المخالطة العربية فى الأندلس (أسبانيا الاسلامية) .

(٣) طريق البعثات الدبلوماسية بين الدولة الاسلامية وممالك أوروبا .

من هذه النقاط كلها مجتمعة نستطيع أن نقول بكل ثقة بأن القانون الاسلامى هو مصدر أساسى للقانون الدولى والعالمى القائم الآن ومع الأسف فإن المسلمين لا يزالون محرومون من تطبيق قانونهم الذى أعطى للعالم كله وما يزال يعطى إلى يوم الساعة .

الفصل الثالث

دور مصر

فى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة

أن مصر هى كنانة الله فى أرضه وهى قلب العالم الإسلامى ومصدر الثقافة والفكر والعلم فى كل المنطقة. وأن هذا الكيان المصرى مؤهل لحماية البلاد العربية والأمة الإسلامية: هذا هو منطق الدعوة الحقيقية إلى الجامعة الاسلامية فمصر هى خط الدفاع الأول عن مقدسات المسلمين ومن أجل ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم شدد على هذا المعنى حين قال:

« ستفتح عليكم بعدى مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا فإنهم خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

والغرب بشقيه . وبقواه الإستعمارية (صهيونية وماركسية وغربية)، يعلم هذه الحقيقة ويعلم أن هذه (القارة الاسلامية) كما أطلق عليها نابليون هى مطمح الغزاة وصرة الأرض ومستقر الثروة المذخورة (البترول والكوبلت والفوسفات وغيره) .

وستظل هكذا مطمح الأمم والدول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فأكبر مهمتها هى أن تحافظ على ذاتيتها ووجودها وأن تكون مؤهلة لتكون فى رباط إلى يوم القيامة ببناء أجيالها بناء قائما على الصمود والرباط والقدرة على مواجهة القوى الغازية لايضعون أسلحتهم ويكونون بتركيبهم الاجتماعى قادرين على أداء هذه الرسالة .

رسالة حماية البيضة والمحافظة على الذاتية الإسلامية الخالصة .

ولقد حرص النفوذ الأجنبي على أن تفقد الأمة الإسلامية هذه الذاتية، وكان منطلق تدمير هذه الشخصية هي (الأرساليات) وبناء مناهج تعليمية وافدة تزيح العقيدة عن مفهومها الصحيح، والأخلاق، وتحول دون تطبيق الشريعة الاسلامية ولقد أقامت نظام الربا والقانون الوضعي وبذلك فسد الاقتصاد والاجتماع والشخصية الفردية والمجتمع كله.

بل أن هناك ما يشبه الاجماع على أن القوى الأجنبية تتجمع لتضرب قارة الإسلام ضربة قاتلة وأن عام ١٩٨٩ الذى حددته بروتوكولات صهيون ليس ببعيد وأن العمل فى سبيل إنجازه قائم ومستمر، ولذلك فإن علينا لاستعادة وجودنا الحقيقي وأداء دورنا الحق فى هذا الكوكب وأن نبدأ من حيث بدأ النفوذ الأجنبي بإعادة صياغة الشخصية الفردية وفق مفهوم الإسلام الأصيل، وإعادة نظام التربية الإسلامية التى يستطيع أن ينشىء الشخصية القادرة على مقاومة الأهواء والمطامع.

ولقد كانت قضية الترف هى مصدر الهزيمة والتدمير للأمم والمجتمعات الاسلامية على مدى التاريخ، ولكن الأمر الذى كان ولايزال أشد خطراً هو: الاستسلام للأمن وضياع الإحساس بالتحدى والخطر الداهم المرتقب. ولقد حرص القرآن الكريم على تثبيت هذا الإحساس فى النفس المسلمة حيث قال تعالى: (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم).

ولقد كانت البلاد الإسلامية تعيش حالة التحدى فلما انسحب الاحتلال العسكرى تراخت قواها وأندفعت وراء موجة الترف والتحلل الذى هو أقتل مقاتل معنويات الأمم.

ولذلك فإن مفتاح العمل كله هو بناء الأجيال على أساس التحدى المستمر وعلى أساس توقع الخطر الدائم، وهذا هو ما أطلق عليه القرآن الكريم مفهوم

(المرابطة) الدائمة . ولقد كان للمسلمين فى القرن الثامن عشر آلاف رباط على طول البحر الابيض المتوسط من طوروس إلى الدار البيضاء يقيم فيها المسلمون ويتواردعليها المجاهدون طوال العام فى مواجهة الغزو الغربى ، ولاريب أن النفوذ الأجنبي يخطط الآن من جديد لالتهام العالم الإسلامى من خلال أبرز مقاتله : وهو الأمن والترف والتحلل الذى قدمته الحضارة الغربية بينما يحول الغرب دون أن يمتلك المسلمون أدوات القوة الحقيقية وهى التكنولوجيا والقوة العسكرية المتقدمة .

ولاريب أن الاجيال فى النظام الغربى تبنى على أساس منهج الديمقراطية والليبرالية ، وتبنى على أساس منهج الماركسى حتى العلم التجريبى يخضع فى كلا النظامين للايدلوجية . لذلك فإن علينا أن تنطلق من « أيدلوجية إسلامية » لها مفهومها العميق فى حماية الوجود الاصيل للقارة الإسلامية كلها وخاصة بعد أن تبين فساد التجربتين الغربية والشيوعية فى العالم الإسلامى وأن نصر رمضان إنما جاء من منطلق المفهوم الإسلامى الأصيل .

أن الحضارة الغربية قد أدخلت إلى المجتمع الإسلامى انحرافات خطيرة فى مجال البناء الاجتماعى وكانت عملية التركيز التذريبى تهدف إلى تدمير الأسرة الاسلامية وتغيير إعرافها وتحويل المرأة عن مهمتها الاساسية فى بناء الأجيال الجديدة والحيولة دون بناء الفتاة المسلمة القادرة على حماية أمانة البيت والأسرة والطفل ومع الأسف فإن المناهج الدراسية تجاهلت تعليم الفتاة لرسالتها ومهمتها فى البيت والزوج وتربية الطفل وتنشئة الأجيال الجديدة وهذا من أخطر عيوب مناهجنا التعليمية التى لم تفرق بين تعليم الفتى وتعليم الفتاة وجعلت هدف التعليم الحصول على وظيفة وأجر .

من أجل تحقيق هذا الهدف لابد من وضع مادة الدستور عن الشريعة الاسلامية موضع التنفيذ فى كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وأن تكون التربية

الاسلامية هى المنطلق لتحقيق هذه الغاية العليا التى تكون بحق منطلق عصر النهضة الذى يبدأ مع بدأ القرن الخامس عشر الهجرى وأن يكون تطبيق الحدود الاسلامية هو الزاجر الذى يعطى حركة البناء التربوى طريقها الحقيق لتكوين الأجيال القادرة على حمل الأمانة التى وضعها الحق تبارك وتعالى على مصر بوصفها قلب العالم الإسلامى والحامية الحقيقية للفكر الاسلامى الأصيل وأن تراجع القوانين فى ضوء هذه المادة من الدستور ، كذلك فإن « أسلمة » الأعلام والصحافة هو هدف أصيل وضرورى لتحقيق هذه الغاية الكبرى .

أن منطلق الغزو الخارجى جاء عن طريق تزييف قيم هذا الفكر الأصيل الناصع ، بوصفه ممثلا لمفهوم الإسلام الصحيح : نظام مجتمع ومنهج حياة والقضاء على قيمه الاساسية فى التربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد ولذلك فإن القضاء على أزمة المجتمع الاسلامى يتطلب العمل فى الخطين معاً :

(أولا) : تطبيق الشريعة الإسلاميـــة على مختلف القوانين المعمول بها فى البلاد .

(ثانياً) بناء الأجيال الجديدة على أساس منهج الاسلام التربوى فى مواجهة التحدى الخطير الذى لا يتوقف ولا ينتهى وهو يستدعى بناء الشباب على أساس الصمود والرباط وبناء المرأة على أساس أنها حاملة رسالة بناء الأجيال الجديدة ، وليس العمل فى مجال الوظائف إلا فى حالة الحاجة الماسة وأن مليون سيدة تعمل الآن فى البلاد من شأنه أن يضع مليونين أو ثلاثة من الأبناء فى موضع الفراغ حيث لا يجدون معه رعاية أو حناناً حقيقياً فضلا عما أعلنته التقارير الرسمية من ضعف حجم الخدمة التى تقوم بها المرأة وانهيارها بعد الزواج وبعد الولادة الأولى مما يحقق خسارة كبيرة للموارد الاقتصادية فضلا عن الخسارة الحتمية فى مجال تربية الأبناء الذين يفقدون الحنان والحب والحماية فترة بناء شخصيتهم وتكوينهم : هذه الرعاية التى

يحتاج اليها الشباب فترة طويلة . ويتطلب هذا بناء الآباء وبناء المعلمين وبناء الأمهات قبل بناء الشباب نفسه وحتى تتوقف المحاذير الخطيرة التي يواجهها المجتمع الإسلامي وهي :

١ — فساد العلاقة بين الآباء والأبناء .

٢ — جهل الآباء لمهمتهم بالنسبة لزوجاتهم وبالنسبة لأبنائهم .

٣ — جهل المسلمين وتقصيرهم بالنسبة لتلاميذهم ولأبنائهم أيضاً .

٤ — كراهية الأم لأطفالها والضيق بهم رغبـــة فى توجيه وقتها لمتاعها الخاص .

٥ — نقص المناهج الدراسية عن توفير منهج تربوى للفتاة فى حدود مسئوليتها وعملها الأساسى وهو الأمومة وحماية الأسرة .

ولاريب أن تربية الفتاة هى أساس البناء كله وأن مفهوم الإسلام لعمل المرأة هو أصدق المفاهيم : أن الاسلام لايمنع عمل المرآة ولكن ينظمه ويجعله مرتبطاً بحاجتها ، ويغلب تربية الأبناء على العمل نفسه ، وعمل المرأة فى إطار الإسلام قاصرٌ على أعمال معينة وحالات معينة وليس مطلقاً .

ولاريب أن الأمر كلـــه من ناحية المجتمع الإسلامي دعوة إلى الأصالة وفى نفس الوقت تجد البشرية نفسها تتطلع إلى منهج الإسلام . والغرب اليوم ينطلق من مقولة فساد النظام الاقتصادى القائم , ولقد تنادت دول الغرب إلى مؤتمر عقد فى الأمم المتحدة يدعو إلى نظام اقتصادى عالمى جديد بعد فشل النظامين الرأسمالى والماركسى ونعتقد أن الاسلام هو « المبادرة الحقيقية »

للبشرية اليوم فهو النظام الوحيد القادر على العطاء ، فعلى المسلمين أن يطبقوا الإسلام ثم يقدموه للبشرية التى أحست بحاجتها الملحة اليوم إلى منهج جديد فيكونوا بذلك أصحاب المبادرة الحقيقة لإنقاذ العالم الحر والمعاصر من مشاكله ومعضلاته خاصة وأن هـذا العالم الحائر يبحث عن مثل هذه المبادرة ويتطلع اليها .

الفصل الرابع

العقيدة الفكرية

للكاتب المسلم

تتمثل عقيدة الكاتب المسلم الفكرية فى إيمان صادق عميق بتكامل الاسلام وقصور المفهوم الوطنى والقومى والأدبى ، وبتكامل المواجهة، ليس للماركسية وحدها ولكن للفكر الوافد جملة وتقرر هذه النظرية خطار المفهوم الجزئى والانشطارى الذى تنطلق منه النظريات الوافدة وكل منها يترقف عند بعد من الأبعاد لايتعداه بينما يستقطب المفهوم الاسلامى جميع الأبعاد : من حيث الزمن وأخلاقه ومن حيث البيئة وتنوعها ومن حيث جمع العناصر كلها فى منطوق واحد متكامل .

كذلك فإن مهمة الكاتب المسلم : هى جزء من مهمة الدعاة إلى الله عليهم أن يحرروا الشخصية الإسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها والتوصل إلى تأسيس وتأصيل مدارس واتجاهات إسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرغها فى إطار إسلامى ، وتعمل على تأصيل الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ومن عقيدة الكاتب المسلم الايمان بأن حركات التحرر من الاستعمار فى العصر الحديث لم تنجح إلا عندما ارتكزت على الاسلام ، وقد انتصر المسلمون فى كل معارك الغزو بالمفهوم الإسلامى لا بالمعنى القومى وكل قضاياهم التى عالجوها بالمفهوم الوطنى أو القومى لم تحقق نجاحاً .

ومن عقيدة الكاتب المسلم : الايمان بأن : لانهيار الأمم أسباباً كثيرة من أخطرها قطع الصلة بالماضى (التاريخ) ، أوقطع الصلة بما وراء الطبيعة (الغيب)

أو قطع الصلة بالمجتمع ، فاذا أنقطعت الصلة بواحدة من هذا جاء الخوف والقلق والتمزق . وأن علاقات الانسان بربه وبنفسه وبالكون وبالناس هى مصدر قوته واصالته ،

ومن عقيدة الكاتب المسلم : الايمان بأن الحياة ليست منفعة أو مادةولكنها جماع المعنويات والماديات وإن الانسان تحركة إرادة حرة ولكنها حرية غير مطلقة لأنها تتحرك داخل إرادة الله . وان القوانين قوانين ثابتة وسننا طبيعية ولكنها تخضع للمعجزة الألهية وإن الله تبارك وتعالى قادر على نقض هذه القوانين متى شاء وإيقافها متى أراد . وأن فى الفكر عقلانية ولكنها ليست كل شىء فهناك الروح ، وإن حرية الإنسان مقيدة بالضوابط الإخلاقية والمسئولية الفردية التى أقامها الدين وهناك ضوابط وحدود والاقتصاد عامل مؤثر فى مجرى التاريخ ولكن ليس الأكبر أو النهائى أو الوحيد .

ومن عقيدة الكاتب المسلم إن الفكر الغربى قد سيطرت عليه الفلسفة المادية فأصبح لايعنى بالروح أو المعنويات وأصبح أنشطاريا غير متكامل . وإن حضارة الغرب تمر الآن بمرحلة الأزمة فقد عجزت عن أن تعطى سكينة النفس وإن الفكر التلمودى أصبح الآن مصوغا فى مناهج وفلسفات منها الوجودية والفرويدية والماركسية ومدرسة العلوم الاجتماعية وأن فرويد ودور كايم وسارتر ومار كس يمثلون سيطرة التلمودية على الفكر البشرى .

ومن عقيده الكاتب المسلم التفرقة بين الشريعة الاسلامية وتاريخ الإسلام فهذه هى رسالة السماء وتلك هى تجربة الانسان فى محاولة إقامة المجتمع الربانى على الأرض ، والتفرقة أيضا بين التقاليد والأخلاق فالتقاليد من صنع المجتمع والأخلاق جزء من العقيدة المنزلة . والتفرقة بين الأصيل والوافد ، بين الفكر الربانى والفكر البشرى الوالغ فى الوثنية والمادية والاباحية .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن يواجه ثلاثة تحديات خطيرة فى المجتمع الإسلامى :

الاول : التحدى المنبعث من واقع المسلمين : الجمود والجبرية وكبت البدع والخرافات .

الثانى : التحدى المنبعث عن الغزو الفكرى والتغريب والشعوبية .

الثالث : التحدى المنبعث من الهزيمة النفسية إزاء أباحيات الحضارة .

وأن يؤمن بأن هدف التغريب (فى خدمة النفوذ الاجنبي والشيوعية والصهيونية) هو هزيمة العقل الإسلامى بإذاعة الالحاد وتعريض المجتمع والاسرة بنشر الاباحية ويكون مركب نقص فى أعماقنا يشعرنا بالهزيمة إزاء حضارته المادية .

فضلا عن أنه يستنقص أنفسنا كامة لها تراثها وتاريخها وعقيدتها التى تتميز على كل العقائد والقيم بأنها ربانية وأنها سبيل الرشاد والهدى إلى الحق .

ومن عقيدة الكاتب المسلم : رفض التطور على حساب الإصالة ورفض التقدم على حساب التفريط فى الجذور والقيم الاسلامية ، كما رفض تضحية القيم العليا فى سبيل التقدم المادى وأن الإسلام لم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الامم ذلك أنه ليس فى المناهج والدعوات والايدلوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين فى ميراثهم وتراثهم نظيره أو خير منه وهو فى الغرب مقطوع الصلة بالله ولكنه فى الاسلام متصل الحلقات ، هو فى الغرب إنشطارى ولكنه فى الإسلام جامع متكامل .

ومن عقيدة الكاتب المسلم : أن المحاولات التى ترمى إلى استقطاب المسلمين وإحتوائهم فى إطار الحضارة الغربية التى تمر بأسوأ مراحلها والتى يصرخ أهلها طالبا للتحرر منها هى محاولات باطلة غاشة زائفة ، فقد كان موقف الإسلام على

مدى تاريخه وحياته واضحا أنه لايحتوى ولا ينصهر ولا يبرر الواقع الفاسد ولا يؤول ثوابت نصوصه لخدمة الحضارة الزائفة .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن إنطلاق المسلمين على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لايمكن أن يتم بدون الارتكاز على قاعدة أساسية تكون هى المصير والمنطلق . منها نقطة البدء وإليها نقطة النهاية . هذه القاعدة ليست سوى المنهج الأصيل الذى قدمه الإسلام لابناء المجتمع وعلى هذه القاعدة تقوم الثقافة ويقوم النظام السياسى والإجتماعى والاقتصادى والتربوى .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن من طبيعة الإسلام الحسم والثبات وأنه لا يفسح مجالا لإنصاف الحلول ولا أتفاقاً مع أعداء الإسلام على حساب المبدأ ولا قبولا للتبعية ولا إستسلاما للاحتواء فى إطار الاممية العالمية وإنما يطالب الاسلام المسلمين بتغيير وسائلهم وتحسين أساليب معيشتهم من وقت لإخر داخل الإطار العام لمبادئه الاساسية ولمواجهة الظروف دائمة التغيير فى العالم المتطور إيماناً بأن هزائم المجتمعات الإسلامية إنما هى نتيجة أنحرافها عن الإسلام .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن كلا من التجربتين الغربية والشيوعية مرفوضة فى أفق المجتمع الاسلامى وأن التجربتين كأنتا لمجتمعين مختلفين عن مجتمع الاسلام وأن الماركسية ماهى الاجزء من نظام غربى وإنها رد فعل لواقع الرأسمالية الغربية التى عجزت عن إقامة مجتمع سليم وأن كلا من الرأسمالية والماركسية من مصدر واحد قوامه سيطرة أوربا على الاقتصاد العالمى :

وإن الفكر الغربى محاصر الآن بثلاث نظريات : هى النظرية المادية والدوافع الجنسية وأهواء الوجودية وكلها تحتقر الإنسان احتقاراً شديداً ، وهناك الجبرية التى تريد أن تخلى الإنسان من المسئولية الفردية وتلقى هذه المسئولية على المجتمعات وتلقى هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع المتع الحسية والترف والقسوة

والحقد والبغض والاهتمام بالكم وتضحية النوع والكيف وأن ذلك كله يقوم في نظام مفهوم مادي خالص .

على المفكر المسلم أن يكون على إحساس واع بالنوافذ والابواب الخارجية وما يهب على المسلمين منها من رياح وتيارات وأن لا يغلق الباب عليه ويظن أنه أصبح فى مأمن وأن لا يمنعه قضاء قضاه أو رأى أرتأه فى يومه ثم هدى إلى الحق فيه أن يعود إلى الحق وأن يواجه الامور والقضايا فى أسلوب الاسلام الجامع واقعيا فى دراسة المشكلات والقضايا متكامل النظرة فى علاجها يجمع بين المثالية والتجريبية، بين خطرة الفكر ونفثة الروح، وبين العقلانية والوجدان ويجب أن يعى بأن هناك أخطارا دخلت على المسلمين من شأنها أن تحطم الشخصية أو تدمر الاسرة هى أخطار عبادة الحياة واللذة والصور المعلقة فوق السرر ولنعلم أن أعلى درجات الرقى والثراء والغنى هى أعلى درجات التمرق والإلحاد والغربة وأن المجتمع المتحضر الآن فى ذروته يعكف على الموبقات والمخدرات أو الانتحار ويواجه أزمة النهاية ليفسح مكانه لتجربة أخرى .

وعلى المفكر المسلم أن يؤمن بأنه لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشرى حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والحضارة ويفرض عليها مفهوم لا إله إلا الله وأن يوقن بأن النظرة الاسلامية هى النظرة الجامعة التى لا تقف عند الجانب المادى أو الدنيوى فى أى من تجارب الحياة فهى تجمع العصر والعلم والتحضر والاخلاقيات بمقياس لذلك كله وجدان وأن يعلم بأن الجسم الاسلامى مازال يرفض العضو الغريب وأن الكيان الإسلامى مازال يرفض الجسم الغريب .

وعلى المفكر المسلم أن يؤمن بأن من أخطر المحاولات التى تجرى هى ضرب الإسلام بالإسلام أو ضربه من الداخل أو ضرب الإسلام الأصيل ببعض الفرق الضالة والطوائف الدخيلة مثل القاديانيه والبهائية وكلها تتلقى التوجيه والمعونة من المستعمرين والمبشرين واليهود، هذه الفرق التى تشرع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الاسلام لهدم الاسلام ولقد خدعت هذه الفرق بعض كتاب الاسلام وظنوا أنها من علامات اليقظة والنهضة .

وبعد : فإن هنـاك قدراً ضخماً من المعلومات والاخطار والاخبار تطرح يومياً فى أفق المجتمع الاسلامى عن طريق الصحافة والاذاعه والكتب المترجمة أو وسائل الاعلام المختلفة ، هى وجهات نظر متراكمة لمجتمعات أخرى فيها مادة نافعة قليلة وفيها زيف كثير فكيف يكون موقفنا منها نحن الكتاب المسلمين المسلمين والصحفيين المسلمين وهى تمثل وجهات نظر تختلف فى الاغلب وتتعارض فى الأكثر مع مفاهيمنا الاساسية وقيمنا الثابتة ، ذلك لان كل ما يطرح من خبر أو فكر إنما يشتمل على جزئين متداخلين: حقيقة ما : هى عبارة عن خبر ووجهة نظر أو تعليق أو تحليل لهذه الحقيقة تمثل رؤية الذين بثوا هذا الخبر . ونحن نعرف أن هناك غرابيل دقيقة جداً لا تنفذ منها الاخبار حين تبث فى العالم الثالث إلا وهى مطعمة بوجهة نظر الصهيونية أو النفوذ الاجنبى أو الشيوعية فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين من هذا الإعصار الضخم المدمر الدائم المستمر يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف اليقظة والحذر: وأن نتعرف عليها فى ضوء قيمنا وعقيدتنا وأن نفرق بين العلوم وبين الثقافات وبين المعارف النافعة والمعارف الضارة من لهو الحديث ليضل الناس بغير علم .

ونعرف أن هذه المحاولة فى طرح معلومات علينا بوجهات نظر تختلف عن وجهة نظرنا إنما يهدف إلى إحتوائنا والسيطرة علينا وإدخالنا فى دائرة الاممية . ومن أجل هذا فإن علينا أن نفرق تفرقة واعية ودقيقة وعميقه بين وجهة نظر الإسلام فى كل الامور وبين وجهة نظر الفكر الغربى بشقة على أساس أصيل ثابت: هو أننا نقوم على أمانة الفكر الربانى القائم على التوحيد الخالص والرحمه والعدل والاخاء الانسانى وأن ذلك الاعصار الجائح الذى يتحرك نحونا هو الفكر البشرى القائم على المادية والعلمانية والوثنية .

هذا وبالله التوفيق .

الفصل الخامس

حقيقة الإسلام

* تنوع فى إطار الوحدة

* وحركة فى إطار الثبات

حين يكتب التاريخ الإسلامى من خارج ، فإنه يحتاج إلى مراجعة دقيقه ونظرة فاحصة ، فان الشعور التلقائى أن كاتبها له هدف واضح وغرض مبيت ، ومن هنا تختلف أغراض النظرة باختلاف الدول : وقد وجدنا كتابة إنجليزية لتاريخ مصر والسودان والعراق ، وكتابة فرنسية لتاريخ سوريا والمغرب . وفى كل هذه الكتابات كانت روح الانتقاص وطابع الاستعلاء واضحة . كذلك فان هناك كتابات أخرى تحاولهـا قوى طامعة فى العصر الحديث بالإضافة إلى الاستعمار الغربى منها الشيوعية بتفسيرها المادى ، ومنها الصهيونية بتفسيرها الشعوبى، وقد طرحت فى أفق الدراسات الإسلامية فى العصر الحديث ، كتابات ماركسية وصهيونية بالإضافة إلى الكتابات الاستعمارية .

إن الهدف الذى تقصد إليه هذه التفسيرات هو القول بأن هذه الأمة قد عرفت إحتلال الفرس والرومان وغيرهم من الأمم ، وأن ذلك يبرر إحتلال الغرب لها .

والواقع أن الأمة الإسلامية منذ كانت فإنها لم تقبل الاستسلام لأى غزو . ولم تمكن أى قوة من السيطرة عليها إلا بقدر ما امتلكت إرادتها من جديد . وكذلك كان موقفها من الصليبيين والتتار والفرنجة .

كذلك فاننا نجد المحاولة الصهيونية ترمى إلى القول بأن هذه المنطقة قد حفلت بعناصر غريبة جاءتها من الشرق أو من الغرب ، ولذلك فانه ليس من الغريب

أن تقوم فيها إسرائيل ، ولكن الحقيقة التي تغيب عن حملة هذه الاضاليل أن مصير أي تجمع مثل إسرائيل ، فان مصيره دائماً الانهيار والزوال .

أما في المحاولة الماركسية ، فان التفسير المادي للتاريخ يحاول أن يتجاهل دور العقيدة في بناء الأمم والحضارات ويفسر الأمور تفسيراً مادياً أو اقتصادياً صرفا ، بينما لم يكن الاقتصاد إلا واحداً من عوامل عدة منها : العامل المعنوي الذي يقوم على الدين ، والذي يضحي فيه المؤمنون بأنفسهم وأموالهم في سبيل فكرة .

أما الذين يطرحون فكرة قيام المنطقة الاسلامية على التعدد فانهم لا يلتمسون الحقيقة لانهم لا يريدونها ولا يحبون أن يعرفها الناس ، وإنما يفسرون الأمور بأهوائهم ومطامعهم والواقع أن هذه الأمة منذ أقامها الإسلام فهي « وحدة تامة » تقوم على أساس وحدة الفكر والعقيدة والثقافة والمجتمع والتاريخ ، وأن التعدد الذي يقع فيها إنما يتصل بالكيانات السياسية وحدها ، هذه الكيانات التي تحمل طوابع الاختلاف في الجنس أو العرق أو الدماء وهي خلافات جذرية يعترف بها الاسلام ولا يردها ولكنه يدعو إلى أن تكون عامل تعارف واخاء ومحبة والتقاء وتبادل من حيث أن هذه الشعوت تجمعها المعنى الاسمى والروح الاعلى روح التجمع حول فكرة أساسية هي فكرة التوحيد والبعث والجزاء والإيمان بمفهوم واحد في رسالة الإنسان في الحياة وإرادته ومسؤوليته والتزامه الأخلاق .

فهي لا تفهم اختلاف الأجناس فهما عنصرياً غاليا ولا ترى بين الأمم المختلفة صراعاً أو خصومة تستدعي إعلاء الماضي القديم السابق للاستلام من فرعونية أو فينيقية أو بربرية أو زنجية فان كل هذه العناصر قد صهرها الاسلام في بوتقة التوحيد وفي إطار الفصحى لغة القرآن التي هي لغة العقيدة والفكر والعبادة والثقافة .

ومن هنا فان المسلمين في الامة الإسلامية لا يرون الفوارق بين العرب والترك والفرس والهنود كيانات خاصة أو عنصريات متعادية أو صراعات دموية ،

ولكنهم يرون ما علمهم ربهم ودينهم وقرآنهم : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) دون أن يكون وراء أي جنسية استعلاء بلون أو عرق أو لغة وإنما التفاضل بالعمل النافع .

والذين يرون أن هذا التعدد فى الأجناس من شأنه أن يمزق هذه الأمة ويعيدها إلى ما كانت عليه قبل الإسلام من عنصريات وكيانات متعادية . هم ضالون ومضلون . فإن الإسلام قد أقام بينهم الوحدة والأخوة أربعة عشر قرناً فلم يعد فى الإمكان لأى قوة أن تهدم هذا الجدار أو تحطم هذه الجذور الموغلة فى التربة الإسلامية ، ولقد أثبتت حقائق التاريخ ووقائعه (لا أهواء الصهيونية أو الشيوعية أو الاستعمار الغربى) بأن هذه المنطقة قادرة على مواجهة كل الموجات التى ترد إليها من الشرق أو الغرب . وأن تصرعها وتحتويها أو تصهرها فى باطنها وأنها منذ ألف عام وقبل أن يزداد نموها ويتسع نطاقها على النحو الذى هى عليه الآن استطاعت أن تصد القوة التتارية العارمة ، وأن تهزم القوة الصليبية الضخمة وهى الآن ، وبعد مرور هذا الزمن واتساع رقعة الاسلام أشد قدرة على هذه المواجهة وهذا الحصار وأن المرحلة التى مضت فى مواجهة إسرائيل والصهيونية خلال ثلاثين عاما لم تكن مرحلة استسلام للوجود الدخيل وإنما هى مرحلة استكشاف وتجمع وإعداد على النحو الصحيح ، بعد أن خدعت القوى الأجنبية المسلمين والعرب عن أسلوب الأصالة وعن الطريق الصحيح وعن منهج القرآن الذى علمهم كيف يواجهون العدو الزاحف والغزو المندفع نحو أرضهم .

ولا ريب يعرف خصوم الاســـلام أن أى موجة من موجات الهجرة لن تستطيع أن تصهر هذه الأمة مهما بلغت قوة وعتوا وأن أى موجة من موجات الغزو لن تستطيع أن تقضى على هذا الكيان مهما استعملت أحدث أساليب القتال ذلك لأن الركيزة الأساسية العميقة القائمة فى ضمير هذه الأمة ، سوف تنبعث فى الوقت المناسب بالقوة القادرة على دحر الظلم والعدوان وإن كانت المظاهر الخارجية اليوم لا تعطى هذا المفهوم ولكن التاريخ يرسم صوراً متعددة لمثل هذه المواجهة، نراها واضحة عبر تاريخ الاسلام كله فهى ظاهرة صحيحة أصيلة لا تتخلف: هى قدرة هذه الأمة على الانبعاث من داخلها فى مواجهة الازمات فى اللحظة الحاسمة .

كذلك فإن محاولة القول بالتعدد يبطلها الإطار الإسلامي العام القائم على الوحـــدة والذي يسمح بالتعدد في داخله على أساس طبيعة الحضارات وسنن المجتمعات ، هذا التعدد الذي لم يكن خطراً على الوحدة الأصيلة القائمة إلا إذا عمدت القوى الغازية والوافدة على تعميقه ودفعه إلى طريق الخطر .

أما تعدد الأديان في عالم الإسلام فهو أمر قد حسم الإسلام الموقف فيه بنظام الشريعة الإسلامية العادل الكريم بالنسبة لأهل الكتاب وأصحاب النحل والأديان الأخرى من حيث العدل والتسامح والرحمة: لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، ولما كان الإسلام يعترف بالأديان السابقة له والكتب السماوية المنزلة ، فإن هذا التعدد لن يكون مصدر صراع أو أزمات إلا إذا حاولت القوى الأجنبية إستغلال الأقليات على النحو الذي يقوم به الاستعمار والصهيونية والماركسية في العصر الحاضر لإثارة القلاقل والاضطرابات .

ومن طبيعة المجتمعات الكبرى أن تتنوع فيها الأجناس وأن تتعدد فيها الأديان ولكن المجتمع الإسلامي يستطيع أن يحسم ذلك وأن يقيمه على أساس صحيح لأنه يصدر عن عقيدة سمحة كريمة تشجب العنصرية وتنكر الاستعلاء بالدين ، وتقيم العدل على جميع الطوائف والعناصر في إطار الاخاء والرحمة والسماحة والمساواة .

ولذلك فإن محاولات تفسير التاريخ على هوى الصهيونية أو الشيوعية أو الاستعمار لن يحقق شيئاً إلا إثارة الشبهات في نفوس الذين لا يعرفون الإسلام أو لا يعرفون محاذير الفكر الوافد وأخطار الغزو الخارجي الذي يتعرض لها عالم الإسلام دوماً وفي كل العصور .

ولا ريب أن محاولة السيطرة الصهيونية على أرض المسلمين وفي قلب عالم الإسلام عمل يتعارض تماماً مع سنن الحضارات وقوانين قيام الأمم ، لأنه يفقد عناصر الصلاحية ودعائم الوجود الحقيقي ، فهو يعتمد على نص تاريخي زائف في تفسيره ، وعلى محاولة سيطرة قامت بالغصب ، وعلى وجود يستمر بالمعونة الخارجية وحدها ولا يستطيع إمتلاك إرادة الحياة وعلى كراهية شاملة من الجبهة العربية في خط المواجهة الأول ومن الجبهة الإسلامية في خط المواجهة الأكبر .

ومن هنا فإن هذا الوجود لا يبقى ، إذ أن عوامل إقامته سوف تنقطع حتما. وأن عوامل التخلص منه سوف تنمو حتما وسيجد نفس المصير الذى وجدته المملكة اللاتينية التى قامت فى نفس المكان قبل ثمانمائة عام وانهارت لأنها فقدت أسباب وجودها .

ولن تتمكن قوة مغتصبة تقوم على التسلط والتوسع من فرض وجودها على أمة أصيلة عميقة الجذور تسير مع طريق التاريخ لا ضد تياره .

كذلك فإن محاولة القول بتعدد المذاهب فى الدين الواحد ، هى محاولة باطلة مضللة بالنسبة للإسلام الذى لا يجعل من اختلاف مذاهبه أدياناً مستقلة أو نحلا منفصلة بل إن اختلاف المذاهب الإسلامية كان ومازال سعة ورحمة ، ذلك أن هذه المذاهب جميعاً تلتقى فى الأصول العامة وتقيم قاعدة واسعة من التوافق والالتقاء ولا تجعل الخلاف إلا فى الفروع ، والإسلام يختلف عن تعدد المذاهب فى المسيحية بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس ، حيث تبدو كل فرقة وكأنها دين مستقل .

ومن هنا نجد أن كل أوهام الاستشراق ومفسرى تاريخ الإسلام على الهوى والغرض زائفة باطلة لا تثبت لحظة واحدة أمام حقائق العلم أو الفطرة أو وقائع التاريخ نفسه .

الفصل السادس

على المحجة البيضاء

حقائق مضيئة فى وجه شبهات مثارة

فى الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركتكم على المحجة البيضاء . ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) ونحن فى مواجهة شبهات كثيرة مثارة عن الفكر الإسلامى نجد أن هناك حقائق أساسية عجز التغريب عن تزييفها ووجد من علماء الغرب أنفسهم من يؤكد وجودها وكان لحركة اليقظة الإسلامية دور كبير فى الكشف عنها .

١ - أصالة المسلمين فى إقامة منهج كتابة التاريخ :

شهد الأستاذ هونشو المؤرخ البريطانى المشهور المسلمين بأنهم أصحاب منهج أصيل فى التاريخ - يقول : إذا كان الإسناد عند العرب والمسلمين هو أساس نقد الأخبار فقد كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والأيام وهو ضابط إنفردوا به عن نظرائهم عند اليونان والرومان وأوربا فى العصور الوسطى . وقال المؤرخ بكل - لن التوقيت على هذا النحو لم يعرف فى أوربا قبل ١٥٩٧ .

وقد جرت كتابات استشراق كثيرة تحاول أن ترد منهج التاريخ الإسلامى إلى مناهج الفرس أو مناهج اليونان السابقة لها ولكن ذلك كله لم يستطع أن يصل إلى حد الصدق وبدت كل هذه الشبهات ولا سند لها . كذلك فإن النقد عند المسلمين قد اتخذ منهجين متكاملين : فانصب على الرواة من ناحية تحت اسم علم الجرح والتعديل وجرى من ناحية أخرى فى نقد النص نفسه وامتحانه والتأكد من سلامته .

٢ ـ أصالة المسلمين فى صناعة الأحداث :

وهذا يعنى أن الإسلام نفسه كان منطلقاً لعصر جديد فى العالم كله وقد أعلن الأستاذ بيرون فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى عقد فى مدينة أوسلو عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ إلى اعتبار أن ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة باعتبار أن الإسلام هو بداية العصر الوسيط ـ وخطأ المؤرخ الغربى ذلك القول المذاع بأن انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية إلى أنه بداية عصر النهضة ، مع نسيان أن ظهور الإسلام هو أعظم حادثة فى العصر الحديث ، بينما كثير من كتاب الغرب قد اعترف بهذه الحقيقة .

٣ ـ أصالة ارتباط العرب بالترك أبان الأزمة :

أكد كثير من الباحثين سلامة الخطة التى خطاها العرب بالإندماج فى الدولة العثمانية فى النصف الأول من القرن السادس عشر ، وذلك لمواجهة خطر الغزو الإستعمارى الذى كان قد تجدد بعد انتهاء الحروب الصليبية فى محاولة جديدة لغزو العالم الإسلامى وكانت الرابطة التى قامت بين العرب والترك هى رابطة إسلامية أصيلة مع أكبر قوة عسكرية من أبناء الإسلام لصد خطر الإفناء الصليبى الذى صاحب نهضة الإفرنج وبدأ عصر السيطرة الإستعمارية ، كذلك فقد دخل أمراء لبنان وشريف مكة تحت الحكم العثمانى باختيارهم ـ أما دخول الجزائر تحت هذا الحكم فقد تم دون حرب ، بل بمحض إرادة حاكمها خير الدين المعروف بارابا روس .

٤ ـ أصالة العرب بالنسبة للإحتواء الغربى :

إن تجربة الإتحاديين فى تركيا التى احتوتها المحافل الماسونية والنفوذ الأجنبى قد فتحت عيون العرب إلى ما فيها من أخطار وما وراءها من قوى . فلم يترددوا فى شجبها كذلك فهم قد رفضوا هذا التحول التغريبى الذى تورط فيه مصطفى كمال أتاتورك وشوه وجه تركيا الإسلامية وقد تبين اليوم فشل التجربة فشلا تاما ـ عندما تحاول أن تقيمها فإنها لم تحقق للأتراك ذلك الوهم الذى كانوا يخدعون به ـ فظلوا

دولة ضعيفة ـ إذ امتنع الغرب عن إعطائهم سر العلم والتكنولوجيا بل وسخر منهم لأنهم لم يقدموا شيئاً للحضارة وظلوا عالة على الغرب ـ وقد أشار إلى ذلك هاملتون جب الذى قال أن العرب لن يكرروا التجربة التغريبية التركية ـ هذا فضلاعن أن الأتراك قد عادوا مرة أخرى إلى الأصالة وأنهم بسبيل استعادة مكانة عقيدتهم وقيمهم وأصولهم التى عرفوعها منذ أربعة عشر قرناً .

٥ ـ أصالة العرب بالنسبة للتجربتين الماركسية والليبرالية :

وبالرغم من أن التجربة الرأسمالية الليبرالية بدأت بنفوذ الاستعمار وبخلق أطر ومدارس وأجيال تؤمن بها وتحمل لواءها فإنها وجدت أعراضاً فى العالم الإسلامى كله فى التطبيق وعجزت الأيدلوجيات الوافدة أن تحقق مطامح النفس الإسلامية التى شكلها القرآن والتوحيد والشريعة الإسلامية ـ وكذلك جاءت التجربة الماركسية فوجدت نفس الإستجابه ـ لقد تبين أن النفس الإسلامية لا تقبل الإنطواء تحت مفهوم إعـــلاء الفردية وصولا إلى الرأسمالية الربوية ـ أو مفهوم طحن الفرد وصولا إلى إعلاء طبقة خاصة .

٦ ـ أصالة المفهوم الإسلامى بالنسبة للقوميات والاقليميات :

كشف المفكرون المسلمون فساد الدعوات التى طرحت فى أفق الفكر الإسلامى فى البلاد العربية عن إعلاء الأشورية أو البابلية أو الفرعونية أو الفينيقية وبينوا بدليل التاريخ أن هذه كلها موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية ونزحت عن موطنها الأول واندامجت فى هذه المنطقة العربية الحنيفية إنهم أبناء إسماعيل ـ الذين نزلت عليهم رسالة التوحيد قبل أن تغلب العنصرية على الحنيفية .

٧ أصالة المفهوم الإسلامى فى مواجهة العلمانية :

كشفت حركة اليقظة الإسلامية عن أن المجتمع الإسلامى ينبذ فكرة العلمانية لأنها لا تجد مكاناً فى أوضاعه القائمة على تكامل الإجتماع ديناً ودولة من حيث أن الإسلام نفسه دين ومنهج حيـــاة ونظام مجتمع ـ أما العلمانية فهى حركة غربية استهدفت اقصاء تفسيرات المسيحية عن الحياة الغربية بعد أن عجزت هذه

التفسيرات عن أن تقدم للمجتمع أو النفس الإنسانية ما يرضيها ذلك أن الاسلام لم يعرف الحكومة الثيوقراطية أو حكومة رجال الدين ولم يجعل للاكليروس نفوذ أعلى الناس يبيع لهم صكوك الغفران .

٨ — أصالة المفهوم الإسلامي في مواجهة العلاقة بين العرب والإسلام :

كشفت الأبحاث الإسلامية المعاصرة عن أن العلاقة بين العروبة والإسلام تختلف إختلافاً شديداً عن العلاقة بين القوميات في أوربا وبين الكنيسة ويؤكد الذين درسوا في هذه الفكرة من الغربيين ـ أمثال ويلفرد كانتول سميث أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وأنه ما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فإنه لن تثمر الجهود المبذولة من أجل النهضة وكذلك بأن العرب والمسلمين جميعاً قد استمدوا مقاومتهم في العصر الحديث للاستعمار واندفاعتهم الوطنية من أجل الحرية من مفاهيم الإسلام نفسه كذلك تبين أن عروبة الفكر تعني إسلاميته فليس هناك فلسفة عربية في الفكر غير مستمدة من القرآن وأن محاولة خلق فلسفة عربية معاصرة معزولة عن الإسلام هي محاولة زائفة ولا استمرار لها إلا في الظروف المفروضة بقوة النفوذ الأجنبي ، كذلك تبين بما لا يدع مجالا للشك أن محاولة خلق وجود عربي أو عروبة أو فكر عربي على النحو العلماني المنفصل عن الإسلام أمر بالغ الاستحالة وبالغ الابتعاد عن الذاتية العربية الإسلامية الجوهرية والمزاج النفسي الذي نشأه القرآن ونماه منذ أربعة عشر قرناً .

٩ — أصالة المفهوم الإسلامي بالنسبة للمناهج التربوية والتعليمية الوافدة :

كشفت الأبحاث والدراسات التي قام بها كتاب اليقظة الإسلامية في العصر الحديث أن مناهج الدراسة في المدرسة والجامعة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي تخضع للمنهج الغربي في التربية والتعليم ولذلك فهي تقصر عن العطاء الحقيقي للشباب المسلم ولأنها تستمد مفاهيمها من الأيدلوجيات والفلسفات الوافدة فإنها أولا لا تعطي بأمانة حقيقة الدور الذي قام به المسلمون في بناء العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية ـ هذا الدور الخطير : الذي كان أبرز معالمه إنشاء (المنهج العلمي

التجريبي الإسلامي) أساس الحضارة الغربية القائمة كذلك فإن للفكر الإسلامي مفهومه الأصيل في هذه المناهج المطروحة عن الاجتماع والنفس والفلسفة والسياسة والاقتصاد وهي تستمد مفاهيمها من الرأسمالية الغربية والماركسية وتسيطر عليها الفلسفة المادية والمفاهيم التلمودية الصهيونية بينما لهذه الأمة الإسلامية فكرها الأصيل ومنهجها الرباني الذي يختلف اختلافاً عميقاً عن الانشطارية الغربية حيث يقوم جامعاً بين العلم والدين والمادة والروح والنفس والعقل والدنيا والآخرة بينما تقوم الأيدلوجيا الغربية (شرقية وغربية) على النظرية المادية والتفسير المادي للتاريخ ولقد كان من حق شبابنا المسلم المثقف أن يعرف الدور الذي قام به أجداده المسلمون في بناء العلم والحضارة وأن يعلموا في نفس الوقت أن هذه النظريات التي تدرس (ماركس وفرويد وسارتر ودوركايم وغيرها) ليست علوماً حقيقية وإنما هي فروض ونظريات خاضعة للقبول والرفض وأنها تستمد وجودها من مجتمعات مختلفة عن مجتمعاتنا وتواجه تحديات لا نعرفها وأن الأمة الإسلامية التي رباها القرآن منذ أربعة عشر قرناً لها قيمها ومفاهيمها المستمدة من التوحيد الخالص والقائمة على العدل والرحمة والاخاء الإنساني وأنها لا تقبل بديلاً بأسلوب عيشها الأصيل ، وأن الإنسان المشكل من روح ومادة لا يمكن أن يخضع لنظريات تطبق على المادة أو على الحيوان ، وأن كل ما يقدم تحت اسم العلوم النفسية أو الاجتماعية لا يمكن أن يكون حقيقة علمية لأنه قائم على التفسير المادي والنظرية المادية ليست مفهوماً كاملاً للوجود والحياة والمجتمع .

١٠ — أصالة المفهوم الإسلامي بالنسبة للاسلام إزاء الأيدلوجيات :

لقد كان واضحاً أن الإسلام ليس مذهباً ولا نظرية ولا ثورة وأنه لا يجوز للكاتب المسلم أن يدخل الإسلام في مقارنة مع الأيدلوجيات أو الثورات العديدة التي قدمها أو قام بها الإنسان على مر التاريخ . ذلك أن الإسلام إذا كان ثورة فإن ذلك يعني أن له دور قد أداه وانتهى وأنه إذا كان مذهباً أو نظرية فإنه قابل للتغيير والتبديل والانتقاص والإضافة وهو ليس كذلك، ذلك أن الإسلام

هو ذلك المنهج الربانى الأصيل الجامع الذى يختلف عن المذاهب البشرية ، وقد صنع أمة من نقطة الفرد الواحد الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم والذى أقام مجتمعه على أساس التوحيد الخالص وفى إطار شريعة سمحة كريمة عالمية ربانية المصدر إنسانية الطابع - تقوم على الاخاء الإنسانى والعدل والرحمة ولها مفاهيمها الجامعة الكاملة فى مختلف ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والتربية وأن بعض الأيدلوجيات قد تشبهها ، ولكن يظل الإسلام متميزاً بأنه ليس نظرية ولا أيدلوجية لأنه ليس من صنع البشر فلا يقارن بعمل البشر الجزئى الوقتى الزائل .

الفصل السابع

أمانة المستقبل لجيل شباب الإسلام

على جيل الشباب المسلم أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبدأ من فراغ ولابد أن يبنى على الأسس التى قدمها جيل الآباء وأن يعلم أن الموهبة وحدها لا تكفى وأن الرغبة لا تنى وأن الأمر يحتاج إلى معاناة ودراسة وعلم وثقـــافة ، وأنه لابد من الأسلوب العلمى الأصيل لتصبح أشواق النفس صوراً مصقولة ورصينة وأن الأدب لا يمكن أن يكون إلا فى مستوى الأصالة والبنيان العربى وأن على الأجيال الجديدة أن تصحح مسيرة من قبلها بالاحتكام إلى منابع الإسلام والتماس الفكرة الجامعة والوحدة الفكرية والتخلص من التبعية والاقليمية والقومية ، ومن المناهج الوافدة فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد ورفض مفاهيم الانشطارية التى فرضها النفوذ الأجنبى التماسا لمفاهيم التكامل الجامع الذى علمنا إياه الفكر الإسلامى استمداداً من القرآن .

إن الحرب الموجهة ضد الإسلام تتمثل فى التشكيك فى كل ما يمثله الإسلام من واقع تاريخى وثقافى فى مواجهة الصهيونية والماركسية والنفوذ الغربى ويتمثل على الجملة فى كل ما يحمله العرب والمسلمون من عقيدة وخلق وشمائل وتاريخ ، فالصهيونية تحمل لواء الحملة على العروبة وتاريخ إبراهيم والحنيفية السمحاء وتحاول تزييف الإرتباط بين الإسلام وبين حنيفية إبراهيم ، والماركسية تحاول أن تحطم مفهوم المنهج الإسلامى فى الاقتصاد والاجتماع والنفوذ الغربى يعمل على الغض من شأن الشريعة الإسلامية دفاعا عن القانون الوضعى .

وهناك حرب غير معلنة على مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاولة تزييفه بطرح مفاهيم صوفية وباطنية وفلسفية وكلاميه اعتزاليه ترمى إلى التوهين من التوحيد

الخالص ، وهناك محاولات لإحياء تاريخ الفرق والقرامطة على أنها دعوات تحريرية .

تقول مجلة تايم : « إن أصوات المؤذنين فى أنحاء العالم زادت قوة عما كانت عليه وعادت فى قوتها إلى العصور الإسلامية الأولى التى امتدت فيها دولة الإسلام حتى أوربا وحدود شرق آسيا وأفريقيا وأن اختلاف لغات المسلمين لا يغير من حقيقة وحدتهم الدينية إذ أن المسلمين يتحدثون بالروسية والفارسية والصينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والماليزية والتركية بالإضافة إلى اللغة العربية التى نزل بها كتابهم وبها يؤدون الصلوات » .

ثم إن ألف مليون مسلم اليوم يتنادون إلى الوحدة ليقدموا للبشرية نور الإسلام لا للعدوان ولا للتعصب ، بل للإخاء الإنسانى فى إطار التوحيد والعدل والمرحمة ، لقد دخل الإسلام إلى كل قارة وعاصمة ، وبدأ نطاقه يتسع وينشر كلمة الله الحق فى قلب أوربا وفى قارة أمريكا ، وفى الشرق الأقصى ووسط وجنوب أفريقيا .

إن المسلمين اليوم يعرفون أبعاد المؤامرة التى تريد تعويقهم عن إقامة مجتمعهم الإسلامى الأصيل ويحذرونها ، وأن الصحوة الإسلامية القائمة الآن هى علامة من علامات الإنطلاق إلى آفاق جديدة مع مطالع القرن الخامس عشر الهجرى ولقد تواعدت هذه الدعوة مع كتابات غربية تقول :

إن الإسلام يخطو فى هذا العام خطواته الأخيرة نحو القرن الخامس عشر ، وهذا لا يعنى أنه قد بلغ من العمر عتيا ، فهو أكثر الأديان العالمية قوة وشبابا وانتشاراً ، وهو من ناحية يعد أحدث دين عالمى جاء بعد اليهودية والمسيحية ، وهو من ناحية أخرى يعد أكثر الأديان حيوية وانتشاراً حتى الآن وفى أعداد تصل أحياناً إلى مئات الألوف سنوياً يدخلون الإسلام طوعا واختياراً وإيماناً

وخاصة فى قارتى آسيا وخاصة افريقيا التى تنبأ علماء الاجتماع والأديان المعاصرة بأنها قارة المستقبل بالنسبة لانتشار الاسلام .

هذه هى الأمانة التى نضعها بين يدى شباب الاسلام اليوم ليمضى على طريق الأصالة ويحقق الهدف الذى لم يتمكن من تحقيقه جيل الآباء وهو إقامة المجتمع الاسلامى الربانى وتبليغ الاسلام للعالمين .

وهناك دعوة إلى إطلاق الفن من قيود الأخلاق ، وهى من دعوات الماديين وهناك الحملة على الدين الحق بالقول بأن البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد مع الأديان الثلاث مع أن التوحيد كان ملازما لدعوة آدم ونوح ، وهناك تلك الشبهات المثارة حول أن الدين ظاهرة من الظواهر الأخرى نبت من الأرض ولم ينزل من السماء وهذه شبهة باطلة من دعوات الملحدين والماديين وهناك شبهات كثيرة مثارة تحاول أن تقتحم أفق الفكر الإسلامى فلتحذر منها ولتحذر من خطر التبعية والتقليد والتأويل .

ولنحذر من دعاوى بعض الصوفية الفلاسفة مثل قولهم سقوط التكليف أو عبادة قوى الطبيعة وهى الدعوات المسمومة التى أحيت نظريات الفيض والإشراق والإتحاد والحلول ودعاوى الروحية الحديثة وتحضير الأرواح وقد انبعثت هذه الدعوات الضالة من مذاهب البهائية والماسونية والقاديانية ، وهى سحب سوداء كثيفة تتجمع فى أفق الفكر الإسلامى فعلى شبابنا أن يتعرف مدى هذه الأخطار وليعلم أن الأجيال التى سبقت قد قاومت هذا الخطر وجاهدت فى دفعه عن الفكر الإسلامى وأنها زيفت هذه الشبهات وكشفت عن أن الفكر الإسلامى يختلف عن الفكر الغربى فى عديد من القضايا الرئيسية الهامة وفى مقدمتها فكرة التقدم ، وفكرة التطور . وفكرة نسبيه الأخلاق .

فالتقدم فى مفهوم الإسلام تقدم مزدوج مادى وروحى ، والتطور يعنى التغير وهو لا يكون دائماً إلى الأحسن ، ونسبية الأخلاق تجعل الأخلاق لباسا ضيقا

ويتسع مع العصور والبيئات بينما الأخلاق فى مفهوم الإسلام بمثابة قيم ثابتة على جميع العصور والبيئات بخلاف التقاليد التى تصنعها المجتمعات والتى تتغير لأنها من صنع البشر ، أما الأخلاق فإنها جزء من الدين نفسه وليعلم شبابنا أن رسالة الإسلام مدعوة إلى أن تعود لتنقذ العالم كرة أخرى ، بعد أن سقط فى براثن الوثنيه والمادية والانهيار الخلق ولن العالم اليوم وهو يتطلع إلى نظام عالمى جديد بعد فشل النظامين الرأسمالى والشيوعى الاشتراكى لن يجد سوى الإسلام منقذاً .

وقد استدار الزمن وأصبح عالم الإسلام الآن يتميز بمعطيات ثلاث : الثروة والطاقة والتفوق البشرى .

الفصل الثامن

على طريق الله

فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى

إن مطالع القرن الخامس عشر الهجرى تبعث فى نفس المسلم عدة مشاعر متباينة لعل أبرزها : أن تستقبل البشرية قرناً جديداً فى ظل دعوة الحق ، تزيد مساحة الإيمان والرحمة والعدل والاخاء البشرى ، ويتغلغل فيها اسم الله تبارك وتعالى إلى أقطار جديدة وبلاد وقارات ، وتجد كلمة الله من يستمع إليها ويذعن لها ، وبها يزداد عدد المسلمين وينادى باسم الله على المنائر ، وتضاء المآذن وتزداد الأيدى المتوضئة ، ويرضى الله تبارك وتعالى على العائذين إليه المستمسكين بكتابه وشريعته ، والمطبقين لأحكامه ، البائعين أنفسهم فى سبيله ، والمقرضين له قرضا حسنا .

وإذا نظرنا إلى وقائع القرن الرابع عشر لوجدنا مكاسب كثيرة وخسائر كثيرة ، ولكننا نجد أن الاسلام قد جاوز مرحلة التبعية ودخل مرحلة الرشد والأصالة ، وأنه قد عرف مداخل عدوه وخطط تآمره ، وأنه قد استطاع أن يكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية وعظمتها وذخائرها ، وأن يضعها فى مفرق الطريق ، وأن يدعو إليها أهلها أولا ويجد أنه قد خرج من التجربتين : تجربة الاحتواء الغربى الليبرالى ، والاحتواء الماركسى سالما عارفا أن كلا الوجهتين لم تستطع أن تحقق له سكينة النفس ، أو سعادة الدارين، وأنه قد تبين له أن هناك طريقا واحدا لا خيار فيه هو طريق الله :

« إن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »
الأنعام : ١٥٣

ولست تستطيع حين تريد ان توجه المسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر إلا كلمة واحدة . أن يقول : عودوا إلى القرآن .

أيها المسلمون : عودوا إلى القرآن واستمسكوا به ، وطبقوه على أنفسكم ، وأقيموا المجتمع الربانى فى بلادكم وبيوتكم وأنفسكم قبل أن تمسكم ار امتحان شديد وابتلاء خطير .

لقد أعطاكم الله تبارك وتعالى امتحانا خطيرا وأعطاكم للتغلب عليه عطاء كبيرا ، إن الامتحان هو استشراء خطر الصهيونية والماركسية والنفوذ الأجنبي ، وذلك بعد أن أقامت اليهودية العالمية رأس جسر فى فلسطين وبيت المقدس ، وأمدكم لمقاومة ذلك ، ذلك العطاء الوافر : أعطاكم الطاقة والثروة ، والتفوق البشرى ، فليس لكم حجة أمام الله فى أن تنكصوا على الاعقاب ، ولا تواجهوا عدوكم من أجل حماية العرض والارض والعقيدة .

والطريق هو إعداد ذلك الجيل الذى يحمل لواء الجهاد فى سبيل الله ، والمرابطة فى الثغور والمقاومة الكاسحة ، فلقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يجعل هذه الامة الوسطى ، مستقر المقدسات ، وفى نفس الوقت مدخر الثروات الهائلة ، سواء بالجغرافيا فى الموانى والمواقع أم فيما تخرج الارض من كوبلت ومنجنيز وبترول وغيره ، أم فى ثمارها وزرعها ومائها وخيرها ومن ثم فهى مطمع الغزاة فى كل عصر وترنو إليها عيون الامبراطوريات ، وخاصة امبراطورية الربا ممن أشربوا العجل . ذلك الجيش القوى الذى يجب أن يكون مرابطا فى الثغور تحت اسم « وأعدوا » .

وستتحقق فى مطالع القرن الخامس عشر وقبل نهاية العقد الأول منه كلمتان للرسول صلى الله عليه وسلم تدل الأولى : ان الله يرسل لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، وتوحى الثانية أن جند الاسلام الكثيف هو فى رباط إلى يوم القيامة .

إن المسلمين اليوم على أبواب القرن الخامس عشر هم ألف مليون مسلم على أدق الاحصاءات . فلماذا يبخسونهم ، وهم بتقدير كل الدوائر العالمية للإحصاء

ربع سكان الأرض اليوم البالغ أربع مليارات ، وأنهم فى نمو وتزايد مضطرد حيث غاضت الأرحام فى الغرب ، وحق لأصحاب لا إله إلا الله وأهل التوحيد أن يوجهوا جهودهم فى سبيل بناء حضارة الإسلام الجديدة :

وطريقهم إلى ذلك يرتكز على ثلاثة أمور :

أولا : تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمع الإسلامى وإقامة منهج الله .

ثانياً : إحياء فريضة الجهاد والمرابطة فى الثغور .

ثالثاً : بناء جيل جديد من الشباب المسلم على مفهوم القرآن ، وفى مواجهة التحدى الخطير الذى جعلهم فى رباط إلى يوم القيامة .

يقول المؤرخ ه .ج .ولز فى حديث إلى أمين الريحانى : ان القرآن هو عروة الإسلام الوثقى ، أو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها فى تحقيق الوحدة الإسلامية ، وإن وحدة أى أمة من الأمم مفيدة لها ولغيرها . فالوحدة تعيد إليها كرامتها ، وتوجب عليها القيام بعهودها ، أما الإسلام اليوم فمشتت الشمل ، مبدد القوى ، ولو لم يكن لدى المسلمين واسطة إلى الاتحاد لوجب عليهم اختراعها ، ولكن كتابهم خير واسطة ، وإذا كانت إنجلترا فى خطر من الاحتلال الأجنبى العرقى فرضا ، وكان أبناؤها مشتتى الشمل مبددين فى أربع زوايا الأرض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، فلا أتردد فى دعوتهم الى الإنجيل ، بل أتخذ من الكتاب المقدس شارة جنسية ، وعلما وطنيا ، وعروة شاملة فى الوحدة القومية » .

وهكذا نجد فى مطلع القرن الخامس عشر ، نجد أنفسنا مطالبين بالالتفاف حول القرآن علماً ومناراً ، وعروة شاملة ، وشارة جنسية .

ونحن مقبلون خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر على إمتحان عظيم يجب أن نثبت له وأن نواجه بقوة ، ولن تستطيع أى قوة من القوى أن تمكننا من النصر ، إلا بالالتفاف حول القرآن منهج حياة ، ونظام مجتمع .

يقول باول شميتز فى كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » :

سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً إلى بدء ، من المنطقة التى قامت فيها القوة الإسلامية العالمية فى الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها ، اذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الإفادة منها ، ستقلب موازين القوى ، لأن قوة الإسلام قادمة على أسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية » .

ولا ريب أن بعد نظر هذا الكاتب الغربى ، يلتقى مع كثير من ارهاصات عندها أعلام أفذاذ من رجال الإسلام .

* * *

يقول محمد إقبال : إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ، ولا يعرف أفقه الثغور ، وليست دجلة والنيل والدنواب إلا أمواجا صغيرة فى بحره المتلاطم ، عصوره عجيبة ، وأخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق ، وغير مجرى التاريخ ، هو فى كل عصر ساقى أهل الذوق ، وفى كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائما ، وسيفه ماض فى كل معركة . .

إننا اليوم نعود إلى الأصالة :

وجدنا طريق التعليم الغربى العلمانى باطلا وضالا .

وجدنا القانون الوضعى فاسداً .

وجدنا التجربة المصرفية الربوية عفنة .

وجدنا أسلوب التغريب فى الحرب يحطم القوى .

أين التربية الاسلامية ، والشريعة الإسلامية ، والمصرف الاسلامى ، والجهاد فى سبيل الله ؟ لقد توهم القوم أن التقدمية إنكار الله ، وإن أسلوب الغرب يحقق النصر للمسلمين ، وأن التمسك بالدين رجعية ، وكذبوا ..

إن الزمن قد استدار مرة أخرى ، ليكشف للمسلمين كل الحقائق ، ويؤكد

لهم أن الطريق الوحيد ، هو طريق الله الحق . وأن عليهم أن يطبقوا الشريعة الاسلامية ، وأن يقيموا المجتمع الإسلامى ، وعند ذلك يكونون مؤهلين لتقديم الاسلام للبشرية العطشى ، الضالة ، التى هزمت ، ودخلت مرحلة التدمير النفسى والحضارى ، وهى تتطلع إلى منقذ ، وليس هناك منقذ غير شريعة الإسلام .

وأنتم مسؤولون بين يدى الله ، إذا لم تحققوا هذا الأمل وتحملوا هـــذه المسؤولية ، وتؤدوا هذه الأمانة .

الفصل التاسع

البحث عن الحقيقة فى مطالع العام الهجرى

(غرة المحرم ١٤٠٣)

يشرق العام الهجرى الجديد والعالم الإسلامى فى موقف لا يحسد عليه ، فهو مازال يبحث عن الطريق وقد اختلفت به السبل وهو يتطلع إلى الأصالة ومازالت المذاهب الوافدة تحاول أن تحتويه ، ومازال يرقب النظم العالمية ولديه أشرف منهج وأعظم منطلق ، طريق الله بالقرآن ، لبناء المجتمع الربانى على الأرض بعد أن اجتاحت قوى النفوذ الاستعمارى والصهيونى والماركسى عواصمه ، وفرضت عليه أنظمة ومناهج لم تحقق له الأمل ولم تدفعه إلى الغاية ولم تمكنه من امتلاك إرادته على أرضه، وهو مطالع القرن الخامس عشر الهجرى قد تكشفت له الحقائق، وعرف أن العدو طامع ، وأن المناهج التى قدمت له فى التربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة لا تقبلها النفس المسلمة ، ولا تجد فيها طموحها وأملها ، ولم يعد له أمل الا فى منهجه الربانى الخالص ، وقد علم أن الغاية لأعدائه ترمى إلى اجتياح ذاتيته الخاصة والقضاء على كيانه لينصهر فى بوتقة الأممية ويفقد مقوماته وينهار ويتحقق للنفوذ الوافد تحقيق غاية لن تتحقق ، وهى القضاء على هذا الوجود القائم الأصيل .

إننا يجب أن نسلم بأن هناك مؤامرة خطيرة تراد بالمسلمين يتجمع قوى خطيرة فى سبيل تنفيذها، وهناك مجموعة من الحقائق يجب أن تكون واضحة أمام الباحث عن الحقيقة :

أولا : أن تكون معركة فلسطين والقدس ليست قضية عربية ، بل هى قضية إسلامية وليست قضية أرض ، بل قضية عقيدة ، وأن محاولة جعلها قضية عربية أو قضية ارض هى وسيلة من وسائل حجب الكثير من الحقائق عن المسلمين

أو تعتيم الرؤية إزاء أبعاد القضية الكبرى ، وعلى العاملين فى هذا الحقل أن يعيدوا ترتيب خططهم على أساس مفهوم الإسلام فإن لم يفعلوا فسيدورون فى الحلقة المفرغة لا يخرجون منها .

(ثانياً) : إن المسلمين اليوم وهم على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى يتطلعون إلى إمتلاك إرادتهم فإن القوى الكبرى تحاول أن تضرب هذه الصحوة بحيث لا تقوم لها قائمة ، وبينما كان المسلمون يتطلعون إلى إمتلاك إرادتهم تقع الأحداث المتتالية التى ترغمهم على أن يدخلوا فى الدوائر المغلقة التى تقيد حركتهم وتؤخر إنتقالهم من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة .

(ثالثاً) : إن المسلمين لا يزالون فى غفلة عن — الحبل — الذى يطوقهم به النفوذ الأجنبى المتربص والذى يتجمع من وراء حركات التبشير والاستشراق الغربى والخطط الصهيونى والمؤامرة الشيوعية وهى جميعها تنسق فى خط واحد إن لم تكن تصدر من معين واحد .

(رابعاً) : إن هناك سباق بعيد المدى بين النقطة الإسلامية وبين خطة مغامرة تريد أن تفرض بعد عقد واحد من الزمان على العالم الإسلامى سيطرة تتلاشى أمامها كل منجزات حركة اليقظة الإسلامية .

(ولقد حددت بروتوكلات صهيون عام ١٨٩٨ توقيتاً لتنفيذ خطتها) .

(خامساً) : إن هناك صورة تكاد تتكرر من محاولات الحروب الصليبية فى التخطيط لخنق الإسلام مع حركات التتـــار والباطنية وما كان من محاولات « إرناط » للسيطرة على مداخل خليج العقلبة ، وعلينا أن نواجه المؤامرة الجديدة بنفس الأسلوب الاسلامى الأصيل الذى واجه به نور الدين وبيبرس وقطز تلك المؤامرة هى :

العودة إلى الأسلام

والانطلاق من مفهومه الأصيل بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، ولأن ننشىء الأجيال الجديدة على أساس الاحساس بالخطر الزاحف والتحدى المبيت ، وأن

تكون التربية الاسلامية هي أساس البناء : تربية تقوم على بناء الانسان المسلم القادر على فهم أبعاد المؤامرة ، المفطوم عن أهواء النفس وأساليب الترف والقدرة على الصمود في وجه الأخطار والتحرر من محاذير المؤامرة التي تدفع المسلمين إلى امتلاك ثرواتهم في الكماليات وإرضاء الغرائز .

(سادساً) : على المسلمين التعرف الواضح إلى الفخ المنصوب الذي يستهدف الحد من نمو المسلمين ودفعهم إلى آفاق التحلل والغواية والحيلولة بين امتلاك إرادتهم وامتلاك أسباب القوة ، وفي نفس الوقت الذي تنمو فيه قوة الأعداء لتكون قادرة على فرض إرادتها وتحقيق مخططها الذي يجرى في حلقات متصلة منذ رسمت (أصوله) وليعلم المسلمون أنهم إزاء هذه المؤامرة الخطيرة التي تهدف إلى إجتياحهم ليس أمامهم إلا خيار واحد هو :

التماس منهج الاسلام

بوصفه نظام مجتمع ومنهج حياة ، وإقامة المجتمع الاسلامي على أساس من الشريعة الاسلامية والتربية الاسلامية والاقتصاد الاسلامي والتحرر من نظام القانون الوضعي والنظام الربوي وأسلوب العلمانية والمادية وحماية الأجيال الجديدة من أخطار الحضارة الغربية التي لم تقدم للمسلمين إلا جوانب الاستهلاك والانحراف والتحلل دون امتلاك مقدرات العلم الحقيقية لبناء قوة صامدة على النحو الذي أمر به الله تبارك وتعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فإن لم يفعلوا بقوا على تمزقهم وتأخر قيام وجودهم الحقيقي .

(سابعا) : إن أصحاب المؤامرة على الاسلام والمسلمين قد درسوا الطريقة التي طالما تجمع أعداء الاسلام عليها لهزيمة الاسلام ودحره ، وليست حملة غزو لبنان وتدمير الوجود الاسلامي فيه إلا شريحة واحدة من خطة واسعة النطاق ، يجرى تنفيذها على مراحل ولها معقبات وذيول ترمي إلى إجهاض الصحوة الاسلامية .
ولقد غفل المسلمون طويلا خلال الثلاثين عاماً الماضية عن إبعاد هذا المخطط حتى حتى جاءت أحداث الخامس من يونيو ٦٧ لتقتحم القدس وأحداث الخامس من

يونيو ٨٢ لتسيطر على عاصمة عربية هى بيروت ، ولعل ذلك يكون كافيا لدق الطبول والتذكير بما وراء ذلك ، وما يمكن أن يحدث بعد مما هو أخطر وأشد عنفا ، وليعلم المسلمون أنهم مطالبون منذ اليوم بالأخذ بخطة (التعبئة الكاملة) لمواجهة الخطر الذى يهدد وجودهم ، وليس أمام المسلمين إزاء الخطر إلا التماس قرآنهم وتطبيق شريعتهم ، فهو منطلقهم الوحيد ، ولقد جربوا خلال السنوات الماضية تجربتين فى متابعه الغرب : تجربة الرأسمالية الغربية ، وتجربة الشيوعية الماركسية ، وقد فشلت كلتا التجربتين ولم يعد أمام المسلمين إلا طريقهم الأصيل فى التماس المورد القرآنى : هذه المنابع الحقيقية (القرآن والسنة) الذى لا يمكن منه أن يتحقق لهم أى وجود حقيقى أو نصر حقيقى إلا عن طريقه ومن خلاله .

(ثامنا) : إن قوى الأعداء تخطط من أجل إحتواء هذه الأمة التى يجب ألا يعلو عندها شيء على « إمتلاك إرادتها » والحفاظ على ذاتيتها من الاحتواء فى دائرة الأممية العلمية ، وذلك فى سبيل بقاء نبضة هذا الدين وحمايتها ، والدفاع عن هذا الوجود بالاجساد المتراصة إذا أعوزتهم القوة الحربية ويمتلك المسلمون اليوم كل مصادر القوة :

(الثروة والطاقة والتفوق البشرى)

فليس لهم عذر عند ربهم فى العجز عن حماية وجودهم والدفاع عن كيانهم ، ولقد جاءت الثروات الخارجة من باطن الارض (النفط والكوبلت والمنجنيز) لتكون حجة عليهم إذا حاولوا الاعتذار عن المواجهة الصحيحة فإن حق الله فيه هو عشرون فى المائة (حق الركاز) وبه يمكن أن يجعل العالم الاسلامى كله قوة لا تغلب .

(تاسعا) : إن السنوات العشر القادمة هى أخطر السنوات فى حياة العالم الاسلامى وأنها تمثل نهاية مخطط رسم منذ تسعين عاما يرمى إلى إحتواء عالم الإسلام وكل ما يرى خلال هذه السنوات كان منفذاً له . (والله غالب على أمره) ولسوف يبوء هذا المخطط بالخسران المبين ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

الباب التاسع

الفكر الإسلامى فى مواجهة الشبهات





الفصل الأول

مواجهة مع الفكر الوثنى

المادى الماركسى الوافد

بسم الله الرحمن الرحيم (إقرأ باسم ربك) (ن والقلم وما يسطرون) فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى ، مشرق عصر الأصالة الإسلامية يتحتم على الدعاة إلى الله أن يعملوا على إحتواء المؤامرة على الإسلام وتعرف أبعـادها ومراميها من خلال ما طرحت فى أفق الفكر الإسلامى عن طريق الاستشراق والتبشير فى محاولة ضخمة خطيرة تحت لواء التغريب والغزو الثقافى ، شاء الله تبارك وتعالى أن نعكف عليها أمداً يزيد الآن عن ثلاثين عاما منذ بدأت قضية التغريب تشق طريقها وتكشف هدفها وننفذ مؤامرتها ، نقدمها بمثابة « أرضية » أساسية للبحث عن جميع التيارات والمذاهب والايديولوجيات التى تضطرب الآن ، محاولة تمزيق وحدة هذا الفكر أو القضاء على ذاتيته وروحه الخاصة وطابعه العميق .

(١)

إن أخطر ما تطرحه موجات الحوار المغلف بالمكر العميق ، والدهاء البالغ هو القول بأن ما يختلف فيه الفكر الإسلامى عن الفكر الغربى ليس إلا جزئيات وفرعيات ، بينما أن الخلاف كبير وعميق وبعيد الأغوار ، ذلك أن مرجع هذا الاختلاف يمتد إلى أعماق الجذور التى قام عليها الفكر الليبرالى والماركسى والوثنى الحديث وهذه الجذور تتمثل فى :

(أولا) : ما يعتقده أهل الفكر الغربى من دعوى صلب المسيح والوهيته وما يتصل بتاليه الفكر الغربى للإنسان ، بالإضافة إلى مفاهيم الرهبانية القديمة

ومفاهيم الإباحية الحديثة ، بالإضافة إلى تحليل الربا وعبادة الذهب وإنكار الآخرة والبعث .

(ثانياً) : هناك تناقض الكتب المقدسة فى مصادرها وتواريخها وما كشفت الأبحاث العلمية الحديثة من فساد تقديراتها فى حساب الزمن وخلق الكون وغيرها فضلا عن الخلاف والتناقض بين العهدين القديم والجديد .

(ثالثاً) : ما هناك من سقوط الغيرة أمام المرأة ، وتحطيم أخلاق المجتمعات ومسؤولية الفرد وسقوط الرحمة أزاء الآباء والأسرة .

(رابعاً) : ما هناك من فكرة التطور المطلق التى استمرت مفاهيمها من نظريات داروين وسبنسر وما جاء به هيجل وهو ما يختلف مع مفهوم الإسلام إزاء نظام الثوابت والمتغيرات .

(خامساً) : ما هناك من مفاهيم العبودية البشرية التى جددها الاستعمار الحديث من تراث العبودية لليونانية الرومانية ، والتفرقة بين الأجناس والعروق وإعلاء العنصر الأبيض صاحب الحضارة هذا بالإضافة إلى مشاعية المال والنساء .

كل هذه المفاهيم تختلف إختلافا عميقا مع مفاهيم الإسلام وقيمه ودعوته إلى التوحيد الخالص ومسؤولية الفرد لبناء المجتمع الربانى وأخلاقه .

(٢)

يتساءل المستشرق هاملتون جب فى كتابه (وجهة الإسلام) فيقول :

إلى أى مدى أصبح العالم الإسلامى غربياً ؟ ويجيب على ذلك مستعرضا نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الإسلامى بلداً بلداً ، ثم يعقب على ذلك بقوله : نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن (كتب ذلك عام ١٩٢٩) — أى قبل خمسين عاما — إن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا فى كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فتغير اتجاه التيار .

ولقد كذبت الأحداث نبوءة المستشرق المتعصب الطامع فى أن يسقط العالم

الإسلامى فى براثن العلمانية الغربية أو الأممية الماركسية ،ولم يكن يدور فى خلده أن حركة اليقظة الإسلاميه التى كانت وليدة فى ذلك التاريخ من تلك المحاولة التى كان أول من أطلق عليها كلمة « التغريب » .

والواقع أن المعنى الذى حرص الاستعمار والنفوذ الأجنبى (غربيا وماركسيا وصهيونيا) على إسقاطه من النفس الإسلامية كما يعبر الأستاذ محمد المكى الناصرى : هو إبراز الإسلام كعقيدة وتربية ، لم يكن أبداً فى يوم من الأيام راضيا بالذل ولا مسانداً للخضوع ولا معينا على العبودية فى أى وقت من الأوقات، وأن الإسلام ربى معتنقيه على الاعتزاز الكبير بكرامتهم وربائهم على الإيمان بأنهم خلقوا ليفرضوا وجودهم فوق هـــذه البسيطة ، ويبرزوا مكانهم تحت الشمس لا ليكونوا عبيدا ولكن ليكونوا سادة ، ولم يكن الإسلام حليف الطغيان ولا حليف الظلم ولا حليف الاستعمار، ومن ثم فقد حاصر المسلمون مخططات التغريب والغزو الثقافى ونشأت فى ديارهم جامعات إسلامية تقوم على أساس القرآن ومنهج الله الحق . وقاموا فى كل مكان . القانون الوضعى بعد أن ثبت فشله وعجزه عن تحقيق إقامة المجتمع الكريم كذلك فشلت الايديولوجيتين الليبرالية والماركسية حين طبقت إحداهما أو كلاهما فى بلاد اوربية . ومن ثم فان العالم الاسلامى لن يصبح لا دينيا بالرغم من السموم التى حملتها الأعاصير وسفت بها رمال العلمانية والاباحية والمادية .

(٢)

هنـاك دعوة مبثوثة إلى أدب المتعة والشهوة والفن الخليع : وعاثها الرواية والمسرحية والسينما ومسلسلات الاذاعة والتليفزيون ، وهى فى مجموعها تقـــدم مترجمات من أدب الفراش وكتابات الجنس الغربية بمفاهيمه المنحرفة والفاسدة للمرأة وللحب وللحياة . وهى فى مجموعها لا تتفق مع مفاهيم المجتمع الاسلامى . هذه الدعوة ظاهرة الهدف، وهدفها هو تدمير الرجولة فى شباب الاجيال الجديدة المرجى لحمل أمانة المجتمع الاسلامى فى مرحلة تاليـــة فاذا تشكل من الآن على الانحراف والانحلال فان أمانته لفهم الاسلام ستكون ضعيفة ، وسيعطى ذلك فرصة للقوى الغازية التى تسيطر ولا ريب إن المسلمين عقيدتهم وقيمهم ومفاهيمهم .

بالربانية المصدر الانسانية الهدف التى تصدر عليها حياتهم وسلوكهم ، وأن هذا الركام المطروح باسم التسلية وتزجية الوقت ليس إلا شراً خطيراً يهدم الوجود الاسلامى فى نفوس الناس وفى تركيب المجتمع نفسه ، ولذلك فإن علينا أن نكشف موقف الإسلام واضحا صريحا من هذه الدعوة الخطيرة ، وإذا كان أدب الانحلال هو وليد انهيار الفلسفات الغربية والأيدلوجيـــات سواء منها الرأسمالية أو الماركسية فإن المجتمع الاسلامى الذى نشأ فى أفق التوحيد وقام على العدل والرحمة والاخاء البشرى يجب أن تكون فنونه وآدابه وقصصه ومسرحياته من نوع آخر. وأن من حقنا أن نرد هذا السيل الكاسح وأن نزنه بميزان قيمنا ومقاييسنا ، وعند ذلك نجده أنه يتعارض مع قيمنا ومفاهيمنا ، فليس فى نطاق الفكر الاسلامى ما يدعو إلى الهزيمة واليأس أو إلى الإباحية و لانحلال ، ذلك أن المسلم بطبيعته مرتبط بربه مؤمن بمسؤوليته ، مطمئن إلى غده ، واثق من أنه مهما ادلهمت به الأحداث فسوف تنقشع الغيوم وتفرج الآفاق عن اليسر الذى يأتى بعد العسر ، فليس فى أدبنا روح التشاؤم التى تصدر عن المفهوم المادى الخالص ، ولا روح اليأس والهزيمة التى صدرت عن مفهوم الخطيئة الأولى الذى لا يعرفه الإسلام .

آخر العمود

آن الأوان ليعود للمسلمين مجدهم ووجههم المشرق يسطع فى أفق الحيـاة مرة أخرى . فإن الدراسات تشير إلى أن هنـاك إتجاهاً عالمياً الآن يهدف للبحث عن سماحة هذا الدين وعظمته الانسانية وذلك بعد أن عجزت الحضارة الأوربية أن تمد العالم بالطمأنينة والسعادة كما سبق أن أمده الاسلام بها من قبل فى عصور ازدهار الأمة الاسلامية ، ولـكن المسيرة طويلة والعمل شاق والمسؤولية كثيرة فمعاول أعداء الاسلام لمـــا تزال مرفوعة تحاول تقويضه و تقليص ظله . إنهم متعصبون والتعصب لا شفاء له إلا بازدياد دائرة الضوء واستنارة القلوب للحق

« زكى بدوى »

الفصل الثاني

وسقطت مدرسة التبعية للحضارة الغربية

إن من أبرز معالم حركة اليقظة الاسلامية آخر القرن الرابع عشر الهجرى هو تكشف الحقيقة التى ظلت معماة على العرب والمسلمين خلال الجيل الحائر الذى قاده طه حسين وسلامة موسى وعلى عبد الرازق ، ومن بعده جيل آخر قاده زكى نجيب محمود ولويس عوض ، تلك هى خدعة النفوذ الغربى التى كانت تقول بأن المسلمين والعرب لن يستطيعوا امتلاك إرادتهم إلا إذا « تغربوا » فكراً وثقافة وأسلوب عيش ، والذين كانوا يفرضون على الثقافة صوراً (تعلى) من حضارة الغرب وبطولة رجال الغرب وتزدرى حضارة الاسلام وبطولاته .

لقد حاول هؤلاء أن يغرسوا فى تربة الاسلام أن الفلسفة اليونانية هى مصدر الثقافة الاسلامية ، وأن الحضارة الغربية هى مصدر النهضة فى الشرق ، وانخدع الجيل بهذه المفاهيم المسمومه . واحتقروا قومهم ، وجهلوا ذلك الميراث العظيم الذى قدمه لهم القرآن الكريم ، والذى كان مصدر تحرير العقل البشرى كله من الوثنية والتعدد، ومنطلقاً لتحرر الانسان من ظلم الانسان ومن عبودية الحضارات الفرعونية والفارسية والرومانية .. كان الغرب ينكر الحضارة الإسلامية ويحجبها عن المسلمين والعرب حماية لوجوده فى نفس الوقت الذى كانت دوائره ومنظماته تعترف بفضل الشريعة الاسلامية وعظمة عطائها ، وتعترف بأثر المنهج العلمى التجريبى الذى صنعه المسلمون على بناء الحضارة الغربية الحديثة .

ولكن صوت الحق ما لبث أن انبعث مجلجلا مدوياً فقد أعلن رأس المدرسة الحديثة الدكتور محمد حسين هيكل أن البذر لا ينبت وأن الطريق لا يؤدى وأن تجربته التى قام بها من خلال الحضارة الفرعونيه القديمة ابتعاثاً ، والحضارة الغربية اقتباساً قد فشلت تماماً ، وأنه لا طريق إلا طريق الحضارة الاسلامية فهو وحده الطريق ، وأن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم هى منطلق النهضة الحقيقية .

قال هذا هيكل رأس المدرسة الحديثة ،وأعلن بعد أن استعلنت كلمة المدرسة الاسلامية التي نادت بالاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، ودعت إلى التماس حكم الله ورفعت المصحف بين أيديها نبراساً لمواجهة الغرب الزاحف لاحتواء المسلمين وتدمير حضارتهم .

ولكن المسلمين لم يستمعوا إلى النداء باكرين، وكان عليهم أن ينتظروا حتى تنتطح قرن العنز فى الصخر فتنكسر، وهكذا ظلت الأمة سادرة فى مفهوم الحضارة الغربية كنطلق للتحرر ومواجهة الغرب بأساليب الغرب ، وهى أخطر مؤامرة سقط فيها المسلمون فى العصر الحديث حين تخلوا عن مقاييسهم وأسلحتهم وأسلوبهم القرآن فى مواجهة الأحداث ولجأوا إلى أسلوب الغرب ودخلوا دائرة الإحتواء . . ظلوا كذلك حتى كشفت النكبة ثم الهزيمة ثم النكسة عن الحقيقة باهرة كفلق الصبح ، كشفت عن فساد دعاوى المدرسة الغربية الوافدة الضالة المضلة التى قامت على الخداع والغش .

ولكن أصحاب الحضارة ، وهم أنفسهم أصحاب النفوذ الأجنبي المسيطر على بلادنا كانوا مكرة ، فهم لم يقدموا لنا العلم الذى نصنع به التقدم المادى ، وإنما قدموا لنا الفلسفة التى تزيغ القلوب وتفسد العقول ، لقد قذفوا هذا الشرق الاسلامى بالأيدلوجيات والنظريات والنحل ، وتركوه يصارعها وينقسم حولها ، ويضرب بعضه ببعض ، ماركسيين وليبراليين ، ومن وراء ذلك فكر الصهيونية التلمودية التى حولت قيمتها ومفاهيمها إلى مذاهب وعلوم تدرس بجامعات العالم الإسلامى واستطاعوا أن يبهروا الناس ثمة بالابريق الخاطف الذى سرعان ما ينطفىء ، وانظر الآن فلا تجد فيما تركوه إلا ركاما مظلما أسودا ، وتجد جريرتهم واضحة فإنهم هم الذين خدعونا حتى أوصلونا إلى مرحلة التصدع .

لقد قطع هؤلاء الناس صلتهم بالماضى وبالتاريخ وبالتراث وباللغة والعقيدة وبالعروبة وبالإسلام ، وصنعوا صلات جديدة واهية ، هى صلاتهم بالغرب ، بالفكر الغربى وهو فكر مسيحى المصدر مادى النزعة وثنى الهدف ، ثم الفكر الماركسى وهو فكر زائف جاء رد فعل للفكر الليبرالى الرأسمالى المتصدع ،

ولذلك فقد كانوا عاجزين عن أن يحدثوا فى القلوب رضا أدنى النفوس ولأنهم لم يستطيعوا أن يقدموا مطامح النفس أو أشواق الروح ، لأنهم كانوا يسبحون ضد التيار ، فلما ارتفعت كلمة الله ودعوة الإسلام وجدت الاستجابة الحقيقية لأنها تمثل الفطرة وتقـــدم للنفس البشرية والقلب الإنسانى والعقل الإسلامى مطامحه وأشواقه .

فلما وجدوا أن الدعوة الإسلامية تنطلق لأنها الفطرة حملوا عليها وهاجموها وحاولوا أن يدخلوا نفس المجال ويقتحموه بالكتابة عن السيرة والإسلام ليوجدوا بديلا تحمله أقلام لامعة لها شهرتها وليكون ذلك عاملا أساسياً فى تقديم البديل الزائف قبل القضاء على الأصيل الحق .

ولكن هذا البدائل انكشف أمرها ، وتبين فسادها ، وبان عوارها ، فقد صدرت من منطلق الفكر الغربى فلم تستطع أن تستوعب مفهوم الإسلام الحقيق الجامع ، القرانى المصدر، وقد قطت لأنها لم تكن خالصة لوجه العلم وإنما كانت تحاول أن تستجيب لأهواء دفعت الأقلام إليها .

خدعهم المستشرقون وأغروهم بالمناصب والمراكز والموارد وهم المسئولون عن تلك الأجيال المضللة الحائرة التى اختلطت عليها النظرية الليبرالية ، والنظرية الماركسية والنظرية الفرويدية ، والنظرية الوجودية ، لأن هؤلاء الرواد قدموا كل هذا الخليط إلى شباب أمتهم ليفسدوا عقليتها ويحطموا روحها ولكن حركة اليقظة استطاعت أن تفتح الطريق أمام ضوء الحق ، وأن تحدد أمام الأجيال نقطة البدأ الأصيلة فى كل أمور الثقافة والفكر وهى تبدأ من الإسلام نفسه، ومن كلمة التوحيد، ومن الإيمان برسالة السماء التى حددت مسئولية الإنسان فى الأرض والتزامه الخلق وجزاؤه الأخروى .

لقد أعاد هؤلاء الدعاة إلى الفكر الغربى كل مؤثرات الفكر الوثنى القديم ، إخوان الصفا ، والباطنية، والحلول والاتحاد ، وجروا وراء أوهام الفكر الغنوصى والأغريقى ، وكانوا قناطر فى نقل سموم الفكر البشرى إلى أفق الفكر الإسلامى،

ولم يستطع واحد منهم أن يكون مفكراً أيدلوجيا أو عالما له نظرية ، أو قائد له منهج محدد ، يمكن أن يوصف بأنه فيلسوف أمته ، ذلك لأنهم جميعاً صدروا من فكر الغرب وفلسفاته وأقاموا كتاباتهم على هذه المذاهب التي تختلف كثيراً عن فكرنا وعقيدتنا ، ولذلك فإنهم لم يجدوا تجاوباً حقيقاً من النفس الإسلامية العربية كان يفجر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، وكانوا يجرون وراء فكرة وهمية صنعت عندهم عقدة التخلف التي كان حلها عندهم هو تقليد الأجنبي صاحب عقيدة التفوق ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل ، وخلفيات الأشياء وأن يعلموا أن مصدر النقص هو الغفلة عن المنبع الأصيل عن المصدر الثر الرباني .

لقد عجزوا عن فهم روح أمتهم وفكرها وتغربوا ، وهزت نفوسهم ماديات الحضارة وخطف قلوبهم بريقها ، فكانوا لا يرون الحضارة في قيمها الخلقية والإنسانية ولكنهم يقصرونها على المعاني المادية ، على المتاحف والقصور والشوارع ، وكأنها كل شيء في الحضارة، كان التقدم المادي يلهب عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم المتخلفة على أنها فقر ويباب، ولا يرون إلا باباً واحداً لتقدمها هو التحضر المادي .

كانوا يحاولون بذلك ضرب مفهوم الإسلام الصحيح ، وكانوا يحاولون بها إنكار المعجزات وفرض مفهوم ينكر الغيبيات ، ويفرض التفسير المادي للتاريخ .

وكانت من محاولاتهم حجب التراث الإسلامي الصحيح وراء فكرة الانقطاع الكاذبة بين ماضي الأمة وحاضرها ، فلما بدأ التراث الإسلامي يشرق من جديد ويكشف عن جوهره الأصيل زيفوه بكتابات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيرة ، ثم جاءت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين قد فتح لهم الطريق وأزال من أمامهم الكثير من العقبات ، ثم جاء زكي نجيب محمود ليكشف الصفحات المظلمة من تاريخ الفكر الباطني والوثني والشعوبي والمجوسي القديم الذي صارع الفكر الإسلامي الأصيل في عصر الترجمة

ردحاً من الزمن وجاء إحياء إخوان الصفا والمعتزلة والباطنية والفكر الفلسفى ؛ وإحياء ذكرى أصحاب الزنج ، والقرامطة الذين سرقوا الحجر الأسود وقتلوا الحجيج إلى بيت الله الحرام باعتبار أن هذا هو التراث الإسلامى الذى يجب تجـــديده .

لقد جددوا التراث بالفعل ولـكنه التراث الزائف المسموم ، لقد أعادوا إحياء التاريخ بالفعل ولـكنهم صاغوه فى أسلوب الصراع السياسى بين الصحابة الأجلاء كما فعل طه حسين فى الفتنة الـكبرى ، وهم فى نفس الوقت قد حجبوا التراث الحقيق ، هذا الذى تـكشف عنه اليوم أقلام ظاهرة ونفوس نقية .

الفصل الثالث

فلنراجع كل تراكمات الفكر البشرى وزيوفه

ونحن فى نهاية القرن الرابع عشر يتحتم إعادة النظر فى كل الأفكار التى يرددها الاستشراق ودعاة الغزو الثقافى : هذه الأفكار التى يقف لها الدعاة بالمرصاد فإذا بهم يعيدونها ويغيرون جلدها بعد أن تضرب ويكشف زيفها ولعل أخطر ما يجب إعادة النظر فيه تلك السموم المبثوثة فى الكتب المدرسية . وخاصة فى مجال التاريخ الإسلامى من حيث تصوير تاريخ الإسلام على أنه حلبة صراع بين الخلفاء أو أو تصويره على أنه صورة مضطربة من الخلاف والصراع .

كذلك ظهرت الدعوة إلى إعلاء شأن حركات الهدم والتدمير التى كان من ورائها الباطنية والوجودية والمجوسية والقرامطة أمثال حركة الزنج والادعاء بانها حركات تحرر بينما كانت فى مصادرها الصحيحة محاولة للقضاء على الدولة الإسلامية وفتح الطريق أمام عودة الوثنية والفوضى فى قلب المجتمع .

وكان من أخطر الدعوات الدعوة إلى تفسير تاريخ الاسلام تفسيراً إقليمياً أو قومياً أو مادياً إقتصادياً فى محاولات متعددة قدمها دعاة الاقليمية والقومية والماركسية وكلها زائفة وباطلة .

وكانت هناك محاولة لتصغير الدور الخطير الذى قام به المسلمون فى سبيل بناء المنهج العلمى التجريبى الذى هو أساس الحضارة المعاصرة ، وهناك من أنكر هذا الفضل إنكاراً تاماً رغبة فى القول بأن الغرب هو الذى صنع هذه الحضارة ومن هنا تمتلىء نفوس شبابنا بالضعف أمام حضارتهم وعقيدتهم التى هى مصدر الحضارة العالمية مع الاعجاب الزائف بحضارة الغرب ولو صدق هؤلاء الباحثون لنسبوا الفضل لأهله ولكشفوا عن انحراف حضارة الغرب إلى المفهوم المادى الذى كان من أثره ظهور أزمة الانسان الحديث .

وأخطر من هذا كله محاولة تفسير التاريخ الإسلامي بمنهج غير منهجه وعن طريق فهم لا يدخل إلى تقديره رسالة السماء والنبوة والوحي وتوحيد الله وقدرة العقيدة على تغيير المجتمعات وعلى إعطاء المحاربين القوة التي يتفوقون بها وهم العدد القليل على العدد والعدة .

كذلك فهناك الخطأ الكبير فى اعتبار العامل الاقتصادى عاملا هاماً فى التأثير على المجتمعات والتاريخ وتطورها فى بلاد الاسلام دون تقدير أثر القيم الدينية والأخلاقية المستقاة من الاسلام والتى هى العامل الأول فى تشكيل النظم وتطورها ومن هنا فإن نظرية التفسير المادى للتاريخ ونظرية ماركس الاقتصادية تحارب الاسلام تماماً أو كما يقول الدكتور حسن شحاته سعفان : أنه إذا صح أن الدول الأوروبية قد تطورت بحيث وصلت فى العصور الحديثة إلى دول تقدس المادة أولا فإن ثمة دولا بالعكس لم يطرأ عليها تطور يجعلها تضحى بالمثاليات الأخلاقية والدينية تحت تأثير العوامل المادية .

وأخطر ما نواجه به من عبارات قولهم : (القديم والقدماء والسلف والتراث) وهم لا يقصدون من هذه العبارات كلها إلا معنى واضحاً لا يستطيعون الإفصاح عنه هو الاسلام إنهم ينظرون إلى هذا التاريخ الاسلامى والتراث الاسلامى والعقيدة الاسلامية على النحو الذى نظر به الغربيون إلى تاريخهم وتراثهم وعقيدتهم فنبذ الغربيون تراثهم وعقيدتهم لأنها لم تستطع أن تعطيهم المنطلق إلى النهضة فقد أنكرت تفسيرات المسيحية التقدم وحاربت العلم وعارضت النهضة ووقفت فى وجه البناء وقسرت نفسها على الرهبانية وكراهية الحياة واحتقار المرأة فحق للغرب أن أن ينبذ هذه التفسيرات وأن يخرج عليها لأن الدين الحق لا يدعو إلى مثل ذلك . ولكن ما بال المسلمين يجرون وراء هذه العبارات الخادعة ودينهم هو الذى كان مصدراً أساسياً لقيام المنهج العلمى التجريبى وقرآنهم هو الذى قدم للبشرية التفسيرات الصحيحة لما فى هذا الكون وعلم المسلمين البحث عن سنن الحضارات والمجتمعات وبذلك وضع أسس علم الاجتماع والاقتصاد وقدم أصدق تفسير لتاريخ البشرية .

وهناك تلك المحاولات الباطلة لتقديم مناهج: (القومية والعلمانية والديمقراطية والماركسية) بديلا لمفاهيم الاسلام الجامعة فى سبيل الاخاء البشرى الجامع ارتفاعاً عن العنصرية والتعصب للأنساب والا روق والدماء، وهناك العدالة الاجتماعية والشورى القائمة على الرحمة والحق. وهناك تكامل القيم بعيداً عن دعوى العلمانية الباطلة التى اصطنعها المجتمع المسيحى خروجا من سلطان البابوات وظلم رجال اللاهوت وسيطرتهم وحكوماتهم الثيوقراطية التى لم يعرفها الإسلام أبداً بل عاش الاسلام يدفع اتباعه نحو الرقى المادى والروحى.

كذلك فهناك الهجوم الدائم على البيان العربى والبلاغة والدعوة إلى العامية وإلى أسلوب وسط بين العامية والفصحى. وكل هذا يستهدف النيل من القرآن الكريم وأسلوب القرآن ومحاولة دائبة على إيجاد فاصل عميق بين واقع أسلوب الكتابة وبين بيان القرآن.

ويتبع هذه الدعوة مهاجمة عامود الشعر وأوزانه وموسيقاه وقوافيه رغبة فى القضاء على أصول البيان العربى والهدف كله أن تحطم لغة القرآن وتدمر. وأن يعلو شأن اللهجات الإقليمية وبذلك تعجز اللغة العربية عن أن تستوعب العلوم الحديثة والتكنولوجيا وأن تكون مصدراً للعلم وتطوره وآفاقه الواسعة التى من شأنها أن تنشىء الحضارة الإسلامية الجديدة.

إنها دعوة تصدر عن حقد شديد على وجود اللغة الفصحى وحروفها العربية وما تمثله من تراث مقدس وانتظام شمل العرب كأمة واحدة بالاضافة إلى مئات الملايين المسلمين الذين ينتسبون إليها ثقافياً وعقائدياً.

وهناك أسماء لامعة كانت تبرز فى صفوف الماركسية والشعوبية قد عادت لتظهر تحت اسم الاسلام ولكنها تحاول أن تدخل سموما ليقال مثلا أن الشريعة الاسلامية مرحلية أو أنها يمكن أن تتطور أو يمكن أن تعطل أجزاء منها إرضاء لهيلمان الحضارة كالحدود مثلا.

وهناك من الكتاب من ظهر تحت اسم الاسلام يحاول أن يتخذ من تفسيرات الباطنية ووحدة الوجود ومفاهيم الفكر الغنوصى القديم مستخرجات لإفساد أصالة القيم الاسلامية ومن ذلك يدعى أن العذاب فى الآخرة معنوى أو غير ذلك من مفاهيم منحرفة أو مستقاة من تفسيرات الأديان والنحل الأخرى المحرفة .

كذلك فإن هناك من يتحدث ويكتب عن الأديان فيقول إن البشرية كانت وثنيه فى أول أمرها ثم وحدت بنزول الأديان الثلاث وأن أول التوحيد اليهودية وقد وقع فى هذا كاتب كبير ويردده الذين قرأوا كتابات اليهود عن تطور الأديان وهو مفهوم باطل فإن التوحيد جاء مع الانسان الأول والنبى الأول وظل قائماً ثم ظهرت الوثنية ثم توالت الأديان تدعو إلى التوحيد وعاشت البشرية ولم تنقطع عن التوحيد يوماً ولم يتوقف الفكر البشرى عن الايمان بالتوحيد . ومازال وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهناك فكرة التوحيد التى يرددونها عن أخناتون فرعون مصر وهى فكرة زائفة . فإن أخناتون وحد الوثنية حول عبادة الشمس وكانت الوثنيات متعددة الآلهة فى أيامه .

وهناك من الكتاب من يتحدث عن السبعة آلاف عام من عمر الأوطان التى دخلت الاسلام : هذا الاسلام الذى جب كل ما كان قبله والذى أنشأ ذلك الانقطاع الحضارى بين عصور الوثنية والفوعونية وغيرها . وما تزال قصة السبعة آلاف عام من الأوهام والخرافات التى إبتكرها بعض دعاة الاقليمية والاعتداد بالفرعونية فأين وحدة التاريخ أو وحدة الثقافة المتصلة سبعة آلاف عام فلم يبق اللغة واحدة ولا الدين واحد ولا مفهوم القيم ظل ثابتاً وإنما كل شىء قد تغير وبقى شىء واحد هو (الحنيفية السمحاء) دين إبراهيم وهذا لا يمثل مصر وحدها ولكنه يمثل المنطقة كلها التى تحرك فيها إبراهيم عليه السلام ورفع عليها علم التوحيد الخالص ، وجاء محمد صلوات الله وسلامه عليه بأكمل الأديان وأشملها وأرقاها وأكثرها إنسانية ورحمة للعالمين .

ثم أين ما يسمى بوحدة الثقافة المصرية أو السورية أو العراقية : أن الثقافة مرتبطة باللغة والدين وليست مرتبطة بالأرض .

إن فكرة السبعة آلاف عام هذه أسطورة خادعة بعد أن ثبت الانقطاع الحضارى وتبين أن كل ما كان قبل الاسلام إنما كان تمهيداً للإسلام وما كان فى مجمله وثنية وانحرافاً عن مفهوم الدين الحق . فقد كان قائما على تفسيرات رؤساء الكنائس وانحرافا عن التسلسل التاريخى بين دين إبراهيم وما جاء به موسى وعيسى وصولا إلى محمد خاتم الأنبياء والرسالات .

إن كل هـــذا الترويج لمير المصطلحات الإسلامية إنما هو إنحراف أعاذنا الله وإياكم منه . وهذا الانحراف تولد نتيجة البعد عن الاسلام وعن تعاليمه وعن الحضارة وعن الحياة معه فدخلت الأفكار الغربية المدسوسة هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفصل الرابع

ملامح من أخبار التغريب فى الوطن العربى

ماتزال مؤامرة التغريب من أخطر المؤامرات التى واجهت الدعوة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى وما تزال آثارها ممتدة إلى اليوم ولذلك فنحن فى حاجة إلى وعى كبير يمكننا من دفع خطر هذه المؤامرة . وليس من شك أن حركة « تغريب الشرق » أو « تغريب الإسلام » هى دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها ، وهى حلقة من مخطط واسع فى تأكيد الاستعمار ودعمه ، قوامها « غزو فكرى » يستهدف القضاء على معالم شخصية الأمة وتحويلها إلى صورة غربية الملامح لعزل المسلمين عن القيم والمثل والتراث الذى يتصل بها والذى كان عاملا على تكوينها خلال الأجيال الطويلة .

كان الاستعمار يعلم أنه بعد أن سيطر على « عالم الاسلام » بجيوشه وقواه العسكرية ونفوذه السياسى لابد يوماً أن ينسحب فكان يرى أن يضع مخططاً دقيقاً لإبقاء نفوذه فى المناطق التى احتلها ، وكان يرى أن يبقى مقيما حتى تتكون الطلائع التى تخلفه من أهل الأقطار نفسها حتى تؤمن بفكره وتسير فى إتجاهه وتخدم مصالحه على أن تتكون تلك الطلائع عن طريق التعلم فى مدارسه وصحفه وكتبه وأن تسير وفق أهدافه وتكون أمانتها للغرب أكثر من أمانتها لأوطانها .

لقد كان الاستعمار والنفوذ الأجنبى يعلم أن السيطرة الكاملة على هذه الأمة أمر مستحيل فإن لها من مقومات شخصيتها القوية الصامدة العنيدة ، ومن أسس فكرها الاسلامى القرآنى ما يحول دون الإستسلام أو الركوع أو الخضوع لأى قوة خارجية أجنبية ، فكان لابد من القضاء على هذه المقومات وتحويل وجه

الأمة إلى قيم أخرى تدمر كيانها وتفرض عليها التسليم للقوى الخارجية فى أن تسود وتمتد وتتوسع ، وبذلك يبقى الاستعمار حياً فى صور أخرى من صور النفوذ الفكرى .

إذن فالتغريب أساساً : هو محاولة لتغيير المفاهيم فى العالم الاسلامى والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعـــالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعاً .

ولقد صور كرومر منهج هذا العمل الذى اصطنعه الاستعمار حين قال : وأن الشبان الذين يتلقون علومهم فى أوربا يفقدون الصلة الثقافية والروحية لوطنهم ، ولا يستطيعون فى نفس الوقت الانتماء إلى البلد الذى منحهم ثقافته فيتأرجحون فى الوسط ويتحولون إلى مخلوقات شاذة ممزقة ، وكان هذا بالطبع هو الهدف من الارساليات المختلفة التى غزت مصر وبعض البلدان الأخرى فى صورة مدارس وجامعات وفى البعثات الموجهه إلى أوربا وإلى عواصم الدول المستعمرة وفى هذا يقول جبران : إن الشباب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكى ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيراً لفرنسا ، والشاب الذى لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا) وكان هذا هو الحق إلى حد كبير ، فقد غزا الغرب الشرق بجحافل من العلماء والمبشرين والمستشرقين والأثريين والصحفيين ، وشيدت مؤسسات ضخمه فى مختلف عواصم العالم الاسلامى تفتح أبوابها لثقافات بلادها وبدأ هذا النفوذ الفكرى يعمل ويسيطر فى مجالات المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة والتربية والسينما والاذاعة .

وهكذا كان التغريب عملا خطراً دقيقاً قوامه محاربة القيم التى عاشت عليها أمتنا ، فى أسلوب مغلف بالضباب ، يحاول أن يثير غمامة كثيفة من التشكيك

والاستهانة بكل مالدينا من قيم باسم « القديم » البالى الموروث ، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان ابرز العاملين فى الصحافة من هذه الدول العربية من هؤلاء المتنكرين لقيمنا الذاهبين مع التغريب فى طريقة وقد ظلت الصحف الوطنية تسقط واحدة بعد أخرى ، بينما ظلت الصحف التى تخدم التغريب تقوى وتتسع . وفى مجال الترجمة كان الهدف هو بث فكر جديد قوامه القصص المكشوفة والاراء المسمومه وفى مجال المدرسة كانت تقدم الكتب التى تنقص من قدر أمتنا ، وتصم تاريخنا بالضعف وماضينا بالذله ، وسيطر على الجو الفكرى كله بناء هدام قوامه الاستهانة بكل القيم وفى مقدمتها القيم الاسلامية وهذا ما تراه وضحا فى بعض الدول العربية كما فرضت الحضارة على بلادنا أسوا ثمراتها ، ولم ترسل لنا الا تجارة الكماليات فى مواد الزينة واللهو بغية تحطيم كيان المجتمع ، وبدت فى جو مجتمعنا العربى تدعو إلى الرخاوة والمتعة واللذة والتخلص من كل القيود .

ولقد كانت هذه الدعوة تستهدف تدمير القيم الاساسية لهذه الأمة ، قيم المقاومة والصلابة والتصميم والعزم بغية تحويل نظر الأمة عن الجهاد والتضحية والفداء من أجل أوطانها . ودينها وقيمها ومثلها . .

عملت حركة التغريب فى عدة ميادين ، بدأ العمل فيها غربيون نزلوا إلى المعركة ثمة ، ثم اسلموا مقاليد الامور من بعد إلى كتاب من العرب من أصحاب التبعية والولاء للاستعمار ، وكانت كلمة حريه الفكر التقدمية ومقاومة الرجعية والتجديد والتطور من الكلمات البراقة التى لعبت دورا كبيرا فى خداع المثقفين .

ولقد اتخذت حملات التغريب على القيم والمقومات والتاريخ واللغة والعقائد مظهرا علميا براقا لم يخل من التعصب والهوى والحقد ، والاستعلاء ، وإنكار فضل العرب والمسلمين على الحضارة .

لماذا حرص الغرب على الغزو الفكر الاسلامى واخضاعه لسيطرته بادوته ووسائله الممثله فى التبشير والاستشراق للاجابة على هذا لا بد من العودة إلى ماض طويل : قال فيه « وزرائيلى » رئيس وزارة بريطانيا أنه لا سبيل إلى بقاء النفوذ الأجنبي فى البلاد مادام مدة الكتاب باقيا فى الأرض وأشار إلى القرآن الكريم وعندما وقف اللورد اللنبى فى القدس ١٩١٨ بعدأن دخلتها جيوش الحلفاء وأعلن أنه لآن قد انتهت الحروب الصليبيه وكانت الحروب الصليبية قد انتهت عام ١٢٩١ م ومضى عليها أكثر من سبعة قرون . غير أن الغرب لم يأس أنه يطمع فى الثأر من الاسلام باعادة السيطرة على العالم الاسلامى مرة أخرى ، فاذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت من قبل فان الاستعمار قد استطاع أن

يحقق عام ١٩١٨ ما عجزت عنه الحروب الصليبية وهو تمزيق العالم الاسلامى واسقاط الدولة العثمانية والسيطرة على مقدارت المسلمين . والواقع أن هذه السيطرة العسكرية كانت الخطوة النهائية لحملة ضخمة قام بها الغرب فى سبيل تأكيد نفوذه منذ أوائل القرن التاسع عشر بغزو بريطانيا للهند وهولندا لاندونيسيا وفرنسا للجزائر .

ولما كانت ثقافة العالم الاسلامى المستمدة من القرآن تقوم أساسا على روح العزة والقوة والجهاد ومقاومة كل من يحاول السيطرة عليها أو أغتصاب مقدراتها فقد كان النفوذ الاجنبي حفيا بأن يقضى على هذه المقومات الأساسية بافسادها وأدخال الشبهات والشكوك إليها . ومن هنا بدأت حركة التغريب تنمو فى ظل التبشير والاستشراق وتجرى محاولتها الاساسية فى افساد مفاهيم الاسلام واللغة العربية والقرآن وتزييف التاريخ وأدخال مناهج ومفاهيم مضطربة متناقضة ودعوات تتعارض تحمل ألوية الالحاد والإباحية والتحلل والشعوبية ، وتدعو إلى الاقليمية والقومية الضيقة والعنصرية والمادية والوجودية وتثير دعوات الفرعونية والبابليه والاشورية والقومية الضيقة والبربرية على نحو مثير غريب لاحد

لأندفاعه وتحوله . ومن خلال حركة « التغريب » برزت دعوة « الشعوبية » التى تقوم أساسا على أحتكار التراث الاسلامى وبث الشكوك فى التاريخ والأدب واتهام الاسلام بالقصور والتخلف . ومن هنا تداخلت حركة التغريب والشعوبية تداخلا خطيراً وفيها يحمل اللواء كتاب غربيون ومستشرقون ويتبعهم كتاب عرب وتقوم صحف واسعة الانتشار ودور نشر ضخمة فى بعض العواصم العربية بالدعوة لما يقدمونه إلى شباب العرب والاسلام من سموم .

وأبرز ما تهدف إليه حركة التغريب : هى تغير المفاهيم الاساسية والقيم الأصلية للأمة والقاء بذور الشبهات حول كل قيمة ومفهوم ، فى مجال العقائد والاجتماع والتاريخ مستهدفه احلال مفاهيم الفكر الاسلامى فى قضايا المجتمع والمرأة والدين والسياسة والاقتصاد والتربية . ولا شك أن محاولةفرض مفاهيم الغرب لقيمنا من شأنه أن يترك آثارا بعيدة المدى ويحدث تحولا غريبا فى كل أوضاعنا ومقدراتنا .

ولقد امتدت حركة التغريب من خلال مؤسسات التبشير والاستشراق واستطاعت أن تكون لها مراكز وقوى ودعاة وأعوانا فى ظل النفوذ الاستعمارى فى البلاد العربية ، هذه المراكز ظهرت أثارها بعد أن إنحسر سلطان الاحتلال ، وفرض وجهة نظر خطيرة كان لها أبعد أثر فى تحول المجتمع الاسلامى من طابعه الاسلامى إلى طابع علمانى .

الفصل السادس

مواجهتنا القائمة

مع الفكر الغربي الوافد

لا ريب أن أبرز مظاهر القرن الخامس عشر الهجرى وأعظم طوالعه هو : تمكن أهل الدعوة الإسلامية من الوقوف موقف المواجهة مع الفكر الغربي الوافد بشقيه الغربي والماركسي ، أو فى محاولاته من خلال ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية، ومن آفاقه المستمدة من النفوذ الاستعماري أو الهوية الماركسية، أو النحلة التلمودية الصهيونية ، فإن هذه الغيوم السوداء ماتزال قائمة فى سماء الفكر الإسلامى بهدف تطعيمه أو احتوائه ، أو السيطرة عليه وتحويله عن جوهره ووجهته .

التوحيد الخالص :

وإن هذه المحاولة قد قطعت شوطاً طويلا خلال القرن الرابع عشر الهجرى عن طريق إرساليات التبشير ، ومخططات الاستشراق ، وعن طريق أساليب الصحافة ، ومن خلال برامج التعليم ، وفى طوايا المسرحيات وروايات السينما ، وفنون الرقص والغناء وعلب الليل، وكلها تستهدف القضاء على الأصالة الإسلامية وتمييع الطوابع الإسلامية الثابتة ، وهدم القيم الأساسية التى قام عليها التوحيد الخالص ، شريعة الله الخالصة الحقة التى لا يحملها فى هذا العصر إلا أهل القرآن ومن تابعوا محمد صلى الله عليه وسلم ومعتنقوا الإسلام فى ، عقيدة خالصة ربانية ، قادرة بسموقها وكمالها على مواجهة الفكر البشرى المتجدد بوثنيته وماديته، ودحض أهوائه وشبهاته ، وتقديم رسالة الفطرة والحق والخير إلى البشرية جميعاً .

ولقد بدأت هذه المواجهة مع الفكر الغربي منذ وقت طويل، ومازالت قادرة

على مزيد من العطاء لاطلاع فلق الصبح الأزهر لكلمة الله العليا ، ودحض كل زيف من رياح السموم .

ولقد انعقد العزم بين علماء المسلمين من خلال مؤتمراتهم المتعددة فى السنوات الأخيرة ، إن الوقت قد حان لإزاحة الأضاليل والتغليطات التى بذرها وغرسها ودعا إليها بعض قادة الفكر الغربيين من المذاهب والمبادىء المادية المنحرفة ، وهى التى إنساق وراءهم فيها من يسمون أنفسهم بدعاة التحرر والتجديد .

النظريات الغربية :

وفى مقدمة هـــذا ، تلك النظريات المادية التى انطلقت أساساً من النظرية الدروانية التى تقول بانحدار الإنسان من سلالة القرود ، وقد تبين عن طريق البحث العلمى والحفريات فساد هذه النظرية ، ولكن دعاة الباطل إتخذوها أساساً لنظريات عديدة ظهرت واستشرت لهدم العقائد ، ولتحطيم الشخصية الإنسانية .

ومن ذلك (نظرية الجنس) التى فلسفها ودافع عنها «فرويد» والتى تقوم بالتفسير الجنسى للتاريخ والمجتمعات وتصرفات الإنسان .

ومنها أيضاً نظرية التفسير المادى للتاريخ التى فلسفها ودعا إليها ماركس ، والتى تقول بأن هدف الحياة كلها له وجهة واحدة : هو الطعام والمعدة .

ومن هذه النظريات خرجت كل دعوات الوجودية والهيبية ، ومفاهيم الفساد الخلقى والاجتماعى التى دمرت المجتمعات الغربية ، ودفعتها إلى أزمة الإنسان المعاصر ، ووجهت العلم والحضارة وجهة مادية خالصة .

هذه النظريات لم تتوقف عند حدود الحضارة الغربية والمجتمع الغربى ، ولكنها زحفت إلى المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى ، وحاولت التأثير فيه على الرغم من اختلاف الوجهة والهدف والمفاهيم بين الفكر العربى (بشقيه) المستمد من الفكر الوثنى اليونانى بأساطيره وماديته ، وبين التفسيرات النصرانية الغربية التى كتبها الكهان والتى ليست من النصرانية المنزلة ، ومن حصاد ذلك الفكر التلمودى

القديم الذى صنعه اليهود على مدى العصور، وحاولوا به هدم دعوة التوحيد الخالص والذى استعلى فى القرن الأخير حين حوله دهاقنة اليهود التلمودية إلى صورة علوم ومذاهب ونظريات خدع بها كثير من المسلمين فاعتنقوها تحت تأثير أهواء النفس ومطامع النفوذ والسلطان ، بعد أن احتضنت الجامعات الغربية عديداً من أبناء المسلمين واستطاعت إحتواءهم ، ولقد خدعت هذه الموجة التى أطلق عليها اسم: التجديد والتقدم العصرية ، الكثيرين ، ثم تكشف بعد وقت طويل فساد هذه الوجهة وظهرت النتائج الخطيرة التى تحققت بالهزيمة والنكبة والنكسة، وكيف استطاعت المناهج الغربية أن تنشىء أجيالا ضالة ضعيفة منحلة مهزومة ، لم تستطع مواجهة التحدى الخطير فاستطاع العدو النفاذ إلى قلب العالم الاسلامى والسيطرة على أرض المقدسات وتهديد القلاع الصامدة ، وضرب هذه الأمة فى أعز ما تملك ، وكان تماماً ذلك اللقاء الخفى بين القوى المعادية للاسلام فى مخطط واحد .

تزييف مفهوم الأصالة :

ولعل أخطر ما يواجه الفكر الاسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى تلك المحاولة الماكرة التى يصطنعها نفر ممن يظهرون الوجهة الاسلامية فى كتاباتهم ويخفون أهدافاً ماكرة هدامة ، تلك هى مؤامرة ضرب الاسلام من الداخل التى دعا إليها دعاة الفكر الوافد وكشف عنها جارودى فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) .

هؤلاء الذين كانوا يقاومون الوجهة الاسلامية عامة فلما وجدوها قد رسخت إنضموا إليها فى محاولة للتشكيك فى خطوات تطبيق الشريعة الاسلامية وفى محاولة لتزييف مفهوم أصالة الإسلام وذاتيته الخاصة اما بالادعاء بأن الأديان كلها واحدة من عند الله ، وهو قول ظاهره حق ولكنه باطل فى جوهره ، لأن الاديان السماوية فيها عقد متصل يصل بين أولها وآخرها وأن بعض أربابها قد أزالوا هذه الصفة وأعلوا طابع العنصرية وزيفوا كثيرا من الحقائق ، فانفصلت تلك الأديان عن

الحنيفية السمحاء التى جاء إبراهيم عليه السلام إماماً لها ، والتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم مكملا لها وخاتما .

فنحن نرى اليوم من دعاة الماركسية القدامى من يتحدثون عن الشريعة الاسلامية والتفسير القرآنى للتاريخ ثم هم لا يلبثون بعد أن يكسبوا ثقة بعض القراء السذج أن يغمزوا الشريعة الاسلامية وينكروا حق تطبيقها فى العصر الحديث أو يتولى بعضهم تفسيرات باطنية للجنة والنار ولأمور أخرى مما جاء به دعاة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ومما هو مخالف لمفهوم أهل السنة والجماعة .

ولقد واجهت حركة اليقظة تلك المحاولات المتعددة التى تخفت فى أثواب الآداب والفلسفة لترويج الافكار الباطنية على أنها أدب ، أو ترويج الأفكار الاباحية على أنها فن ، ومن ذلك الحديث عن الحلاج والسهروردى وابن عربى وأبى نواس وبشار ، ومحاولة تصوير الصحابة على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين كما حاول طه حسين ، أو تفسير تاريخ الإسلام على أنه هجرة إقتصادية بحثاً عن الطعام .

حركة التغريب :

ولقد حاول « هاملتون جب » فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى قياس ما أطلقوا عليه (تغريب الشرق) أو تغريب الإسلام فتساءل فى كتابه (وجهة الإسلام) فقال :

إلى أى مدى أصبح العالم الاسلامى غربياً ؟

وأجاب مستعرضاً نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الاسلامى بلداً بلداً ، ثم عقب على ذلك بقوله :

نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : ان العالم الاسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة « لا دينياً » فى كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل لبست فى الحسبان فتتغير إتجاه التيار .

كتب ذلك « هاملتون جب » عام ١٩٢٨م تقريباً ، ولم يدر بخلده أن حركة اليقظة الاسلامية التى انطلقت فى ذلك الوقت استطاعت أن تغير هذا الوضع وأن تكشف كثيراً من الحقائق وأن تدحض كثيراً من الشبهات حتى ليمكن القول .

إن العالم الاسلامى الآن على إيمان جامع بخطر التحدى الذى طرحته شبهات التغريب والغزو الثقافى ، وأن حركة اليقظة الاسلامية قد نجحت فى كشف هذه الوجهة الخفية والرد على تلك الشبهات .

يقول الفيلسوف الاسلامى محمد إقبال :

« على المسلم المعاصر أن يحذر الوقوع فى الخطر الذى يكمن فيما ينطوى عليه الفكر الأوروبى الجديد من الحاد خصوصاً وأن أساليب الخداع فيه كثيرة فقد انخدع به كثيرون من المسلمين كما انخدع بالفعل به بعض الدعاة فى الهند ، فعلينا أن نعيد النظر فى فكرنا الإسلامى من جانب ونمحص هذا الفكر الجديد بروح مستقلة يقظة من جانب آخر .

إن أخف الاضرار التى أعقبت فلسفة الغرب المادية ، هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه والذى أدركه (هكسلى) وأعلن تحفظه عليه .

وللشيوعية الملحدة - ولها كل ما للدين الجديد من حمية وحرارة - نظرة أرسع أفقا، ولكنها قد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب (هيجل) فقد أعلنت العصيان على ذات المصدر الذى يمكن أن يمدها بالقوة والهدف وهى ليست بقادرة على أن تشفى علل الإنسانية .

المسلم القوى :

« على المسلم أن يقدر وضعه وأن يعيد بناء حياته الاجتماعية على ضوء المبادىء القاطعة فى الإسلام كمبدأ التوحيد وختم الرسالة .

إن المسلم القوى الذى أنشاته الصحراء وأحكمته رياحها الهوجاء أضعفته رياح العجم فصار منها كالناى نحولا ونوحا ، وأن الذى كان تكبيره يذيب الأحجار انقلب وجلا من صفير الاطيار ، والذى هز عزمه شم الجبال غل يديه ورجليه بأوهام الانكار ، والذى كان ضربه فى رقاب الأعداء صار يضرب صدره فى اللأواء ، والذى نقشت قدمه فى الأرض ثورة كسرت رجلاه عكوفاً فى الخلوة ، والذى كان يمضى على الدهر حكمه وتقف الملوك على بابه رضى من السعى والقناعة بذلة الاستخذاء والخنوع . ا . ه

الفصل السادس

عقبات من طريق النهضة الاسلامية

فى مواجهة الحضارة الغربية

إن حضارة الغرب تمر اليوم بمرحلة الانهيار والهزيمة والتحلل وهو الدور الذى مرت به من قبل حضارات الرومان والفرس وكل حضاراة خرجت عن القيم الدينية والأخلاقية وانحدرت إلى الترف والإباحية والفساد .

ومع أن هذه الظاهرة واضحة تماما فى عشرات من الصور والمواقف فإن دعاة التغريب مازالوا أمثال حسين فوزى ولويس عوض وغيرهم يكذبون على أهلهم وغيرهم بتصوير هذه الحضارة على أنها المثل الأعلى والغاية المرتجاه لكل ثقافة وأمة ولو أننا تدبرنا قليلا ما يقوله أمثال جيراليد هيدر فى كتابه (القيم الخلقية الثابتة) حين يقول . إن الغرب تعس ومتخلف يحكمه القانون العلمى فى كل شىء حتى غدا الإنسان ماكينة فكل شىء لاهدف له ولاخلاق له ولاقيم له إن كل ما يملكه هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد ندمر والإسلام يحقق لا بالشفاه ولكن بالقلب والعمل معا :

وقد أشار إلى معانى الفساد فى الحضارة الغربية باحثون كثيرون فى مقدمتهم (والترشوبارت) الذى يقول . إن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق وهى شديدة الإثرة نزاعة إلى الفردية محبة النفس ، صحيح أن الغرب قد جعل الإنسانية ذات تراث واسع بتفوقه فى الصناعة ولكنه جرد الإنسان من الروح وسيفقد الغرب زعامته ويصبح لا يمثل الطراز الإنسانى فى الغالب وكثير من ذوى العقول الراجحة يتوقعون أن يروا نهاية الثقافة الغربية البالية وهم يشعرون بفقرها وإفلاسها ويتطلعون إلى ثقافة تخلفها ، إن الفرد من خلال هـــذا النوذج

الثقافى — الغربى لا يعبىء روحه وإنما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه وقد نجح الفرد فى تغيير وجه الأرض ولكن هذه الثقافة أخذت تملاء سماءها السحب وتومض حولها البروق وتقصف بها الأعاصير وأوربا تنزلق إلى الهاوية وتقترب من النهاية ولا شىء يستطيع دفع هذا المصير المظلم .

والحقيقة أن هذا المصير المظلم الذى يوجه البشرية يستطيع شىء واحد رفعه هو (الإسلام) من خلال مفهوم العودة إلى الله وربط الأسباب كلها بصانع الأسباب وخالق كل القوى فى عالم الطبيعة وعالم الإنسان .

وقد وصف سولجستين الحضارة الغربية المعاصرة بالهزيمة والتدمير وقال إن أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب فى الغرب هذه الأيام هو الانهيار فى روح الشجاعة فى مواجهة الشوفينية والشيوعية أنهم مصابون بالشلل عندما يواجهون القوى المهددة لأمتهم ومنها الارهاب الدولى ويتساءل : هل انهيار روح الشجاعة هو بداية النهاية ويقول إنه مما يساعد على هذا الغزو الذى يثير الاشمئزاز لحياة الفرد الخاصة بواسطة البرامج الغبية فى التلفزيون والموسيقى التى لا يمكن احتمالها أن الدفاع عن حقوق الغرب قد وصل إلى أبعاد متطرفه بحيث أصبح المجتمع كله أحيانا يقف عاجزا عن مواجهة أشخاص معينين . إن السطحية والاستعجال هما مرض القرن العشرين يبدو ذلك واضحا فى الصحافة ، لقد أصبحت الصحافة أقوى من السلطة التشريعية والتنفيذية ومن سلطة القضاء .

إن المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلا إن قوى الشر قد بدأت فعلا هجومها ونستطيع أن نتحسس ضغطها فى كل مكان ، ورغم ذلك فإن شاشات التليفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة

لتبادل الانتخاب ، لقد وضعنا كل آمالنا فى الغرب للإصلاح الاجتماعى والسياسى واكتشفنا بعد ذلك أننا مخدوعون .

وهكذا نجد الأمور قد صارت واضحة لهم ولكن ما بال أهلنا فى العالم الإسلامى ما يزالون فى خدعة عميقة تجاه هذه الحضارة المنهارة وما زال بريقها يملأ عيونهم وأرواحهم :

إن الغربيين اليوم يبحثون بعد إفلاس الحضارة الغربية عن طريق : هـذا الطريق نشعر نحن المسلمون أن لدينا مفاتيحه ، نعم إن فكرنا الإسلامى الأصيل قادر على أن يقدم لهؤلاء ما يبحثون عنه ان هؤلاء القوم معذورون لأن طبيعة المفهوم الذى جاءهم عن الدين لم يكن كاملا والإنجيل الذى أنزل على نبى الله عيسى عليه السلام لم يكن دينا مستقلا ولذلك فإنه ما كان ليقود حركة الحياة . لقد أنزل الله تبارك وتعالى الإنجيل على عيسى عليه السلام ليكمل النقص الذى وجـد فى بنى إسرائيل حين انصرفوا إلى المادة انصرافا كاملا حتى أنك حين تقرأ التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار فلا تجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر ، لقد أعلوا شأن المادية حتى دعـا إلى أن يروا الله جهرة ، من أجل ذلك كان لا بد أن يأتى الإنجيل ليقدم شحنة روحية ويكمل النقص الذى منى به بنو إسرائيل فلما انفصلت المسيحية عن اليهودية كانت المادة كلها فى جانب والروحية فى جانب . إما الإسلام فقد جمع المادة والروح وأمور الحياة ومطامح النفس ولذلك فقد نص القرآن على أن بنى إسرائيل أهملوا القيم والروحانيات وأن أهل الإنجيل أهملوا الدنيا أما أهل الإسلام قد جمعوا بين الجانبين .

لقد قدم الإسلام مفهوم الحضارة الانسانية الجامعة ، حضارة العدل والرحمة والإخاء الإنسانى على أساس تحرير الإنسان من عبودية الوثنية ومن عبودية الإنسان وأن يكون الإنسان مستخلفا فى الأرض لبناء المجتمع الربانى وأنه مسؤول وملتزم أخلاقيا ويؤمن بالجزاء والبعث والحساب ويؤمن بأن الكون

قد خلقه الله تبارك وتعالى وأنه مصدر العلم الشامل والمعرفة الحقيقة بجميع البشر ولقد أعطت الحضارة الإسلامية البشرية هذا المفهوم العميق كما أعطتها المنهج العلمى التجريبى وإذا كانت قد توقفت عن العطاء فإنها مؤهلة للعودة كرة أخرى إلى أداء واجبها فى بناء الإنسانية الراشدة بعد أن أثبتت الحضارة الغربية فشلها فى أداء هذه الرسالة .

ولقد هوجمت الحضارة الإسلامية من طرف الغرب هجوما شديد وتنكر لها بعد أحرز زبدة علومها ومعطياتها ولكن الحق يعلو مهما اشتد التنكر له فقد عاد المثقفون يعترفون بالفضل ويرون أن البشرية لن تستطيع أن تحقق مجتمع الرحمة والعدل والإخاء إلا إذا عادت إلى الإسلام كرة أخرى .

إن الحضارة الإسلامية بمفهوم القرآن تهدف إلى قيام المجتمع الإسلامى الصحيح الذى يجمع بين توفير الحاجيات المادية والحاجات النفسية وضمان تحقيق التوازن بين الأمرين ولقد أصبحت المبادىء الإسلامية على نحو يجعلها رمزا للضمان الحقيقى للأمن والكرامة والضوابط التى تحتويها لا تعارض سنن التطور فى الحياة البشرية من جهة وتضمن توفير حاجيات البشرية بنوعيها من جهة أخرى .

إن على المسلمين الذين ما زالوا مخدوعين فى الحضارة الغربية والذين يحاكونها محاكاة عمياء ، وعلى هؤلاء أن يتذكروا ما قاله برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزى من أن الناس فى الغرب غير قادين على تطوير الجانب الإنسانى من الحياة بالكمية نفسها التى تتقدم بها الناحية المادية وإن كل خطوة إلى الأمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو فناء الإنسان فعلينا أن نكون دائما على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة، إن علينا أن نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقى عن كواهلنا عفنها وفسادها وهذا أمر ميسور حين نؤمن بالإسلام عن بينة وهدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم أو كما يقول الألمانى محمد صديق من أن الحضارة الغربية لا تضع حلا لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الإنسانية فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد ولذا وإذا شئنا أن نكون بشرا بحق ونتصرف تصرفات إنسانية أن نعرض إعراضا كاملا عن التفكير الأعمى للحضارة الغربية .

الفصل السابع

من التبعية إلى الاصالة

كشفت حركة اليقظة الإسلامية ، فساد مفاهيم ومصطلحات كثيرة مطروحة ، كالمسلمات فى افق الفكر الإسلامى ، كان هذا الكشف هو أعظم ثمرة اقتطفها الفكر الإسلامي فى القرن الرابع عشر الهجرى . الذى لم يكد ينتصف حتى كانت شعلة اليقظة قد اندلعت تضىء وتحوق . تضى أمام المسلمين ذلك المفهوم الذى كان قد أوشك أن ينطوى ، وهو مفهوم الاصالة والحفظ على ذاتية الإسلام وتحرق آمال التغريب فى وجود حقيقى على أرض الإسلام .

كادت محاولات التغريب والغزو الثقافى أن تفرض مفهوما مسيحيا أو وثنيا يقصر الإسلام فى حدود المساجد والعبادات . يفتح الطريق أمام القانون الوضعى والاقتصاد الربوى ، والعلمانية فى التربية والتعليم ، بأن تنطلق لتخرج جيلا أطلق عليه بعد « قانون نابليون » ، فقد كانت المحاولة كما عرفها عشرات من اعلام الإسلام هى « اخضاع ثقافة الإسلام لمفاهيم الفكر الغربى المحتوى أساسا عن اليهودية التلمودية » ، والذى استسلم بعد الثورة الفرنسية لها ، فأحل الربا وعزل التربية الدينية عن المدرسة ، وقد ظل كرومر فى مصر وأمثاله فى المغرب والمشرق يحملون لواء دعوى التغريب ، وقد امتد ذلك إلى تركيا وفارس (شطرى الوحدة الإسلامية) وذلك رغبة فى تمزيق هذه الوحدة الإسلامية الجامعة .

ولم تلبث تركيا أن سقطت فى براثن الاحتواء التغريبى . فانفكت هذه الوحدة ، وسقطت أغلب البلاد العربية فى ايدى النفوذ الأجنبى ، حتى كان قمة ذلك اسقاط الخلافة الإسلامية فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ، ثم سقطت فلسطين ثم بيت المقدس في ايدي الصهيونية ، فانكشفت التجربة التى ادخلها

النفوذ الأجنبي بواسطة أعوانه وأتباعه عن فساد القول ، بأن فكر الغرب أو حضارته تستطيع أن تدفع المسلمين إلى التقدم والنهوض ، تبين بما لا مجال للتردد فى قبوله أن الاصالة الإسلامية والاستمداد من المنابع الأصلية هى وحدها مصدر النهوض ، وأن الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية هى أعظم التحديات التى يجب أن يقف أمامها المسلمون مجاهدين ، بكل ما يملكون من قوة ، ومضحين فى سبيلها بكل مظهر من مظاهر التقدم الخادعة .

ولقد أعطتنا حركة اليقظة الإسلامية منذ منتصف القرن الرابع عشر حقيقة أساسية هى : أن النفوذ الأجنبي قد قرر متآمرا منذ وقت بعيد . أن يقضى على هذه الذاتية وصهر المسلمين وفكرهم فى بوتقة الأممية والعالمية ، وذلك بأفساد مفاهيم الإسلام الأصيلة ، وصب السموم على حقائق الإسلام المضيئة ، وذلك بأثارة الشبهات حول الحقائق الأساسية ، وخاصة ما يتعلق بالجهاد والتوحيد والفتح الإسلامى والشريعة الأسلامية .

وقد طرح الفكر الإسلامى فى هذا المجال قضايا عدة محاولا أن يجعل الإسلام دين الله الحق مماثلا للتفسيرات التى كتبها الأحبار والرهبان ومن ذلك فكرة التطور فى الدين والأخلاق ، وفكرة التطور لا تكون ألا بالنسبة للفكر البشرى الناقص الذى يحتاج إلى الأضافة والحذف . . . أما الإسلام الذى جاء أطارا مرنا قادرا على مواجهة مختلف البيئات والعصور ، فانه لا يخضع للتطور ولا يحتاج إليه : وأن لابد يستفد بالأساليب الحديثة المتطورة فى إبلاغ دعوته .

التفسير المادى :

كذلك فقد آثاروا فكرة للعقل والعقلانية ، ولم يتبينوا أن العقل خادم للوحى ، وأن العقل وحده لا يستطيع أن يقدم شيئا محررا وكذلك الظن ، فما أحد منهما ألا أثر للبيئة والثقافة والوسط الذى يعيش فيه وليس العقل معصوما وإذا تخلص العقل من أطار الدين وتخلص الظن من سيطرة الدين فانه قد يوحى بالفساد ولا ريب أن مفهوم الفكر الغربى القائم على تفسيرات المسيحية

(الصلب والخطيئة والتثليث من ناحية والفكر اليونانى الوثنى من ناحية والقانون الرومانى الذى يقر عبودية الإنسان المستعبد، ولا يرى أنه يستطيع أن يكون سيدا حتى ولو تولى الملك، هذا الفكر يختلف مع الفكر الإسلامى فى أدق دقائقه، واعمق أعماقه، هذا الفكر القائم على التوحيد وتحرير العقل البشرى من الوثنية، وتحرير الانسان من عبودية الانسان، والقائم على الاخاء البشرى والرحمة والغيرة، والحفاظ على العرض ومن هنا تختلف المقاييس والقوانين ولا تصلح مقاييس الغرب وقوانينه وخاصة مايسمونه التفسير المادى للتاريخ فى الحكم على الاسلام وتاريخه رقيمه.

والمستشرقون والمبشرون الغربيون لم يقبلوا على الفكر الاسلامى بروح التجرد أو الرغبة فى فهم الاسلام لاعتناقه إذا كان الحق، وإنما عمدوا على دراسته بعقائد مسبقه وفكرة سابقة، ومن خلال هوى النفس والتعصب والاستعلاء العنصرى، فكانت أحكامهم بعيده عن الحق السلام والعلم وقد صور ذلك (فيليب حتى) حين قال: (لقد اقبل الاوروبى كقاعدة على دراسة الاسلام أما لتنصير المسلمين أو لخدمة المصالح الاستعمارية وكان لتعصب الغربيين القومى، وحماستهم الدينية وجهلهم المطبق، أثره الفعال أيضا. وكان استمرار تداول الأساطير الغربية عن النبى وعداء النصارى لديانة توسعية منافسة وما خلقته الحروب الصليبية من ذكريات مريرة، كل ذلك حال دون قيام دراسة موضوعية متحررة للاسلام.

ولقد احتوت التلمودية الصهيونية الفكر الغربى فى مطالع القرن التاسع عشر، كمحاولة إحتوائه وتوجيهه وجهتها، ثم فرض هذه النفوذ على الفكر البشرى كله وعلى الفكر الإسلامى خاصة فكان أن طرح فى أفق فكرنا الإسلامى الصافى الناصع نظريات مظلمة فقد حطم (داروين) حقيقة أن الانسان سيد الكون والخليفة، وحطم (ماركس) مفهوم المعنويات وصير الانسان خاضعا لمعدته وحطم (فرويد) مفهوم العفة والعرض، وصور الانسان بصورة

الحيوان أما (نتشه) فقد دعا إلى قتل العاجز أو تركه يموت دون العمل على شفائه وإبادة الضعفاء .

وكان من أخطر من ذلك كله نظرية (ديوى) فى التربية ، التى تقول أفعل ما تشاء والتى تطلق حرية الأبناء فى التصرف دون توجيه أو رعاية من الآباء ، وهو إتجاه فاسد كشف الغرب أخيرا أثاره السوداء وإنحرفت به الحضارة ، ومرت به المجتمعات والأسرة .

ومع الاسف فان العالم الإسلامى بعد أن تحرر من احتلال الغرب العسكرى والسياسى ، تبين له أنه سقط تحت سيطرة فكره ومفاهيمه ، ليأخذوا من الغرب أسلوبه ومنهجه ، بينما كان الهدف أن يستكشفوا جوهر فكرهم (هذا الانسان الغربى الضال من أفلاطون إلى ماركس) ولقد بذل المسلمون جهدا ضخما فى سبيل أنهاء السيطرة الغربية والحصول على الحرية السياسية ولكن تبين لهم أن الخطر الحقيقى ما زال موجودا فى معاهد التعليم وفى النظم الاقتصادية ومفاسد العلمانية وشبهات الوجودية وسموم الماسونية .

ويرى كثير من المصلحين الاجتماعيين المسلمين ، أن المعنى الذى حاول الاستعمار ، أسقاطه من النفس الاسلاميه كعقيدة وتربية حيث لم يكن ابدا فى يوم من الأيام راضيا بالذل ، ولا مساند للخضوع ولا معينا على العبوديه .
وقد بنى الإسلام معتنقيه على الاعتزاز بكرامتهم ورباهم على الأيمان بأنهم خلقوا ليقتعدوا مكانهم تحت الشمس فلايكونون عبيدا ولا إذلة ، ولذلك فلم يكن الاسلام حليف الطغيان ولا حليف الظلم .

وفى العصر الحديث فان الإسلام هو الذى استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من سيطرة دول الاستعمار ذات العدة والعدد ، رغم أنهم لم يكن لهم سند ولا مورد ، وأن قوتهم الأساسية التى واجهوا بها الاستعمار هى قوة الروح والفكر والعقيدة .

ولقد كان عليهم أن يتبوا الخطوة الثانية فإن الإسلام الذى حررهم قادر على أن يدفعهم إلى إقامة دولتهم ومجتمعهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر .

الفصل الثامن

في مواجهة النفوذ الأجنبي

لقد حرص النفوذ الأجنبي على استدامة وجوده في بلاد المسلمين ، وتلك محاولة ضخمة تطلبت منه أن يعمل للقضاء على روح السيادة والقوة والاعتزاز النفسي بالكيان الحر المستقل بأساليب خادعة وماكرة ، وكان أخطرها هو تحطيم مفهوم الإسلام القائم في الحفاظ على الذات ومدافعة العدو ، والأعداء بالقوة والمرابطة في الثغور واستبقاء روح الجهاد قوية غلابة ، والحيلوله دون السقوط في حماة الترف والدعة وهي التي العمل على التحلل والضعف والاستكانة .

ولعل من أكبر المعاني التي حاول النفوذ الأجنبي إسقاطها من النفس الانسانية ، هو دور الإسلام كعقيدة وتربية حيث لم يكن الإسلام يوما من الأيام راضياً لأهله بالذل ولا مسانداً للخضوع ولا معيناً على العبودية . ولقد ربى الإسلام معتنقيه على الاعتزاز العميق بكرامتهم .

ورباهم على الإيمان بأنهم خلقوا ليفرضوا وجودهم فوق هذه البسيطة ولينتزعوا مكانهم تحت الشمس ، لا ليكونوا عبيداً ولكن ليكونوا سادة .

ولذلك فإن الإسلام لم يكن حليف الطغيان ولا حليف الظلم .

وحتى العصر الحديث فإن الإسلام هو الذي استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من رق دول الاستعمار ذات العدة والعدد ، رغم أن المسلمين لم يكن لم يكن لهم سند ولا مودة وإن قوتهم الأساسية التي واجهوا بها الاستعمار لم تكن ألا قوة الروح والإيمان والفكر والعقيدة : ولقد كان الإسلام بعد أن حرر المسلمين من عبودية النفوذ الأجنبي أن يدفعهم إلى أقامة دولتهم ومجتمعهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر ،

ولذلك فإن المسلمين اليوم أن يحذروا من محاولات كثيرة لتمكين النفوذ الأجنبي من يستعيد سلطانه عليهم .

أولا : محاولة خداعهم بالأدعاء بالصلة بين الديمقراطية والإسلام ، أن الإسلام منهج ربانى أصيل له طابعه المستقل عن هذه المذاهب البشرية ، وأبرز وجوه الخلاف أنه منهج جامع بينما هى انشطارية ، وله طابع الاستمرار فيما هى مؤقتة ، وله جوهره العالمى الصالح مختلف الحقبات والعصور فيما هى مرحلية عن أن تتوآصل مع الأزمات والبيئات ألا بتعديلات وإضافات وحذف .

ثانيا . هناك محاولة ضرب الإسلام من الداخل عن طريق بعض الطوائف الدخيله مثل القاديانية والبهائية والاغاخانية واليزيدية وكلها تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين اليهود وهم يعدونها لما اسموه « ضرب الإسلام بالإسلام ، هذه الطوائف تقدس زعمائها وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشرع لإتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغله اسم الإسلام لهدم الإسلام .

أن من أخطر محاذير النفوذ الأجنبي فى مطالع القرن الخامس عشر التى تعوق حركة اليقظة من الدخول إلى مرحلة النهضة هى تلك التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين

وأخطر من هذه تنازل المسلمين عن كثير من عادتهم الإسلامية وقيمهم وممتزاتهم الخاصة تحت تأثير الضغط المادى وتحت اسم الأنفتاح الذى لا ضابط له فى حين أن امتلاكهم لمميزات ذاتيتهم الخاصة هو أكبر عوامل القوة والقدرة على بناء عصر النهضة الإسلامية .

ومن ذلك تضحيتنا بالفصاحة فى اللغة وقبول الكلمات الأعجمية وتضحيتنا بأسلوبنا الإسلامى العربى فى المعمار وفى المآكل والمشرب دون أى مبرر وقبول الترجمات للأداب الغربية والفكر الغربى دون ضابط ودون تعريف صحيح لمدى ضررها أو نفعها ودون تعريف القارىء المسلم بظروفها فى مجتمعنا ، وأخطر

من ذلك كله النظر إلى هذا الفكر البشرى الوافد على أنه على المنهج مع أنه قائم على الهوى ، أو الإدعاء بأنه علم مع أنه فروض قابلة للصحة والخطأ .

إن المترجم من الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الحديثه يجب أن تكون له اصالته فى تعريف الفوارق ، أما المترجم الخاضع للفكر الغربى فإنه لا يستطيع أن يقدم لنا ألا مزيجا من السموم والتفاهات .

إن علينا أن نحمى المسلم المعاصر من الانهيار النفسى والتبعية لحضارة طاغية دخلت مرحلة الانهيار وتبرأ منها أهلها .

ولا ريب أن اكتشافنا لمؤامرة « النفوذ الأجنبى » بقواه الثلاث : غربية وماركسية وصهيونية يجب أن يجعلنا على يقظة تامة .

أن المؤامرة تستهدف تجريدنا من مصادر القوة فى نفوسنا وتحطيم إيماننا بقدراتنا الذاتية على التطور وقدرة حضارتنا الإسلامية على العطاء .

ولا ريب أن العودة إلى الأصالة وتعرف ذاتيتنا الإسلامية هو الحصن الحصين الذى يحمينا من الذوبان فى أتون الحضارة العالمية وفى الأممية العلمانية الضالة ، علينا أن نتعرف على حقائق تاريخنا وتراثنا التى ظللنا نجهلها القرون الطوال بحكم ظروف التخلف وبحكم الإستعمار ومن هذا يقول عالم جليل « لقد عشنا فترة على موائد المستعمرين نتجرع سمومهم فتزداد كرها لانفسنا وحضارتنا فتقل بالتالى مقاومتنا وتنهار إرادتنا فنوغل فى التقليد حتى نصبح دمية ممسوخة لغيرنا . إن بداية الانطلاق تكمن فى تحرير النفس من كل سلبيات الماضى وتأكيد إيجابياته وذلك لا يتم إلا بمعرفة هذا الماضى والإيمان به قيمة عالية لها أثرها على حاضرنا . إن أخطر المخاطر هو خطر الذوبان أو الموت الحضارى » .

أن علينا أن نعلم أن النفوذ الأجنبى كان فى الماضى سياسيا وعسكريا فكنا نقاومه لانه كان واضحا ومكشوفا ، أما اليوم فقد تحول وتخفى ولبس أثواب

العلم والثقافة ودخل بسمومه إلى مفاهيم التربية والفكر يحاول أن يغير القيم الثابتة ويحتوى الصفحة للبيضاء وتغير من جوهر التوحيد والجهاد والإيمان القائم على الاصرار بالمقاومة والدفاع عن الكيان .

وهكذا أخذ النفوذ الأجنبي صورة جديدة خادعة ماكرة ولكن علينا ألا تخدعنا وأن نكون على وعى بها .

أن النفوذ الأجنبي اليوم يتحول إلى ايدلوجيات تريد ان تقضى على ذاتيتنا وأن تصهرنا فى بوتقة الأممية وأن تميع كتاتنا ووجودنا كله حتى نصبح من غثاء الأمم ولكن إيماننا بالرسالة التى وضعها الحق تبارك وتعالى على عاتقنا والمسئولية التى يحملها أهل لا إله إلا الله فى تبليغ كلمة الله إلى العالمين تدعونا إلى أن نحافظ على كياننا الإسلامى الخاص وذاتيتنا القرآنية الصريحة حتى نكون مؤهلين لإداء الأمانة وتبليغ الرسالة وأقامة المجتمع الربانى فى الأرض .

الفصل التاسع

مواجهة صريحة لتحرير الفكر الإسلامى

قال العلامة أبو الحسن الندوى أمام جمع من علماء المسلمين السيرة والسنة النبوية كلمة لعلها قد اختصرت كل ما يحاول المسلمون أن يكتشفوه من أجل الإجابة عن التساؤل الصريح على أبواب القرن الخامس عشر فى محاولة استكشاف الذات ومعرفة الطريق الصحيح قال : « أن داءنا النفاق وليس الشرك أو الكفر هذا التناقض هو أن ندعو إلى الإسلام ولا نعمل به » هذا التناقض هو الذى نحتاج على مفتتح القرن الخامس عشر أن نواجهه ، لنزيل هذا المحظور الخطير .

لقد تكشف للمسلمين اليوم إبعاد الخطر الذى يحاول أن يقضى على ذاتيتهم الخاصة وشخصيتهم المميزة ، تلك المحاولة التى ترمى إلى احتوائهم وصهرهم فى بوتقة الأهمية العالمية حتى تزول تلك « الشامة » التى أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى من الأثر : أن المسلمين كالشامة بين الأمم ، مرجع هذا إلى علامة التوحيد الخالص التى يتميزون بها عن البشر كلهم اليوم ، وإذا كان اليهود والنصارى يؤمنون بالله إيمانا مشوبا بالشرك فهم يعبدون الأصنام ويرون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، ولكن الإسلام جاء بالتوحيد الخالص والإيمان بالله ربا خالقا ورازقا أو كما يقول أهل العقائد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية مما تلخصه الآية القرآنية : « إياك نعبد وإياك نستعين » هذا الإيمان الذى يقوم على إسلام الوجه لله لا يحمل لواءه على الأرض غير هذه الأمة التى أختارها الحق تبارك وتعالى لحمل هذه الأمانة والتى يجب أن تعد نفسها لإداء هذه الرسالة فى مواجهة عالم مضطرب قد احاطت به الأزمات ولم يعد أمامه طريق بعد أن جرب عشرات الايديولوجيات والمذاهب ألا الإسلام .

ولسوف يبلغ هذا الدين مبلغ النجم من السماء فيدخل كل بيت حجر ومدر يعز عزيزا ويذل ذليلا كما قال الصادق المصدوق ، وكما صور ذلك أحد الفاتحين

المسلمين حين قال : (أن الله ابتعثنا لنخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن عبادة العباد إلى عبادة الله) أن أخطر ما يواجه المسلمون اليوم : هو حب الدنيا وكراهية الموت ، ذلك المرض الخطير الذى يحول بينهم وبين أن يقدموا أرواحهم خالصة فى سبيل إرضاء ربهم وتحقيق إقامة فريضة الجهاد والمرابطة فى الثغور .

وإلى جوار ذلك نجد التناقض الواضح بين القول والعمل ، حيث يعلم المسلمون تماما اليوم تلك الأخطار التى تحيط بهم ولكنهم لا يعزمون عزيمـــة الإرادة الصادقة لمواجهة الأخطار ، فإن هناك الثنائية الخطيرة فى مجال التربية التعليم بين تعليم دينى وتعليم مدنى ، ومن الضرورة أن تزال هذه الثنائية وتسد هذه الفجوة ذلك أن التعليم جميعه يجب أن يكون فى إطار الإسلام ، وأن يكون تدريس العلوم من منظور إيمانى وأن يقوم بناء المنهج العلمى الإسلامى على أساس مفهوم اللغة العربية وأن يتحرك فى إطار التوحيد والعدل والرحمة والإخاء الإنسانى .

كذلك فلا بد من تعميق دراســـة الشبهات والسموم التى طرحها الفكر التلمودى والشعوبى والوثنى فى إطار الفكر الإسلامى ولا عبرة بما يقال من أنه هذا عمل مما يضع الإسلام فى قفص الإتهام وأن علينا أن لا نشغل أنفسنا بما يقول المستشرقون ، إذ كيف يمكن أن يسكت المسلمون عن شبهات توجه إلى فكرهم وتكتب بلغات أجنبية وتجرى بين أيدى كثيرين من المسلمين الذين لا يعرفون العربية ويقولون باللغات الأجنبية إذ لابد أن توضع بين أيديهم حقائق الأمور .

وعلى المسلمين أن يحققوا ثلاثة أمور فى مطالع هذا القرن :

١ — تطبيق الشريعة الإسلامية ووضع حد للمرحلة المظلمة التى قضاها المجتمع الإسلامى مرغما فى إطار القانون الوضعى .

٢ — إقامة المصرف الإسلامى وإقامة الإقتصاد الإسلامى وتحرير المجتمع الإسلامى من إمبراطورية الربا التلمودية عباد العجل الذهبى .

٣ — تطبيق منهج التربية الإسلامية بديلا لمناهج التعليم الأجنبية والقضاء على العلمانية الخطيرة وآثارها البعيدة المدى .

ولا بد أن تقوم الأمـــة القرآنية فتبنى المجتمع الربانى الصحيح على أرض الإسلام نبراسا للبشرية كلها المتطلعة إلى حل مشاكلها وأزماتها والتى تعيش اليوم أخطر التحديات من غربة وتمزق وانفصام بعد أن عجزت جميع الأيديولوجيات والمذاهب التى جربتها من أن تحقق لها الأمن النفسى أو الطمأنينة الروحية فلم يعد أمامها من بعد إلا أن تعود هذا الدين الحق الذى هو بلسم البشرية ودواء دائها .

وإذا كان المسلمون اليوم قـــد عرفوا تلك المخططات التى أخفاها التغريب وكشفوا خلفياتها وأهدافها فإن هذه المعرفة وحدها لا تكفى إلا إذ صاحبها تحول واضح يقوم على إرادة قوية تستهدف تغيير الواقع المضطرب والفاسد الذى تعيشه المجتمعات الإسلامية .

وإذا كان الغرب قد صـــدر لنا حضارته المادية فإننا قد عجزنا عن إنتقاء ماينطعنا منها وما يضرنا وعجزنا عن أن نقف أمام أسلوب العيش الغربى موقف الرفض لأن لنا أسلوب عيش إسلاميا أصيلا يقوم على الأخلاق الإسلامية .

ومن هنا فإننا يجب أن نقيم مفهوم التوحيد الخالص الذى يضىء كل معانى الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية ويجعلها خالصة لله تبارك وتعالى الذى أهدى للإنسانية مفهوم وجودها وهدفها من هذه الحياة الدنيا بالمسئولية الفردية والإلتزام الأخلاقى من أجل إقامة المجتمع الربانى .

وإذا كان هذا التحول نحو إقامة الاقتصاد الإسلامى وتطبيق الشريعة وتنفيذ منهج التربية الإسلامية فإننا لابد أن ننطلق من التوحيد الخالص إلى أخلاقيات الإسلام فإذا لم نستطيع أن نقيم منهج الأخلاق إلتزاما بالحق والعدل والرحمة والخروج من أهواء النفس ومغريات الحياة فإننا لن نستطيع أن نقيم حضارة الإسلام أو بناء المجتمع الربانى الأصيل .

وأن يتحقق هـــذا إلا بالتربية وبناء الأجيال الجديدة على مفهوم التوحيد والأخلاق الإسلامية بالعزيمة والخشونة والإيمان بضرورة المرابطة الدائمة فى

وجه خصوم الإسلام وهذا ما يعني مواجهة خطر التحدي الذي يواجه المسلمين اليوم وهو حب الدنيا وكراهية الموت .

ولابد من إحياء فريضة الجهاد والمرابطة كحقيقة واقعية وتحرير المجتمعات الإسلامية من محنة الترف الشديد الذي هو قاصم الحضارات ومحطم المجتمعات .

هذا هو الطريق الصحيح لمواجهة تناقض المسلمين بين القول والعمل ، وثنائية مجتمعاتهم التي تستهدف الحيلولة دون إبقاء مجتمعهم قائما على فكر واحد .

هذه الثنائية تأتي نتيجة إختلاف مصادر الثقافات ونتيجة الإنتماء إلى نحل وفرق متعددة . والسبيل إلى الإلتقاء في بوتقة الوحدة الفكرية القرآنية الأصيلة هي الخروج من التبعية إلى نحلة العقلانية أو نحلة الوجدانية الصوفية أو النحلة الفلسفية فهي التي قسمت المسلمين من قبل وأحدثت بينهم الصراع والتمزق واليوم يثير الاستشراق هذه النحل من جديد ويوقظها في الدعوة إلى العقلانية والعلمانية أو الدعوة إلى ما يسمونه المعتزلة أو الفلاسفة أو التصوف الفلسفي ، في محاولة لعزل هؤلاء عن مفهوم التوحيد الجامع الخالص للذي رسمه الإسلام ، متكاملا وقائماً على أساس أن كل عناصر الفكر الإسلامي متصلة متكاملة لا تتعارض ولا تستقل بنفسها وكلها تعمل في سبيل بناء الإنسان المسلم ولكنا نرى اليوم دعاة الأدب يحاولون الاستعلاء بالأدب فيعلنون أنه أدب معاصر لا صلة له بالأدب العربي من ناحية ولا صلة له بالفكر الإسلامي وفي إطار هذه الدعوة الباطلة يجيز الأدباء لأنفسهم أن يخرجوا عن الأخلاقية الإسلامية في القصة وعن فصاحة اللغة العربية ، وأن يتحرروا من قيم والمفاهيم الإسلامية والحلول الإسلامية للمشاكل والقضايا هذه الأخطار كلها لا يمكن إحتواءها والقضاء عليها إلا بالإيمان بوحدة الفكر الإسلامي في مفهومه الجامع ، والتحرر من النحل والمذاهب وأن يبدأ المفكرون المسلمون مفاهيمهم من الإسلام نفسه ، وليس من مذاهب هيجل وماركس وفرويد وسارتر ودوركايم ، فليتحرر المسلمون من هذه المدارس الضالة وليتمسوا الأصالة الإسلامية فإنها الطريق الوحيد .

خاتمة

الغزو الفكرى مدخل إلى تغريب الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحابته ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ونستفتح بالذى هو خير ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، نقول وبالله التوفيق .

مصطلح الغزو الفكرى : مصطلح حديث الاستعمال يقصد به نوع من الغزو يختلف عن الغزو العسكرى أو الغزو السياسى الذى عرفته البلاد العربية والاستعمارية فى العصر الحديث فى هذه المرحلة التى تمت فيها القوى الغربية وأخذت تسيطر على البلاد العربية والإسلامية من أندونسيا إلى الهند إلى البلاد العربية .

وقد اتسع نطاق هذا الغزو فهو غزو غربى وغزو شيوعى وغزو صهيونى . ولما كانت الحرب العالمية الثانية (٣٩ — ١٩٤٥) قد أعلنت تصفية الاستعمار العسكرى فقد بدت فكرة (إحتواء) البلاد المتخلفة (أو التى يطلق عليها النامية تجاوزا) لتدور فى فلك الأمم الكبرى فكانت فكرة الغزو الفكرى (والغزو الفكرى يشمل الغزو الثقافى والاجتماعى والتربوى والقانونى جميعا) وهى ترمى إلى تذليل هذه الأمم والسيطرة عليها وإخضاعها وذلك بتكوين أجيال جديدة فى إطار ثقافتها الغربية ومفاهيمها بحيث لا ترى فى الولاء مع الغرب أو مع السوفيت أو مع الصهيونية أى عداء أو خصومه ، فهى بالغزو الفكرى تتحول عن مفاهيمها العربية الإسلامية فى كثير من الأمور وتقبل وجهة النظر الأخرى فترى مثلا أن النموذج الغربى فى الحكم (النظام الديمقراطى ، والنظام الليبرالى) أو ترى فى النظام الاشتراكى مثلا نموذجا صالحا للتطبيق فترى أن العلاقة بينها وبين الأمة الغربية (أى أمة من أمم الغرب سواء أكانت فرنسا أم إنجلترا أم أمريكا) ليست علاقة سيطرة أو إحتواء وإنما هى علاقة صداقة على طريق منهج

فكرى (أيدلوجى) واحد ومن ثم تقبل بهذا الولاء باسم الالتقاء تحت مظلة ما يسمى [الفكر الديمقراطى] أو [الاشتراكى] ومن ثم يكون الغزو الفكرى قد عمل أثره البعيد فى حجب المفهوم العربى الإسلامى الأصيل الذى عاشت عليه الأمم العربية الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا وتقبل منهجا آخر وافداً سواء فى نظام الاقتصاد، أو نظام السياسة أو نظام التربية أو نظام المجتمع .

وبذلك تضيع هوية الأمم العربية الإسلامية وتنهار مقومات شخصيتها الأساسية والخاصة والمتميزة التى كونها الإسلام خلال هذا الزمن الطويل .

ولا ريب أن الدعاة إلى (الغزو الفكرى) بهذه الصورة يهدفون إلى أن تكون علاقة السيطرة بين الأمم العربية والإسلامية ذات المصادر والخامات والأيدى العاملة الرخيصة قابلة للسيطرة عليها تحت اسم التعاون والصداقة والالتقاء على منهج سياسى وإجتماعى واحد وهم لا يعلنون كلمة (الغزو الفكرى) ولكنهم يعلنون بدلا منها كلمة وحدة الحضارة أو وحدة المنهج أو وحدة الأيدلوجيات ، ويدخلون إلى ذلك عن طريق ذى شقين (١) أن الأمم العربية الإسلامية متخلفة نتيجة منهجها وأن عليها لكى تصل إلى القوة أن تعتنق مناهج الأمم القوية المسيطرة (٢) أن هذه الأمم حين تأخذ بأسلوب الغرب سواء كان ديمقراطيا أو إشتراكيا إنما تحاول تحقيق النهضة وليس فى هذا شىء فإن الاسلام ليس فى نظرهم إلا دين (ريلجون) بمعنى العلاقة بين الله والعبد ، ومن ثم فإن من حق الأمم أن تأخذ ما تشاء من المناهج السياسية والاجتماعية وأن الاسلام وتاريخه وحضارته ولغته ، مشوبة بشىء غير قليل من الجمود والتخلف والضعف والتعقيد وهنا هو السر فى تخلف هذه الأمم أو أن الدين الذى اعتنقه هو دين صحراوى ، أو أنه دين مرحلى حققت به مرحلة من مراحل القوة فى التاريخ ثم انتهى أمره ، وكل هذه شبهات يثيرها الاستشراق ويقدمها التبشير لأبنائنا فى المدارس والجامعات والصحف والكتب عن طريق الثقافة وذلك لتوهين الايمان بالمنهج الأساسى لهذه الأمة ورفضه واحتقاره وتقبل المنهج الغربى وبذلك تتم عملية الغزو الفكرى بسهولة ودون تعقيد وأن ذلك يجرى بالنسبة لشباب غض لم يصل إلى قدر كاف من فهم حضارة الاسلام وثقافته ولذلك فهو يتقبله دون

غضاضة وهذا مصدر الخطر .

ثانياً : ما هو الغزو الثقافى :

الغزو الفكرى قذيفة مسمومة مسددة إلى قلب الفكر الإسلامى لتحقيق هدف واضح معروف هو : التغريب ، تغريب المجتمع الإسلامى وصهره فى بوتقة الحضارة العالمية والأممية ، بحيث يصبح المسلمون وقد فقدوا كل مميزاتهم الخاصة وذاتيتهم التى بناها الإسلام فى قلوبهم وعقولهم خلال أربعة عشر قرنا والغزو فكرى وعقائدى والغزو العقائدى أخطر من الغزو الفكرى لأنه يحاول إثارة الشبهات حول عقيدة التوحيد .

وعملية الغزو هذه تجربة قديمة قامت بها قوى معادية للإسلام فى القرن الثالث الهجرى بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية وقد واجهها علماء المسلمين مواجهة قوية واضحة ودحضوا زيفها وكشفوا سمومها وضربوها فى الصميم وتحروا من عوامل إفسادها وأقاموا مفهوم أهل السنة والجماعة فانصهرت فى إطار الاسلام جميع المعطيات الايجابية المنقولة والمقتبسة من الحضارات القديمة والوافدة .

وكان آية الأصالة وقوة الذاتية الاسلامية هى إنشاء المنهج العلمى التجريبى الذى كان من عطاء الاسلام والذى يختلف عن مناهج اليونان والفرس والرومان القديمة وهذا المنهج الاسلامى المستمد من القرآن الكريم هو الذى أقام الحضارة الحديثة .

(٣) تغريب الاسلام : أى إخراجه من تميزه الخاص إلى أن يكون دينا متغربا تفرض عليه التفسيرات الغربية والماركسية بهدف إحتواء البلاد

الاسلامية والسيطرة عليها بقبولها فكرية الغرب فتكون قابلة للغرب منصهرة فيه ليس لها وجود ذاتي وبذلك يستديم الغرب السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية عليه وفي العصر الحديث اتفقت القوى المسيطرة على العالم الاسلامى على مواجهة شاملة عن طريق الفكر ، بعد أن عجزت الحروب الصليبية عن هزيمة المسلمين ، وكانت الفكرة هي تحريف الاسلام واختراق قيمة وإفساد مضامينه ونزع مقوماته الأساسية التي مكنت المسلمين دائما من مقاومة الغزاة ومن حماية وجودهم ، وهى فريضة الجهاد الماضية والمرابطة فى الثغور واليقظة فى مواجهة العدو .

ومن ثم بدأت المحاولات لتزييف مفهوم الاسلام الأصيل وإثارة الشبهات حول عقيدته ونبيه وتاريخه ولغته بقصد إزالة العوامل الأساسية التى تميز بها الاسلام والتى تشكل الشخصية الاسلامية الخاصة .

وعلى هـــذا قام الاستشراق الذى كان خاضعا لجهتين أساسيتين : وزارات الاستعمار فى البلاد الغربية والكنيسة .

ثم كانت حركة التبشير التى استخدمت هـــذه المعطيات عن طريق التعليم والصحافة والثقافة وكثير من المؤسسات ذات المظهر التبعية عن كل شبهة .

وقد رأينا فى السنوات الأخيرة كيف وضع اليونسكو مجلدا ضخما عن الاسلام ملأه بالسموم والشبهات هذا بالإضافة إلى فساد مفاهيم (الاسلام — النبوة — الوحى — القرآن) فى جميع دوائر المعارف الغربية البريطانية والأمريكية وموسوعة لاروس الفرنسية ، فضلا عن دائرة المعارف الاسلامية ، وقاموس المنجد ، والموسوعة العربية الميسرة حيث أنها كلها جميعا خاضعة لمفاهيم الاستشراق التى تنظر إلى الاسلام على أنه دين معادى للغرب والمسيحية .

(٤) إتجه أعداء الإسلام إلى الغزو الفكرى لأنهم عجزوا عن مواجهة الإسلام فى مفهومه الأصيل تعمدوا إلى تحريف هذا المفهوم ، وهناك نحل كثيرة تقوم اليوم على أساس الدعوة إلى وحدة الأديان ، وإلى إلغاء مفهوم الجهاد

أمثال البهائية والقاديانية .

(٥) الكتب التى تساهم فى الغزو الفكرى هى تلك المؤلفات التى كتبها رجال التغريب ، وقد كشف النقاب عن عـــدد كبير منها مؤلفات الدكتور طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامه موسى وجرجى زيدان وزكى نجيب محمود .

فضلا عن كتب المستشرقين التى ترجمت إلى اللغـــة العربية وما ترجم من مؤلفات جولد زيهر ، ومرجليوث ، وجب وماسنيون وغيرهم .

(٦) يستطيع المسلمون أن يقرأو لكتاب الأصالة وأصحاب المدرسة الإسلامية ومؤلفاتهم تزخر بها المكتبة الإسلامية وقد قدمت المدرسة الإسلامية فى العقود الأخيرة عدداً من المؤلفين وعدداً من المؤلفات ولكن الأهم من ذلك كله أن نعرف مواقع الخطأ والفساد فى المؤلفات المشهورة المتداولة ، والتى تخضع لنظريات الاستشراق فى تفسير التاريخ الإسلامى أو تحاول أن تخدم أهداف الباطنية وإحياء الفرق القديمة التى انتهت .

ومن المعروف أن مؤتمراً عقد فى بليتمور منذ سنوات حضره مجموعة من المستشرقين ركز على نشر عدد من المؤلفات التى تهدف إلى إثارة الشبهات فى محيط الفكر الإسلامى والتاريخ الإسلامى وإعلاء شأن القرامطة وفتنة الزنج ، وكذلك المؤلفات التى ترمى إلى إعلاء الفكر الصوفى الفلسفى كأحياء الحلاج وابن عربى والسهروردى وغيرهم هذا فضلا عن أحياء الشعر الأباحى القديم كأبى نواس وبشار وغيرهم .

ومن ذلك المترجمات الفاسدة كالقصص الجنسى الغربى ، وكتب الوجودية وفلسفات فرويد ودوركايم ، فإن الأفكار المسمومة التى تحتويها هذه المؤلفات يكمن خطرها فى أمرين :

الأول : أن يعتقد القارئ أنها كتب علمية وأن ما تنشره هو علم صحيح ، بينما أنها تحمل مجموعة من النظريات والعروض التى كتبها فلاسفة ماديون ، وهذه الفروض قابلة للخطأ والصواب ، وأنها تمثل بيئة مختلفة عن بيئتنا .

الثانى : أن أخطر ما فى هذه المؤلفات أن لا يتقدمها عرض كاشف للقارئ المسلم والعربى ليعرف فى أى العصور صدرت وإزاء أى التحديات كتبت ، وماذا كان الموقف منها عند صدورها فى بلادها وما حاجتنا إليها ، وما موقف الفكر الإسلامى منها .

ذلك أننا نحن المسلمون نملك منهجا فكريا كاملا وجامعا ، تتميز بالأصالة والتنوع والمرونة ، ويشمل جميع مناهج الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .

وأن حاجتنا إلى المترجمات إنما تكون فى مجال المقارنة بين ما عندنا وما عند غيرنا ، ولكننا لسنا فى حاجة إلى نقل مناهج ونظم ولكن كل حاجتنا إلى معرفة التجارب التى قامت بها الأمم الأخرى فى مواجهة هذه القضايا مع الاحتفاظ الكامل بذاتيتنا ودون أن ننصهر فى بوتقة هذه الأمم والحضارات :

ثالثاً : كيف نواجه المحاولة :

هذه المحاولة الخطيرة : محاولة « الغزو الفكرى » : ترمى إلى إحتواء مشاعر وعواطف الأمم التى يرغب الغرب فى السيطرة عليها إقتصاديا بعد أن علت صيحات الحرية وتكشفت مخططات الغرب فى إستنزاف مقدرات الأمم وخاصة المواد الأولية التى يزخر بها عالم الشرق والتى تحتاج إليها مصانع الغرب فيرغبون إلى الوصول إليها بأقل التكاليف مع إستدامة السيطرة وهذا لا يتم إلا بقيام ولاء فكرى وثقافى عن طريق إخضاع هذه الأمم لفكر الغرب وثقافة الغرب ومفاهيم الغرب .

ولقد بدأت حركة التغريب قبل حركة الغزو الفكرى وسجلها المستشرقون هاملترن حب وزملائه فى كتابه [وجهة الإسلام] فكشفوا حقيقة هذه الوجهة وهى وجهة إخضاع الشرق والسيطرة عليه عن طريق تغيير معالمه الفكرية وإدخاله فيما أطلقوا عليه عالمية الحضارة أو عالمية الفكر ، وسيكون دخوله دخولا ذليلا لأنه الأضعف فلن يستطيع إبراز ذاتيته أو الحفاظ على شخصيته وبذلك

سيذوب فى الأتون الواسع الذى سيصهره ويقضى على وجوده الخاص .

يجرى الغزو الفكرى فى ميادين متعددة :

ميدان التعليم والتربية : بفرض المناهج الغربية فى مختلف المجالات الفكرية .

ميدان الاجتماع : بعرض أسلوب العيش الغربى بجميع سوءاته وعيوبه .

ميدان السياسة : يفرض النظم والأيدلوجيات الغربية أو الماركسية .

ميدان الاقتصاد : يفرض النظام الربوى ومناهج الاقتصاد الغربية .

ويمكن دراسة كل ميدان من هذه الميادين بتوسع .

(مقاومة الغزو الفكرى) عمل خطير ضرورى لحماية الأمة من الفناء أو الانصهار وأساسها هو أن هذه الأمة لها منهج حياة ونظام مجتمع أصيل جامع وأن هذا المنهج هو أصدق المناهج ، لأنه منهج ربانى مرن قابل للإستجابة فى مختلف البيئات ومختلف العصور ومختلف التحديات :

(١) هذه السموم التى تطرح فى سبيل إنتقاص الشخصية الإسلامية العربية أو نقد الفكر الإسلامى يجب أن تواجه بقوة وثقة وكشف زيفها ، وهى تستهدف إزاحة المنهج الإسلامى من طريق التبعية للمنهج الغربى .

(٢) المنهج الغربى يختلف عن المنهج الإسلامى فى أنه إنشطارى : يقوم على المادية الخالصة بينما المنهج الإسلامى يجمع بين الروح والمادة فكيف يقبل المسلمون منهجا إنشطاريا بدلا من منهج جامع .

(٣) الحضارة الغربية المعروضة على المسلمين والغرب وصلت إلى مرحلة الانهيار ويكشف المجتمع الغربى عن هذه الأزمات الشديدة التى تواجه الإنسان المعاصر والأسرة والحياة الاجتماعية فكيف يقبل المسلمون حضارة منهارة .

(٤) فكرة إعلاء العنصر واللون الأبيض مرفوضة تماما فى ميزان الفكر الإسلامى وكذلك فكرة التفوق العنصرى .

(٥) التفرقة الواضحة بين العلم والثقافة فالمعرفة والعلم عالميان ولكن الثقافة قومية مرتبطة بالعقيدة والأخلاق والقيم لكل أمة ولذلك فإن العرب والمسلمون يستطيعون الأخذ من العلوم ولكن لا يأخذون الثقافات ولا أسلوب العيش لامم أخرى .

(٦) الغرب إحتاج إلى أن ينشئ أيدلوجيات فى مجال السياسة والاجماع والاقتصاد لأن عقيدته روحيه محضه ، أما الإسلام فإنه دين ومنهج حياة ولذلك فهو يجمع بين العلاقتين (بين الله والإنسان) و (بين الإنسان والمجتمع) .

أن صيحة أمتنا الحقيقية فى هذا العصر : ليست هى السبق الحضارى أو إمتلاك الأدوات المادية وإنما هى (الأصالة) : إن طريقه الوحيد إلى النهضة باعتراف عشرات من المفكرين الغربيين انفسهم هو إمتلاك إرادتنا وتطبيق مناهجنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية التى بنيت شخصيتها عليها منذ قرون طويلة والتى لا تحقق النصر بعد موجات التخلف إلا بالتماسها والعودة إليها، والحقيقة أن أمتنا تملك مناهج أصيلة فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والقانون شهد بها أساطين الفكر وكشفوا عما فيها من ذخائر ومعطيات لرفع مستوى الإنسان ود إلى الأمام . أن حصولنا على أسلوب العيش الغربى واندماجنا فى الحضارة الحديثة فى هذه المرحلة لن يحقق لنا بناء عصر جديد بل بالعكس سيدفعنا إلى أن ننهار معها عند سقوطها ، لقد أدت الحضارة الغربية والأيدلوجيات الغربية دورها فى فترة ما فى أوطانها وأنطارها واليوم يسعى الغرب إلى أمرين (١) إلى نظام إقتصادى جديد بديل للنظامين .

(٢) إلى منهج حياة يتميز بالتكامل بين الروح والمادة .

وتتطلع البشرية إلى الإسلام بعد أن جربت هذه المناهج والأيدلوجيات والمعروف :

أن الامم التى تملك رصيداً ضخماً لا تقترض . ونحن بشهادة المنصفين من مفكرى الغرب نملك ثروة تشريعية ضخمة ما زال الغرب يأخذ منها عن طريق

التقنين ونملك الثروة المادية والطاقة والتفوق البشري ونملك موقعا إستراتيجيا فريداً ونملك تاريخا حافلا بالبطولات والانتصارات ونملك منهجا علميا تجريبيا هو أساس الحضارة الحديثة ونحن قدمنا للإنسانية خلال ألف سنة أعظم معطياتها فى مجال الثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وهى المناهج التى إتبنى عليها هذا النظام العالمى والحضارة الإنسانية قبل أن تنحرف إلى الاتجاه المادى الخالص .

فكيف يمكن لأمة تملك كل ذلك أن تتسول أو تمترض أو تخضع أو تحتوى أو تذوب فى أتون الحضارات الوافدة أو المناهج الوافدة تحت اسم الثقافة العالمية أو الحضارة العالمية ، لأننا عشنا فى فترة توقف فيها الفكر الإسلامى والحضارة لإسلامية عن العطاء ونحن نجد اليوم تطلعا عالميا إلى منهج الإسلام لأنه وحده الذى سينتقد البشرية بعد أن فشلت الأيدلوجيات خلال أكثر من أربعة قرون ومن هنا كان علينا أن نواجه الغزو الثقافى والتغريب باستمساك شديد بمنهجنا الإسلامى الأصيل .

رابعاً : ملاحظات عامة :

تتمثل صور الغزو الفكري فى :

(١) إعلاء شأن الحضارة الغربية .

(٢) الدعوة إلى الفرعونية والأقليمية .

(٣) الغض من قدر أعلام الإسلام والصحابة .

(٤) محاولة تصوير الإسلام بصوره عدم القدرة على العطاء أو إنتهاء رسالته أو أنه دين صحراوى .

(٥) تمجيد الأيدلوجيات الغربية وتاريخ الغرب وأعلام الغرب .

(٦) إعلاء شأن العروبة على الإسلام واصطناع مفهوم القومية الغربى المفرغ من المنهج الإسلامى .

(٧) تصور الإسلام على أنه دين عبادة ولاهوت وليس له صلة بشئون المجتمع والسياسة والاقتصاد .

(٨) الدعوة إلى تطوير الإسلام بوصفه أيدلوجية بشرية .

(٩) القضاء على الوجود العربى والثقافة العربية ذات الاتجاه الإسلامى .

(١٠) الحيلولة دون تطبيق الشريعة الإسـلامية ومهاجمة بذور الاقتصاد الإسلامى .

(١١) الفصل بين التعليم وبين التربية الإسلامية وقيام التعليم على منهج مفرغ من المنهج الإسلامى .

(١٢) الدعوة إلى إخضاع الإسلام للعصر ومطالبة الإسلام بالتنازل عن حدوده تبريرا لفساد المجتمعات المعاصرة على أن هذا كله قد يأتى فى أسلوب ماكر وخداع وعبارات ملتوية ولكنها لا تخفى على المثقف المسلم .

محاذير القراءة :

أولا : الكاتب وتاريخه ووجهته وهدفه ، كل هذا من شأنه أن يبعث الطمأنينة أو الحذر من كتاباته .

أن الإيمان بالله ورسوله وبالوحى والنبوة هى علامات على صحة الرأى المقدم ولقد إستطاع الباحثون فى العصر الحديث أن يكشفوا وجهة كل كاتب وغاياته ونشرت المجلات الإسلامية العديد من الأبحاث فى هذا الصدد

ثانيا : سلامة القصد والوجهة الخالصة لصالح الإسلام .

ثالثا : قراءة الكتابات الكاشفة عن أهداف الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ، حيث نجد الآن أن عـــدداً كبيرا من كتاب التبعية يقتحمون على الدراسات الإسلامية بهدف تسميم آبارها وإفسادها ، وإثارة الشبهات حول حقائق الإسلام وخاصة (الشريعة الإسلامية) و (تاريخ الرسول والصحابة)

وهى محاولة قديمة تتجدد ، بهدف تزييف الصحوة الإسلامية والتأثير النفسى على المؤمنين بحق الإسلام فى الوجود والراغبين فى قبوله كنهج حياة يستهدف الغزو الثقافى تذليل الأمة الإسلامية لقبول دهنية الغرب والتخلص من ذاتيتها الإسلامية المتميزة بعده عوامل أساسية منها التوحيد والشورى والعدل الاجتماعي والرحمة والاخاء البشرى .

يعرف التغريبيون ومن ورائهم أن الصحوة الإسلامية خطوة أساسية على طريق إمتلاك الإرادة ولذلك فإن التغريب يضع مخططات جديدة لاحتواء هذه الصحوة .

وذلك بدعوة العالم الإسلامى إلى قبول النظم الغربية ودخول الحوار الأوربى الذى يهدف إلى إنصهار البلاد الإسلامية فى التكنولوجيا المعاصرة ، وبذلك تصبح مقدرات المسلمين داخلة فى إطار الحضارة الغربية بمفاهيمها التى تقوم على الاستعلاء العنصرى ، والسيطرة على الأمم الضعيفة ، وقبول مفاهيم الغرب فى المجتمعات والاقتصاد والسياسة وبذلك تنهار قيم الإسلام التى يجب أن يعمل المسلمون على بثها وتبليغها لإقامة المجتمع الربانى الذى يسلم وجهه لله تبارك وتعالى.

وهناك فوارق عديدة واسعة مفاهيم الإسلام ومفاهيم الغرب أهمها :

(١) الانشطارية وقيام الفلسفة المادية أساسا بينما يقوم الإسلام على الجمع من المادة والروح .

(٢) فكرة التطور المطلق وخضوع الأخلاق للتطور ، بينما يقوم مفهوم الإسلام على ثوابت ومتغيرات .

(٣) فكرة التقدم المادى وحده بينما الإسلام يقرر مفهوما جامعا التقدم ماديا ومعنويا وتقديم الأخلاق على الجمالى .

(٤) فكرة حرية الجنس والتحلل والترف بينما يقوم الإسلام على الأخلاق.

(٥) فكرة المسئولية الجماعية بينما نقد الإسلام المسئولية الفردية .

ومعنى هذا أن منهج الإسلام يختلف إختلافا جذريا عن منهج الغرب الذى يريد الغزو الثقافى أن يفرضه علينا أو يحتوينا فى إطاره أو يصهر أمتنا فى داخله ولن ينصهر المسلمون .

تكشفت فى السنوات الأخيرة مجموعة من الحقائق تحطم مخطط الغزو الثقافى وهى :

(أولا) أخطاء مناهج التغريب الوافدة : وما تكشف فساد منها مفاهيم سارتر وفرويد دوركايم وأصيبت النظرية الماركسية إصابة مباشرة وعقد مؤتمرات قررت أن نظريات هؤلاء جميعا هما مجرد فروض قابلة للخطأ والصواب وليست حقائق علمية وأنها عجزت عن العطاء فى مجتمعها وبيئتها .

(ثانيا) ظهر كتاب من أمثال بوكاى يكشفون عن إشارات وأخطاء كثيرة فى تفسيرات الكتب القديمة بما يوافق القرآن الكريم .

(ثالثا) ظهر كتاب من الغرب يردون للحضارة الإسلامية دينها بالاعتراف بفضلها على حضارة الغرب أمثال جارودى وبرناردشو .

(رابعا) ظهرت كتابات كثيرة تعترف بخطأ التفسير المادى للتاريخ الإسلامى ، وتعترف بعظمة سيدنا محمد ووضعه على رأس مائة من عظماء العالم ، وترى أنه حقق ما لم يحققه المصلحون وذلك بفضل رسالته الربانية .

(خامسا) عقدت عشرات المؤتمرات فى الغرب التى إعترفت بعظمة الشريعة الإسلامية واستقلاليتها وقدرتها على العطاء .

(سادسا) أعلنت دوائر عالمية فساد النظامين الرأسمالى والاشتراكى وتطلع البشرية إلى نظام عادل رحيم وليس غير الإسلام .

هذا وبالله التوفيق .

هذا الكتاب

لوأحصى ماكتب فى العالم الخارجى فى السنـــوات الأخيرة عن «الصحوة الإسلامية» لبلغ مبلغا يتجاوز ماكتب عن تاريخ الإسلام فى أى عصر من عصوره .. ذلك أن النفوذ الأجنبى بقواه الثلاث : الصليبية والماركسية والصهيونية .. يدهش اليوم وينزعج لمولد هذا العملاق الذى لا يحمل العداء لأحد ، والذى يرجو أن يقدم للبشرية النور الذى يخرجها من الظلمات التى ارتكست فيها .. وقد عمل منذ وقت بعيد على أن يظل سادراً فى غفلته .. فحطم كل قيمة من شأنها أن تعيد بناء الأمة الإسلامية ، وحال دون كل إرادة لتحرير المجتمع الإسلامى ، وبذل كل مكره وتآمره وخداعه ليحول بين الحضارة الإسلامية وبين عودتها إلى العطاء ، كما كانت حين قدمت للإنسانية والعالمين على مدى ألف سنة النور الربانى من منطلق العدل والحرية ، والمساواة والإخاء البشرى من خلال دعوة التوحيد الخالص ، متمثلة فى «رسالة الإسلام الخاتمة وكتابها».. «القرآن الكريم» و«سنتها المطهرة» على يد الرسول الأمين ، خاتم المرسلين ﷺ ...

واليوم تبرز هذه الحقيقة كضوء الشمس الساطع .. لا سبيل إلى إنكارها أو تجاوزها أو إجهاضها بإذن الله تعالى .. تلك هى «الصحوة الإسلامية» حلقة من حلقات حركة اليقظة الإسلامية التى قادها الأبرار والمصلحون ، والتى أعادت مفهوم الإسلام الأصيل ديناً ودولة ...، ومنهج حياة ، ونظام مجتمع .. وقد كان الإسلام قادراً على الانبعاث من داخله إبان الأزمات ، ومن خلال التحديات لوضع أمته على الطريق الصحيح ..

أما كيف انطلقت الصحوة الإسلامية ؟ وما هى مقدماتها وتطورها ، وتحدياتها ومستقبلها .. فهذا مايتحدث عنه واحد من مؤرخى الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث هو الأستاذ / أنور الجندى الرجل الذى أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من هذا اللون الذى انتفع به الملايين من أبناء هذه الأمة .. فصحح كثيراً من المفاهيم ، وهدى كثيراً من الحيارى ، وأنقذ كثيراً من الذين كانوا قاب قوسين أوأدنى من السقوط وسط هجمتى الشرق والغرب معاً على تراثنا وأمجادنا وتاريخنا ...

وإن دار الاعتصام لتفخر وهى تقدم لهذا المؤرخ الإسلامى الكبير هذه الحلقة الجديدة فى سلسلة «موسوعة معالم التاريخ الإسلامى» لتنضم إلى شقيقاتها التى صدرت من قبل لتغطى رقعة واسعة من الأسواق العربية ...

٣٠٠ قرشـــا　　دار الاعتصام